

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف

كلية الآداب والفنون

قسم الأدب العربي



أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه

الشعبة: دراسات نقدية

التخصص: نقد جزائري حديث ومعاصر

العنوان

إشكالية تلقي الخطاب النقدي السيميائي في الجزائر (عبد الملك مرتاض أنموذجا)

من إعداد

عمر إكني

المناقشة بتاريخ 2023/05/08 من طرف اللجنة المكونة من:

رئيسا	جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف	أ. د	عراب أحمد
مقررا	جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف	أ. د	رزيق محمد
ممتحنا	جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف	د	كمال الدين عطاء الله
ممتحنا	جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان	أ. د	بلقاسم محمد
ممتحنا	جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف	أ. د	زغودة إسماعيل
ممتحنا	جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة	د	مداور محمد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الله تعالى:

سِيَّمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ (سورة الفتح الآية: 29).
تَعْرِفُهُمْ بِسِيَّمَتِهِمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِحْفَافًا (سورة البقرة
الآية: 273).

وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَمِ وَالْحَرْثِ (سورة آل عمران الآية: 14)

شكر وتقدير

أشكر الله عز وجلّ وأحمده حمدا كثيرا لأنّه وحده الذي وفّقني

في مشواري العلمي لنيل درجة الدكتوراه، دون أن أنس والديّ الكريمين الذين ربّاني وتعبا عليّ إلى أن صرت كبيرا، بداية بوالدي التي حملتني وهنا على وهن، ثمّ والدي الذي علّمني القرآن الكريم فحفظته بفضله وبفضل مشايخي: سي عثمان، وسي نورالدين، سي محمّد براهمي - حفظ الله الجميع -

أشكر زوجتي العزيزة، شريكة حياتي التي كافحت معي وساعدتني كثيرا في إنجاز هذا العمل المبارك.

أتقدّم بالشكر والامتنان للدكتور رزيق محمد الذي أشرف على هذا العمل وقدم لي كلّ الدّعم والثقة لإتمام هذه الأطروحة.

أتقدم بالشكر والاحترام والتقدير لكلّ من أعانني ولو بكلمة خير.

أتقدّم بأسمى عبارات الشكر والامتنان لأساتذة تكوين الدكتوراه تخصص نقد جزائري حديث ومعاصر.

أتقدّم بالشكر والتقدير لطلبة الدكتوراه مشروع النقد الجزائري الحديث والمعاصر

أتقدّم إلى كلّ من ساعدني من قريب أو بعيد ولو بكلمة نصح وتصويب

إهداء

من كانا سببا في وجودي وسهرا على تربيتي صغيرا وتعليمي كبيرا

والدي الكريمين "الحاج" و"كلتومة" حفظهما الله ورعاهما

إلى زوجتي الغالية العزيزة على قلبي "مريم" حفظها الله تعالى

إلى أميرتي الصغيرة "أسينات مناسة"

إلى كتكوتي الصغير المشاكس "أنس غيث"

إلى أستاذي المشرف "رزيق محمد"

إلى كلّ إخواني وأخواتي وأصدقائي

إلى كلّ الأسرة الجمركية

إلى أساتذة التكوين وعلى رأسهم الأستاذ "سحواج امحمد"

إلى كلّ طلاب العلم في بقاع الأرض

أهدي هذا العمل المتواضع



قائمة المختصرات:

ط	الطبعة
س	السنة
ص	الصفحة
ج	الجزء
مج	المجلد
تح	التحقيق
تر	الترجمة
د ت	دون سنة الطبع
د ط	دون الطبع
ع	العدد
ص ن	الصفحة نفسها
هـ	السنة الهجرية
م	السنة الميلادية
ت	سنة الوفاة

المقدّمة

الحمد لله حمدا يليق بجلاله العظيم وسلطانه القديم، والصلاة والسلام على نور البريّة سيّد كلّ مقتفى، العربيّ الهاشميّ المصطفى محمّد صلّى الله عليه، وعلى آله وصحبه الكرام، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدّين أمّا بعد:

فإنّ السّيميولوجيا علم قديم اهتمّ به الإنسان فطريا منذ وجوده واستعمله في حياته الطبيعية، إذ كانت تستعمل للدّلالة على علوم الطّبّ موضوعها دراسة العلامة الدّالة على أسباب المرض عند المشتغلين في دراسة علل الأمراض والبحث عن طرق لمعالجتها، كما كان يقصد بها طريق رمزيّ يساعد على تحقيق التّعبير والتّواصل بين بني البشر عند عامّة النّاس، أمّا عرب الجاهلية فكانوا يصنّفونها كفرع من فروع السّحر، وجزء من أسرار الحروف ورمز من رموز الطّلاسّم، بينما النّقاد العرب المسلمون فكانوا يستخدمون لفظ سيمياء للدّلالة على العلامات والإشارات والرّموز والأيقونات التي تدلّ على عالم يسعى لاستنطاق المكنون.

يتفق علماء العلم الحديث على أنّ نشأة هذا العلم تعود للعالم اللّسانيّ البنيويّ فرديناند دو سوسير (Ferdinand De Saussure) وذلك منذ انقطاعه نوعا ما عن الدّراسات اللّسانية، معتبرا السّيميولوجيا علما رائدا تستفيد منه مختلف المشارب المعرفيّة الأخرى ويهتم بدراسة العلامات في قلب الحياة الاجتماعيّة، كما ارتبط هذا العلم من جانب آخر بالفيلسوف الأمريكيّ تشارلز سندرز بيرس (Charles Sanders Peirce) والذي أطلق على هذا العلم مصطلح السّيميوطيقا التي حسبها مطابقة لعلم المنطق، كمنظريّة للعلامات والتنوّعات الأساسيّة للدّلالات.

ظهرت السّيميولوجيا في الوطن العربيّ عن طريق المثاقفة والتّرجمة والانفتاح على الإنتاجات الغربيّة الجديدة، فقد بدأ ظهورها أولا ببلدان المغرب العربيّ بداية بالمغرب والجزائر، ثمّ توسّعت إلى باقي الأقطار العربيّة، ومن الذين كان لهم تأليف في هذا المجال نذكر ما يلي: محمّد السّرغينيّ، جميل حمداوي، سعيد بنكراد، محمّد مفتاح من المغرب، ومن الجزائر نذكر: رشيد بن مالك، السعيد بوطاجين، حسين خمري، أحمد يوسف، عبد الحميد بورايو، عبد القادر فيدوح وعبد الملك مرتاض الذي نحن بصدد البحث والتّحرّي في مؤلّفاته السّيميائية من خلال أطروحة دكتوراه موسومة بـ "إشكالية تلقّي الخطاب التّقدي السّيميائي في الجزائر (عبد الملك مرتاض أنموذجا) .

تكمن أهمية هذه الدراسة في اعتبار هذا الموضوع إضافة جديدة للدراسات النقدية، حيث تمّ البحث فيه عن طريق طرح جملة من الإشكاليات التي وقفت أمام النقاد الجزائريين أثناء تلقيهم للمنهج السيميائي، والتي تسعى للبحث في النقاط التالية:

- ✓ دراسة مميّزات الخطاب النقدي السيميائي في الجزائر.
 - ✓ معرفة مدى اهتمام النقاد الجزائريين بهذا المنهج منذ بزوغه من المدرسة الغربية الحديثة.
 - ✓ التعرف على مختلف المقاربات السيميائية في النقد الجزائري المعاصر.
 - ✓ إدراك سبل وطرق اهتمام عبد الملك مرتاض بهذا المنهج، وتعداد أهمّ الإشكالات التي وقفت عائقا في طريقه.
 - ✓ استخراج جملة من الآليات والإجراءات التي استخدمها عبد الملك مرتاض في التطبيقات السيميائية التي درسها، ومعرفة مدى نجاحه من عدمه في دراساته التطبيقية لهذا المنهج.
- يدرج هذا البحث ضمن أسئلة نقد النقد، والتي من خلالها نسعى للنظر في مجموع كتابات عبد الملك مرتاض من منظور الوصف والإحصاء والتفسير، وكذا تقييم المدونة النقدية في إطار ما يعرف بقراءة القراءة، والتي كان دوما يدعو إليها عبد الملك مرتاض في كتاباته، وكما هو معلوم فإنّ مجال نقد النقد جديد ظهر مع بداية القرن العشرين كمحاولة على يد الفرنسي تيزيفتان تودوروف (Tzvetan Todorov) وسنحاول في هذه البحث أن نقوم بعرض الخطاب النقدي السيميائي عند عبد الملك مرتاض من الناحية النظرية ثمّ التطبيقية وكذا من جانب الترجمة والتعريب، ثمّ نتطرّق لتبيان المنهج المفضّل لدى الناقد الجزائري، وكذا التعليق على جدلية التراث والحداثة التي اتّصف بها الباحث، والتعريف بأهمّ الإشكالات التي واجهت الناقد أثناء دراسته لهذا المنهج.

اخترنا هذا البحث لعدّة أسباب ارتأينا أن نصنّفهم كما يلي:

❖ الأسباب الذاتية:

- الميل الشّخصي لهذا النوع من النقد (نقد النقد) كونه خطابا جديدا، يبدأ من النقطة التي ينتهي فيها الخطاب النقدي، ساعيا للكشف عن تحولات النقد الأدبي، وإبراز آلياته.
- التأثير الكبير بتجربة عبد الملك مرتاض النقدية، خاصّة وأنّه من أبرز النقاد الذين ألفوا ما يفوق السبعين (70) كتابا في الجزائر في العصر الحالي.

❖ الأسباب الموضوعية:

- طبيعة خطاب نقد النّقد، الذي يملك مجالاً واسعاً يلتقي فيه الجانب النظري مع الجانب التطبيقي وكذا جانب التعريب والترجمة.
 - الانفتاح الجيّد لخطاب نقد النّقد على آفاق ثقافية جديدة، تساهم في فهم النص، وتعيد بناءه من جديد.
 - محاولة الكشف عن ملامح نقد النّقد في مؤلّفات عبد الملك مرتاض، وإظهار مرجعياته الفكرية وخصوصياته الأيديولوجية المساهمة في خطاب نقد النّقد.
 - بسط التجربة النقّدية لعبد الملك مرتاض في المنهج السيميائي، في جميع الجوانب بداية بالمنهج، ثمّ المصطلح، ثمّ عقيدته الأيديولوجية، وكذا لغته النقّدية الواسعة.
 - تتبّع المسار التاريخي لتجربة عبد الملك مرتاض في تلقيه للخطاب النقّدي السيميائي.
- أمّا فيما يخصّ الدراسات السابقة التي تناولت أعمال عبد الملك مرتاض في هذا الميدان - حسب اطلاعنا - فهي كما يلي:
- رسالة ماجستير موسومة "بالتجربة النقّدية عند عبد الملك مرتاض" للباحث "علي خفيف" سنة 1995م
 - مذكرة ماجستير عنونت "بإشكالية المصطلح في الخطاب النقّدي الجزائري المعاصر (دراسات في مصطلحات التحليل السيميائي)" للباحثة "العبدية فتيحة" سنة 2014/2013م
 - مذكرة ماجستير موسومة "بمستويات الخطاب النقّدي عند عبد الملك مرتاض (قراءة في المنهج)" للباحث "شارف فضيل" سنة 2014/2013م
 - رسالة ماجستير اهتمّت بمجال "التّفكير السيميائي عند عبد الملك مرتاض (مقاربة وصفية)" للباحثة "سامية طواهرية" سنة 2015/2014.
 - رسالة ماجستير درست قضية "تلقي المنهج السيميائي عند عبد الملك مرتاض (دراسة وصفية)" للباحث "علي مقدّم" سنة 2016/2015م.

- دراسة للباحث أحمد سايحي في "النقد النسقي الجزائري بين الأصول والتجليات"، أطروحة دكتوراه (منشورة)، سنة 2018/2017م.
- أطروحة دكتوراه معنونة "بتجربة نقد النقد في النقد العربي المعاصر؛ سعد البازغي، سعيد علوش، عبد الملك مرتاض أنموذجا"، للباحث عبدالله عبان سنة 2018/2017م.
- أطروحة دكتوراه موسومة "بإشكالية المنهج في النقد الجزائري المعاصر؛ قراءة في مشاريع: عبد الحميد بورايو، عبد الملك مرتاض، رشيد بن مالك" للباحث "حمزة بسو" سنة 2019/2018م.
- أطروحة دكتوراه حول "تجديد المنهج في كتابات عبد الملك مرتاض النقدية"، للباحث عبدالله مختاري 2021/2020م.

تناولت الدراسات السّالفة الذكر مصادر عبد الملك مرتاض التي اعتمد عليها في منهجه السيميائي، خاصّة المصادر الغربية (الفرنسية خصوصا)، كما تعرّضت لمسألة المصطلحات البلاغية النقدية التي تنتمي للحقل السيميائي، وكذا قضية تلقي عبد الملك مرتاض للمنهج السيميائي، الذي اتّبع من خلاله عمليّة تركيب المناهج خاصّة في الجانب التطبيقي، بالإضافة إلى نظرية القراءة السيميائية التي تركز على إجراءات استخراج دلالات النصوص، والتأكيد على أنّ قراءة القراءة للنصوص السيميائية من أنجع الأساليب الأدبية شعرية كانت أو نثرية. وكذا حديثهم عن المرجعيات والخلفيات الفكرية والنقدية التي انطلق منها مرتاض في تناوله للخطاب السيميائي خاصّة في ممارساته التطبيقية، وهناك من تطرّق للخطاب النقدي السيميائي عند بعض النقاد الجزائريين.

نسعى من خلال هذه الدراسة إلى إثبات خصوصية الخطاب النقدي السيميائي عند عبد الملك مرتاض، وخلفياته المعرفية التي استعملها في هذا المنهج الحدائي الغربي، وتكييفه لمنجزات الحدائّة السيميائية مع الموروث العربي الإسلامي، وإرسائه لمعالم منهج نقدي جديد متمثلا في "اللامنهج" العنصر الوحيد الذي يعتبره الناقد الأفضل لتخليص النقاد من التبعية والتقليد، كما حاول الباحث أيضا ضبط العديد من المصطلحات السيميائية التي عانت من الفوضى، وذلك بفضل قواعد خاصّة سلكها للحدّ ولو نسبيًا من مشكلة الأخطاء التي شابت المصطلح السيميائي، وكذا جدليّة الاتّباع والابتداع، بالإضافة إلى تشبّته بالتراث العربي الإسلامي، الذي وظّفه كطريق لإنجاز خطاب نقدي سيميائي عربي خالص، وأخيرا درسنا الطبيعة اللغوية التي تميّز بها الناقد عن غيره من النقاد الآخرين.

انطلاقاً ممّا سبق، وسعيًا منّا لتحقيقاً للأهداف المرجوة نطرح الإشكاليات والتساؤلات التالية:

- ✓ كيف تلقّى عبد الملك مرتاض الخطاب النقدي السيميائي؟
- ✓ ما مفهوم الخطاب السيميائي في نظر عبد الملك مرتاض؟
- ✓ هل يمتلك عبد الملك مرتاض منهجاً سيميائياً بعينه؟
- ✓ لماذا اعتمد عبد الملك مرتاض في كتاباته على المنهج التركيبي؟
- ✓ ما هي مسألة اللامنهج التي أصبح عبد الملك مرتاض يجنّدها في مؤلفاته؟
- ✓ ما هي الطريقة التي اعتمدها مرتاض في توظيفه للمنهج السيميائي في مؤلفاته؟
- ✓ ما موقع الحداثة مع التقليد في دراساته؟
- ✓ ما موقع المصطلح السيميائي في قاموس عبد الملك مرتاض؟ هل حافظ عليه في ترجمته ملتزماً بالتراث العربي الإسلامي؟ أم نقله حرفياً؟
- ✓ ما هي مشارب عبد الملك مرتاض السيميائية؟
- ✓ ما مدى تأثر عبد الملك مرتاض بالمنهج السيميائي؟
- ✓ هل نجح الناقد في ممارساته السيميائية التي دوّنّها في مؤلفاته لتحقيق ما يصبو إليه هذا المنهج؟
- ✓ كيف استقبل الناقد المنهج السيميائي، وكيف نقله للمتلقّي؟

للإجابة على الإشكالية الرئيسية وما تفرّع عنها من تساؤلات فرعية تمّ وضع الفرضيات

الآتية:

- ✓ عبد الملك مرتاض من النقاد الجزائريين الذي كان لهم فضل السبق في نشأة هذا العلم في الجزائر، كما أنّه يعتبر أوّل من فتح الباب لباقي النقاد الجزائريين.
- ✓ نظراً لما يمتلكه عبد الملك مرتاض من معرفة غزيرة نهلها من تراثه العربي الإسلامي، واغترفها من أساتذته الغربيين الذين تكوّن على يدهم بالغرب خاصّة (فرنسا)، تمكّن من بلورة منهج سيميائي يستطيع توظيفه في تحليل الخطاب النقدي.
- ✓ تجربة عبد الملك مرتاض في المناهج الحداثيّة تجربة ثريّة، لأنّه يعتبر من أبرز النقاد حرصاً على مواكبة الساحة النقدية، خاصّة في مناهج تحليل الخطاب المعاصرة، والذي حاول من خلالها ممارسة هذه المناهج على النصوص العربية القديمة والحديثة على اختلاف أجناسها.

وتأسيساً على إشكالية البحث المنطلقة من منظور نقد النّقد، فقد استعنا بإجراءات الوصف والتحليل والإحصاء، كونهم أدوات متلائمة مع طبيعة نقد النّقد الذي يعتمد على معرفة طبيعة الممارسات النقدية السيميائية لعبد الملك مرتاض ، وكذا تبيان أبرز الإشكاليات النقدية التي واجهها عبد الملك مرتاض حين تلقّيه للخطاب النقدي السيميائي، ثمّ النظر في آرائه وتحليلاته السيميائية لمختلف النّصوص التي عالجها، وإحصاء مختلف مناهجه التي اعتمدها في دراساته، وكذا أهمّ المصطلحات السيميائية التي عالجها في كتاباته.

أمّا المنهج الذي التزمنا به في هذا البحث وسرنا على منواله هو المنهج الوصفي الذي يعتمد على آليات الوصف والتحليل والإحصاء، نظراً لطبيعة البحث التي تستلزم ضرورة تحليل الخطاب النقدي السيميائي، وتعزيز ذلك بدراسات نقد النّقد، كما تحلّله المنهج التاريخي، الذي دعت إليه عمليّة تقصّي هذا العلم في الزمن الماضي، فقمنا بجمع بيانات المنهج السيميائي وتحليلها ثمّ مناقشتها وتفسيرها ، وذلك من خلال تتبّع تطوّرات المنهج السيميائي في المدرسة الغربية الحديثة منذ نشأته في العصر القديم إلى عصر الحداثة اليوم، ثمّ تبيان ملامح هذا المنهج في التراث العربي الإسلامي منذ أن كان جزءاً من فنون السّحر إلى أن أصبح موضوعاً من مواضيع علم الدلالة.

ولمقاربة الموضوع منهجياً، اقتضت صيغة البحث معالجة قضاياها في فصل تمهيدي و ثلاثة فصول ، وسنما الفصل التمهيدي بعنوان "محدّدات أوليّة في مصطلحات: التلقّي، الخطاب، النّقد و السيميائية،" قمنا من خلاله التعريف بالمصطلحات المفتاحية للموضوع.

يحمل الفصل الأول عنوان: "السيميائيات مفاهيم وأصول"، يبحث في الأبعاد النظرية لمفهوم السيميولوجيا، قسّمنا هذا الفصل إلى خمسة مباحث، تناولنا في المبحث الأول السيميائيات وإشكالاتها في التراث العربي الإسلامي، أمّا المبحث الثاني فتطرّقنا فيه لموضوع السيميولوجيا عند الغرب، بينما المبحث الثالث ذكرنا فيه أهمّ المدارس السيميائية واتّجاهاتها، ثمّ بيّنا طبيعة العلاقة الموجودة بين السيميائيات واللّسانيات في المبحث الرابع، وختمنا هذا الفصل بمبحث وضّحنا فيه آليات وطرق التحليل السيميائي في الخطابين السردّي والشّعري.

أمّا الفصل الثّاني فخصّصناه لإبراز أهمّ النّقاد الجزائريّين الذي تناولوا الخطاب النّقدي السيميائي، إذ تناولنا في المبحث الأول طريقة تلقّي الوطن العربي للخطاب النّقدي السيميائي، ثمّ انتقلنا للحديث عن مسألة المنهج في الخطاب النّقدي السيميائي، عند مجموعة من النّقاد الجزائريّين أبرزهم: عبد الملك مرتاض، عبد القادر فيدوح، أحمد يوسف، رشيد بن مالك، السعيد بوطاجين، حسين خمري، عبد الحميد بورايو، إبراهيم صحراوي، الطّاهر رواينية، عبد القادر فهم الشيباني، وفي المبحث الأخير من هذا الفصل عالجنا ظاهرة المصطلح السيميائي في الخطاب النّقدي الجزائري.

تحدّثنا في الفصل الثالث عن "إشكالية تلقّي الخطاب النّقدي السيميائي عند عبد الملك مرتاض" كمحاولة واجتهاد منا لإبراز المنهج الدّقيق الذي كان يمتاز به عبد الملك مرتاض، ووصف الدّراسة المستوياتيّة التي كان يعتمد عليها النّاقدين كثيرا في كتاباته، فقسّمنا هذا الفصل إلى مجموعة من الإشكالات، أوّلها إشكالية تلقّي عبد الملك مرتاض للمنهج السيميائي، ثانيها إشكالية اللّامنهج وتعدّد المنهج، ثالثها إشكالية التّركيب المنهجي التي وظّفها في كتبه التّطبيقية، رابعها الطريقة التي اعتمدها في صياغة المصطلح السيميائي، خامسها اللّغة النّقديّة الخاصّة به، سادسها جدل التّراث والحداثة الذي اتّصف به وميله الكبير للتّراث العربي الإسلامي.

اعتمدنا في بحثنا هذا على ثلّة من المصادر والمراجع التي سهّلت علينا مهمّة إنجازها كتب مرتاض السيميائية والتي نذكرها كما يلي:

- النّصّ الأدبي من أين وإلى أين؟ سنة 1983م.
- ألف ليلة وليلة؛ تحليل سيميائي تفكيكي لرواية "حمّال بغداد" سنة 1989م.
- أ/ي دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة "أين ليلاي" للجزائري محمّد العيد آل خليفة، سنة 1992م.
- شعريّة القصيدة؛ قصيدة القراءة، سنة 1994م.
- تحليل الخطاب السّردي؛ معالجة تفكيكية سيميائية مركّبة لرواية "زقاق المدقّ" للمصري نجيب محفوظ، سنة 1995م.
- مقامات السيوطي؛ تحليل سيميائي لجمالية الحيز في المقامة الياقوتية، سنة 1996م.

- في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد): سنة 1998م.
 - السبع المعلّقات؛ تحليل أنثروبولوجي سيميائي لشعرية نصوصها، سنة 1999م.
 - نظام الخطاب القرآني؛ تحليل سيميائي مركّب لسورة الرّحمن سنة 2001م.
 - التّحليل السيميائي للخطاب الشّعري؛ تحليل مستوياتي لقصيدة شناشيل ابنة الجلي للعراقي بدر شاكر السّياب، سنة 2001م.
 - في نظريّة نقد التّقد، متابعة لأهمّ المدارس التّقديّة المعاصرة ورصد لنظريّاتها سنة 2002م .
 - نظرية القراءة (تأسيس للنّظريّة العامّة للقراءة الأدبيّة): سنة 2003.
 - نظرية النّصّ الأدبي: سنة 2007م.
 - مائة قضيّة... وقضيّة؛ مقالات ودراسات تعالج قضايا فكرية ونقدية متنوّعة، سنة 2012م.
 - شعرية القصّ وسيميائية النّصّ: سنة 2014.
 - الشّعْر الأول، معالجة تاريخية رصدًا وأنثروبولوجية مقارنة، وسيميائية تحليلا لمطالع المعلّقات، سنة 2015م.
 - مقدمات منهجية فيما اتّفق لي في تقديمات كتي التأسيسية، سنة 2022
 - بالإضافة إلى الكتب التي أجهت في بحث القضايا النّظريّة والتّطبيقيّة في مجال نقد النّقد وهي كالاتي:
 - الخطاب التّقدي عند عبد الملك مرتاض؛ بحث في المنهج وإشكالاته للباحث يوسف وغليسي سنة 2002م.
 - الدّرس السيميائي المغاربي؛ دراسة وصفية نقدية إحصائية في نموذجي عبد الملك مرتاض ومحمد مفتاح، للباحث مولاي علي بوخاتم، سنة 2005م
 - تجربة نقد الشّعْر عند عبد الملك مرتاض للباحث عبد الملك بومنجل، سنة 2015م.
 - عاشق الضّاد؛ قراءات في كتابات العلامة عبد الملك مرتاض، لمجموعة من الباحثين، من بينهم أحمد يوسف وعلى رأسهم يوسف وغليسي الذي قام بإعداد هذا الكتاب وتنسيقه وطبعه سنة 2018.
- ومن جملة الصعوبات والعوائق التي واجهتنا في إتمام هذه الرّسالة ما يلي:

- طبيعة البحث التي تعتمد على خطاب نقد النقد وهو فنّ جديد في الساحة النقدية الجزائرية.
- الصعوبة الأولى التي واجهناها أثناء عملية التعرف على دراسات نقد النقد لجلّ النقاد الجزائريين المهتمين بالخطاب النقدي السيميائي.
- إشكالية البحث التي تعتبر عائقا أمام الموضوع، وحبذا لو عنون الموضوع بتلقي الخطاب النقدي السيميائي في الجزائر (عبد الملك مرتاض أنموذجا)، وهذا ما نصحني به أعضاء لجنة التكوين.

في الختام لا يسعنا إلا أن نحمد الله جلّ وعلا الذي وفقنا لإنجاز هذا العمل المتواضع، كما أتقدم بجزيل الشكر لأستاذي المشرف الأول "رزيق محمد" وكذا الأساتذة المؤطرين الذين لم ييخلوا علي بتوجيهاتهم السديدة ونصائحهم الدائمة، وتحفيزاتهم الكثيرة، ولذلك آثرنا أن نذكر أسماءهم كآلآتي: أستاذي الذي درست عنه في طور التدرّج "بلقاسم محمد"، أستاذي المشرف الثاني "كمال الدين عطاء الله"، وأساتذة لجنة التكوين "سحواج محمد"، "عزّاب أحمد"، "سي أحمد محمود"، و"جلّول دواجي عبدالقادر"، جزاهم الله عنا خير الجزاء وخير العمل.

كما نتقدم بالشكر الجزيل لكلّ أعضاء لجنة المناقشة، وأملنا أن يكون هذا الموضوع في حسن ظنّ الجميع، وأن تكون إيجابياته أكثر من سلبياته، كما لا ننسى كلّ من أعاننا ولو بكلمة خير من قريب أو بعيد، والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

إكني عمر في: 18 سبتمبر 2022م الموافق لـ 21 صفر 1444هـ

الفصل التمهيدي: محدّدات أوليّة في مصطلحات: التلقي، الخطاب، النّقد،
السيمياء.

1. مفهوم التلقي لغة واصطلاحاً

2. مفهوم الخطاب لغة واصطلاحاً

3. مفهوم النّقد لغة واصطلاحاً

4. مفهوم السيمياء لغة واصطلاحاً

5. مفاهيم سيميائية

تمهيد:

يمثل عنوان أيّ بحث علمي أو نصّ أدبيّ، الواجهة الأولى التي يصطدم بها الباحث، سواء كان ذلك انجذاباً لما اكتسبه الباحث من فنون خلال تكوينه التعليمي وممارسته للمطالعة والقراءة، أو نفورا بعد تمعنه في العنوان بطريقة سطحية، تفرض عليه التعمق أكثر لإدراك أبعاد البحث الحقيقية.

فالعنوان في علاقته بالنصّ يولد لدى الباحث، نوعاً من التواصل التفاعلي الذي تنميه خبرة فنية أو عادية مسبقاً، مما تتمحور في ذهنه مجموعة من التصوّرات تمهد لخطّة متوازنة للبحث بصورة جامعة مانعة.

وعليه: فإنّ الإدراك الجيد لعنوان البحث وحسن استخراج مفاتيحه وأبعاده، يمهد للباحث اكتشاف معاني ودلالات النصّ، وأهداف الكتابة الفنية.

وخلال تفحصنا لعنوان بحثنا، وجدنا أنّه من الضروريّ التعرّف بمفاتيح هذا البحث المركّبة من أربعة عناصر نقدية هي: التلقي، الخطاب، التقد، السيمياء.

1. مفهوم التلقي (Recevoir):

1.1. لغة: ورد التلقي في معاجم اللغة العربية بمعان مختلفة، ففي لسان العرب جاء « التلقي بمعنى الاستقبال »، ومنه قول الله تعالى: ﴿ وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾¹ ، فأنتهت لتأنيث إرادة الكلمة ، وقيل في قوله : وما " يُلقّاها " أي يعلمها ويوفّق لها إلا الصّابر، وتلقاه أي استقبله ، وفلان يتلقّى فلان اي يستقبله².

وفي «الانجليزية»: (réception) ، أي تلقّ أو استقبال، و (to receive): أي تلقّ واستقبل و أخذ»³.

إنّ معاني التلقي في اللغتين متشابهة جداً، غير أنّ بعداً آخر يضاف إلى التلقي في اللغة العربية؛ حيث أنّه يأتي مرتبطاً مع مفردةٍ أو فقرةٍ أو شيءٍ ما (يتلقّى شيئاً أو تلقى مفردة...) ، لأنّ

¹ سورة فصلت، الآية: 35.

² جمال الدّين بن منظور، لسان العرب ، دار صادر، بيروت، مادة (لقي)، ط1، 1300هـ، ج11، ص11.

³ روجي البعلبكي، المورد قاموس عربي انجليزي، دار العلم للملايين ، بيروت ، 1996 (د ط)، ص365

معنى الكلمة لا يكتمل إلا بإضافتها إلى ما يلائمها، وخير مثال ما ورد في القرآن الكريم : ﴿ فَتَلَقَّى
ءَادَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ﴾¹، « ويستتبع ذلك إichاءات نفسية وذهنية وعملية وسلوكية ، تترتب
على فعل التلقي ، مما يوحي بأن فعل التلقي هو فعل مشاركة وتفاعل مع منتج النص»².

2.1. اصطلاحاً: نظرية التلقي (Théorie de la réception):

يشير سمير حجازي على أن التلقي:

«مجموعة من المبادئ والأسس النظرية شاعت في ألمانيا منذ منتصف السبعينات على
يد مدرسة تدعى كونستانس ، تهدف إلى الثورة ضد البنيوية الوصفية ، وإعطاء الدور الجوهرية ،
في العملية النقدية للقارئ أو المتلقي ، باعتبار أن العمل الأدبي منشأ حوار مستمر مع القارئ
بصورة جدلية، تجعله يقف على المعنى الذي يختلف باختلاف المراحل التاريخية للقارئ»³.
وهناك من عرفه كما يلي: «الاعتناء بالقارئ أو المنهج الذي يعتمد على القارئ»⁴.

كما نجد أيضا مصطلحا آخر مرادفا لنظرية التلقي هو "جماليات التلقي" ، «فكلاهما
يتعلق بالقارئ، ويجعل من عملية الفهم، بنية من بنيات العمل الأدبي نفسه ليصبح الفهم هو
عملية بناء المعنى وإنتاجه ، وليس الكشف عنه أو الانتهاء إليه ، وبذلك يعدّ المحمول اللساني مؤثرا
واحداً من مؤثرات الفهم لا بدّ من تغذيته ، بمرجعيات ذاتية قائمة، على فعل الفهم من لدن
المتلقي»⁵.

ومن المصطلحات الشائعة أيضا "نظرية القراءة" ، حيث يعتبرها الناقد سعيد يقطين
«تجسيد لروح التفاعل التجاوبية بين القارئ والنص المقروء»⁶.

¹ سورة البقرة: الآية: 37

² مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة
للطباعة والنشر، بيروت، ط1؛ 2005، ص16.

³ سمير سعيد حجازي: قاموس مصطلحات النقد الأدبي المعاصر ، دار الآفاق العربية ، ط1 ، 2001، ص:145

⁴ فاطمة البريكي: قضية التلقي في النقد العربي القديم، دار النشر، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 2006، ص:49.

⁵ رضا معرف :التجديد في النقد العربي ، أطروحة دكتوراه ، جامعة باتنة1، (منشورة) ، 2017 / 2018 ، ص : 45

⁶ سعيد يقطين: القراءة والتجربة ، دار الثقافة ،الدار البيضاء ، المغرب ، ط1 ، 1985 ، ص:11

يتحدّث بارت عن مفهوم القراءة فيقول: «وحيث يتكوّن فضاء للذّة، وليس لشخص آخر- المبحوث عنه في الشارع- هو الذي أحتاج غليه، وإّما أحتاج إلى الفضاء: إلى احتمالية جدلية الرغبة، إلى ارتجال اللذّة، فلينعدم اللّعب !، بل فليكن اللّعب.»¹.

كما لا ننسى مصطلح "المتلقّي" الذي من الضرورة الحديث عنه، حيث عرفه سعيد علّوش كما يلي :

«الكائن أو الآلة التي يصدر إليها خبر ما، ويعارض (المتلقّي) في نظرية الإعلام (الباعث)،

ويتمثّل الاختلاف بين السيمائية و نظرية الإعلام فيما يخصّ نظرية (المتلقّي)، في كون هذا الأخير يمثّل وضعية مفرغة ، في الحالة الثانية (الآلية)، بينما يمتلك في الحالة الأولى دينامية»².

من هنا يظهر بوضوح أنّ فعل التلقّي يأخذ سمات لا تقتصر على الفعل بذاته ، إمّا مجموعة من المبادئ النّاطمة لعلاقة القارئ بالنّصّ الذي يتولّاه بالقراءة ، وهذه المبادئ تهدف إلى الاهتمام الكبير بالقارئ ، والتّركيز على دوره الفعّال كذات واعية لها النّصيب الأكبر من النّصّ وإنتاجه وتداوله ، وتحديد معانيه، و تأثير هذا النّصّ في جمهور ما ، ومدى قدرة هذا الجمهور (المتلقّي) على التّفاعل مع هذا النّاتج الإبداعي ، فالعمل الفنّي لا يكتمل إلّا عندما يستقبل المتلقّي العمل الكلّي ، وهذا الأخير يتحقّق بتتابع العلامات³.

يرى ياوس (Yauss) أنّ جمالية التلقّي تشمل بعدين اثنين هما: الفاعل والمنفعل في وقت واحد، الأول يقصد به الأثر الذي يتركه النّصّ في ذهن القارئ، والآخر يراد به الطريقة التي استقبل بها المتلقّي هذا العمل، كما تلعب المرجعيات دورا رئيسيا في اختلاف استجابات الجمهور

4

¹ لخضر عرابي: المدارس التقديّة المعاصرة، النشر الجديد الجامعي ، تلمسان، (د ط)، 2016، ص171، 172

² سعيد علّوش: معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة ، دار الكتاب اللّبناني ، بيروت ، لبنان ، ط1؛ 1985، ص200.

³ ينظر: محمد إسماعيل بصل أكسيم : المفاجأة وكسر الأفق (خطبة زياد بن أبيه في البصرة أمودحا تطبيقيا)، مجلّة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية ، مج39، ع2، س2017، ص224.

⁴ ينظر: هانس روبرت ياوس: جمالية التلقي؛ من أجل تأويل جديد للنصّ الأدبي، تر: رشيد بنحدو، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1؛ 2004، ص101

فالتلقي هو « فاعلية بناء وإنتاج ، بمقدار ما هو مفعولية قراءة ، والقارئ يسعى لإعادة تركيب النصّ ، و إغناؤه بفهم جديد»¹.

نظرية المتلقي تعطي الحرّية في شكل الاستجابة، ومظاهر الوعي والنقد والتحليل، فنجد فيها كلّ أشكال القراءة، وكلّ مناهج النقد، لأنها تسعى لترسيخ فردية الاستجابة.

3.1. قراءة كرونولوجية لمفهوم التلقي:

تجادل العلماء في نشأة هذا المصطلح، وبعد مدّ وجزر اتفقوا على أنّ إرهاصاته الأولى بدأت «مع نهاية الستينات من القرن العشرين حوالي سنة 1967م بألمانيا الغربية، بالأخصّ "جامعة كونستانس"، وأشهر روادها هانز روبرت ياوز (Hans Robert Yauss) وفولفغانغ آيزر (Wolfgang Izer)، و تركّز اهتمامهما على القارئ الذي جعلنا منه محور العملية النقدية»².

سيطرت نظرية التلقي على الساحة النقدية خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر (18م)، في حين يعتبر "ياوس آيزر" أبرز رواد النظرية بجامعة كونستانس بعنوان "التغيّر في نموذج الثقافة الأدبية" عام 1969م، ركّز فيها على للمناهج الأدبية، حيث لم تقتصر هذه النظرية على فاعلية القارئ فقط بل فتحت أفقا جديدا في مجال التأويل، وانتقلت غاية دراسة الأدب من المعرفة ، إلى معرفة طريقة المعرفة و إمكانياتها وممكناتها.³

غير أننا إذا عدنا إلى كلام العرب نجد أنّ «مصطلح "نظرية التلقي" قد اتخذ أشكالا وألوانا، وهذا ليس بغريب ، فنجد "نظرية الاستقبال" عند "رعد عبد الجليل جواد" عندما ترجم كتاب "روبرت هولب" ، بينما ترجم "عزالدين إسماعيل" الكتاب نفسه تحت عنوان "نظرية التلقي" ، كما اختار حسين الواد ترجمتها إلى "جمالية التّقبّل" ، أمّا نبيلة إبراهيم فسمّتها "نظرية التأثير والاتصال" ،

¹مراد حسن فطوم : التلقي في النقد العربي في القرن الرابع، الهيئة العامة السورية للكتاب ، دمشق ، سوريا ، (د ط)، 2013، ص:17.

² دليلة مبروك : استراتيجية القارئ في شعر المعلقات "معلقة امرؤ القيس نموذجا"، أطروحة ماجستير ، (منشورة)، جامعة منتوري قسنطينة، 2010/2009، ص:10.

³ ينظر: المرجع نفسه: ص:12، 13.

أما عباس عبد الواحد فنجد عنده "جماليات التلقي"، كما نجد من يطلق عليها مصطلح "نظرية الاستقبال"، "جمالية التجاوب"، وكذا "نظريات الاستقبال"، "نظرية القراءة والتلقي"¹.

تؤثر البيئة الثقافية تأثيرا كبيرا في عمل (المتلقين)، حسب اختلاف قراءاتهم للنصوص الأدبية، حيث تكون استجاباتهم بما يستخدمونه من أدوات توصلهم إلى تذوق النصّ الأدبي وفهمه، فالبيئة تمثل نقطة تقاطع بين المتلقين الذين يتأثرون بعادات وتقاليد مجتمعهم، لأنّ أيّ إدراك ذاتي لهذه النصوص الأدبية ينبغي أن تكون وراءه خلفيّة ثقافية يميّز بها كلّ ناقد (متلقّي).

2. مفهوم الخطاب (Discoures):

1.2. لغة: تكاد تجمع جلّ المعاجم العربية على أن لفظه الخطاب كالأتي:

ورد عند الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت170هـ) في معجم العين: «الخطب: سبب بالأمر، والخطاب: مراجعة الكلام، والخطبة: مصدر الخطيب، وكان الرجل في الجاهليّة إذا أراد الخطبة قام في النادي فقال: خطب، ومن أراده قال: نكح، وجمع الخطيب خطباء، وجمع الخاطب خطّاب»².

أشار ابن فارس (ت395هـ) في كتابه معجم مقاييس اللّغة بقوله: «خطب (الخاء والطاء والحاء) أصلان أحدهما الكلام بين اثنين، يقال خاطبه يخاطبه خطابا والخطبة من ذلك، والخطبة: الكلام المخطوب به، الخطب: الأمر يقع، وإنّما سمّي بذلك لما يقع فيه من التّخاطب والمراجعة»³.

جاء في لسان العرب (ت711هـ): «إنّ الخطاب لغة من خطب فلان إلى فلان فخطبه أو أخطبه، أي أحابه، والخطاب والمخاطبة: مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا، وهما يتخاطبان، والخطب: سبب الأمر»⁴.

¹ بوعزة فاطمية: نظرية القراءة والتلقي، المرجعيات والمفاهيم، مجلّة النصّ، ع22، س2017، ص166

² الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، تح: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي دار ومكتبة الهلال، (د ط)، (د ت)، بيروت، ج4، ص222

³ أحمد بن فارس: معجم مقاييس اللّغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، القاهرة، (د ط)، 1979، ج2، ص:198.

⁴ جمال الدّين بن منظور: لسان العرب، ج1، مادة (خطب)، ص:361

قال صاحب مختار الصحاح(ت660هـ): «خ ط ب (الخطب) سبب الأمر تقول ما خطبك، و(خاطبه) بالكلام (مخاطبة) و (خطابا) و(خطب) على المنبر (خطبة) بضم الخاء و(خطابة)، و(خطب) المرأة في النكاح (خطبة) ، وخطب من باب ظرف صار (خطيبا)»¹.

إنّ التعاريف السابقة تؤكد على أنّ الخطاب كلام يوجّه إلى المخاطبين في إحدى المناسبات العامة أو الخاصّة، بغرض تبليغ رسالة هادفة وموجّهة للعام والخاصّ، وخير مثال على ذلك "خطبة حجّة الوداع" التي قالها الرسول "محمد صلى الله عليه وسلم" في آخر حياته بعد حجه بيت الله الحرام، فكانت خطاب وجهه للعالم بيّن فيه حقوق الإنسان وواجباته تجاه ربه، والإنسان اتجاه أخيه الإنسان.

2.2. اصطلاحا:

1.2.2. الخطاب في التراث العربي القديم:

الدلالة الاصطلاحية لمفهوم الخطاب تتماس مع حواشي المعنى اللغوي وهذا ما عبّر عنه علماء التراث العربي الأصيل، حيث أشار إليه ابن جيّ(ت392هـ) بقوله: «أنّه كلّ لفظ مستقلّ بنفسه مفيد لمعناه، وأنّه الجمل المستقلّة بنفسها، ويفهم من كلّ ذلك أنّ دلالة الكلام ترتبط بنظم الألفاظ التي كتب فيما بينها، على وقف سياق من التّأليف المخصوص الذي استوفى المعنى المراد»².

وذكره ابن خلدون (ت808هـ) في مقدّمته فقال: «اعلم أنّ صناعة الكلام نظما ونثرا إنّما هي في الألفاظ لا في المعاني، وإنّ المعاني تبع لها وهي الأصل»³.

وعرّفه ابن آجرّوم (ت907هـ) بقوله: «الكلام هو اللفظ المركّب المفيد بالوضع»⁴.

حيث جعل الكلام و الخطاب في حيّز واحد في المعنى.

¹ زين الدّين محمد بن أبي بن عبد القادر الرّازي: مختار الصّحاح، تح: حمزة فتح الله، مؤسسة الرسالة ناشرون، ط3؛ 2009، ص520

² عثمان بن جيّ: الخصائص، تح: محمد علي النجار، دار الشؤون الثقافية العامة، (د ط)، (د ت)، ص08.

³ عبد الرّحمن بن خلدون، المقدّمة، تح: محمد الاسكندراني، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، (د ط)، 2014، ص528

⁴ محمّد بن آجرّوم: نظم الأجرومية، دار الإمام مالك، الجزائر، ط1، 2007، ص07

الخطاب عند العرب يحمل مدلولات كثيرة نذكر منها: الكلام، الرسالة، القول، اللفظ، كلام يراد به هدف معيّن، أمر، توجيه، إرشاد...

عرّفه إيميل بديع يعقوب فقال: « هو في النحو حالة من حالات الكلام، وقسيم التّكلم والغيبة، وانظر ضمائر الخطاب في الضمير وكاف الخطاب »¹.

قال محمد التونجي: «نصّ يكتبه كاتب إلى شخص آخر، ويسمّى كذلك الرّسالة ويتضمّن الخطاب أخباراً تعني الطرفين، وكانت الخطابات في البدء موجزة، ثمّ أسهب بها الكتّاب حتّى غدت فنّاً قائماً بذاته، يعتني به كاتبه، وقد يكتب المرء خطابه شعراً، لكنّ الأشهر أن يكون الخطاب نثراً»².

ارتبط مصطلح (الخطاب) عند العرب بحقل (علم الأصول)، فهو مقيد الدلالة، بعلم أصول الفقه الذي يعتبر مصدر الفتوى عند علماء الشريعة الإسلامية، بسبب ضخامة الموروث الفقهي والأصولي.

خلصت المحاولة التي قام بها "المختار الفجاري" ³، إلى أنّ «جوهر مادّة (خطب) هو الكلام الحامل لرسالة المعتمد على سلطة ما لتبليغها للناس، حيث أطلق العربي على هذا الكلام خطاباً، وكانت المحاولة تهدف إلى إيجاد دلالات مضافة على الدلالة العربية المعتادة للمصطلح»³.

أمّا الخطاب عند الأصوليين «فهو موضوع علم أصول الفقه الذي يبيّن قواعده على خطاب الله تعالى ورسوله صلّى الله عليه وسلّم الموجه للمكلفين من أمة محمّد صلّى الله عليه وسلّم»⁴.

الخطاب ينحصر في الكلام الموجه لعامة الأمة لضرورة إدراك العبادات والعقائد الصحيحة.

¹ يعقوب إيميل، عاصي ميشال: المعجم المفصّل في اللّغة والأدب، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1978، ج1، ص: 602.

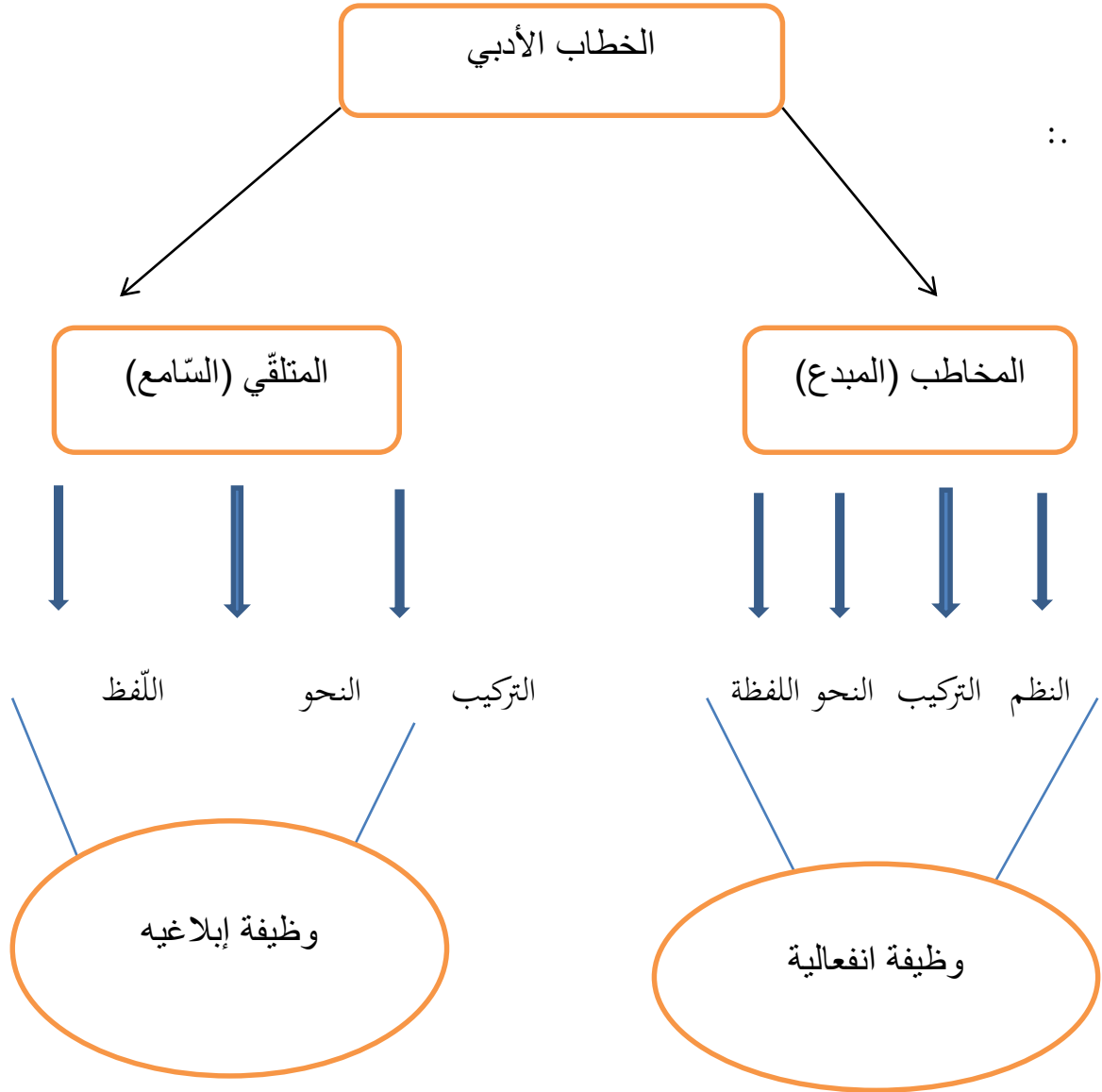
² محمد التونجي: المعجم المفصّل في الأدب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2؛ 1999؛ ج1، ص402

*مختار الفجاري مفكّر تونسي صاحب كتاب مفهوم الخطاب بين مرجعه الأصلي الغربي وتأصيله في اللّغة العربيّة. أستاذ مساعد بجامعة طيبة بالمدينة المنورة.

³ محمّد ملياني: محاضرات في تحليل الخطاب، كلية الآداب واللغات، جامعة تلمسان، (د ط)، 2012، ص9، 10.

⁴ محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري: أساس البلاغة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط3، 1985، ج1، ص46.

2.2.2. مخطّط تنظيمي للخطاب:



مما سبق يمكننا القول إنّ: الخطاب هو أساس عملية اتّصال بين أطراف متعدّدة بهدف بلوغ غاية مهمّة، بعبارة أخرى الخطاب عند العرب القدامى هو كلام حامل لرسالة جوهرية، كما يمكن القول بأنّه عبارة عن رسالة هادفة(فيهما مجموعة من الألغاز والأسرار) يوجّهها المبدع إلى المستمع (المتلقّي)، الذي يقوم بفكّ شفرتها وتحليلها وفهمها فهما دقيقا شاملا جامعاً مانعاً.

3.2.2. الخطاب في المدرسة الحديثة:

إذا كان أصل مفهوم الخطاب، في التراث العربي ومصدر نشوئه دينياً أصولياً، فإنه في التراث الغربي فلسفي، بينما المفهوم الغربي للخطاب يتصل في مفهومه بروابط وشيخة، وعلة ذلك أن النقد العربي الحديث يتكئ على النقد الغربي، وينقل مفاهيم تتصل بذلك الموروث لا بالموروث العربي .

أول ظهور للمقال كان مع أرسطو طاليس في العصر القديم، ثم برز مفهومه في عصر النهضة من خلال كتاب رينه ديكارت (René Descartes) المسمى 'بخطاب في المنهج' ، ليشكل علامة هذا العصر البارزة، فقد أراد ديكارت ان يتجاوز رجال الكنيسة ويسمع صوته لعام المتقنين، وأهمية كتابه تكمن في كونه أسس للخطاب فقط ، دون تحديده للمفهوم¹.

أما بالنسبة لظهور مفهوم الخطاب وتبنيّه لبعده معرفي مستقل، فهو مرتبط بأعمال ميشال فوكو، التي وضّح من خلالها نظريته العميقة وبعده المعرفي في العصر الحديث وعلاقتها بالمجتمع والتي حسبه تتحدّد بواسطة منظومة من القواعد والأسس التي تميّز مجموعة من المنطوقات التي تنتظم داخل الممارسة الخطابية وهو منظومة تسمح بتكوين مواضيع البحث، وتوزيعها، وترتيبها ، وتحدّد أنماط القول ولعبة المفاهيم والاحتمالات النظرية².

الخطاب عند ميشال فوكو (Michel Foucault):

«discours qui avait été suggérée, plus haut, on appellera discours un ensemble dénoncée, en tant que il relève de la même formation discursive ;il ne forme pas une unité rhétorique ou formelle ,indéfiniment répétable, et dont on pourrait signaler l'apparition ou l'utilisation dans l'histoire»³

¹ ينظر: مهى محمود إبراهيم العتوم ، تحليل الخطاب في النقد العربي الحديث ، أطروحة دكتوراه (منشورة) ، جامعة الأردن، 2004، ص14، 15.

² ينظر: عبد الله إبراهيم : الثقافة العربية والمرجعيات المستعارة ، دار الأمان ، الرباط ، ط1، 2014، ص137.

³ M. Foucault: L'archéologie du savoir, Paris, Edition Gallimard, 1969, P 15

يقصد ميشال فوكو بكلامه أنّ للخطاب ألفاظاً تعبر عن معنى الحوار والمشافهة والتخاطب بين الناس لجلبهم واستمالتهم، وتحقيق الدور الرئيسي للخطاب المتمثل في إقناع الجمهور.

قسّم "تود وروف Todorov" الخطاب إلى قسمين: خطاب نقدي، وخطاب أدبي؛ أمّا الخطاب النقدي فهو الممارسة التي يكون فيها الناقد كالمجز، وأمّا الخطاب الأدبي والشعري خصوصاً فهو من منظور التواصليّة خطاب يهدف إلى التعبير، كما اعتنت نظريّة التلقي بالخطاب عناية كبيرة، فهي نظريّة نقدية لا تهتمّ بما يقوله المبدع، بل تهتمّ بما يتركه العمل من آثار شعورية، ووقع جمالي في النفوس¹.

أمّا الخطاب عند "بينفينست Benveniste": «فهو كلّ تَلْفُظ يفترض متحدثاً ومستمعاً، تكون للطرف الأول نية التأثير في الطرف الثاني بشكل من الأشكال»².

يقول سعد مصلوح متحدثاً عن الخطاب بأنه «رسالة موجّهة من المنشأ إلى المتلقي، تستخدم فيه نفس الشفرة اللغوية المشتركة، وهذا النظام يلي متطلبات عملية الاتصال بين أفراد الجماعة اللغوية، وتشكّل علاقاتها من خلال ممارساتهم، كافة ألوان النشاط الفردي والاجتماعي في حياتهم»³.

اشتراط الباحث سعد مصلوح على المتلقي والمبدع «ضرورة اشتراكهم في نفس الشفرة اللغوية لتحقيق الرسالة الهادفة. لكن يوجد تشابه بين النصّ والخطاب، فالخطاب اتصال لغوي يعقد بين المتكلم والمستمع، تتوقّف صيغته على غرضه الاجتماعي، فإنّ النصّ ببساطة اتصال لغوي محكي كان أو مكتوباً، تقنّن وسيلته المرئية والمكتوبة»⁴.

¹ ينظر: عيسى حورية، الخطاب الأدبي في التراث العربي بين تقنية التبليغ وآلية التلقي، أطروحة دكتوراه (منشورة)، جامعة وهران 2015/2016، ص 20.

² محمد باروني: إنسانية الخطاب في الرواية العربية الحديثة، مركز النشر الجامعي، تونس، (د ط)، 2004، ص 01

³ رايح بوحوش: المناهج النقدية وخصائص الخطاب السردي، دار العلوك للنشر والتوزيع، عنابة، (د ط)، (د ت)، ص 75.

⁴ سعيدة حمداوي: الخطاب النقدي الجزائري- نقد السرد أمودجا، أطروحة ماجستير، (منشورة)، جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، 2011/2012، ص 20.

تناول عبد الملك مرتاض هذا المصطلح من عدّة زوايا، وأوّل ما بدأ حديثه عن هذا المصطلح أنّه تطرّق إليه في التّراث العربي القديم، وهذا ما أكّده حين قال: « والنّسج الذي كان الشيخ يريدّه فيما نخال هو ما قد نريده اليوم نحن بالخطاب وأحسب أنّ هذا المصطلح من أقدم مصطلحات النّقد الأدبي في العربية، فلم يقل الشيخ هنا الدّيباجة ولا التّركيب ولا الكلام ولا نحو ذلك، وإتّما تعدّد اصطناع النّسج، فقد تمثّل الكلام بنى، وهذه البنى تنضاف إلى بعضها لتؤلّف نسجا له سطح فيكون لونا»¹.

يقصد النّاقّد بالشيخ (الجاحظ)، إذ أنّ مصطلح الخطاب كان موجودا من قبل في النّقد القديم، وهو ما كان يعرف بالنّسج، وما لاحظناه في كلام مرتاض أنّه كان دوما يستعمل مصطلح (أحسب، نخال) وكأنّ النّاقّد مازال يرتابه شكّ في مصطلح (النّسج) الذي يوازي الخطاب، لكنّ النّاقّد كان هدفه الأسمى إثبات وجود المصطلح في النّقد العربي القديم، وهذا ما أجزم قوله في موضع آخر من كتبه حين صنّف مصطلح الخطاب من المصطلحات اللّسانيّاتية الحديثة التي أستعملت في دلالتها الجديدة عن طريق التّرجمة، على الرّغم من وجود اللفظ في اللّغة العربية منذ فجر تاريخها، سرعان ما لبث أنّ تبنّاه النّقد العربي المعاصر².

ويفسّر مرتاض مصطلح الخطاب تفسيراً مشوّقا حين يعرف الخطاب بكونه «خصوصية النّصّ ضمن الجنس الأدبي»³. وفي موضع آخر أشار إليه بأنّه «مجموعة من النّصوص الموكول إليها سرد حكايات مختلفة مجتمعة عبر شبكة سردية متواشجة مترابطة تجمعها حكاية واحدة كبيرة هي نصّ الرّواية»⁴.

¹ عبد الملك مرتاض: بنية الخطاب الشّعري؛ دراسة تشريحية لقصيدة أشجان يمانية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د ط)، 1991، ص 09

² ينظر: عبد الملك مرتاض: تحليل الخطاب السردى، معالجة تفكيكية سيميائية مركّبة لرواية 'زقاق المدقّ'، ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون، الجزائر، (د ط)، 1995، ص 261

³ المصدر نفسه: ص 245

⁴ المصدر نفسه: ص 263

من خلال ما سبق يمكن القول إنّ مرتاض يعتبر النّسج والخطاب مصطلحان مترادفان لهما نفس الخاصيتان، وهذا ما أكّده حين قال: «الخطاب نسج من الألفاظ، والنّسج يظهر من النّظام الكلامي الذي يتّخذ له خصائص لسانية تميّزه عن سواه، من أجل ذلك نجد في بعض الأطوار الموضوع ينكر هو نفسه لدى أكثر من مبدع»¹.

فالخطاب عند مرتاض نوعان: أولهما سردي يشمل كلّ الأجناس الأدبية المعروفة من مقال ومقام وحكايات وروايات وقصص وأقصوصات موجهة للمتلقّي تؤدي وظيفة هامة و مهمة وتبلغ رسالة سامية للإنسانية، يكون لها أثر ووقع في نفس المتلقّي، حيث تسرع لتحقيق لغة هادفة، يلتمس منها القارئ عبر هامة في حياته، وثانيهما: خطاب شعري يشمل «الكلام العادي البسيط الذي استطاع أن يكون شعرا عظيما لأنّ الأمر لا يكمن في غرابة الألفاظ، ولا في عمق المعاني في الشّعْر، قد ما يقوم في هذا النّسج الذي نطلق عليه نحن الخطاب الشعري»².

فرّق مرتاض بين النّصّ والخطاب رافضا فكرة النّصّ والخطاب شيء واحد وهذا ما أكّده عندما طرح سؤالاً كان يودّ منه الإجابة، قائلا: «ثمّ لم لا يكون النّصّ خطابا والخطاب نصّا؟ ذلك شيء قيل به، ولكننا نحن نأبي القول به، فالنّصّ لدينا أشمل وأرحب، أمّا الخطاب فتضيف داخلي، تفصيل من مجمل، وفرع من أصل كبير، النّصّ هو كلّ كتابة على وجه الإطلاق، في حين أنّ الخطاب تصنيف لنوع الكتابة وتخصّص فيّ داخلي في تجنيسها»³.

ارتأينا أن نضع جدولاً نفرّق به بين النّصّ والخطاب:

الخطاب	النّصّ
فرع من أصل وجزء من كلّ	أشمل وأرحب
جزء من كتابة، وتخصيص فيّ داخلي	كلّ كتابة على وجه الإطلاق

¹عبد الملك مرتاض: بنية الخطاب الشعري، ص34

²عبد الملك مرتاض: تحليل الخطاب السردي؛ معالجة تفكيكية سيميائية مركّبة لرواية 'زقاق المدق'، ص134.

³عبد الملك مرتاض: نظرية النّصّ الأدبي، دار هومة للطباعة والنّشر والتوزيع، الجزائر، ط2؛ 2012 ص12

لكن وجدنا قولاً للناقد يتحدث فيه عن الخطاب والنصّ مبيناً أنّ «تطور الأطوار بأهل الغرب اغتدوا يطلقون على مصطلح الخطاب مصطلح (Le langage) وأنه مصطلح واسع قد يشمل نسيج الخطاب أو طبيعة الأسلوب المستخدم بيد أنه في الغالب يطلق على شبكة العناصر اللفظية المستخدمة داخل نصّ من النصوص»¹.

من خلال ما سبق تبين لنا أنّ النسيج والخطاب والنصّ مفهوم واحد والخلاف بينهما مجرد لفظي فقط لأنهم يؤدون رسالة واحدة لها غاية ووظيفة واحدة.

4.2.2. مقارنة بين النصّ والخطاب:

النصّ	الخطاب
خطاب-سياق	نصّ-سياق
يتخذ شكلاً مكتوباً	يتخذ شكلاً محكياً
لا يحدث أيّ تفاعل	يحدث تفاعل
يرد بحجم طويل أو قصير	يرد بطول معيّن
يحقق انسجام في الشكل والصيغة	يحقق انسجام أعمق من حيث الدلالة والمعنى

يستجيب النصّ في شكله المجرد للقراءة الآنية، التي تفترض الانتهاء قبل شروع فعل القراءة، وتكمن أهميته في تزايد الطلب على تفحصه القرائي، «فهو ليس نصّاً إلا لمن يقرأه، لا كيان له كنصّ، إلا عبر فعل القراءة فيه، يشيد بنيته الخاصة باستخدام أدوات اللغة، التي يحوّلها القارئ إلى خطاب جاهز لإعطاء نصوصه قراءاتٍ غير محدودة»².

إنّ التعاريف السابقة التي أوردناها تؤكد أنّ الخطاب مصطلح فرض نفسه على الساحة النقدية والأدبية، جوهره الأساسي المرسل (المبدع، صاحب الرسالة) والمتلقي (المرسل إليه)، ينبغي أن يفهم شفرته كلاهما، ليحقق الغرض المقصود، المتمثل في إقناع الجمهور.

¹ عبد الملك مرتاض: بنية الخطاب الشعري، ص 173

² المصدر نفسه: ص 21

3. نظرية النقد الأدبي: Théorie de la critique littéraire

1.3. لغة:

ورد في معجم مقاييس اللغة : «التون والقاف والدال أصل صحيح يدل على إبراز شيء وبروزه، من ذلك النقد في الحافر، وهو نقشه، حافر نقد متقشر، ويقال للقنفذ الأنقد، وتقول العرب: مازال فلان ينقد الشيء، إذا لم يزل ينظر إليه»¹.

جاء في مختار الصحاح (باب النون) : «ن ق د (نقده) الدراهم و(نقد) له الدراهم، أي أعطاه إيّاها (فانتقدها) أي قبضها، و(نقد) الدراهم و(انتقدها) أخرج منها الزيف وبأبها نصر، ودرهم (نقد) أي وزن جيد، و(ناقده) ناقشه في الأمر»².

وفي لسان العرب: «التقْدُ و التُّنْقَادُ: تمييز الدراهم و إخراج الزيف منها، وفي حديث أبي الدرداء: إن نقدت الناس نقدوك وإن تركتهم تركوك، معنى نقدوك أي عبتهم واغبتهم قالوك بمثله»³.

وفي معجم العين: «التقْد: تمييز الدراهم وإعطؤها إنساناً وأخذها، والانتقاد والتقْد ضرب جوزه بالأصبع لعباً، والطائر ينقد الفخ: أي ينقره بمنقاره، والانسان ينقد بعينه إلى الشيء وهو مداومته النظر، واختلاسه حتى لا يفطن له، وتقول: مازال بصره ينقد إلى ذلك الشيء نقوداً؛ والانتقدان: السِّلْحَفَاةُ الذِّكْرُ، والنَّقْدُ: ضربٌ من الغنم صغارٌ، وجمعه النُّقَادُ»⁴.

من التعاريف السابقة تكاد تتفق لغات المعاجم على أنّ الدلالة اللغوية لمادة "النقد" ترتكز على: نقد الدراهم من خلال تمييز جيد الشعر من رديئه و ذم الآخرين من خلال ذكر عيوبهم. لكنّ المعنى الأوّل أوسع من الثاني، لأنّ فيه معنى الفحص والموازنة والحكم على الأشياء

¹ أحمد بن فارس بن زكريا: معجم مقاييس اللغة، ج5، ص:467،468

² زين الدين محمد بن أبي بن عبد القادر الرّازي: مختار الصحاح، ص:169،170

³ جمال الدين بن منظور: لسان العرب، مادة (نقد)، ج3، ص:425،426

⁴ الخليل بن أحمد الفراهيدي: معجم العين، ج5، ص:118،119.

وتتميز الأحسن من السيء ، والصحيح من الخطأ ، والمحجوب من المذموم، والكشف عن مواطن القوة والضعف ، وكيفية إصدار الأحكام وطريقة تذوق الأعمال الفنية والإبداعية .

يمرّ النقد عبر أربعة مراحل: أول هذه المراحل المعاينة والملاحظة وفيها يهتم الناقد بقراءة النصّ قراءات متكررة لفهم معناه ومبتغاه، ثمّ بعدها يقوم بعملية التحليل والشرح والتفسير التي يعتمد من خلالها الباحث إلى تفكيك العناصر الأساسية الموجودة في النصّ واستخراج أجزائها، ثمّ ينتقل لمرحلة التقييم التي يؤصل بفاعليتها العلاقة القائمة بين العناصر والأجزاء وأهداف الكاتب الفعلية، وأخيرا يصدر أحكامه التي بناها على فهمه الكلي للنصّ.

2.3. اصطلاحا:

مفهوم النقد عند القدامى كان يركز على تمييز الجيد من الرديء، بداية بالنقد العرب الأوائل أمثال قدامة بن جعفر (ت 337هـ) صاحب كتاب "نقد الشعر" والذي ورد في كتابه تعريف للنقد بقوله: «علم جيد الشعر من رديئه»¹.

اعتبر العرب الذوق هو المعيار الأساسي لنقد الشعر، ولقد بنيت قبة حمراء في ذلك الزمان بمنطقة تسمى سوق عكاظ كان يترأسها نقاد حكماء كالتابغة الذبياني، الذي كان يأتيه الشعراء من كل مكان ، فيحكم بينهم في الشعر . ثمّ تطوّر بعد ذلك مفهوم النقد وارتبط بالبلاغة ، على يد ثلّة من النقاد كأبي هلال العسكري (ت 395هـ) و ابن طباطبا (ت 322) ، وعبد القاهر الجرجاني (471هـ) وغيرهم ، ليستقرّ بعد ذلك في العصر الحديث والمعاصر على المفاهيم الآتية:

«النقد مجموعة من المفاهيم والأسس والقضايا الشائعة في مجال النقاد، والمستقرّ عليها نسبياً فيما بينهم، تهتمّ بطريقة فهم وتفسير المؤلفات الأدبية خلال فترة تاريخية محددة»². وجاء في موطن آخر «النقد تحليل وتقويم متعدد الجوانب مبني على إمعان الفكر ويأتي من كلمة يونانية تعني القاضي...»³.

¹ قدامة بن جعفر: نقد الشعر، تح: محمد عبد المنعم خفاجي دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (دط)، (دت)، ص 62

² سمير سعيد حجازي : المرجع السابق، ص: 1381

³ إبراهيم فتحي: معجم المصطلحات الأدبية ، التعااضدية العمالية للطباعة والنشر ، تونس، ط 1، 1988، ص 390

والنقد الأدبي في عرف " إيفور أرمسترونغ ريتشاردز Ivor Armstrong Richards" يقوم على أساس شيئين رئيسيين: أولهما «تفسير عملية التواصل، وثانيهما تفسير القيمة، وواضح أنّ ريتشاردز يتناول الأدب من وجهة نظر القاريء أكثر ممّا يتناوله من ناحية المؤلّف»¹.

يعرّف إيميل يعقوب التقد على أساس أنّه نوع من «الحكم على الأشياء قبولاً أو رفضاً، استحساناً أو استهجاناً، ووضعها في منزلة ما من منازل الحكم لدى الناقد استناداً إلى ذوقه، وثقافته ومفهومه العام للحياة والوجود، وهو في الاصطلاح الأدبي، فنّ من فنون الأدب يتناول الآثار بالدراسة والتحليل، بغية تقويمها وبيان ما تنطوي عليه من سمات النجاح والتفوق، وملامح الإبداع، أو من مظاهر التقصير وعوامل التردّي والإخفاق»².

وجاء في موضع آخر بأنّ التقد: «فنّ تقويم الاعمال الفنيّة والأدبيّة ن وتحليلها تحليلًا قائمًا على أساس علمي»³.

أمّا أحمد أمين فيقول: «التقد الأدبي متّصل اتّصالاً كبيراً بجملة علوم وفنون، فهو من ناحية متّصل بالإبداع أو الخلق أو الإنشاء، والتقد أقلّ من الإبداع، لأنه ينتظره حتّى يتمّ، فإذا تمّ حكم عليه التقد بالحسن أو القبح، ويلاحظ أنّ هناك دائماً عداء بين التقد والأدباء الإبداعيين، وفي الغالب يقتصر الأديب على التّأقّد...»⁴.

أمّا عبد السلام المسديّ فعرّف التقد بقوله: «هو معرفة طبيعة خاصة إذ تطورت إليه من زاوية الفن قلت أنّه علم الفن القولي، وإذا نظرت إليه من زاوية اللّغة قلت أنه علم القول الفني ولا يغير ذلك شيئاً من أنّه علم للأدب لا ينازعه أحد في أنّ يكون له من اللّغة جهازه الاصطلاحي»⁵.

¹ إيفور أرمسترونغ ريتشاردز: مبادئ النقد الأدبي والعلم والشعر، تر: محمد مصطفى بدوي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2005، ص:36.

² يعقوب إميل، عاصي ميشال: المرجع السابق، ص1261

³ مجدي وهبة، كامل المهندس: معجم المصطلحات العربية في اللّغة والأدب بيروت لبنان، ط2، 1984، ص417

⁴ أحمد أمين: التقد الأدبي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مدينة نصر القاهرة، (د ط)، 2012، ص14

⁵ عبد السلام المسدي: المصطلح النقدي مؤسسات عبدالله للتشر، تونس، (د ط)، 1994، ص241

النقد قسمان: نظري و تطبيقي «فالتنظري هو ما يبحث في ماهية الأدب ووظيفته ووسيلته، ويقوم بتفسير الظاهرة الأدبية من حيث ماهيتها ومهمتها وخصائص أدواتها، أما التطبيقي فهو يعالج النصوص الشعرية معالجة مباشرة، وتركز على معالجات نصية أكثر مما تستهدف صياغة مفاهيم كلية. وذلك من خلال مشكلات وقضايا متعددة مثل الوساطة والموازنة أو السرقات أو قضايا التحليل الموضوعي»¹.

من خلال التعاريف السابقة نستخلص ما يلي:

- النقد إبداع ثان (من خلال القراءة والفهم والتفسير، ثم الحكم على النص الأدبي).
- نقطة التقاطع بين النقاد الأقدمين والمحدثين تلتقي في عملية إصدار الأحكام على النصوص بعد تفحصها.
- النقد يدرس عدّة مجالات تتمثل في السياسة والأدب والفنّ والمسرح والسينما، فلولا النقد لما تطوّرت العلوم والفنون.

4. السيمياء (la sémiotique):

1.4. لغة:

ورد في معجم العين: «السّوم: سومك في البياعة، ومنه المساومة والاستيام، ساومته فاستام عليّ، والسّوم: من سير الإبل وهبوب الرّيح إذا كانت مستمرّة في سكون، والسّيما: ياؤها في الأصل واو، وهي العلامة التي يعرف بها الخير والشّرّ في الإنسان؛ قال الله عز وجل في كتابه الكريم: ﴿يَعْرِفُونَهُمْ بِسَيِّمَاتِهِمْ﴾²؛ يعني الخشوع»³

قال ابن فارس: «(سوم): السّين والواو والميم أصلٌ يدلّ على طلب الشيء، يُقال: سمّت الشيء أسومه سوماً، ومنه السّوم في الشّراء والبيع، قال الله عز وجل: ﴿فِيهِ تُسَيَّمُونَ﴾⁴؛ ويُقال: سوّمت فلانا في مالي تسويماً، إذا حكّمته في مالك، والخيل المسوّمة: المرسلّة وعليها ركبانها، وأصل ذلك كلّ واحد.

¹ أحمد بن عثمان رحمانى، النقد التطبيقي الجمالي واللغوي في القرن الرابع الهجري، عالم الكتب الحديث، ط1، الأردن، 2008، ص27.

² سورة الأعراف: الآية: 141

³ الخليل بن أحمد الفراهيدي: معجم العين، ج7، ص: 319، 320، 321

⁴ سورة النحل: الآية: 10

ومّا شدّد عن الباب السّومة، وهي العلامة تُجعلُ من الشيء، والسّيما مقصور من ذلك، قال الله عز وجل: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾¹؛ فإذا مدّوه قالوا السّيماء»².

ورد في لسان العرب: «والسّومُ والسّيمةُ والسّيماءُ والسّيماءُ: العلامة، وسومَ الفرس: جعل عليه السّيمة، وهي مأخوذة من سمت أسم، والأصل في سما وسمى، فحوّلت الواو من موضع الفاء، فوضعت في موضع العين كما قالوا ما أطيبه أيطبه، فصار سومي وجعلت الواو ياء لسكونها، وانكسار ما قبلها، والخيل المسومة: المرعية والمسومة المعلّمة، والسّيما في الأصل (ياؤها واو)، بمعنى العلامة، يدرك بها الخير والشر»³.

جاء في مختار الصحاح: «س و م (السّومة) بالضمّ العلامة تجعل على الشاة وفي الحرب أيضاً، والخيل (المسومة) المرعية، و(المسومة) أيضاً المعلّمة، ومنه (السائمة)، وإتما جاء بالياء والنون لأنّ الخيل سومت وعليها زكباؤها»⁴، وقد ورد في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿مُسَوَّمَةٌ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾⁵ جاء في كتب التّفاسير أنّ «السّيمياء هي العلامة، فالمسومة هي المعلّمة، مثل الحجارة التي عدّب الله بها قوم النبي لوط عليه الصلاة والسلام، الذين عاثوا في الأرض فساداً، فالحجارة نزلت مسومة، مكتتبه عنده سبحانه بأسمائهم، كلّ حجر عليه اسم صاحبه»⁶.

بعد قراءتنا للتعارف السابقة اتّضح أنّ المعاجم اللّغويّة تتفق على مفهوم واحد للسّيمياء وهو: العلامة، والميزة، والخاصية، والسمة، والصفة.

2.4. اصطلاحاً:

نشأ هذا النوع من الفنون منذ نصف قرن من الزمن، سرعان ما بدأ يمتدّ ويتوسّع على كافّة الأصعدة، بسبب عالمية هذا الفنّ وشموليته، في مباحث كثيرة على غرار الأدب، التقد، المسرح، السينما، الاقتصاد، الثقافة، علم النفس، علم الاجتماع، علم الجمال، عالم الأزياء، وحتى عالم الأطعمة والأشربة، مهمّته الأساسية دراسة حياة العلامات داخل المجتمع وتنظيمها وتجيئها للفرد.

¹ سورة الفتح، الآية: 29.

² أحمد بن فارس: معجم مقاييس اللغة، ج3، ص118، 119.

³ جمال الدين بن منظور: لسان العرب، مادة (س و م)، ج3، ص2158، 2159.

⁴ زين الدّين محمّد بن أبي بن عبد القادر الرّازي: مختار الصحاح، مادة(س و م)، ص289.

⁵ سورة الذاريات: الآية: 34.

⁶ إسماعيل بن عمر بن كثير: تفسير القرآن العظيم، دار بن حزم، بيروت، لبنان، ط1؛ 2000، ص1766.

السيمياء علم يأخذ علومه من حقول معرفية كثيرة أبرزها: اللّسانيات، علم المنطق، الفلسفة، الرياضيات، علوم الإنسان، علم النّفس، علم الاجتماع، فهي «أداة لقراءة كلّ مظاهر السلوك الإنساني بدءاً من الانفعالات البسيطة، مروراً بالطّقوس الاجتماعية، وانتهاءً بالأنساق الأيديولوجية الكبرى، وعلى الرّغم من صياغة حدودها التّظرية وتحديد مجالاتها لم تبدأ إلاّ مه نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، فإنّنا لا نعدم وجود أفكار سيميائية متناثرة في التراث الإنساني بشقيه الغربي والعربي...»¹.

أشاد محمّد نظيف بهذا الفنّ في مجمع المحافل العلمية، وأشار إليه بأنّه «من العلوم التي تطوّرت بوتيرة سريعة طوال القرن العشرين، منذ ظهور كتاب فردينان دو سوسير (Ferdinand de Saussure) «محاضرات في علم اللّغة العام» إلى آخر أبحاث رولان بارت (Roland Barth) وكريستيان ميتز (Christian Metz)، وهو العلم الذي يقوم بدراسة حياة العلامة في كنف المجتمع»².

جاء في موضع آخر إعطاء تسميات كثيرة لعلم السيميولوجيا بمعنى «السيمائية أو السيمائية أو السيميولوجيا أو السيميولوجيا أو السيميوطيقا أو علم الإشارة أو علم العلامات أو علم الأدلّة...ترجمات وتعريفات تطول لعم واحد بمصطلحين شائعين هما (Sémiologie) من (Sémion) اليونانية، حسب العالم اللّغوي فرديناند دي سوسير) أو حسب العالم والفيلسوف الأمريكي شارل سنדרس بيرس (Charl Sanders Peirce)، والمصطلح الأول شاع عند الأوربيين خاصّة مدرسة باريس تقديراً لصياغة سوسير، والمصطلح الثاني (Semiotics) يفضّله النّاطقون بالإنجليزية، كما يشيع في أروبا الشرقية إيطاليا والولايات المتحدة الأمريكية تقديراً للعالم الأمريكي»³.

عرّف دو سوسير السيمائيات بما يلي :

«Semiology must be located by the psychologist! Linguists try to figure out what makes language different from other semiological systems. This will be discussed in more detail later; for now, I'd like to emphasize one point: if I was successful in establishing

¹ سعيد بن كراد : السيمائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا ، ط3؛ 2012، ص25، 26

² ينظر: محمد نظيف: ماهي السيميولوجيا، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ط1؛ 1994، ص05

³ بسام موسى قطوس: سيمياء العنوان، وزارة الثقافة، عمان الأردن، ط1؛ 2001، ص12

linguistics as a discipline, it was because I linked it to semiology....»¹.

جوليا كريستيفا (Julia Kristeva) أعطت اسما آخر لهذا العلم وهو: «التحليل الدلائلي، باعتباره حقلا من حقول السيميائية التي تفكّر في قوانين الدلالة، بعيدا عن منطق اللغة التواصلية التي تنعدم فيها مكانة الذات، كما أنّها تلعب دورا رئيسيا في التبادل التطبيقي بين الرياضيات واللسانيات والفلسفة والمنطق وعلم الاجتماع والتحليل النفسي، فبفضل التدخل السيميائي، يصبح نسق العلوم شاهدا على إنتاج الدلائل وبلورة نظريات العلوم»².

أوسع التعاريف ما قاله أمبرتو إيكو (Umberto Eco):

«Eco's semiotic perspectivism in this context is one of the most fruitful approaches to the subject of the boundary between semiotics and other disciplines. It gives an adequate counter-argument to the charge of semiotic imperialism.»³

فالسيميائية عند أبرت إيكو هي الإشارة بما تحمله الكلمة من معان.

إنّ مصدر السيميائيات المعاصرة هما العالمان الغريان :

• العالم السويسري (فرديناند دوسوسير Ferdinand De Saussure)، «1857-1913م».

• الفيلسوف الأمريكي (تشارلز سندرز بيرس Charles Sanders Pierce) «1839-1914م».

¹ Ferdinand De Saussure ,Coure in General Linguistics ,Edited by Charles Bally and Albert Sechehay in Collaboration with Albert Riedlinger, Translated and, with an introduction, and notes by Wade Baskin New York Toronto London, 1983, pp.15-16.

² جوليا كريستيفا: علم النصّ، تر: فريد الزاهي، دار طوبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1؛ 1991، ص17، 18.

³ Umberto Eco, A Theory of Semiotics ,Advances in Semiotics ,Bloomington :Indiana University Press,1976,P.6-7.

● حقل السيميائيات متكون من مجموعة من العلوم نذكر منها: مبادئ المنطق، والفلسفة، والرياضيات، واللسانيات، وعلم الاجتماع، والتحليل النفسي، وعلم الإنسان، والثقافة، والقانون، والمسرح، والفنون...

أسس الفيلسوف الأمريكي هذا العلم على مبدأ المنطق وعلم الرياضيات، فعرفها بأنها «الدستور الشكلاني للإشارات، والأساس الجوهري للعلوم الأساسية كالمنطق والرياضيات وعلم الاجتماع والتحليل النفسي، فالسيميائية عنده تدرس جذور السمات التي تعالج موضوعا ما، ثم تتناول العلاقة القائمة بين هذه السمات بفعل التقد ومبادئ المنطق، ثم تنتهي بدراسة مؤولات هذه السمات بفضل البلاغة»¹.

بناء على ما سبق نجد أنّ للسيميولوجيا و السيميوطيقا «تفاعلات كثيرة مع معارف وحقول أخرى داخل المنظومة الفكرية والعلمية والمنهجية فلقد ارتبط هذا العلم في نشأته بالفلسفة واللسانيات وعلم النفس والاجتماع والمنطق والظاهراتية* (الفيونومينولوجيا) علاوة على ارتباطها بدراسة الأنتروبولوجيا كتحليل الأساطير والأنساق الثقافية غير اللفظية، كما ترتبط منهجا بدراسة الأدب(الشعرية والنحو والبلاغ) والفنون اللفظية والبصرية كالموسيقى والفنون التشكيلية والمسرح والسينما...»².

السيميولوجيا علم يدرس طبيعة الإشارات والقوانين التي تحكمها، و اللسانيات فرع من فروع هذا العلم العام، كما أنّ للسيميولوجيا قوانين تطبّق في اللسانيات، لكنّ السيميولوجيا أوسع نطاقا من اللسانيات.

3.4. مفاهيم سيميائية:

تستعمل هذه المصطلحات في الكثير من العلوم الإنسانية (اللسانيات، علم النفس، علم الدلالة...)، لها دلالات متعدّدة الاستعمال، مختلفة التسميات، في حين يبقى غرضها السيميائي واحد ووحيد، وهو دراسة حياة العلامات، ومن هذه المصطلحات نذكر:

¹دافيد سافان: الأصول السيميائية في فكر شارل بيرس، تر: عبد الملك مرتاض، مجلة علامات، مج1، ع4، س1992، ص140، 141

*مذهب فلسفي يعتبر الحدس عنصر بدائي لتحليل الظواهر، تعتبر بالوعي الإنساني سبيله الوحيد للوصول إلى فهم الحقائق . .
²عبيدة صبطي: الأنتروبولوجيا و السيميولوجيا، مطابع دار المعارف، مصر،(د ط)، 2018، ص46، 47

1.3.4. التباين (L'isotopie) : التشاكل

أشار بعض الدارسين إلى أنّ التّشاكل من «المفاهيم السيميائية الجديدة التي أدخلت في الخطاب النقدي المعاصر كآلية استعارها التّقاد في غريغاس واستعارها هو الآخر عن الحقول العلمية كالفيزياء والكيمياء، حيث تجمع الأبحاث على أنّ المصطلح في الأصل منحدر من كلمتين يونانيتين (Iso) التي تعني التساوي و (topos) بمعنى المكان، ليصبح المصطلح يدلّ على المكان المتساوي؛ أو تساوي المكان ثمّ أطلق للتعبير على الحال من المكان أي في مكان الكلام»¹.

2.3.4. الشفرة (Code ,Symbole) :

وقد تمّ تعريفه بأنّه «منظومة من الرموز والعلامات تهدف إلى تمثيل ونقل معلومة ما، وتفيد الشّفرة بكونها منظومة صارمة من العلاقات المبنية على علامات ومجموعة من الإشارات. إنّ الشّفرة تساعد على إنتاج وسائل واتّصالات، وفي اللّغة هي القانون الذي تخضع له هذه اللّغة، أو تلك من النّاحية النّحوية أو الصّرفيّة»².

3.3.4. العلامة (La signe) :

تعتبر العلامة بمثابة «وحدة تكوينية متركّبة من ثلاثة أجزاء (الموضوع) و (الرابطة) و (الممثل)، أمّا علامة الموضوع فهي تنحصر في الأيقون، الشاهد والرّمز، أمّا علامة الرابطة فهي ثلاثة فروع: كيفية مجرّدة، عينية، قانونية، أمّا علامة المحمول فقد تكون حدّا لحكم أو حكما يقبل الصدق والكذب أو قضية تحمل حجة قوية»³.

¹ حياة لصحف: مصطلحات في نقد ما بعد البنيوية، دار الخلدونية للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، (د ط)، 2013، ص 89

² كامل عويد العامري: معجم التقد الأدبي الحديث، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، سوريا، دمشق، ط 1؛ 2018، ص 86

³ محمد سالم سعد الله: مملكة النّص؛ التحليل السيميائي للنقد البلاغي (الرجحاني نموذجاً)، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط 1؛ 2007، ص 19.

مفهوم العلامة يختلف من مجال إلى آخر، فمثلا العلامة عند أصحاب المسرح والفنون، المتفرج هو الذي يحدّد نوع العلامة جيّدة أم سيّئة، أمّا علماء الاقتصاد يرمزون للبضائع بأرقام ورموز توضح نوع العلامة وميزتها.

4.3.4. الدلالة (La signification):

يتعلّق بدلالة الكلمات، فعلم الدلالة يدرس معنى الكلمات، «ويتكوّن من دال ومدلول ودليل، أمّا الدالّ فهو ما يمكن إدراكه من العلامة، فالدالّ هو علامة في ذاتها، وما يمكن أن نراه أو نسمعه، أما الدليل هو حقيقة مادّية، فاللوحة والإشارة والكلمة هي مجموعة دوال، بينما المدلول عليه، أو المدلول، فيما أنّ الدالّ هو الجزء المرئي والمدرك من العلاقة فإنّ المدلول هو العنصر الذي لا يدرك والمدلول هو في الحقيقة معنى أو مدلول العلامة وما تريد أن تقوله العلامة»¹.

5.3.4. التركيب (L'installation) :

عرّفه الناقد علي باعيسي بأنّه ذلك « الجزء من السيميولوجيا الذي يهتمّ بالقوانين التي تغطّي القول والتأويل، وبهذا المعنى يعني شيئا شبيها جدّا بالنحو، ويشير إلى علاقة الكلمات بعضها ببعض في داخل فعل كلامي أو قول معيّن»².

6.3.4. التداولية (La pragmatique):

تعتبر التداولية فرعا من فروع السيميوطيقا، تهتمّ بدراسة العلاقات بين الصيغ اللغوية، ومستخدميهما، تشجّع البشر على المشاركة في التحليل، لمعرفة أسرار المعاني التي يقصدها الناس، ومعرفة نوع الأفعال التي يقوم بها الناس أثناء تكلمهم، كما تهتمّ بدراسة التباعد النسبي، كما تبحث في التفاعلات التي تحدث بين البنى اللغوية مع السياقات، لردم الهوة التي غالبا ما تحدث بين المعنى الحقيقي للكلمات والمعنى الذي كان يصبو إليه المتكلم³.

¹ صلاح الدين أبو عيّاش: مصطلحات الفنون، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، عمّان، ط1؛ 2015، ج1، ص209، 210

² عبد القادر علي باعيسي: في مناهج القراءة النقدية الحديثة، اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين، صنعاء، ط1؛ 2004، ص77

³ ينظر: جورج يول: التداولية، تر: قصي العتاي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط1؛ 2010، ص20

7.3.4. التطبيق السيميائي، السيميوزيس (السيرورة المنتجة للدلالة) (Semiosis):

أكد سعيد بنكراد على أن السيرورة هي ما يطلق عليه في السيميائيات بالسيموز عند (بيرس) ، وبالوظيفة السيميائية عند (بالمسليف)، استنادا إلى هذا التصور فإن السيموز أو التدليل، في تصور (بيرس) هي السيرورة التي يشتغل من خلالها شيء ما كعلامة، وتستدعي ثلاثة عناصر ينظر إليها باعتبارها الحدود، التي من خلالها تستقيم السيرورة، وتحوّل إلى نسق يتحكم في إنتاج الدلالات وتداولها، ويعتبر بيرس أول من أدخل السيموز إلى الدراسات السيميائية الحديثة، وجعل منه الحجر الأساس الذي تنبني عليه التصنيفات السيميائية للعلامة¹.

8.3.4. التأويل (L'interprétation):

اعتبره أمبرتو إيكو من المفاهيم السيميائية، كونه مشكلة فلسفية قديمة، تدرس مختلف العلوم الإنسانية، لأنه اللحظة الجوهرية في حياة البشر، التي تتميز باكتسابها الفهم لذاتها وللعالم الخارجي، ولا يتأسس هذا الفهم على العلامات الكونية للعقل، وإنما على التأويلات المرتبطة ذاتيا بالعالم الاجتماعي².

9.3.4. المربع السيميائي (Le carré sémiotique):

جاء في كتاب "قاموس السرديات" لجيرالد برنس بأنّ المربع السيميائي تمثيل بصري منطقي لأي مجموعة دلالية، كونه النموذج الأساس الذي يشرح بنية التدليل الأولى المتمثلة في وحدات المعنى، الموافقة لعلاقتها مع النقيض، وكذا المضادّ، يتوزّع على قاعدة تعتمد على وحدات ترسم وفق النقيض أو المضادّ أو الاستتباع³.

¹ ينظر: المرجع نفسه: ص258، 259

² ينظر: أمبرتو إيكو: التأويل والتأويل المفرط، تر: ناصر الحلواني، مركز الإنماء الحضاري، حلب، سوريا، ط1؛ 2009، ص197

³ ينظر: جيرالد برنس: قاموس السرديات، تر: السيد إمام، مبريت للنشر والمعلومات، القاهرة، ط1؛ 2003، ص173، 174

10.3.4. الأيقونة (الصورة) (l'icone):

الأيقنة أو علم الأيقونة كما يطلق عليه «يستعمل في الوقت الحاضر لتفسير الخصائص والرموز التي تتيح للفنان تصوير شخص ما أو فكرة معينة، ويراد بها البحث عن أصل الشكل ومعناه في الإبداع الفني، والكلمة الفرنسية الدالة على هذا المعنى هي Iconologie، وكثيرا ما تستعمل في مقابلها بالعربية الأيقنة شرح الرموز، وقد عمل على تطوير المعنى الأخير لكلمة أيقنة، وجعلها طريقة للبحث العالم (إرفن بونوفسكي Erven Ponofdky) * في بحوث نشرها في ألمانيا بدءا من سنة 1932م»¹.

11.3.4. التأويل البنائي (L'interprétation constructiviste):

أشار محمد عياد على أنّ هذا المفهوم على ينتمي إلى حقل السيميولوجيا فقال: «هو بناء تأويلي سيميائي وقوامه دراسة العلامة من جهة مستتبعاتها التخيلية، فالعلامة إحدى حالات ثلاث: إما رمز وإما أمانة وإما أيقونة، وتكون هذه المستتبعات تأسيسا لممكنات وجود مجازية من قبل الذات المؤولة»².

12.3.4. مصطلح السيميوطيقا (La Sémiotique):

برز هذا المصطلح في العصر القديم على يد «الفيلسوف الإنجليزي جون لوك، غير أنّ مجاله الإجرائي كان يدلّ على العلم الخاصّ بالعلامات داخل المنطق فقط، كما أنّ يملك عمر حضاري

* مؤرخ وناقد فنّ ألماني، ولد في 1892/03/30 بمانوفر، يمثّل نقطة عالية في الدّراسة الأكاديمية الأيقونة الحديثة ، والتي استخدمها في أعمال مؤثّرة للغاية مثل: "الكتاب الصّغير" ، "النّهضة في الفنّ الغربي" ، حلّ أعماله لا تزال في الطّباعة بما في ذلك دراسات في الموضوعات الإنسانية في فنّ عصر النّهضة، كانت أفكاره مؤثّرة جدّا في التّاريخ الفكري بشكل عام، من خلال استخدامه الأفكار التّاريخيّة كتفسيرات لأعماله الفنّيّة، توفي في 1968/03/14 برينستون نيوجيرسي.

¹ صلاح الدّين أبو عيّا: المرجع السّابق، ص 251، 252

² محمد عياد: في المناهج التّأويلية، مطبعة التفسير الفني بسفاقس، تونس، ط 1؛ 2012، ص 31

أكثر بكثير من مصطلح السيميولوجيا (Sémiologie) لأنه كان يستعمل كثيرا في العلوم الإنسانية منذ القرن السابع عشر (17م) «¹.

7.3.4. المحايثة (l'immanence):

وهذا ما نوّه إليه سعيد بنكراد حين وصفه بأنه « من المفاهيم التي أشاعتها البنيوية في بداية الستينات من القرن العشرين، ليصبح بعد ذلك مفهوما مركزيا، استنادا إليه يفهم النصّ وتنجز قراءاته، فالتحليل المحايث هو وحده الذي يجيب عن كلّ الأسئلة ويدرك كلّ المعاني، والمقصود بالتحليل المحايث أنّ النصّ لا ينظر إليه إلاّ في ذاته، مفصّولا عن أيّ شيء يوجد خارجه »².

يستخلص ممّا سبق:

- أنّ كلمة سيمياء من أصل يوناني تعني العلامة والرمز.
- السيمياء عند العرب كانت عبارة عن نوع من الفراسة والقيافة.
- السيمائية عبارة عن علم، منهج، نظرية، وطريق يساعد الإنسان على إدراك كلّ جديد، وفهم كلّ مستعصي من خلال تدبّره وتأمله بفضل مختلف الإشارات و الرموز، التي تفكّ شفراتها مخيلته الواسعة والصّور الموجودة في خياله الذهني.
- تهتم السيمائية بدراسة العلامات وأنساقها.
- تهتم بدراسة حياة العلامات داخل المجتمع.
- السيمائيات: علم العلامات أو معنى العلامات ودلالاتها.
- السيمائيات: علم أسرار الحروف.
- الانطلاقة الحقيقية للسيمائيات كانت مع سيميولوجيا دوسوسير وسيميوطيقا شارل سندررس بيرس.
- للسيمائيات عدّة أسماء: السيميوطيقا، والسيميولوجيا، والسيماء، وعلم الدلالة، وعلم العلامات، وعلم الإشارة، وعلم الرموز.

¹ أحمد حساني: العلامة في التراث اللساني العربي؛ قراءة لسانية سيميائية، دار الوجوه للنشر، الرياض، ط1؛ 2015، ص23

² سعيد بنكراد: السيمائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، ص255

- للعلامة تفرعات كثيرة تصبّ في معناها نذكر منها: الصورة، والأيقونة، والدليل، والمؤشّر، والرّمز، والدالّ، والمدلول، والتأويل، والتّركيب.
- العصر المعاصر يستخدم العلامات في كلّ الميادين، بداية بالميدان الاقتصادي، الذي يستخدم العلامات التجارية ويسوّقها عن طريق الإشهارات والإعلام وغيرها، بالإضافة إلى العلامات الموجودة في قانون المرور، وكذا العلامات الموجودة في ميدان الطبّ، والثقافة، والمسرح والفنون، وعلم الاجتماع وعلم النفس ...

الفصل الأول: السيميائيات : مفاهيم وأصول:

1. السيميائيات وإشكالاتها في التراث العربي الإسلامي.

2. السيميائيات في المدرسة الغربية الحديثة

3. المدارس السيميائية واتجاهاتها

4. علاقة السيميائيات باللسانيات

5. خصائص المنهج السيميائي

6. آليات تحليل النصوص الأدبية وفق المنهج السيميائي

تمهيد:

كان العرب قديماً يدركون الفكر السيميائي ضمناً فقط، بعيداً نوعاً ما عن السيميائية المعروفة حالياً حيث تناولوا هذا المصطلح بمفاهيم مختلفة عن بعضها البعض، أبرزها مصطلح علم الدلالة، ولقد مارسوا هذا الفن قديماً في مختلف تخصصاتهم المتعددة، أهمها: أصول الفقه، البلاغة، الفلسفة، المنطق، فقه اللغة، الطب، السحر، علم الطلاسم، علم الكيمياء، علم التفسير ولقد «كان البحث في دلالات الكلمات أهم ما لفت اللغويين العرب وأثار اهتمامهم، أما فيما يخص الأعمال اللغوية المبكرة عند العرب من مباحث علم الدلالة مثل تسجيل معاني الغريب في القرآن الكريم، ومثل الحديث عن مجاز القرآن، ومثل التأليف في الوجوه والنظائر في القرآن، ومثل إنتاج المعاجم الموضوعية ومعاجم الألفاظ، وحتى ضبط المصحف بالشكل يعدّ في حقيقته عملاً دلاليًا* لأنّ انعدام ضبط كلمات يغيّر المعنى كلياً»¹.

1. السيميائية واشكالاتها في التراث العربي الإسلامي:

ما يمكن قوله إنّ البداية الفعلية لهذا الفنّ عند العرب، ظهرت بعد ظهور الإسلام الذي رغب في العلوم الصالحة، ودعا إلى ترك العلوم الفاسدة، مبيّناً المعالم الصحيحة لمختلف الفنون، وعلم السيمياء جزء من هذه الفنون التي اختلف الفقهاء والعلماء في شرعيتها، ولقد مرّ هذا الفنّ بمراحل منذ ظهور الإسلام نلخصها كالآتي:

1.1. المرحلة الأولى: السيمياء في القرآن الكريم:

إنّ قدسيّة القرآن ومكانته بين كل مسلم تجبر القراء على تلاوته دون تأثير الشكل الأيقوني لكتاب الله عزّ وجلّ. وذلك لأنّه كتاب هداية وعبادة، وهذا ما جعله مختلفاً عن الكتب الأخرى من حيث شكله الخارجي، ورسمه الداخلي كما أنّه يميّز بخاصية الإعجاز والشمول والعالميّة، أمّا فيما يخصّ مفهوم هذا المصطلح فإنّه ذكر في القرآن الكريم في عشرة مواضع، بمعنى السّمة، وهي كالآتي:

أ. قوله تعالى: ﴿تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِخْفَاءً﴾².

* عبارة عن قواعد تتمثّل في تشكيل مختلف حركات الكلمات وتنقيطها، وعلامات الوقف والمدّ، والتي تعين القارئ على الفهم الصحيح للقرآن.

¹ أحمد مختار عمر: علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1975، ص20

² سورة البقرة: الآية: 273.

- ب. ﴿ وَالْحَيْلِ الْمُسَوِّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ﴾¹
- ت. ﴿ يُمِدِّدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾²
- ث. ﴿ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ ﴾³
- ج. ﴿ وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ ﴾⁴
- ح. ﴿ مُسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴾⁵
- خ. ﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمْهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ ﴾⁶
- د. ﴿ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أُنْثَى الشُّجُودِ ﴾⁷
- ذ. ﴿ مُسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴾⁸
- ر. ﴿ يُعْرِفُ الْمُحْرَمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ ﴾⁹

لما قرأنا كتب التفاسير وجدنا أنّ كلّ هذه الكلمات وردت بمعنى (علامة)، أما الألفاظ الواردة على صيغة مفعول (المسومة)، فهي شيء عليه علامة، أي (معلّم)، «لكن جذر الكلمة واستعمالها بمعناها الاصطلاحي الحديث، هو الأدلّ على ارتباط المعنى اللغوي بالمعنى الاصطلاحي، حيث استخدامها في الدلالة على العلامات، يؤكّد تجذّر المنهج السيمائي في الحقبة القديمة، ولكن هل كانت السيمائية تحظى بالمنهجية التي تكملها اليوم؟ قطعاً يفيد التقصّي السابق بأن لا والسبب في ذلك أنّ دراسة العلامة مرتبط بمختلف عناصرها من دال ومدلول ومؤول مع تتبّع لمعانيها المتفلّته نتيجة تطوّر المؤول، في إطار السياق الذي تكتسب منه دلالاتها المتعدّدة»¹⁰.

¹ سورة آل عمران: الآية 14

² سورة آل عمران: الآية

³ سورة الأعراف: الآية: 46

⁴ سورة الأعراف: الآية: 48

⁵ سورة هود: الآية: 83

⁶ سورة محمد: الآية 30

⁷ سورة الفتح: الآية 29

⁸ سورة الدّاريات: الآية 34

⁹ سورة الرحمن: الآية 41

¹⁰ سائدة حسين محمد العمري: سيميائية نوازع النفس في القرآن الكريم، (أطروحة ماجستير)، الجامعة الإسلامية غزة، فلسطين، 2009، ص54.

مصطلح السيمياءية في القرآن الكريم اقتصر فقط على ثلاث معان: العلامة، المعلمة، والسمة.

2.1. المرحلة الثانية: السيمياء فرع من فروع السحر:

في هذه الفترة كانت السيمياء عند العرب عبارة عن عالم من السحر والعرافة والشعوذة والكهانة وتسخير الجن ومعرفة أسرار الحروف والرموز، إضافة إلى المرتع السيميائي الذي كان يستخدمه الكهان للحساب، كما أنّ السيمياء كانت جزءاً من الكيمياء، ذكرها ابن خلدون (732هـ-808هـ) * في مقدمته، فقال: «بأنّ جابر بن حيّان** (101هـ-815هـ) كان من كبير السحرة، إذ درس كتب أهل الملة، واستعمل الصّناعة هواية له، فعاش فيها فساداً، واهتمّ بميدان الكيمياء التي تعتبر السيمياء من توابعها، فكان يقوم بتحويل الأجسام من حالة إلى أخرى، بالعمل النفسية لا بالصّناعة المبتكرة، وذاك من السحر»¹.

تحدّث ابن خلدون في موضع آخر عن الكيمياء، باعتبارها من علوم السيمياء فقال: «هو علم ينظر في المادّة التي يتمّ بها كون الذهب والفضّة بالصّناعة، ويشرح العمل الذي يوصل إلى ذلك، فيتصفّحون المكوّنات كلّها بعد معرفة أمزجتها وقواها لعلهم يعثرون على المادّة المستعدّة لذلك...، ثمّ يشرح الأعمال التي تخرج بها تلك المادّة من القوّة إلى الفعل، مثل حلّ الأجسام إلى أجزائها الطّبيعية بالتّصعيد والتّقطير»².

* هو عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون، أبو زيد ولي الدّين الحضرمي الاشبيلي، مؤرّخ عربي أمازيغي أندلسي الأصل، ولد بتونس سنة 1332م، درس بجامعة الزيتونة بتونس، عرف بترحاله الكبير إلى مختلف البلدان أهمّها: بسكرة، بجاية، تلمسان، غرناطة، و مصر، التي تولى القضاء بها، وظلّ فيها ما يقارب ربع قرن (784هـ-808هـ)، إلى توفي بها عام 1406م، وكان له من العمر ستّة وسبعين عاماً، تاركاً وراءه علمياً غزيراً، من مؤلّفاته: مقدمة بن خلدون، تاريخ بن خلدون، لباب المحصل في علوم الدّين، هو المؤسّس الحقيقي لعلم الاجتماع، وأب التاريخ والاقتصاد.

** جابر بن حيّان بن عبد الله الأزدي، عالم عربي مسلم، أغلب الروايات ترجّح أنّه ولد بالكوفة سنة 101هـ، برع في علوم الكيمياء والفلك والهندسة وعلم المعادن و الفلسفة والطبّ والصّيادلة، يعدّ أوّل من استعمل الكيمياء عملياً في التاريخ، من أعظم العلماء في القرون الوسطى، مارس الطبّ في عهد الخليفة العبّاسي هارون الرّشيد، مارس مهنة الصّيادلة لمُدّة طويلة، أبرز مؤلّفاته: كتاب الرسائل السّبعين، رسائل في الكيمياء، التّنجيم، الطبّ، الفلسفة والموسيقى، توفي سنة 815هـ بالكوفة.

¹ عبد الرّحمن بن خلدون: المقدّمة، ص 458

² المرجع نفسه: ص 464

جلّ المفاهيم التي عرّفت هذا الفنّ في هذه المرحلة ، تشير على أنّه نوع من السّحر ، أو تسخير الجنّ ، أو شيء من هذا القبيل ، وهذا ما قاله محمّد علي التّهانوي* : «هو علم يكون به تسخير الجنّ، كذا في بحر الجواهر»¹.

ورد عند صاحب أجمد العلوم** على أنّ « السيمياء يطلق على ما هو غير الحقيقي من السّحر وهو المشهور»².

ثمّ أشار إليه في موضع آخر على أنّه: «لفظ عبراني معرّب، أصله سيم به ومعناه اسم الله في الجوّ لا وجود لها في الحسّ، وقد يطلق على إيجاد تلك المثالات بصورها في الحسّ، فحينئذ يظهر بعض الصور في جوهر الهواء فتتموّل سريعة لسرعة جوهر تغيرّ الهواء، ولا مجال لحفظ ما يقبل من الصّورة في زمان طويل لرطوبته فيكون سريع القبول وسريع الزوال»³.

تميّزت السيمياء في هذه المرحلة بعدد من المفاهيم، نذكر منها ما يلي: ،الخيمياء*، الكيمياء، علوم الحكمة، علم تسخير الجنّ، السّحر، التّنجيم، علوم أسرار الحروف وألغازها، وأغلب من مارس السيمياءية

*محمد بن علي بن القاضي محمد حامد بن محمد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي، ولد سنة 1120هـ باحث هندي وعالم موسوعي ولغوي، من أئمّة القرن الثاني عشر للهجرة، لقّب بالتّهانوي نسبة إلى مسقط رأسه (تمانة بمون) من ضواحي دلهي ، كان قاضيا في قريته، عاش في عصر سلاطين الدولة المغولية في الهند، أبرز مؤلّفاته: كتّاف اصطلاحات الفنون والعلوم، سبق الغابات في نسق الآيات، أحكام الأراضي في بيان أنواع الأراضي، قيل أنّه توفي 1191هـ.

¹محمد علي التهانوي: موسوعة كتّاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تح: علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط1؛ 1996، ج1، ص999

**هو محمد صديق بن حسن بن علي بن لطف الله القنوجي البخاري الحسيني ، يرجع نسبه إلى زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ولد سنة 1832م، ببلدة (بانس بريلي)، بالهند، طلب العلم صغيرا ، في بلدتي (فرخ آباد و كانفور)، لما سافر إلى الحجّ التقى بعدد من علماء اليمن فأخذ عنهم ، ولما رجع إلى (بهبوال)، تولّى مناصب عديدة أهمّها: منصب نظارة المعارف، نظارة ديوان الإنشاء، ومنح لقب (خان)، ثمّ حاز على لقب (نواب) بعد زواجه بملكة بهبوال، له مؤلّفات عديدة، أبرزها: أجمد العلوم، البلغة في أصول اللّغة، ربيع الأدب، توفي إثر إصابته بمرض الاستسقاء، سنة 1890م.

²صديّق بن حسين القنوجي: أجمد العلوم، الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، تح: عبدالجبار دكّار، دار الكتب العلمية، دمشق، (د ط)، 1978، ص332.

³المرجع نفسه: ص333

*الخيمياء: مزيج من السّحر والفلسفة الباطنيّة، حاول الخيميائيون تحويل المعادن الخسيسة إلى . معادن عالية الجودة كالذهب والفضّة، واكتشاف أدوية للأمراض المستعصية ومعالجتها، لكنّهم فشلوا، بينما يعود الفضل لهم في تطوير علم الكيمياء، باعتبارهم أوّل من درس المواد الكيميائية ونظر فيها وحلّلها.

في هذه الفترة ، كانوا يعتمدون لغة رمزية ومشقّرة ، لا يفهمها إلا من شابههم ، وهذا هروبا من الشرطية ، فقد كانوا يزيّفون التّقود ، (التزوير حاليا) ، ويحتالون بها على غيرهم ، كان هدفهم الانتصار على الطبيعة مادّيًا ومعنويًا وجسديًا ، ليضمن الحياة الخالدة .

3.1. المرحلة الثالثة: مصطلح السيمياء من منظور علمي المنطق والفلسفة:

يعتبر الرواقيون* من العرب الأوائل الذين نظّروا في التفكير العلاماتي ، وقضية الدال والمدلول ، « كما أنّ ما قدّمه الثلاثي الإغريقي (سقراط ، أفلاطون وأرسطو) ، من معطيات فلسفية تدور حول المجال المعرفي الذي يحكم علاقة البشر بالموضوعات والظواهر الكونية ، عدّ من أولى الأسس المؤثّرة في اتّجاهات الخطاب التّقدي الحديث ، أمّا في التّراث العربي فنجد أنّ الأصول العامّة التي وضعت لنظرية السيمياء (العلامات) ، كانت قد انضوت تحت عنوان علم الدلالة ، بمنحى أوّلي ينأى عمّا يتبادر إلى ذهن الكثيرين ، من اقتصاره على ركن المعنى»¹.

لقد كانت جلّ دراساتهم معتمدة على ما أخذوه من فلاسفة الإغريق ، حيث ارتكزت مجمل دراسات العرب القدامى في بحوثهم الخاصّة بالدلالة على ألفاظ الكلمات ومعانيها فالأبحاث الدلالية في الفكر العربي التّراثي ، لا يمكن حصرها في حقل معيّن من الإنتاج الفكري ، بل هي تتوزّع لتشمل مساحة شاسعة من العلوم ، لأنّها مدينة للتّحاور بين المنطق وعلوم المناظرة وأصول الفقه ، والتّفكير والبيان والنقد الأدبي والبيان هذا التجانس بين هذه العلوم ، كان سببا في ابتكار فن عربي دلالي ، ساهم في تأسيس قواعد أصبحت بمثابة منطلق رئيسي لعلم الدلالة وملاحح السيمياء على السّواء².

لم يهتمّ اللّغويّون بهذا الفنّ في الحقبة القديمة ، بل كان من اختصاص أهل الفلسفة والمنطق ، وهذا ما أشار إليه أحمد عمر مختار منوّها أنّه منذ نحو ربع قرن كان اللّغويّون يتركون السيمائيات للفلاسفة

* مذهب فلسفي أخلاقي ، أنشأه الفيلسوف الفينيقي العربي ابن منسى التاجر الكنعاني ، بعدما هاجر إلى أثينا قادمًا من قبرص واستقرّ بها بداية القرن الثالث قبل الميلاد ، لقّبوا بالرواقيّين لأنّهم عقدوا اجتماعات بأروقة أثينا ، قسموا الفلسفة إلى منطق ، وفيزياء وأخلاق ، قامت الرواقية على تأكيد الخير والسلام الفكري الناتج عن حياة الفضيلة بانسجام مع الطبيعة . ، جلّ فلسفاتهم تعتبر الأخلاق الركيزة الأساسية التي تستمدّ من نظامها المنطقي وتأملاتها على الطبيعة .

¹ نقله حسن أحمد: التحليل السيميائي للفنّ الروائي دراسة تطبيقية لرواية الزيني بركات المكتب الجامعي الحديث ، الإسكندرية ، (دط) ، 2012 ، ص 9

² ينظر: عبد الجليل منقور: علم الدلالة ، اتّحاد الكتّاب العرب ، دمشق ، (د ط) ، 2001 ، ص 16 .

والأنثروبولوجيين*، ثم أخذ السيمانتيك يحتلّ مكانة تدريجية في علم اللّغة إلى أن تمّ في السّنوات الأخيرة وضع السيمانتيك في مكانة مركزية في الدّراسة اللّغويّة، ومن العلوم التي اهتمّت بالدّلالات أيضا علم النفس الذي كان له دور فعّال في معالجة اللّغة من الجانب الدّاتي¹.

يعتبر الفلاسفة المسلمون من الأوائل الذين درسوا العناصر الأساسية للدّلالة، والتي كانت بمثابة الأرضية الخصبة التي مهّدت لعلم السيمائيات الحديثة، فقد كان علم الدّلالة في هذه الفترة «ينحصر يوجه عام عند الفلاسفة المتقدّمين كالفارابي وابن سينا والغزالي على الدّلالة اللّفظيّة، وتعريفهم لها يتّبع عن كتب مفهوم أرسطو، فالدّلالة بنظرهم تتناول اللفظ والأثر النفسي، أي ما يسمّى بالصّورة الذهنيّة، والأمر الخارجي، أمّا الكتابة فهي لا شكّ تدخل بعين الاعتبار، إذ أنّها دالّة على الألفاظ، وهكذا يكون الخطّ دالّا على اللفظة واللفظة على الصّورة الذهنيّة، فكلّ من اللفظة والصّورة الذهنيّة في الوقت ذاته، بينما الخطّ دالّ غير مدلول عليه»²، وسنقوم بإيضاح ذلك كما يلي :

1.3.1. الفارابي(260هـ-339هـ)*:

إنّ ما يميّز البحث الدّلالي عند الفارابي، هو اشتغاله الكبير بعلم الدّلالة التي أفرد لها بابا خاصّا سمّاه علم الألفاظ، وجعله من فروع علم اللّسان، ونظرا لكون الفارابي كان مهتما بالفلسفة والمنطق فإنّه ربط الدّراسات الدّلالية، بهذين العلمين، وهذا ما نوّه إليه بقوله: «إنّ الألفاظ الدّالّة في لسان كلّ أمة ضربان: مفردة ومركّبة، فأما المفردة كالبياض والسواد والإنسان والحيوان، والمركّبة كقولنا الإنسان حيوان، عمرو أبيض»³.

*الأنثروبولوجيا: هو علم مختص بدراسة علم الإنسان اجتماعيا، ثقافيا، لغويا، بيولوجيا...

¹ ينظر: أحمد عمر مختار: علم الدّلالة، ص15، 16

² عادل فخور: علم الدّلالة عند العرب، دراسة مقارنة مع السيمياء الحديثة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط2؛ 2012، ص8/7.

* هو محمد بن محمد بن أوزلغ بن طرخان، ولد سنة 260هـ/874م بفاراب، منطقة تسمّى حاليا بكازاخستان، لقب بالمعلّم الثّاني، لأنّه كان متأثرا بالمعلّم الأول (أرسطو)، حيث قام بتفسير مؤلّفات أرسطو والتعليق عليها، كان فيلسوفا وفقهيا مشهورا في علوم الفلسفة و المنطق والطب والرياضيات والفنون الموسيقية، قضى معظم حياته في بغداد، دمشق، ومصر، قبل أن يستقرّ بدمشق التي توفي بها سنة 339هـ/950م، تاركا وراءه علما غزيرا، ومن مؤلّفاته: الخطابة، الشّعر، ماهية الروح، قوانين صناعة الشعر، المسائل الفلسفية والأجوبة عليها، وله تسعة كتب في الرياضيات والكيمياء والموسيقى.

³ أبو نصر الفارابي: إحصاء العلوم، تح: عثمان محمد أمين، مكتبة الخانجي، مصر، (د ط)، 1930، ص05.

يؤكد الفارابي على أنّ الألفاظ والمعاني وجهان لعملة واحدة، وهذا ما أجزم عليه دوسوسير في القرن العشرين حين أكد على ضرورة الارتباط الوثيق بين الدال والمدلول، واتّحاد اللفظ مع المعنى.

قسّم الفارابي الألفاظ الدالّة إلى ثلاثة أقسام، وذلك من خلال قوله: «الألفاظ الدالّة على المعاني المفردة ثلاثة أجناس: اسم، كلمة، وأداة»¹، ومعلوم لدى الجميع المعنى الحقيقي لدلالة الاسم والفعل، لأنّهما معروفان عند العوام بمجرد التلقّظ بهما، فالاسم مثل: عمرو، زيد، والفعل مثل: كتب، قرأ، بينما الأداة (الحرف) تبقى غامضة وهذا ما فسّره بقوله: «فالاسم لفظ دالّ على معنى مفرد، يمكن أن يفهم بنفسه وحده، من غير أن يدلّ بينيته لا بالعرض على الزّمان المحصّل الذي فيه ذلك المعنى، والكلمة لفظ مفرد دالّ على معنى يمكن أن يفهم بنفسه وحده، من غير أن يدلّ بينيته لا بالعرض على الزّمان المحصّل الذي فيه ذلك المعنى، والزمان المحصّل هو المحدود بالماضي والحاضر والمستقبل، والأداة لفظ يدلّ على معنى مفرد لا يمكن أن يفهم بنفسه وحده، دون أن يقرن باسم أو كلمة، مثل: من، على، وما أشبه ذلك»².

يؤكد الفارابي أنّ الشّيء الوحيد الذي يزيل الغموض عن الأداة هو اقتراحها بالاسم أو الفعل، الذي يبيّن المعنى الدلالي، ويرسم صورة في ذهن المتلقّي.

يذهب الفارابي إلى الجزم على ضرورة ربط الدال بمدلوله منطقياً، وهذا ما أكّده بقوله: «الألفاظ هي أشبه بالمعقولات التي في النّفس، من أن تشبه التي خارج النّفس»³.

لقد شبّه الألفاظ بالمعقولات، التي تسهّل عمليّة الإدراك بمجرد نطق اللفظ أو سماعه، ممّا يرسم صورة ذهنية في النفس، والنّفس بدورها تصحّح هذه المفاهيم.

الدّراسة الدلالية عند الفارابي، تقتصر على علاقة اللفظ بمعناه، وفق مبادئ علم المنطق، كما أنّ لنفس المتلقّي دور هامّ في العمليّة الدلالية، فقد اعتمد الفارابي كثيراً في دراساته على مبادئ المنطق وفنون الفلسفة، كما أنّه أعطى للعقل دور كبير في علم الدلالة عنده.

¹ أبو نصر الفارابي: كتاب في المنطق العبارة، تح: محمد سليم سالم، مطبعة دار الكتب، مصر، (د ط)، 1976، ص 07

² المرجع نفسه: ص 07

³ أبو نصر الفارابي: كتاب الحروف، تح: محسن مهدي، دار المشرق، بيروت، لبنان، ط 2، 1990، ص 76.

2.3.1. أبو حيان التّوحيدي (310هـ-414هـ)*:

يُدرج أبو حيان التّوحيدي ضمن المفكرين والفلاسفة الذين عرفوا بغزارة إنتاجهم الأدبي والتّقدي، نظراً للعصر الذي عاش فيه، وهو القرن الرابع هجري الذي امتلأ بالعديد من التّوابع في الفلسفة والمنطق وعلوم الدّين كالفقه والتّفسير وعلم الكلام، ومن هؤلاء المفكرين نذكر: ابن سينا وابن جنيّ، والبيهقي، والمتنبيّ، وابن التّديم، والمعريّ والباقلانيّ، وصفه بعض العلماء بالزّندقة، أمثال أبو الفرج الجوزي (597هـ)** الذي قال: «زنادقة الإسلام ثلاثة: ابن الرّاوندي، أبو حيان التّوحيدي، أبو العلاء المعريّ، وأشدهم على الإسلام أبو حيان، لأثهما صرّحاً، وهو مجمج لم يصرّح»¹.

وصفه محبّ الدّين ابن النّجار (578هـ)*** بحسن العقيدة والسيرة، حث قال في حقه: «كان فقيراً صابراً متديّناً، صحيح العقيدة»²، لكن الغريب في الأمر أنّ التّوحيدي أحرق كتبه في آخر حياته، فلم يصل إلينا إلا القليل منها، ومع ذلك فإنّ ما وصل إلينا من آثاره يبرهن على أنّ الرّجل كان «ناقداً وفناناً وفيلسوفاً فنيّاً، ولعله أوّل من وضع أسس علم الجمال العربي مأخوذاً من آراء معاصريه، ومدبّجاً بأسلوبه، فما كتبه التّوحيدي هو زبدة آراء المفكرين العرب والأدباء والفنّانين الذين اهتمّوا بالفنّ والصّناعة، وغلم الجمال والإبداع والتّدوّق ودور العقل والحواس في العلوم المختلفة»³.

* هو علي بن محمّد بن العباس، ولد ببغداد سنة 310هـ الموافق ل922م، كتب في الأدب والفلسفة، أحد أعيان الشافعية، من شيوخه علي بن عيسى الرماني، يملك العديد من المؤلّفات أبرزها: كتاب "البصائر والدّخائر"، وكتاب "الصديق والصدّيقة"، وكتاب "المقابسات"، وكتاب "مثالب الوزيرين"، اتّبع منهج الجاحظ في أسلوبه النّقدي والأدبي، اختلفوا في يوم وفاته، لكنّ القول الراجح أنّه توفي سنة 414هـ الموافق ل1023م.

** كنيته أبو الفرج، أسموه ابن الجوزي نسبة لشجرة كانت بداره بواسطة، يرجع نسبه لأبي بكر الصّدّيق رضي الله عنه، اسمه عبد الرحمن بن أبي الحسن علي بن أبي محمد القرشي التيمي البكري، فقيه حنبلي محدّث ولد ببغداد سنة 510هـ الموافق ل1116م، يملك العديد من الكتب نذكر منها: نواسخ القرآن، تلبّيس إبليس، أعمار الأعيان، توفي في غرة رمضان سنة 597هـ الموافق ل1713م.

¹شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي: سير أعلام النبلاء، تح: شعيب الأرنؤوط، محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1983، ج17، ص120

** أحد كبار علماء الفقه والحديث، اسمه أبو عبد الله محمد بن محمود بن الحسن بن هبة الله، المعروف بابن النجار نسبة إلى والده الذي كان مقدّم النجارين، الحافظ البغدادي، ولد سنة 578هـ الموافق ل1183م، أبرز مؤلفاته: مناقب الشافعي، المؤتلف والمختلف، الأزهار في أنواع الأشعار، توفي في شهر شعبان سنة 643هـ الموافق ل1245م.

²المرجع نفسه: ص122

³علي بن التومي: فلسفة الفنّ عند أبي حيان التّوحيدي، مجلة جسور المعرفة، مج5، ع4، ص: 2019، ص579

أشار أبو حيان التوحيدي لموضوع السيمياء في كتابه "البصائر والذخائر"، فقال: «وأما الوسم فالعلامة، تقول: سمّ يا هذا ناقتك، والسمة: الاسم، والسمة، علامة لأنّ عين الشيء توجد عارية من الدائر عليه المشار إليه»¹. فالتّوحيدي يقصد بكلامه أنّ العلامة والسمة وجهان لعملة واحدة، تتلخّص وظيفتها في كشف معانيها واستخراج دلائلها.

وفي موضع آخر من مؤلفاته يعتبر التوحيدي العلامة جزء من علم الإنسان، ويعتبر الدليل عنصر هامّ من عناصر تعليل القضايا المتخاصم حولها بالحجج الدامغة والبراهين الثابتة، فيقول: «الدليل على ذلك والبرهان فيه أنّه قد سبق في قضايا العقول الصّحيحة وثبت في مقدّمات اللّباب الصّريحة، أنّ العلم أشرف من الجهل... فإذا كان العلم شريفاً وأشرف من كلّ شيء فقد استوعب الجنس هذا العموم، واشتمل على الأصل والفرع هذا الاطلاق، لأنّ العلم بالألف واللام، لا يختصّ معلوم، ولا مشاراً إليه دون مدلول عليه، فقد دخل في هذا الطّيّ كلّ ما أنبأ عن شيء...»².

اتبّع أبو حيان مجموعة من الأسس الفكرية التي صوّرت له العلامة، لخصّها بعض الباحثين فيما يلي:

- الالتزام بمنهج التفكير الإسلامي: ارتباطه بالنصّ الشرعي، وعلوم الفقه والتفسير وأصول الفقه.
- الاعتماد على النّظر العقلي والتّفكير المنطقي: نتيجة اطلّاعه الكبير على فلسفة اليونان ومنطقهم اتّصال ثقافة لا اتّصال نقل ومحاكاة، واعلاؤه من شأن العقل، معتمداً منهجاً خاصّاً به في التّفكير.
- الارتكاز على مبدأ المنفعة: جسّد هذا المنهج بوضوح في تصوراته المتعلقة بفكر العلامة في تأملاته الإيمانية فيما بثّ في الكون من شواهد وعلامات دالّة على وحدانية الله وباعثة على معرفته والإيمان به³.

تكلّم التّوحيدي عن الدّلالة في كتابه المقابسات فقال: «وهذا علم كلّما قلّت الحروف فيه، كان المعنى بها أتمّ وأخلص، وكلّما كثر اللفظ كان ما يراد به ويعنى به أنقص، وليس كذلك باقي العلم،

¹ أبو حيان التوحيدي: البصائر والذخائر، تح: وداد القاضي، دار صادر، بيروت، ط1؛ 1981، ص60

² أبو حيان التوحيدي: من رسائل أبي حيان التوحيدي، تح عزت السيد أحمد، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، (د ط)، 2001، ص228

³ ينظر: الطيّب دبة: التفكير السيميائي في اللغة والأدب؛ دراسة في تراث أبي حيان التوحيدي، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، ط1؛ 2015، ص27، 28، 29، 30.

والسبب في ضيق هذا العلم، أنه بحث عن حقائق الموجودات، وقصد إلى أعيان المعقولات والخصائص عرية من العلل والشبهات، بعيدة عن الشكوك والمعارضات، غنية عن التأويلات والاحتمالات، لأنها تصون أغراضها عن زخارف القول...¹

تحدّث أبو حيان عن التأويل والتباين، وبين الفرق بين الدال والمدلول، وهذا ما أكّده في كتابه الإمتاع والمؤانسة حين قال: «وإذا عزمت فتوكّل على الله...، وبهذا البون يقع التباين ويتسع التأويل ويجول الذهن، وتتمطّى الدعوى، ويفزع إلى البرهان، ويبرأ من الشبهة، ويعثر بما أشبه الحجّة وليس بحجّة فاحذر هذا التعت وروافده، واتّق هذا الحكم وقوائمه، ولا تعشق اللفظ دون المعنى، ولا تهو المعنى دون اللفظ وكن من أصحاب البلاغة والإنشاء...»².

يقدم أبو حيان التوحيد نصيحة للمتلقّي، بضرورة التوكّل على الله في كلّ شيء، ثمّ اتّباع مجموعة من القواعد التي تعينه في اكتساب علم البلاغة والإنشاء منها: معاني الدال والمدلول، مفهوم التأويل أهمية البرهان، طرق تجنب الشبهة، سبل جمع الحجج.

يقول في موطن آخر موضّحاً العلاقة القائمة بين اللفظ ومعناه: «وقدّر اللفظ على المعنى فلا يفضل عنه، وقدّر المعنى على اللفظ فلا ينقص منه، هذا إذا كنت في تحقيق شيء على ما هو به، فأما إذا حاولت فرش المعنى وبسط المراد، فاجل اللفظ بالروادف الموضّحة والأشباه المقرّبة، والاستعارات الممتعة، وبين المعاني بالبلاغة... واشرح منها شيئاً حتّى لا يمكن أن يمتري فيه، أو يتعب في فهمه...»³.

المحدثون وضّحوا معالم الدلالة وفق أمور ثلاث وهي: اللفظ، والشيء، والصورة الذهنية، وعلى هذا المنوال سار التوحيدي مؤكّداً أنّ «كثرة استعمال اللفظ تؤدّي إلى تغيير معناه، لأنها هي الآلة التي يتعامل بها الناس، ومادامت الحياة في تجدد فلا بدّ لهذه الألفاظ أن تتطوّر بكثرة استعمالها، عن طريق الأذهان، والنفوس، كما أنّ كثرة الاستعمال تؤدّي إلى تعيّر الدلالة...»⁴.

¹ أبو حيان التوحيدي: المقابسات، تح: حسن السندوي، دار سعاد الصباح، الكويت، (د ط)، (د ت)، ص 321

² أبو حيان التوحيدي: الإمتاع والمؤانسة، تح: أحمد أمين، أحمد الزين، دار مكتبة الحياة، لبنان، (د ط)، (د ت)، ص 10

³ المرجع نفسه: ص 125

⁴ محمد عبد اللطيف علي: الدلالة عند أبي حيان التوحيدي في ضوء كتابه الإمتاع والمؤانسة، كلية اللغة العربية، جرجا، القاهرة، (د ط)، 2004، ص 174، 175.

يعتبر أبو حيان التّوحّيدي من الأدباء العرب في القرن الرابع هجري الذي كان لهم فضل السبق في التنبيه إلى معالم السيمياء المستقاة من كتبه في اللّغة والأدب، كالعلامة، والسمة، والوسم، والدلالة التي تتألف من اللفظ ومعناه والصورة الذهنية العالقة بفكر المتلقّي، مركّزا على فكرة مفادها أنّ اللفظ والمعنى عملة واحدة، بحيث إذا فسد أحدهما فسد الآخر، فلا غنى لأحدهما عن الآخر، بل إنّ الإعراب عنده جزء من المعنى، والنحو مرتبطا ارتباطا وثيقا بالدلالة.

1.3.3. أبو علي بن سينا (370هـ-427هـ)*:

ابن سينا من الشخصيات البارزة في علمي الفلسفة والمنطق، كان له تأثير كبير خاصّة في القرون الوسطى، من تاريخ العالم الإسلامي، أمّا ما نحن بصدد الحديث عنه، فإنّ ابن سينا تناول ثلاثة أصناف للدلالة، وذلك من خلال قوله: «أصناف دلالة اللفظ على المعنى ثلاثة: دلالة المطابقة، ودلالة التّضمّن ودلالة الالتزام، وهو النّقل عن طريق المعنى، أمّا دلالة المطابقة فمثل ما تدلّ لفظة الإنسان على الحيوان الناطق، وأمّا دلالة التّضمّن فمثل دلالة الإنسان على الحيوان وعلى الناطق ودلالة الالتزام مثل دلالة المخلوق على الخالق، وتشارك دلالة المطابقة ودلالة التّضمّن في أنّ كلّ واحد منهما ليس دلالة على أمر خارج عن الشئ، وتشارك دلالة التّضمّن ودلالة الالتزام في أنّ كلّ واحد منهما مقتضى الدلالة الأولى»¹.

يؤكد ابن سينا على أمر مهمّ يتمركز في اشتراك دلالة المطابقة مع دلالة الالتزام، فلا يمكن الوصول إلى دلالة اللفظ على معناه، إلّا بالمرور على دلالة المطابقة بين اللفظ وما يطابقه من مدلولات، ذهنية يدركها العقل البشري، أمّا دلالة الالتزام تختلف عن دلالاتي المطابقة والتّضمّن في أنّها تريد مدلول خارجي، بينما دلالتها التّضمّن والمطابقة تأخذان مدلوليهما من لفظيهما، أمّا في حديثه عن العلاقة بين الدال والمدلول أوجب ضرورة الرّبط بين المدلول والأمر الخارجي، وذلك ما تحدّث عنه السيمائيات الحديثة التي أكّدت أنّ العلاقة الحقيقية تكون بين الإشارة اللّغويّة، التي اعتبرها ابن سينا صوتا، والصّورة

* هو أبو الحسين بن عبد الله طبيب فارسي، اهتمّ بالفلسفة والمنطق والرياضيات والطبيعات، يلقّب حاليا بأبو الطب، ولد عام 373هـ الموافق ل 980م قرب قرية منطقة بخارى، حفظ القرآن الكريم وعلومه عن والده، ثمّ درس الطب على يد عيسى يحيى المسيحي، وأبي منصور القمري، له كتب كثيرة نذكر منها: الشفا، الإشارات والتّنبهات، عيون الحكمة، منطق المشرقيين، توفي في همدان سنة 427هـ الموافق ل 1037م.

¹ أبو علي بن سينا: منطق المشرقيين، تح: سعيد زايد، المكتبة السلفية، السكة الجديدة، القاهرة، (د ط)، (د ت)، ص 15/14.

الذَّهنية التي ترسم في عقل الإنسان، التي تنتمي إلى ما تحسَّ به النَّفس. فرَّق ابن سينا بين الدَّليل والعلامة وأحسن التَّمثيل لذلك فقال: «قياس العلامة ضمير يثبت فيه الأكبر للأصغر بعلامة، وتلك العلامة إمَّا ضرورية وإمَّا محمودة مظنونة، والحدُّ الأوسط في القياس الكائن من العلامة يقع على جهات ثلاثة: إمَّا أن يصلح أن يكون حدًّا أوسط محمولاً على الأصغر دون الأكبر، مثل: اللَّبن إذا جعلته علامة للولادة، فيقال المرأة لها لبن، فقد ولدت، وهذا يخصُّ كثيراً باسم الدَّليل»¹.

دلالة اللَّفظ عند ابن سينا لا تختلف عن تصور دي سوسير السيميائي، فالعلامة عند ابن سينا تكون نتيجة لما تسمعه الأذن ويدركه العقل، مستبعداً المرجع أو ما يسمَّى بالعالم الخارجي، وهذا ما أكَّده بقوله: «اللَّفْظ بنفسه لا يدلُّ البتَّه، ولولا ذلك لكان لكلِّ لفظ حقٌّ من المعنى لا يجاوزه، بل إمَّا يدلُّ بإرادة اللَّفظ، كالعين على ينبوع الماء، وهذا عرف سائد عند العامَّة، وهناك من يقصد بالعين الدَّينار فذاك عرفه الدَّلالي»².

ما يميِّز التَّحليل الدَّلالي عند ابن سينا «إكثاره من ذكر الوجود الذَّهني للعلامات اللُّغويَّة في النَّفس والخيال، وحتَّى في رصده لمراحل العمليَّة الدَّلاليَّة التي يتمُّ فيها نقل المفاهيم المودعة في الذَّهن كمدلولات في العالم الخارجي، إلى أدوات كالألفاظ والكتابة»³.

وهذا ما أكَّده ابن سينا من خلال قوله: «التَّفكير حديث نفسي، ومن هنا ارتبط التَّفكير باللُّغة، واحتاج منطق المعاني إلى شيء من دراسة الألفاظ...»⁴.

ابن سينا يرى العملية الدلالية تتألف من الصور الذهنية الموجودة في خيال المتلقِّي، والعالم الخارجي، والكتابة، واللَّفْظ، والمعنى، وبذلك يكون هناك ثلاث دوال هي: الخطُّ، اللَّفظ والمعنى، وإلى جانبها ثلاثة مدلولات: اللَّفظ، المعنى والأمر الخارجي، فالعلاقة بين اللَّفظ والخطُّ، وبين اللَّفظ والمعنى،

¹ أبو علي بن سينا: كتاب الشِّفا، المنطق تح: الأب قنواني، محمود الخضيرى، فؤاد الإهواني، مكتبة سماحة آية الله العظمى المرعشي النجفي الكبرى، قم، إيران، ط2؛ 2012، ج2، ص574.

² أبو علي بن سينا: منطق المشركيين، ص25

³ مقداد إيمان: الدَّلالة من منظور ابن سينا، مجلَّة المعيار، مج8، ع1، ص107، 2017.

⁴ أبو علي بن سينا: منطق المشركيين: ص60.

دلالة خارجية ويقصد بها الدلالة الوضعية، أو العرفية، أي الدلالة الرّمزيّة (symbolique)، بينما العلاقة بين المعنى والأمر الخارجي فهي دلالة طبيعية، وتوافق الأيقونة (iconique) عند بيرس¹.

بعد هذا العرض الجمل للتكوين الدلالي عند ابن سينا نخلص إلى ما يلي:

- الصور المخزّنة في الذاكرة للمدلول المادّي (المعاني).
- الأدوات الدلالية: اللفظ والخطّ (الكتابة).
- كلّ ما هو موجود في النفس من آثار ومعاني ومشاعر ووجدان ورغبات.
- الرموز مختلفة لاختلاف لغات الأمم، لكن مدلولات العالم الخارجي مشتركة بين الأمم.

4.3.1. أبو حامد الغزالي (450هـ-505هـ):*

دلالة الألفاظ عند الإمام الغزالي ثلاثة أوجه وهي: «المطابقة والتضمّن والالتزام فمثلا مصطلح البيت يدلّ على معناه الحقيقي بطريق المطابقة، أمّا بطريق التّضمين فيراد به السّقف، لأنّ السّقف والحيطان جزء من البيت...، بينما خاصية الالتزام تتضمن الحائط الذي يعتبر دائم الالتزام بالبيت، لأنّ الحائط ليس فرعا من السقف، لكنّه كالصّاحب الملازم الخارج عن ذات البيت الذي لا يستطيع الانفكاك عنه»².

بيّن الإمام الغزالي طبيعة العلاقة بين اللفظ ومعناه، وذلك من خلال توضيحه الفروقات الموجودة في الدلالات الثلاث، فجعل دلالة المطابقة ما تعارف عليه الناس مثل: دلالة اسم على صاحبه، لكن دلالة لقب إنسان على أنّه ينتمي لقبيلة ما، فذاك التّضمين، أمّا الالتزام فقد أشار إليها الغزالي في كتابه 'معيان

¹ ينظر: سائدة حسين محمد العمري: المرجع السابق، ص55.

* هو أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الغزالي، كنيته 'أبو حامد' نسبة لولده الذي توفي صغيرا، أمّا كنية 'الغزالي' نسبة لبلدة 'غزاة' من قرى طوس، ولد عام 450هـ/1058م، في "الطابران" من قصبّة طوس، في أسرة فقيرة الحال، كان أبوه يغزل الصوف، ويبيعه في طوس، كان أبوه صوفيا، ابتدأ طلبه للعلم في صباه، ثمّ رحل الغزالي إلى نيسابور ولازم إمام الحرمين أبو المعالي الجويني رئيس المدرسة النظامية فدرس عليه مختلف العلوم، ثمّ أصبح مدرّسا بها وعمره ولم يتجاوز الرابعة والثلاثين من عمره، فلُقّب هناك "الإمام" ثمّ ارتحل حاجّا لبيت الله، ففضى 11 سنة في العزلة والتنقل، ثمّ عاد إلى بغداد، واتّخذ بجانب منزله مكانا لتدريس طلبه العلم والعبادة، إلى غاية وفاته بعد بضع سنين يوم 14 جمادى الآخرة 505هـ/19 ديسمبر 1111م، في بلدته، ألف حوالي 228 كتاب ورسالة، في العقيدة، وعلم الكلام، والمنطق، والفقه وأصوله، وعلم التّصوّف، أشهرها: تحافت الفلاسفة، معيار الفنّ في المنطق، المستصفي من علم الأصول، المبادئ والغايات، إحياء علوم الدّين.

² أبو حامد الغزالي: المستصفي من علم الأصول، تح: أحمد زكي حمّاد، دار الميمان، بيروت، (د ط)، (د ت)، ص47

العلم في المنطق¹ بالاستتباع ، وذلك حين ضرب مثالا «بسقف الحائط التابع للحائط، بدلالة ملزمة له كال التزام الزوجة بزوجها...»¹.

فالمدلول فيها غير محدود، ومثاله: شيء تابع لصاحبه، كفأرة الحاسوب، فهي من العلامات الملازمة للحاسوب، وكذا المقود والعداد، والمكبس كلّها توابع للسيارة وملازمة لها.

فسر الغزالي العمليّة الدلالية، فبيّن رتبة الألفاظ من مراتب الوجود على أساس أنّها: «أربعة، وهي: أنّ للشيء وجود في الأعيان، وكذا العقول، ثم يأتي المنطوق ويختتم بالخطوط والرسوم، لأنّ الدليل على اللفظ هو عنصر الكتابة، والدليل على المعنى هو الكلام الذي يخرج من نفس الإنسان، باعتباره مثالا موجودا في الأعيان، فالشيء الموجود في نفس الإنسان، يغوص في ذهنه، ثم بعد ذلك يسير نحو للعالم الخارجي»².

إنّ ركني العمليّة الدلالية عند الغزالي تتحدّد فيما يلي:

- «الكتابة (الخطوط، الرسوم، و التقاط، والعلامات والرموز أيضا).
- اللفظ (المنطوق، الكلام، وحتى إشارات مرضى الصم البكم).
- المعنى الذي في النفس (الشيء الذهني).
- الموجود في الأعيان (العالم الخارجي)»³.

ما يمكن قوله أنّ الغزالي ربط الدال المتمثل في اللفظ والخطّ، بالمدلول المنحصر في الصور الموجودة في الخيال والعلامات الخارجية، أمّا «الموجود في الأعيان والأذهان لا يختلف بالبلاد والأمم، بخلاف الألفاظ والكتابة فإنّهما دالتان بالوضع والاصطلاح»⁴.

فالعلامة في نظر الغزالي تتكوّن من: الرّمز (الموجود في الألفاظ)، والفكرة (الموجود في الأذهان) والمرجع (الموجود في الأعيان)، والخطّ (الموجود في الكتابة) ، من هذه المعطيات يمكننا القول بأنّ الدلالة لا تقتصر فقط على ركن المعنى بل تتعدّاه إلى ركن المشاعر الذاتية الباطنية، والصور الذهنية التي ترسم في

¹ أبو حامد الغزالي: معيار العلم في المنطق، تح: أحمد شمس الدّين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2؛ 1971، ص43..

² المرجع نفسه: ص47

³ عبد الجليل منقور: علم الدلالة، ص34

⁴ أبو حامد الغزالي: المرجع السابق، ص48

نفس المتلقي ، فقد تنوّعت الدّراسات الدّلالية عند العرب من فكر إلى آخر، كلّ حسب مجاله العلمي ومرجعته الفكري واعتقاده الديني؛ وهذا من الأشياء التي تتباهى بها المصنّفات التراثية العربية.

الكتابة دالة فقط، باعتبارها وسيلة للفظ وهذا ما أكّده جاك دريدا* بقوله: «الكتابة مركز اللغة لكونها تشير على الدال على الدال، تحت أضواء جديدة، فحركة اللغة تتبلور في إشارة الدال على الدال لكتّه يزول في عملية إنتاجه لذاته، الأمر الذي يجعل المدلول يقوم بوظيفة الدال»¹.

يشير جاك دريدا (Jacques Derrida) إلى أنّ الكتابة عبارة عن إشارة الإشارة، فهي تأتي مكان كلّ ما هو ملفوظ، خاصّة تلك اللّغات التي تركّز على الكتابة فقط، مثل لغة الجبر، التي هي جزء من الرياضيات، فلغة الرياضيات تعتمد الكتابة فقط، أمّا «العلاقة بين الموجود في الألفاظ، والموجود في الأذهان، علاقة سببية، أي أنّ الدال يستدعي في ذهن المتلقي المدلول، كما أنّ المدلول يستدعي في ذهن المتكلم الدال الملازم له، لذلك فإنّ المفاهيم والتصورات المستوحاة من المرجع الخارجي للوسط اللغوي، قابلة لأن تكون مشتركة بين جميع أفراد المجتمع البشري، بينما هذه الخاصيّة تفتقر إليها الموجودات في الألفاظ (الدوال)، وارتباطها بالمدلولات، لأتمّ تواضعيّة واصطلاحية»².

اعتماد العلماء العرب على علوم الدّين والبلاغة العربية ومبادئ المنطق وفنون الفلسفة، وأسرار النحو والنقد، ورونق الشّعير يبرز مدى ثراء التراث العربي المعرفي، الذي ساهم مساهمة فعّالة في علم الدّلالة فقارب مفهوم العلامة التي حدّدتها السيمياء الحديثة، وبالخصوص الموجودة عند المنطقي السيميائي، تشارل سنדרس بيرس (1839-1914 Charles Sanders Peirce) الذي ميّز بين ثلاثة أنواع متنوّعة من علم العلامات: «بداية بالقواعد النظرية، وهي عبارة عن قاعدة كلية في المعنى، ثمّ نظرية المنطق الكلي في تطبيق الإشارات على المحتوى، وأخيراً الخطابة ونظرية البحث التي يستطيع الفكر أن يولّد بفضلهما

*فيلسوف وناقد أدب فرنسي، ولد يوم 15/07/1930، بالجزائر العاصمة، في سن التاسعة عشر انتقل دريدا إلى فرنسا للدراسة بالمدرسة العادية العليا ، وهناك اختكّ بالمفكرين الفرنسيين ودرس عليهم، سنة 1966 التحق بسلك التدريس، أول من تنبأ بولادة ما بعد البنيوية سنة 1974، وأول من استخدم مفهوم التفكيك بمعناه الواسع، شارك في الندوة الدولية التي انعقدت بالولايات المتحدة الأمريكية لإنقاذ اللغات واللسانيات، لديه العديد من الاعمال، نذكر منها: بداية الهندسة، علم الكتابة، الكتابة والاختلاف، توفي في 2004/10/09 بعد إصابته بسرطان البنكرياس.

¹ جاك دريدا: في علم الكتابة، تر: أنور مغيث، منى طلبية، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط2؛ 2008، ص66

² أحمد حساني: العلامة في التراث، مجلة الحداثة، ع2، س1993، ص34

علامة، وهذا ما جعل بيرس يدرس العلامة في مجالات كثيرة على غرار علم القواعد، الخطابة والمنطق، إضافة إلى أسلوب عمله الذي كان يعتمد كثيرا على البراغماتية النفعية»¹.

عرّف تشارلز سندرل بيرس* السيمائية بعلم العلامات، مؤكّدا الدور الهامّ الذي لعبته الإشارات اللفظية في تغيير المفاهيم التي خلط بين التفكير في الإشارات، والتفكير في اللغة، معتبرا علم الإشارات علما مستقلا بذاته، فالعلامة عند بيرس تقارب العلامة عند الغزالي، «لأنّ العلامة عند بيرس ثلاثية المبنى، تتكوّن من المصورة وهي الحامل المادّي للعلامة، والمفسّرة وهي المدلول الذي يتركه موضوع العلامة في ذهن المفسّر، والموضوع وهو الشيء الذي تحيل إليه العلامة، ففرّج العلامات من حيث علاقة المصورة بموضوعها الذي تمثله في الواقع علامة الأيقونة (Icône)، وعلامة المؤشّر (Indice)، وعلامة الرّمز (Symbole)»².

فالإمام الغزالي رسم سلّم دلالي تمثّل في ثلاثة دوال (الخطّ، اللفظ، المعنى) ، تقابلها ثلاثة مدلولات (اللفظ، الصورة الذهنية، العالم الخارجي) ، الخطّ يقابل اللفظ، لأنّ كلّ منطوق مكتوب، كما أنّ ما يتخيّله الإنسان في ذهنه يستطيع أن يتلقّظ به، والإنسان كذلك يتأثّر بالمحيط الخارجي الذي يحيط به، دون أن ننس ما للاستعدادات العقلية والاحساسات النفسية دور فعّال في تحقيق العملية الإدراكية.

¹ تشارلز موريس: روافد الفلسفة البراغماتية، تر: إبراهيم مصطفى إبراهيم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، (د ط)، 2011، ص42
* وُلد بيرس في منطقة فيليبس الثالثة، في مدينة كامبردج في ولاية (ماساتشوستس)، بالولايات المتحدة الأمريكية يوم 10/9/1839، عالم رياضيات، والفلسفة والمنطق، يكتّى (أب البراغماتية)، قرأ تشارلز في سن الثانية عشرة كتاب عناصر المنطق للكاتب ريتشارد هويتلي، ثم قرأ لاحقا النص الأساسي لهذا الموضوع باللغة الإنجليزية. فبدأ حياته مفتوتا بالمنطق والبحث والتحري واستخدام فنون الفلسفة. نجح في شهادة البكالوريا آداب، ثم بعدها انتقل إلى جامعة هارفرد التي نال بها شهادة الماجستير بجامعة سنة 1862. عانى بيرس في أواخر سن المراهقة من مرض الألم العصبي الوجهي، أمّا في المجال الوظيفي فقد عمل في المسح بشكل أساسي ضمن مجال علم تقسيم الأرض وقياس الجاذبية الأرضية، اختير بيرس عضوا إداريا مقيما في الأكاديمية الأمريكية للآداب والعلوم في يناير عام 1867، بين عامي 1859/1891، في عام 1879، عُيّن بيرس محاضرا في المنطق في جامعة جونز هوبكينز التي كانت تحتوي أقساما قوية في العديد من المجالات التي كان يحبّها، سعى بيرس جاهدا في حياته للحصول على توظيف أكاديمي في جامعة من جامعات بلاده لكن له يوفق في ذلك. توفي في 1914/4/19.

² أحمد حساني: المرجع السابق، ص28

سار حازم القرطاجي (608هـ - 684هـ)* على نفس منوال الغزالي، بقوله: «المعاني لها حقائق موجودة في الأعيان ولها صور موجودة في الأذهان، ولها من جهة ما يدل على تلك الصور من الألفاظ وجود الأفهام، ولها وجود من جهة ما يدل على تلك الألفاظ من الخط من يقيم صور الألفاظ، وصور ما دلّت عليه في الأفهام و الأذهان»¹.

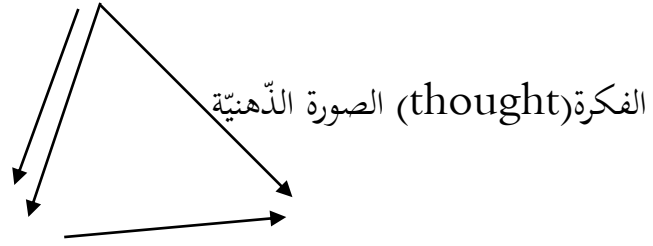
العلاقة الدلالية عند الغزالي والقرطاجي مترابطة الأطراف، إذ تبدأ بالرموز الخطية التي تجسد هيئة اللفظ في الفهم، والذي بدوره يستدعي الصور الذهنية، وتنتهي بإشارة هذه الصور العقلية إلى المدركات العينية الخارجية، وهذا ما جاء به «ريتشاردز (Richards) ** و أوجدن (Ogden) *** في كتابهما، معنى المعنى (The meaning of meaning)، الذي صدر سنة 1923م، حيث أشارا إلى أهمية التحليل المزدوج الذي يتناول العلاقة بين الألفاظ والأفكار، من جهة والأشياء المشار إليها من جهة أخرى، وأوجزا دراستهما في شكل مثلث، أشتهر في الدراسات الدلالية، وهو كالآتي:

* أبو الحسن حازم بن محمد بن حازم القرطاجي، ولد بقرطاجنة الأندلسية سنة 608هـ / 1211م، نشأ في أسرة ذات علم ونسب، أبوه كان قاضياً، توجه إلى طلب العلم في سن مبكرة فحفظ القرآن الكريم، في صغره، تردد على حلقات العلماء في بلده، غرناطة واشبيلية، كان ذو نزعة فلسفية، وبعد سقوط قرطاجنة 640هـ / 1243م، التحق بتونس، واتصل بسلاطنتها أبي زكريا الحفصي الذي كان يحب العلماء، فقرّبه منه وجعله كاتباً لديوانه، كان القرطاجي من فحول شعراء الأندلس، وهو صاحب المقصورة التي بلغت ألف بيت، والتي تعتبر وثيقة مهمة، عن تاريخ الدولة الحفصية، فكافأه الخليفة المستنصر بألف دينار ذهبي، وبها نال شهرة واسعة، أهمّ كتبه: منهاج البلغاء وسراج الأدباء الذي مزج فيه بين قواعد النقد الأدبي والبلاغة عند العرب، وقواعدهما عند اليونان، كتاب التجنيس، القوافي، ظلّ حازم القرطاجي بتونس، يعمل كاتباً لديوان المملكة الحفصية، ومدّرّسا لطلبة العلم، إلى غاية وفاته، 684هـ / 1285م.

¹ حازم القرطاجي: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تح: محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، (د ط)، 2007، ص 18، 19.

** ناقد أدبي إنجليزي، اسمه الكامل ايفور ارمسترونج ريتشاردز، ولد 1893/02/26 في سانديباغ، تلقى تعليمه في كلية كليفتون ثمّ المجدلية، بجامعة كامبريدج، عمل أستاذا بأحد الجامعات ما بين (1935م-1938م)، . يعتبر أبرز مؤسسي علوم الأدب والبلاغة المعاصرة، يملك العديد من المؤلفات نذكر منها: "مبادئ النقد الأدبي"، وكذا كتابه "معنى المعنى" وكتاب موسوم ب "النقد العملي" و مؤلف في "فلسفة البلاغة"، توفي بإجلترا بتاريخ 1979/09/07م.

*** تشايلز كأي أوغدن، عالم لغة وفيلسوف إنجليزي ولد سنة 1889 درس بجامعة كامبريدج، مؤسس مجلة كامبريدج الأسبوعية (1912-1922م)، أهمّ مؤلفاته: معنى المعنى، وأسس علم الجمال، توفي سنة 1957.



المرجع (réfèrent) المكتوبة أو المنطوقة¹

استنتجنا ما يلي:

الرمز هو الدال مكتوبا كان أو منطوقا

الفكرة الصورة المخزنة في الذاكرة.

المرجع الأمور الخارجية.

4.1. المرحلة الرابعة: السيمائية من منظور علوم اللغة والبلاغة والتقد:

اهتمّ العرب الأوائل اهتماما بالغا بعلوم اللغة والبلاغة والنحو والصّرف، باعتبار أنّ القرآن الكريم هو المصدر الرسمي للغة العربيّة، الذي فرض عليهم ضرورة تدبّره والتأمّل في آياته، وهذا ما ساهم في إثراء الدرس اللساني العربي، مبينا مختلف المفاهيم الخاصّة بعلم العلامة ونظامها السيميائي، ومن هؤلاء الدارسين نذكر:

1.4.1. أبو عثمان الجاحظ (159هـ-255هـ)*:

¹ ينظر: بلقاسم دقة: علم السيمياء في التراث العربي، مجلّة التراث العربي، ع91، س2003، ص74

*الجاحظ هو أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب بن فزارة الليثي، ولد بالبصرة سنة 150هـ/775م، من كبار أدباء العصر العباسي، نشأ فقيرا، كان ذميما وقبيحا، في عينيه جحوظ، أخذ علم اللغة العربية وآدابها على أبي عبيدة صاحب الأصمعيات وأبي زيد الأنصاري، ودرس النحو على الأخفش لما ذهب إلى بغداد تولّى ديوان الرّسائل للخليفة المأمون، كانت هوايته القراءة والمطالعة، ومجبا للاطلاع على الثقافات الفارسية والهندية واليونانية، كان معتزلي المذهب، رفع لواء العقل في كلّ المسائل التي كانت تعرض عليه، له حوالي 360 كتاب، في موضوعات متنوّعة، نذكر منها: البيان والتبيين، الحيوان، البخلاء، المحاسن والأضداد، توفي عام 255هـ/866م، وقد جاوز التسعين سنة، بعدما كان في مكتبته يطالع بعض الكتب المحببة إليه، فوقع عليه صفا من الكتب أردته ميتاً.

حدّد الجاحظ العلامات والإشارات التي تدلّ على المعاني في «خمس علامات وهي: الكلام، الإشارة، العقد، الكتابة والرسم، ثمّ الحال التي تسمّى نصبة»¹.

تحدّث الجاحظ عن هذه العناصر بالتفصيل، نلخصها كالآتي:

- (1) اللفظ: اعتبر الجاحظ اللفظ أفضل نفعا من العناصر الأخرى، لأنّه خير قانون علاماتي، يضمن تواصل البشر فيما بينهم، ويحقّق التعبير الحقيقي الذي يكشف مشاعر الناس ووجدانهم بلا واسطة.
- (2) الإشارة: جعلها الوسيلة الثانية لتحقيق غاية الاتّصال والتواصل بين الخلائق، بعد اللفظ الذي أكّد على أنّه عنصر مساعد للإشارة في تأدية مهمّتها النبيلة، فقال: «فأمّا الإشارة فالبيد، وبالرأس، وبالعين، والحاجب، والمنكب، إذا تباعدا الشخصان...، والإشارة واللفظ شريكان ونعم العون هي له، ونعم الترجمان هي عنه...، ولولا الإشارة لم يتفاهم الناس...»².
- (3) العقد: وهو الوسيلة الثالثة من وسائل الدلالة، أشار إليه في قوله: «وأما القول في العقد وهو الحساب، دون اللفظ والخطّ»³، فالعقد نوع خاصّ من الحساب، لأنّ يتمّ بأصابع اليدين، وله ثلاث وسائل، تبيّنه هي، اللفظ والخطّ، والعقد، أمّا الأولى فغير خارجة عن لغة الكلام، ما دما نعتد فيها لإقامة الحساب وإظهاره على المادّة الصوّتيّة، في حين أنّ الثانية، تتمّ بها عمليات الحساب، والتعامل بينهم في شؤونهم التجارية والفلاحية والاقتصادية، بينما الوسيلة الثالثة من وسائل الحساب، أصابع اليد التي تتمّ بها عمليّاته المختلفة⁴.
- (4) الخطّ: يتبادر في ذهن القارئ أنّ الخطّ هو الرسم أو الكتابة أو أيّ شيء من هذا القبيل، لكنّ الجاحظ يقصد بها «كلّ ما اصطنعه الإنسان من وسائل خطيّة، تدرك بواسطة العين في حدود سطح المكان، سواء كانت بواسطة القلم أو غيره، لإقامة حياته الاجتماعية التي لا يمكنها أن تستغني عن هذه الإشارات والعلامات، المكتوبة أو المنقوشة والمحفورة، أو تلك التي نسّم بها بعض الحيوان، لغرض معيّن من أغراضنا اليومية»⁵.

(5) النّصبة: وهي القسم الخامس من أقسام الإشارة، فسّرّها الجاحظ بقوله: «وأما النّصبة فهي الحال الناطقة بغير اللفظ والمشيرة بغير اليد، وذلك ظاهر في خلق السماوات والأرض...، وأشهد أنّ

¹ أبو عثمان الجاحظ: البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7؛ 1998، ج1، ص76.

² المرجع نفسه: ص77، 78.

³ المرجع نفسه: ص80.

⁴ ينظر: إدريس بلمليح: الرؤية البيانية عند الجاحظ، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط1؛ 1983، ص129.

⁵ المرجع نفسه، ص131.

السموات والأرض آيات دالات وشواهد قائمات، كلّ يؤدّي عنك الحجّة، ويشهد لك بالرّبوبيّة، موسومة بآثار قدرتك، ومعالم تدبيرك، التي تجلّت بها لخلقك، فأوصلت إلى القلوب من معرفتك ما أنسبها من وحشة الفكر ورجم الظنون»¹.

فالنّسبة علامة على الشيء، فالمتدبّر في خلق الله تعالى، والتأمّل في آياته الكونية العظمى، ومخلوقاته العجيبة التي عجز الخلق عن الإتيان مثلها دليل عقلي يفرض على الإنسان ضرورة توحيد الله في ألوهيته وربوبيته، وأسمائه وصفاته، لأنّ الإنسان العاقل يدرك بأنّ لهذه المعمورة ربّ واحد لا شريك له في ملكه.

تناول الجاحظ مباني العلامة في كتبه "الحيوان" فقال: «وجعل آية البيان التي بها يتعارفون معانيهم، والترجمان الذي إليه يرجعون عند اختلافهم، في أربعة أشياء، وفي خصلة خامسة...، وهذه الخصال هي: اللفظ، الخطّ، الإشارة، العقد والخصلة الخامسة ما أوجد من صحّة الدلالة، وصدق الشّهادة، ووضوح البرهان، في الأجرام الجامدة الصّامتة والسّاكنة التي لا تتبين ولا تحس ولا تفهم ولا تتحرّك، إلّا بداخل يدخل عليها أو عند ممسك خلّى عنها»².

ثمّ قال في موضع آخر: «فجعل اللفظ للسّامع، وجعل الإشارة للناظر، وأشرك الناظر واللامس في معرفة العقْد، إلّا بما فضّل الله نصيب الناظر في ذلك، على قدر نصيب اللامس، فالكتابة دليلاً قوياً، وسبباً يجمع بين الإنسان وأخيه، وسبباً مانعاً من نسيان ما بين بني البشر، لما لها من دور فعال في الإحصاء والحفظ، والإحاطة»³.

صنّف الجاحظ اللغة على أنّها فرع من علم السّيمياء، وخير دليل على ذلك تقسيمه العلامة لأربعة أقسام معلومة (سبق ذكرها)، وتغاضيه عن تسمية الخامسة، وربطها بالمقام، وهو "حديث علم النفس الاجتماعي من دون أن يسميه" ومثل هذه الدّراسة الحديثة (لفرديناند دو سوسير Ferdinand de Saussure) عدّ فيها السيمائية أكبر من اللغة، واللغة جزءٌ منها، وألحقها بعلم النفس عامة، وعلم النفس

¹ أبو عثمان الجاحظ: المرجع السابق، ص80، 81.

² أبو عثمان الجاحظ: الحيوان، تح: عبد السلام هارون، المجمع العلمي العربي الإسلامي، القاهرة، ط2، (د ت)، ج1، ص46.

³ المرجع نفسه: ج1، ص47.

الاجتماعي خاصة، وعليه فإنَّ الجاحظَ سَبَّاقٌ في نظريته، سواءً أكان دو سوسير* اطلَّع على آراء الجاحظ هذه، أم لم يكن اطلَّع عليها، ولعلَّ خيرَ ما يثبتُ التَّظْريَّةَ السِّيميائيةَ عند الجاحظ تعريفُهُ للبيان، وهدفه إفهاماً وتفهماً بغضِّ النظر عن العلامة التي تنقله¹.

انطلاقاً من النصوص التي قرأتها في كتابي "البيان والتبيين" و"الحيوان"، فإنَّ الجاحظ يعتبر من السَّبَّاقين الذين اكتشفوا دور العلامة في حمل الدلالة باعتبارها مشاراً بها إلى شيء ما، فلولا هذه العلامة لأصبح هذا الشيء فارغاً من المعنى، كما تنبّه إلى الدور الفعّال الذي تلعبه العلامة، كونها حاملة وظيفة دلالية الهدف منها التمييز بين الأشياء، حتّى يحصل حسن التفاهم بين الناس عامّة².

نظريّة العلامة عند الجاحظ حققت النّظام التّواصلّي السِّيميائي الموجود في كلّ المجتمعات، فالدليل عنده عبارة عن كيان يشتمل على ثلاثة أبعاد، وهي: الدليل الظاهر للعيان، وهو الجانب المادّي للعلامة، والمستدلّ عليه، وهو المعنى الباطن أو الخفيّ، أي الدلالة، والمستدلّ هو العقل عندما نستدلّ به لمعرفة ماهية الدلالة، وهذه التّظْريَّة للعلامة نفسها نجدّها عند شارل سندرس بيرس من خلال نظامه السِّيميائي المعروف في شكل مثلث³.

تتكون العلامة عند الجاحظ من: الجانب المادّي للعلامة، والعقل، والجانب الباطني للعلامة.

* وُلد دو سوسور في جنيف يوم 1857/11/26، عالم لغوي سويسري شهير، مؤسس علم اللّغة الحديث، أب المدرسة البنوية في اللسانيات، كان والده عالماً في المعادن والحشرات والتصنيف، كانت له موهبة ذهنية منذ صغره، أبدأ العمل في الدراسات العليا بجامعة لايبزيغ عام 1876، وهناك نشر أطروحة على نظام الحرف المصوت البدائي في اللغات الهندوأوروبية، بعد ذلك ذهب إلى جامعة برلين، ودرّس بها، ليعود بعدها إلى جامعة لايبزيغ ويدافع عن أطروحته، بعنوان "الاستخدام المبتكر في السنسكريتية"، حصل على الدكتوراه في فبراير 1880 لم يبدأ دو سوسور بتدريس منهج اللسانيات العام حتى عام 1907، وقدمه ثلاث مرات، وانتهى في صيف عام 1911. توفي في 1913/02/23 في فوفلونس لو شاتو في فويي، سويسرا. جُمعت محاضراته حول المبادئ المهمة لوصف اللّغة في جنيف بين عامي 1907 و1911، ونشرها تلاميذه بعد وفاته في مجلة كورس اللغوية العامة في عام 1916م.

¹ ينظر: حسن محمد الربابعة، سيمياء الحواس في كتاب الحيوان للجاحظ دراسة في التّظْريَّة والتّطبيق، مجلة دراسات العلوم الإنسانية والإجتماعية، مج34، ع7؛ س2007، ص304.

² ينظر: عامر بن شتوح: ملامح التّفكير السِّيميائي في اللّغة عند الجاحظ من خلال البيان والتبيين، (أطروحة ماجستير)، (منشورة)، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، 2009، ص51/50.

³ ينظر: فتيحة علاوي: السِّيميائية من المنظور الجاحظي: نظرة في كتابي "البيان والتبيين" و"الحيوان"، مجلة الحكمة للدراسات الأدبية واللّغوية، مج1، ع2، س2013، ص106.

2.4.1. أبو هلال العسكري (310هـ-395هـ)*:

وضّح أبو هلال العسكري العلاقة القائمة بين الدلالة والعلامة فقال: «الدلالة على الشيء ما يمكن كلّ ناظر فيها أن يستدلّ بها عليه، كالعالم لما كان دلالة على الخالق، كان دالاً عليه لكلّ مستدلّ به، وعلامة الشيء ما يعرف به المعلّم له، ومن شاركه في معرفته دون كلّ واحد، كالحجر يجعله علامة لدفين تدفنه، فيكون دلالة لك دون غيرك، ولا يمكن غيرك أن يستدلّ به، إلاّ إذا وافقته على ذلك، كالتصفيق تجعله علامة لمحيء زيد، فلا يكون ذلك دلالة إلاّ لمن يوافقك عليه، ثمّ يجوز أن تزيل علامة الشيء بينك وبين صاحبك، فتخرج من أن تكون علامة له، فالعلامة تكون بالوضع والدلالة بالاقتضاء»¹.

وعن أوجه الدلالة يقول أبو هلال العسكري: «الفرق بين الدلالة والدليل، أنّ الدلالة تكون على أربعة أوجه: أحدها ما يمكن أن يستدلّ به، قصد فاعله ذلك أم لم يقصد، والشاهد أنّ أفعال البهائم تدلّ على حدثها، وليس لها قصد على ذلك، والثاني: العبارة عن الدلالة، يقال للمسؤول: أعد دلائلك، والثالث: الشبهة: يقال دلالة المخالف كذا، أي شبهته، والرابع: الأمارات، يقول الفقهاء: الدلالة من القياس كذا، والدليل فاعل الدلالة، ولهذا يقال لمن يتقدّم القول في الطّريق دليل، ويستعمل الدليل في العبارة والأمانة ولا يستعمل في الشبهة»².

فسّر أبو هلال العسكري الفرق القائم بين العلامة والسّمة فقال: «بأنّ السّمة ضرب من العلامات مخصوص، وهو ما يكون بالنّار في جسد الحيوان، مثل: سمات الإبل، وهو ما يجري مجراها، وفي

* هو الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري ولد عام 920م/310هـ، يرجع نسبه إلى عسكر مكرم من كور الأهواز، بين البصرة وفارس، كان شاعراً، ناقداً، لغوياً، أدبياً، واحد من أئمة البلاغة وعلوم العربية خلال القرن الرابع الهجري، صاحب كتاب الصناعتين، الذي جمع فيه بين صناعة الكتابة والشّعر، إضافة إلى مؤلّفات كثيرة نذكر منها: الفروق اللغوية، معاني الأدب، جمهرة الأمثال، الدراهم والدينار، معاني الشّعر، ديوان المعاني، توفي عام 395هـ/1005م.

**الاقتضاء هي: دلالة اللفظ على لازم المعنى المقصود، يتوقف صدق الكلام أو صحته شرعاً أو عقلاً على تقديره أمّا الوضع هو: المعنى الذي يتخيّله المتلقّي في ذهنه بعد سماع اللفظ أو القول مباشرة، وتنقسم إلى مطابقة وتضمّن والتزام سبق الحديث عنها.

¹ أبو هلال العسكري: الفروق اللّغويّة، تح: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، (د ط)، 1998، ص70.

² المرجع نفسه: ص68

القرآن الكريم ﴿ سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرطوم ﴾¹، وأصلها التأثير في الشيء ومنه الوسمي*، لأنّ يؤثر في الأرض أثراً، ومنه الموسم، لما فيه من آثار أهله، والوسمة سميت بذلك لتأثيرها فيما يخضب بها².

أضاف أبو هلال العسكري للدال والمدلول عنصر ثالث وهو القصدية في العلامة، «وهذا ما يؤكده أنصار سيمياء التواصل الذين يرون أنّ العلامة تتكوّن من وحدة ثلاثية المبني: الدال، والمدلول والقصد، فتكون العلامة أداة تواصلية قصدية، أي أنّ العلامة هي حركة يقصد بها الاتصال بشخص ما، أو إعلامه بشيء ما»³.

3.4.1. عبد القاهر الجرجاني (400هـ-471هـ)**:

يعدّ عبد القاهر الجرجاني من مؤسّسي التفكير العلاماتي في بحثه البلاغي، وهذا ما أشار إليه في كتابيه "دلائل الإعجاز"، و "أسرار البلاغة" إذ يؤكّد على ضرورة: «ترتيب المعاني والأفكار في نفس الإنسان، والتي بدورها تساهم في حسن نطق الكلام وترتيبه، لأنّ المنطوق خدم للفكر والمعنى وتابع له، وكذا حسن إدراك ما في النفس من معنى، علم بمواقع الألفاظ الدالّة عليها في النطق»⁴.

وقال في موضع آخر: «الكلام على ضربين: ضرب أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، وذلك إذا قصدت أن تخبر عن (زيد) مثلاً بالخروج على الحقيقة، فقلت: خرج (زيد) وبالانطلاق عن (عمرو) فقلت: عمرو منطلق، وعلى هذا القياس، وضرب آخر أنت لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، ولكن يدلك اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللّغة، ثمّ تجد لذلك المعنى دلالة

¹ سورة القلم: الآية: 16

*الوسمي: غيث يأتي في نهاية فصول السنة، ، يعتبر دليلاً على حالة العام القادم، أما الوسمة فهي نبات بري له ورق يستعمل للصبغة

² ينظر: أبوهلال العسكري: المرجع السابق: ص71

³ سالم محمد سالم بامؤمن: الدوال السيمائية في مؤلفات الجاحظ، المؤتمر العلمي الرابع، جامعة حضرموت، 24/25 جوان 2019، ص214

⁴ أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني، ولد بجرجان سنة 400هـ/1009م، ونشأ فيها، ولم يغادرها أبداً، حتّى توفي بها سنة 470هـ/1078م نشأ فقيراً في أسرة رقيقة الحال، فارسي الأصل، كان مولعاً باللّغة والأدب والنحو، درس عند علمين كبيرين هما: أبو الحسين بن الحسن بن عبد الوارث الفارسي النحوي، وقاضي جرجان علي بن عبد العزيز الجرجاني، تتلمذ على آثار مشايخ الحضارة الإسلامية، حيث نجده ينقل في كتبه عن الجاحظ، وابن فارس، وأبي هلال العسكري، والآمدي، وغيرهم من علماء الأمة الإسلامية، يعتبر مؤسس علم البلاغة، فقد ألف العديد من الكتب أهمّها: أسرار البلاغة، دلائل الإعجاز، الرسالة الشافية في إعجاز القرآن الكريم، الإيضاح في النحو، كتاب الجمل، وكتاب العوامل المثمة.

⁴ عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، تح: محمود محمد شاكر، مطبعة الخانجي، القاهرة، (د ط)، (د ت)، ص54

ثانية تصل بها إلى الغرض ، ومدار هذا الأمر على الكناية، و الاستعارة و التمثيل، إذا قلت: هو كثير رماد القدر أو قلت : طويل النجاد، أو قلت في المرأة: تؤوم الضحى»¹.

يفهم من هذا القول: إن العلامة عند عبد القاهر الجرجاني، «قريبة من العلامة الاشارية عند (بيرس) فطويل النجاد يعني طويل القامة، شجاع وقوي، وامرأة تؤوم أي مدللة وهو متصل بفعل الكناية في العربية، او عندما تقول رأيت أسدا، هو تشبيه الى الشجاعة في الرجل. ويضيف الجرجاني مرة ثانية على رمزية الدلالة واللفظ القائم على استقلالية المعنى و مرجعيته القائمة على اختيار المحتوى التصرفي الحر فليس بالضرورة أن المعنى في هذا هو المعنى في ذلك بعينه، وان سبيلهما سبيل اللفظين يوضعان لمعنى واحد وفرق بين ان يكون في الشيء معنى الشيء وبين ان يكون الشيء على الإطلاق، أي ليس بالضرورة أن يكون اللفظ يعني نفس الشيء المشار إليه»².

كما يؤكد الجرجاني على أن المدلول قد يتحول إلى مبنى، ويبحث عن مدلول آخر، بقوله: «المعنى و معنى المعنى، تعني بالمعنى المفهوم من ظاهر اللفظ الذي تصل إليه بغير واسطة، ومعنى المعنى هو أن تعقل من لفظ معنى، ثم يفضي بك ذلك المعنى إلى معنى آخر»³.

يعتبر الجرجاني من الأوائل الذين أشاروا إلى فكرة العلامة الأيقونية في كتابه 'أسرار البلاغة'، تجلّى ذلك من خلال قوله: «اعلم أن الاستعارة في الحقيقة هي هذا الضرب دون الأول، وهي أمدّ بيانا، و أشدّ افتنانا، وأكثر جريانا، وأعجب حسنا وإحسانا، وأوسع سعة وأبعد غورا، وأذهب نجدا في الصنّاعة، وغورا من أن تجمع شعبها وشعوبها، وتحصر فنونها وضروبها، نعم، وأسحر سحرا»⁴.

من المعلوم لدينا أن الاستعارة تعطي اللفظ الواحد معان متعددة الصور، ورائعة الجمال، حيث أن كلّ هذه الصور الأيقونية التي أشار إليها عبد القاهر الجرجاني، يمكن تتصالح مع ما جاء به، الناقد الحديث (بيرس)، في تقسيماته للأيقونة، إذ ذهب إلى التمييز بين ثلاثة أنواع من الأيقونات: الصورة والرّسم البياني والاستعارة، والأيقونة عنده تنشأ نتيجة ارتباط العلامة بالموضوع في المرتبة الأولى ، إذ تعدّ

¹عبدالقاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص262.

²سامي الحصناوي: الدلالة مقابل العلامة في الفكر الفلسفي عند العرب، موقع الحوار المتمدّن، تاريخ النشر2010/10/28، تاريخ الاطلاع:2020/05/06 رابط الموقع: <https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=230357>.

³عبد القاهر الجرجاني: المرجع السابق، ص263.

⁴عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، تح: محمد محمود شاكر، مطبعة المديني، القاهرة، (د ط)، 1991؛ ص42.

الأيقونة علامة فرعية لبعده الموضوع، وهي تشبه الموضوع الذي تمثله، كما أنّها تملك طابعا تمثيلا أو تصويريا يجعلها دالة حتى وإن لم يوجد موضوعها¹.

5.1. المرحلة الخامسة: السيمياء في علمي التفسير وأصول الفقه:

1.5.1. الرّاغب الأصفهاني (343هـ-502هـ)*:

الدّلالة عند الأصفهاني هي: «ما يتوصّل به إلى معرفة الشيء كدلالة الألفاظ على المعنى، ودلالة الإشارات والرموز والكتابة والعقود في الحساب، وسواء كان ذلك بقصد مّن يجعله دلالة أو لم يكن بقصد مّن يجعله دلالة أو لم يكن بقصد كمن يرى حركة إنسان فيعلم أنّه حيّ، قال تعالى: ﴿مَا دَهَمَهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ﴾²، أصل الدّلالة مصدر كالكناية والأمانة، والدّال من حصل منه ذلك، والدّليل في المبالغة كعالم، وعليم، وقادر، وقدير، ثمّ يسمّى الدّال والدّليل دلالة، كتسمية الشّيء بمصدره»³.

الدّلالة عند الرّاغب الأصفهاني تقابل مفهوم العلامة والسّمة والأمانة والدّليل، لأنّها دلائل على عظمة الخالق عزّوجلّ، الذي أبهر بخلقه العالم والخلائق، وأعجز الطّغاة والظّالمين، في المعمورة، واستدلّ الأصفهاني بقصّة سيّدنا سليمان عليه السلام، الذي توفيّ وبقي متكئا على العصا، مدّة من الزّمن، فأعجز الجنّ الذين كانوا يدّعون علم الغيب، في هياتة التي كان عليها، فلم يسقط من مكانه، إلّا بعد أن أكلت الأرضة منسأته التي كان متكئا عليها، فكان عمل الأرضة دلالة وعلامة وسمة وأمانة على موت النبي سليمان عليه السّلام.

¹ ينظر: مان داود سالم الربيعي، هادي هادي عبيد حسابك: العلامة الأيقونية عند عبد القاهر الجرجاني، مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية، مج28، ع09؛ س2020؛ ص267.

* هو الحسن بن محمد بن المفضّل، أبو القاسم الأصفهاني، المكّي بالرّاغب، من أصفهان، سكن بغداد ونبغ فيها، فأخذ علوم الفقه والتفسير واللّغة والبلاغة، والأدب، توفي سنة 502هـ/1108، تاركا وراءه مؤلفات كثيرة نذكر منها: محاضرات الأدباء، تحقيق البيان، المفردات في غريب القرآن، الاعتقاد، أفانين البلاغة، جامع التّفاسير، الأخلاق، الذّريعة إلى مكارم الشّريعة .

² سورة سبأ: الآية 14

³ أبو القاسم الرّاغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكّة المكرمة، (د ط)، (د ت)، ج1، ص227.

2.5.1. ابن تيمية (661هـ-728هـ)*:

تحدّث ابن تيمية عن علم العلامات فقال: « الأشياء لها وجود في أنفسها، وهو وجودها العيني، ولها ثبوتها في العلم، ثمّ في اللفظ المطابق للعلم، ثمّ في الخطّ، وهذا الذي يقال: وجود في الأعيان، ووجود في الأذهان، ووجود في اللسان، ووجود في البنان: وجود عيني، ووجود علمي، ولفظي ورسمي، ولهذا افتتح الله كتابه بقوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾¹، فذكر الخلق عموماً وخصوصاً، فالخطّ يطابق اللفظ، واللفظ يطابق العلم، والعلم هو المطابق للمعلوم»².

ما قاله "ابن تيمية" مشابه لما أشار إليه "الغزالي" سابقاً فالموجود في الأعيان هو المشار إليه بالأشياء الخارجية، والذي يقابل المرجع عند "دي سوسير"، وبالموضوع عند "بيرس"، أمّا الموجود في الأذهان، فهو المقابل للمدلول عند "دي سوسير"، والمؤول عند "بيرس"، أمّا الموجود في اللسان، وهو اللفظ فهو الدال (الرمز) عند "دي سوسير"، والممثل عند "بيرس"، والعلاقة بين هذه المراتب هي علاقة قائمة على السببية³.

* هو علي بن عبد الله بن تيمية الحراني، أحد أبرز العلماء البارزين في العصر المملوكي، كان يُلقب بشيخ الإسلام، وُلد في حرّان عام 661 هـ/1263م، سمي بان تيمية، نسبة إلى اسم أم جدّه محمد التي كانت واعظة، نشأ في عائلة عاملة، أبوه الشيخ شهاب الدين بن عبد الله بن تيمية، كان إماماً ومنظراً في كثير من الفنون، اشتغل شيخاً لدار الحديث السكّرية بدمشق، أما جدّه مجد الدين بن عبد الله بن تيمية الحرّاني، فقيه حنبلي، محدّث وأصولي ومفسّر ولغوي. جدّته لأبيه تكّتّى بأبم البدر، كانت تحدّث بالإجازة عن ضياء الدين بن خريف، حفظ القرآن الكريم، و الحديث والفقّه برع في اللغة و النحو، والتفسير، وأصول الفقّه وهو لازال صغيراً، عُرف بالفطنة وقوّة الحفظ، وسرعة الإدراك منذ نعوم أظفاره، كان زاهداً، شجاعاً، سخيّاً، تأهّل للتدريس والفتوى وهو ابن سبعة عشر سنة، ناضل بقلمه وبسيفه في حروب التتار سنة 702هـ، أبرز شيوخه: ابن قدامة المقدسي، وأبرز تلاميذه: ابن قيم الجوزية، الحافظ الذهبي، الحافظ إسماعيل بن كثير، توفي رحمه الله في ليلة الاثنين الموافق العشرين من شهر ذي القعدة من سنة 728هـ/1328م بقلعة دمشق التي كان محبوباً بها، تاركاً خلفه العديد من الآثار نذكر منها: درء تعارض العقل والنقل، النبوات، الاستقامة، التفسير الكبير.

¹ سورة العلق: الآيات: 1، 2، 3، 4، 5

² تقي الدّين بن تيمية: التّفسير الكبير، تح: عبدالرحمن عميرة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د ط)، (د ت)، ج 4، ص 372

³ ينظر: نظيرة بن زايد: ملامح المصطلح السيميائي في التراث العربي، مجلة امتياز بان دي ديكان دان باهاسا عرب، إيابانكولو أندونسيا، مج 1، ع 4؛ س 2020، ص 76

3.5.1. ابن قيم الجوزية (691هـ-751هـ)*:

تكلم ابن قيم الجوزية عن موضوع العلامة فقال: «اللفظ المؤلف من همزة الوصل و السين والميم، عبارة عن اللفظ المؤلف من الزاي والياء والدال مثلاً، واللفظ المؤلف من الزاي والياء و الدال عبارة عن الشخص الموجود في الأعيان والأذهان، وهو المسمى والمعنى، واللفظ الدال عليه الذي هو الزاي والياء والدال هو الاسم، وهذا اللفظ أيضاً قد صار مسمى، من حيث كان لفظ الهمزة والسن والميم، عبارة عنه، فقد بان لك أنّ الاسم في أصل الوضع ليس هو المسمى، ولهذا تقول: سميت هذا الشخص بهذا الاسم، كما تقول: حليته بهذه الحلية، والحلية غير المحلى، فكذلك الاسم غير المسمى»¹.

أكد عبد النعيم بوفاتح في إحدى دراساته أنّ ابن قيم الجوزية قام بتبيان العلاقة بين الدال والمدلول، « فذكر أنّ الاسم غير المسمى هو الدال غير المدلول، وقال بأنّ لفظ زيد، وهو الدال له لفظ يدلّ عليه وهو كلمة اسم، ثمّ قال بأنّ الدال زيد، له مدلوله، وهو الشخص الموجود في الأعيان والأذهان ، وهو المسمى والمعنى، فلفظ زيد هو الصورة الصوتية للدليل، والشخص المسمى والمقصود بهذا اللفظ هو مدلوله، وأمّا الدليل فهو ما أطلق عليه ابن القيم هنا: الاسم أو الحلية وهو الجامع بين الدال والمدلول، فزيد هو الدال (الصورة الصوتية)، والشخص المسمى هو المدلول، والاسم أو الحلية هو الدليل»².

*هو مُحَمَّد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز الزرعي الدمشقيّ، الملقّب بابن قيم الجوزيّة، وُلِد ابن القيم في عام 691هـ/1292م، فقيه ومحدّث ومفسّر وعالم مسلم مجتهد وواحد من أبرز أئمّة المذهب الحنبلي في النصف الأول من القرن الثامن الهجري، عاش صغره في مدينة دمشق، توجه لطلب العلم في سن مبكرة، فأخذ عن عدد كبير من الشيوخ في مختلف العلوم منها التفسير والحديث والفقه واللغة، كان ابن تيمية أحد أبرز شيوخه، الذي لازمه ما يقارب سبعة عشر سنة، كان أبوه قيماً على المدرسة الجوزية الحنبلية، تولى ابن قيم الجوزية الإمامة في "المدرسة الجوزية"، والتدريس في "المدرسة الصدرية" في سنة 743هـ. من أبرز تلاميذه الحافظ بن رجب الحنبلي الذي اشتهر بحفظه وروايته لحديث رسول الله، تعرّض رحمه الله تعالى للعديد من الابتلاءات والميخن من أبرزها السجن الذي قضى جزءاً من حياته فيه؛ بسبب بعض الفتاوى، سجن مع شيخه ابن تيمية في سجن القلعة، لكن في حجرة أخرى، أخرج من السجن عقب وفاة شيخه ابن تيمية بالسجن، اشتهر بمؤلفاته في العقيدة والفقه والتفسير والتزكية والنحو بالإضافة إلى القصائد الشعرية، نذكر منها: الروح، الداء والدواء، التبيان في أقسام القرآن، القضاء والقدر، حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، بدائع الفوائد، مدارج السالكين، توفي رحمه الله تعالى في ليلة الخميس الموافقة للثالث عشر من رجب سنة 751هـ/1350م.

¹ ابن قيم الجوزية: بدائع الفوائد، تح: علي بن محمد عمران، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، الرياض، (د ط)، 2013، ص 28، 29.

² عبد النعيم بوفاتح: المباحث الدلالية عند علماء الأصول في ضوء الدراسات الحديثة ابن القيم نموذجاً، مجلة الأثر، مج 5، ع 5، ص 5، 2006، ص 54.

فلاسم والحلية ← العلامة والدليل

الاسم والتحلية ← هو التعبير عن الدال

المسمى ← هو التعبير عن المعلم والمدلول

اعتنى علماء الأصول بعلم الدلالة عناية بالغة بوحدة النصّ من خلال مستويين هما: المستوى اللفظي والمستوى الدلالي، وذلك من أجل قراءة النصّ الشرعي بما يقتضيه أعلى درجة اليقين والمصدقية، ولم يكن هذا ممكنا من دون معيار دلالي قادر على تأويل النصّ، وفق ما تملّيه العلامات الدالة المفعمّة بالإحاطة والشمول، والمنظر لها تنظيرا واعيا، كلّ هذا يبرّر لنا اعتماد منظور علم الأصول ومباحثه منطلقا لدراسة القرآن، من أجل معرفة برهان الغاية، فلا معنى للدلالة إن كانت الغاية مفقودة، كما أنّ أوثق طريق يسلكه المفسّر للنصّ نحو وجود العلامة المجازية هو معرفة الضبط الدلالي¹.

وعليه فالنظام العلاماتي عند العرب قديم قدم اللغة العربيّة العظمى، فالفكر السيميائي العربي كان معظمه عبارة عن ممارسات يومية، تقوم على الحدس الصادق والملاحظات الدقيقة.

وأبرز معارف العرب السيميائية: القيافة والفراسة والتسمية والريافة*، وعلم السحر، وأسرار الحروف، وعلم الطلاسم، وبعد مجيء الإسلام اهتمّ العرب بعلم الدلالة المناسب لعلم العلامات، الذي كان يتناول اللفظة وأثرها النفسي، وهو ما يسمّى بالصورة الذهنيّة والعالم الخارجي)، في الفلسفة والمنطق والأصول والتفسير و التقد والبلاغة، فالعرب هم أوّل من توصل إلى مصطلح السيمياء، لأنّ أبا العرب هو «سام بن نوح عليه

¹ ينظر: شيخة علي الحبابي: العلامة في التراث البلاغي في القرنين الرابع والخامس الهجريين في ضوء الدراسات السيميائية الحديثة، أطروحة ماجستير، (منشورة)، كلية الآداب والعلوم، جامعة قطر، جوان 2020، ص 43، 44.

* القيافة ضرب من الفراسة، كالدليل الذي كان يقتفي أثر السير، أمّا الفراسة فهي المهارة في التعرّف على خفايا الظواهر كفراسة الصحابة رضوان الله عليهم، فالفراسة والقيافة من العلامات السيميوطيقة لأنّها علم لا يختصّ به سائر الناس، أي لا يدركه كلّ البشر، في حين أنّ التسمية تشكّل نظاما سيميائيا لا يمكن دراسته بمعزل عن البعد الاجتماعي والنفسي، فالعرب كانت تسمّي أبناءها تيمنا بالخطّ الجيد، فحين يسمّي العربي ابنه بالأسد والليث والكلب والضبّ، لم يكن يقصد الدلالة المادية، بل كان ينظر إلى جوهر مدلول الدال أو الرامز في داخله إلى الرعب والقوة والبطش، بينما الريافة فهي استخراج الماء من باطن الأرض بواسطة بعض الأمارات الدالة على وجوده.

السلام، وعليه يكون الأصل الأول للفظة السيمياء عربيا علاوة على وجود جذورها وأصولها في المعاجم العربية القديمة التأسيسية ناهيك عن ورودها في القرآن الكريم»¹.

في تساؤلنا عن فكرة مفادها من السِّبَاقين إلى هذا العلم؟ فإننا نميل إلى العرب، لأنهم أول من ابتكر العلوم في مختلف المجالات، فما بالنا بعلم العلامات الذي كان عبارة عن ممارسة يومية في حياتهم، فالعرب حينما كانت تسمي أبناءها بأسامي الأسود والليوث، كانت ترمز لأشياء مقصودة، فالاسم عبارة عن دالّ أو رمز، والدليل عليه (الأمر الخارجي)، أي الصفة التي تعرف بها الأسماء.

أما الصورة الذهنية فهي التي يدركها العدو مباشرة بعد سماعه هذا المدلول (الأسد أو الليث)، الذي يلقي في قلبه الدّعر، وهذا ما يدخل في إطار السيميوطيقة التي اكتشفها الغرب لاحقا، كما كانوا يهتدون أثناء سيرهم في فيافي الصّحراء، بالنّجوم التي يرونها بعد ما يسقط الظلام في الليل، كما كانوا يربّون أبناءهم في البوادي ليكتسبوا قوّة في الجسم والعلم والفصاحة، وهذه من العلامات التي كانوا يميّزون بها بين أطفال البوادي وأطفال المدن، ومحمد صلى الله عليه وسلم، خير مثال على ذلك فقد تربّى في بادية بني ساعدة، ومن ممارساتهم أيضا، أنّهم كانوا يفرّقون بين الكريم والبخيل مباشرة بعد وقوفهم على خيمته، فإذا رأوا رماد النّار، أدركوا أنّه رجل كريم، كما كانوا أهل فراسة في معرفة الرّجال.

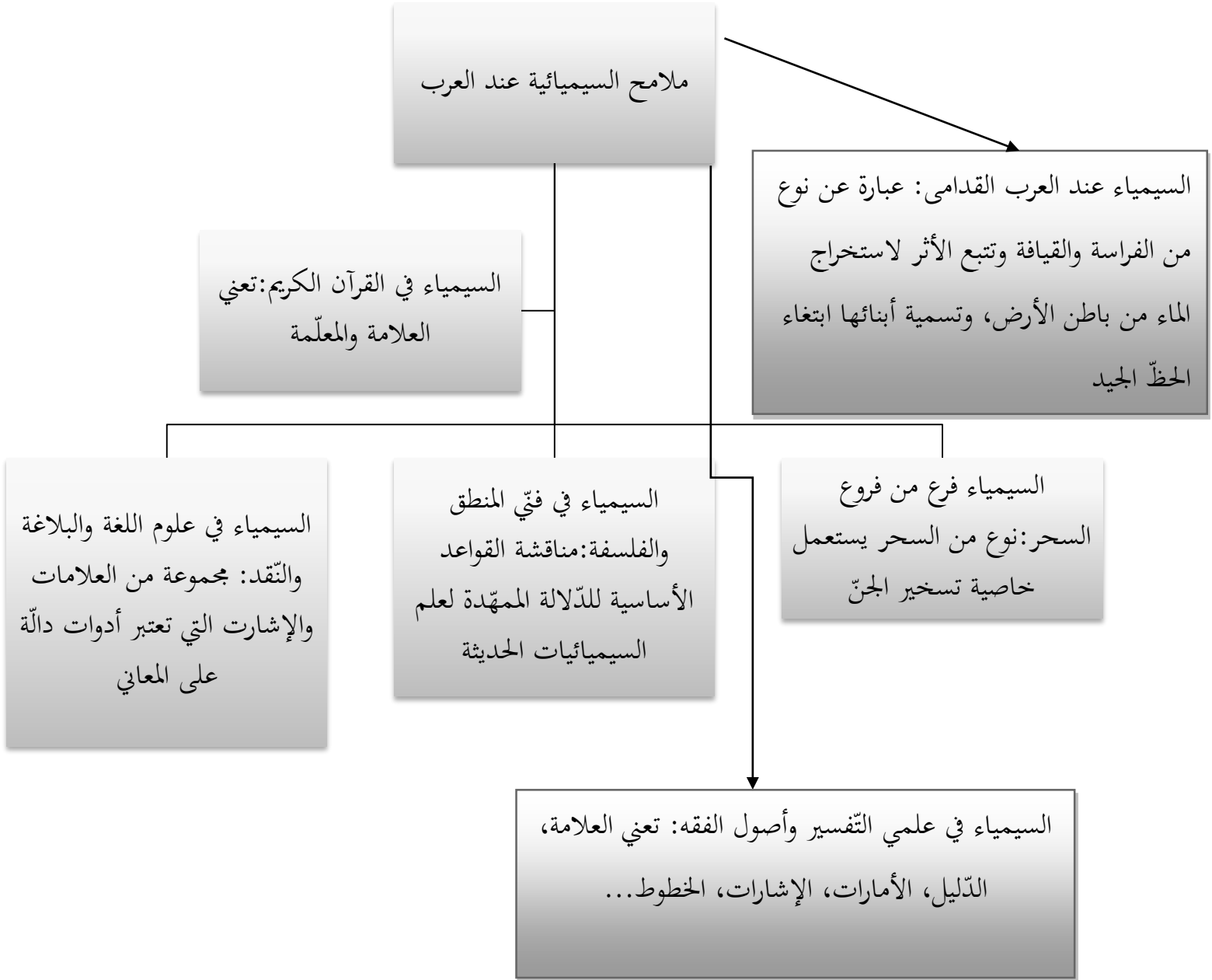
4.5.1. مخطّط توضيحي يبين ملامح السيميائية في التراث العربي الإسلامي:

يتناول المخطّط ملامح المنهج السيميائي في التراث العربي الإسلامي، والذي قسّمناه على المنوال

التالي:

- في العصر الجاهلي كانت السيمياء عبارة عن نوع من الفراسة التي كانت يستعين بها العربي لاستخراج الماء والمواد الثمينة من باطن الأرض، وهناك من كان يعتبرها نوع من أنواع السحر.
- في القرآن الكريم وردت بمعنى العلامة والمعلمة
- في علمي المنطق والفلسفة كانت كمقدّمات لعلم الدلالة
- في علوم اللغة والبلاغة والنقد عبارة عن إشارات ممهّدة لعلم المعاني
- في علوم التفسير والفقه وأصوله يقصد بها الأمارات والدلائل والعلامات

¹حمدية زدام: الطّواهر السيميائية في النص الأدبي العباسي بين الأصالة والحداثة، أطروحة دكتوراه (منشورة)، جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان، 2013/2012، ص 32 .



2. السيمائيات في المدرسة الغربية:

تمهيد:

يبدو أنّ تاريخ السيمائيات قد ارتبط بتاريخ تأويل العلامة ، ولعلّ المحاولة الأولى التي تجسّمت عناء البحث و المدارس في هذا المجال ، قديمة قدم التفكير في الظاهرة اللغوية عبر كافة مستوياتها المعجمية والتركيبية ، والفلسفية والمنطقية على السواء، ولما كان التأويل مجالا تتقاطع فيه جلّ المسالك المعرفية ، أضحت من الصعوبة بمكان إدراك الدّارس لمساحة التأويل وحدوده الإجرائية وصفا وتاريخا، «وإذا كانت نشأة هذا العلم قد شهدت ولادة مزدوجة ومتزامنة في إطارها الجغرافي في أمريكا، وأروبا من وجهة، ونهلت من مرجعيتين مختلفتين، منطقية ولسانية من وجهة أخرى مع تشارلز سندر بيرس 1914م، و فرديناند دو سوسير 1913م، فإنّ الارهاصات الأولى لانبثاق هذه المعرفة ترتدّ إلى عصور غابرة ، وإلى ثقافات الأمم التليدة مثل الهنود والإغريق والمسلمين والعرب القدامى»¹.

يعدّ أفلاطون وتلميذه أرسطو طاليس من الفلاسفة الباكرين الذين تناولوا هذا النوع من العلوم، «فكانت العلامة موضوع حوار فلسفي لدى الشكّيين والأبيقوريين والرواقيين، الذين قالوا بالمدال المدلول ، وتلا ذلك المناقشات الأفلاطونية المحدثّة للعلامة ، ومنهم أفلاطون (205هـ- 275هـ)، ومن ثمّ القديس أوغسطين (354م، 430م)، الذي طوّر نظريّة بسيطة في العلامات العرفية ، وتبعه وليام الأوكامي (1288م-1348م)، الذي نظّر في العلامات الدّهنية ، وجهود جون بوانسو (1589م-1644م)، ومساهمة جون لوك (1632م-1704م) التأسيسية الذي عدّ البحث في الدّلالة ، أساسا جديدا للمنطق الحديث»².

يعتبر جون لوك «أول من استعمل مصطلح (sémiotique) وعدّه أحد العلوم في شجرته للعلوم بأعضائها الأربعة التي صنّفها في كتابه (مقال في الفهم البشري)، سنة 1690، وخصّ

¹ هوارى بلقندوز: المعطى التداولي لنظرية العلامة في السيمائيات الأمريكية ، المنطلقات والحدود ، الملتقى الدولي الخامس ، السيمياء والنصّ الأدبي ، قسم الآداب واللغة العربية، جامعة محمد خيضر بسكرة (الجزائر)، أيام 15/16/17 نوفمبر 2008 ص 365، 366.

² رسول محمد رسول : فلسفة العلامة (من جون سانت إلى جيل دولور)، مطابع دار الشؤون الثقافية العامّة، بغداد، ط1؛ 2015، ص10

العلم الزّابع؛ بتعرف حقلّي حيث عزّفه بأنّه : «العلم الذي يدرس طبيعة العلامات ، التي يستعملها العقل لفهم الأشياء وتوصيل المعنى للآخرين ، وصولاً إلى تشارلز بيرس، الذي قعد المعرفة السيمائية على أسس فلسفية نذر حياته لها من خلال المنطق؛ الذي عدّه في معناه العام علم الفكر الذي نجسده العلامات بوصفه سيمياء عامّة»¹.

جون لوك من السّباقيين الذين تحدّثوا عن السيمائية من خلال تصوراته الفلسفية حول اشكالية اللّغة ، لينخرط بعدها في الاشكاليات السيمائية مراهنًا على مبدأ العمومية ، الذي اعتبره شرطاً أساسياً للتواصل الذي يضمن اجتماع الكائنات الإنسانيّة².

تعتبر السيمياء جزء من العلوم المعيارية الثلاثة :

- مبادئ المنطق: التي لا تحتاج إلى براهين، فهي مسلّمات بخلاف المسائل
- فنّ الأخلاق: التفريق بين الخير والشرّ بالفطرة فقط، دون البحث عنها
- فلسفة الجمال: والذي يدرك عن طريق الحواس.

وهناك أيضاً فلاسفة آخريّن اهتمّوا بالقراءة الفلسفية للعلامات منذ بداية القرن العشرين، حيث درسوا العلاقة بين التّعبير والدّلالة في إطار المنطق الفينومينولوجي نذكر منهم :

- الفيلسوف الألمانيّ صاحب المنطق الصوري "إيدموند هوسرل" (1859م-1938م)
- الفيلسوف الألمانيّ مؤسس علم الظّاهريات "مارتن هيدغر" (1889م-1976م)
- الفيلسوف الفرنسي جيل دولور المهتمّ (1926م-1995م)
- الفيلسوف الفرنسي مؤسس المنهج التّفكيكي جاك ديريدا (1930م-2004م)³.

ظهر فلسفة في القرن الثامن عشر اهتمّوا بهذا الفنّ نذكر منهم الفيلسوف الألمانيّ ليينتز (Leibniz) الذي وضع تطورات سيمائية ناضجة ، تطلّ المقتضيات الأخلاقية والوجودية والإيسيتيمولوجية ؛ والذي رسم في كتابه (فنّ التّركيب) ، مشروعاً ضخماً لتأسيس المنطق الرّمزي الحديث ، وقد كان يروي أنّ لكلّ العلوم أصولاً جوهرية ، مشتركة ، وأنّه بالإمكان الوصول إلى

¹ رسول محمّد رسول: فلسفة العلامة (من جون سات إلى جيل دولور)، ص11.

² ينظر: أحمد يوسف: الدلالات المفتوحة-؛ مقارنة في فلسفة العلامة، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1؛ 2005، ص47

³ ينظر: رسول محمد رسول: المرجع السابق، ص12

توحيد جميع فروع المعرفة من خلال تشكيل علامات تدلّ على هذه الأصول ، وذلك ما جعله مقتنعا بوجود لغة كونية ،(رياضياتية)، يمكن أن يستعملها الجميع تخضع لكتابة نمطية...وعليه يمكن توصيف سيمائيات لينتز بأثما عبارة عن التقاء مصطلحي بين التعبير و التمثيل والتواصل¹.

استعرض أمبرتو إيكو (Umberto Eco) الفترات الزمنية لهذا العلم ، يمكن تلخيصها فيما يلي :

1.2. المرحلة الأولى: مرحلة العصور القديمة:

يحملنا الحديث عن الكلمات مع أفلاطون ومع أرسطو إلى الفصل بين الدال والمدلول، وبالخصوص بين مدلول الكلمة، والمرجع ، كما أنّ الحروف التي تكتب هي دالّة (رموز) على هذه الألفاظ، أي أنّ الألفاظ والحروف تنشأ عن طريق التواضع ،ويقول هنا مرّة أخرى إنّها تصبح دالّة ،وبهذا فهي مختلفة عن الأصوات التي تصدرها الحيوانات لكشف تفاعلاتها الباطنية ، كالأنين بالنسبة للمصابين ، ويبدووا إذن جليّا أنّه عندما يريد أرسطو أن يعرف بالأسماء يستعمل لفظ (رمز)،وعليّنا أن لفظ (رمز) أقلّ قوة بكثير وأقلّ دقّة من (علامة)،وفي جميع تقاليد ذلك العصر كان يعني (علامة تعرف) ،بعبارة قصيرة (قطعة بديلة)².

يقول أرسطو في كتابه (العبارة) : «إنّ الألفاظ التي ينطق بها هي دالّة أوّلا على المعاني التي في النفس ،والحروف التي تكتب دالّة أوّلا على هذه الألفاظ ،وكما أنّ الحروف المكتوبة أعني الخطّ، ليس هو واحدا بعينه لجميع الأمم ، كذلك الألفاظ التي يعبر بها عن المعاني ، ليست هي واحدة بعينها عند جميع الأمم ،ولذلك كانت دلالة هاتين بتواطؤ لا بالطبع ، وأمّا المعاني التي في النفس فهي واحدة بعينها للجميع ولكن القول في جهة دلالة المعاني التي في النفس ، على الموجودات خارج النفس ، هو من خير هذا العلم»³.

¹ ينظر: عبد الواحد المرابط: السيمياء العامة و سيمياء الأدب(من أجل تصور شامل)، دار هومة ، الجزائر ، ط1، د)، ص:30.

² ينظر: أمبرتو إيكو : السيمائية وفلسفة اللّغة ، تر: أحمد الصمعي ، المنظمة العربية للترجمة ، بيروت ، ط1، 2005، ص:71، 72.

³ أبو الوليد بن رشد: تلخيص كتاب أرسطو طاليس في العبارة ، تح: محمد سليم سالم ، مطبعة دار الكتب ، مصر (دط)، 1978، ص12، 13، 14.

يؤكد المؤرخون أنّ الرواقيين (العمال الأجانب في أثينا) ، هم أول من قال بأنّ «العلامة (Signe) وجهين : دالّ ومدلول (Signifiant-Signifie)، حيث يشير إلى وجود علاقة بين كلّ أنواع العلامات ، وكلّ أنواع السيمياءيات ، بحيث لا يكون الأمر قاصرا على العلامة اللغوية فقط، وإنما أيضا العلامة المنتشرة في شتى مناحي الحياة الاجتماعية، مثل : اللباس ، ونظام الأزياء ، والتي تشكّل علامات وأنظمة علامات تختلف من مجتمع إلى مجتمع ؛ كما هو الحال في آداب التحيّة في اليابان ،علامات الزواج ، نظام المطبخ ،إشارات المرور، كلّ هذا يعدّ علامات وإشارات ودلالات»¹.

ذهب "أمبرتو إيكو" للقول بأنّ الرواقيين الذين يعود أصلهم الحقيقي إلى الكنعانيين القادمين من أرض كنعان(فلسطين، لبنان ، سوريا ، الأردن)وإلى شمال إفريقيا (ليبيا، تونس ، الجزائر ، المغرب)،والذين انتقل بعضهم إلى أثينا اكتشفوا أن أصوات اللّغة وحروفها ،أي شكلها الخارجي والذي يدعي الدالّ وراءه مدلولات متماثلة مع اللّغة اليونانية ،وبالتالي فإنّ هؤلاء المهاجرين -إن صحّ التعبير- هم أول من اكتشف الفرق بين الدالّ والمدلول ،وبأنّهم أصحاب تجربة لا يملكها اليونانيون ،ألا وهي تجربة الازدواج الثقافي، والحضاري و اللّغوي من خلال ثلاث لغات : الكنعانية ، والأمازيغية واليونانية².

2.2. المرحلة الثانية: مرحلة القديس أوغسطين:

تطلّ علينا هذه المرحلة الثانية من تاريخ نظريّة العلامات الغربية بنظرية القديس الجزائري أوغسطين؛ التي تعدّ من أهمّ النظريات الناشئة عند الرومان، لأنّها نتاج توفيق مبدع بين المقولات المختلفة التي تضمّنتها نظرية العلامات الإغريقية، حيث يعرفها أوغسطين بأنّها: «ما يحمل في نفسه معنى، ما يدلّ للدّهن أيضا- خارج نفسه -على شيء ما ،فالتكلم هو إعطاء إشارة(علامة)،بواسطة صوت منطوق»³.

¹ باية سيفون: مطبوعة محاضرات في السيميولوجيا ، ، ألقيت على طلبة السنة الثالثة إعلام واتّصال، كلية العلوم الإنسانيّة والاجتماعية، قسم علوم الإعلام والاتصال ،جامعة محمد بوضياف المسيلة ،(د ط)،2015/2016،ص04 .

² ينظر: المرجع نفسه:ص5

³ أمجد محمد حسن العميدي : العلامة في الحضارات القديمة ،مجلة مركز بابل ،مج1،ع2،س2011،ص:261.

3.2. المرحلة الثالثة: مرحلة العصور الوسطى:

العصور الوسطى المسيحية «وجدت أن التفكير في العلامة قد أثر في أنماط الدلالة، دخل التفكير في العلامات في إطار الفلسفات المتأثرة بالأديان المؤمنة بالتوحيد، وبوجود كائن متعال* الله عز وجل* لا تمثل مظاهر العالم إلا تجليات له تقرأ بوصفها علامات، تؤكد وجود الله عز وجل، وترجمت أنماط الدلالة إلى لغة المنطق والنحو، ولقد ظلت اشكالية الذات والموضوع في حدود الأنماط الثابتة، التي طرحتها العصور الوسطى من أجل البرهنة على وجود الله ووجود العالم الفوقي، استنادا إلى التشابه الموجود بين عالم ما تحت فلك القمر وبين العالم الفوقي»¹.

أشهر مفكري هذه المرحلة روجير بيكون (Roger Bacon) وبيتر أيلارد (Peter Abelard)، تميّزت هذه المرحلة بفترة التأمل في اللغة والعلامات، كما أن "بيتر أيلارد" كان «متأثراً بأفلاطون وأرسطو، كما كان أستاذاً ممتازاً أثر في كل من تتلمذ على يديه، وهو أول من عمل على إقامة جامعة باريس، لهذا ليس من الغريب أن يسمّى أيلارد المبشّر بنزعة التنوير في العصر الحديث»².

اهتمّ الفلاسفة الأوروبيون بمفهوم العلامة «فذهبوا إلى تطبيق مفاهيم علم الدلالة على مواضيع تخرج حدود الفلسفة مثل البلاغة في دراستها للمجاز، فكان ماركس أول من فسّر كيفية التكوين الترواقي في الدلالة، مستندا إلى مفهوم هيجل للجدل، مكتشفا فيها الحركة والتناقض والجدل، مما سمح له ولماركس من بعده أن يطرح قضية توليد المعنى بوصفه حركة جدلية بين الذات المفكرة وموضوع الفكر، فتولدت فكرة الممارسة من التناقض، ونبع الجدل من الفكرة المثالية، التي عبّر عنها هيجل، فوجد مفهوم الممارسة محوره بين المادة واللغة»³.

4.2. المرحلة الرابعة: مرحلة النهضة الأوروبية:

¹ سيزا قاسم، نصر حامد أبو زيد: أنظمة العلامات في اللغة والأدب والثقافة، دار العالم العربي، (القاهرة)، (د ط)، 1986، ص50، 51.

² عبد الرحمن بدوي: فلسفة العصور الوسطى، دار القلم بيروت، (لبنان)، ط3؛ 1979، ص83، 84.

³ سيزا قاسم، نصر حامد أبو زيد: المرجع السابق، ص52.

يعتبر جون لوك أول من كان له فضل سبق في ميلاد السيمائيات تصوّرا ومفهوما؛ فهو أول من شكّك في دعاوي المعاني الفطرية، لافتقارها إلى العمومية والثبات والكلية، وسلّم بالرأي الشائع الدّائع لدى بعض علماء التّربية من أنّ الطّفل يولد صفحة بيضاء لم يكتب عليها شئ ، وستقوم التجربة بوضع العلامات الأولى عليها، بيد أنّ لوك هو من ابتدع الميتافيزيقيا مثلما ابتدع نيوتن الفيزيقيا(علم الطبيعة)، وعليه بدأ الصّراع بين الطّبيعة والدّهن يتجلّى في الصّراع بين الميتافيزيقيا(ما وراء الطبيعة) والفيزيقيا¹.

أبرز مفكّري هذه المرحلة «(جون لوك) التي تشكّلت فيها نظريّة العلامات والإشارات خلال القرن 19، حيث ظهر في هذه المرحلة مصطلح سيميوطيقا(Sémiotiques) عند المفكّر (جون لوك) وهو علم يهتم بالطّبيعة الخاصّة بالدلائل التي يستعملها العقل البشري أثناء العملية الإدراكية»².

5.2. المرحلة الخامسة: مرحلة العصر الحديث:

يتفق جلّ الباحثين على أنّها المرحلة الحاسمة في التّحديد العلمي للسيمولوجيا، وهي مرتبطة ارتباطا وثيقا بالنموذج اللساني البنيوي ، الذي أرسى دعائمه وأسّسه العالم السويسري، فردينا ند دو سوسير في فرنسا وكذا على يد الفيلسوف الأمريكي بيرس في امريكا، لكن على الرّغم من ظهورهما في مرحلة زمنيّة متقاربة، فإنّ بحث كلّ منها مستقلّ بنفسه، فالأول سمّاه السيميولوجيا (Sémiologie)، وأكد أنّه يهتم بدراسة الدلائل او العلامات في قلب الحياة الاجتماعية، وقد تزامن هذا التّبشير مع مجهودات تشارلز سندرز بيرس، الذي نحى منحنا فلسفيا منطقيا رياضيا ، وأطلق على هذا العلم الذي كان يهتمّ به بالسيميوطيقا (Sémiotique) وبعدّ هذا العلم في نظره إطارا مرجعيا يشمل كلّ الدّراسات³.

¹ ينظر: أحمد يوسف: السيمائيات الواصفة، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1؛ 2005، ص: 46، 47، 48.

² محمد خافاني، رضا عامر: المنهج السيميائي آلية مقارنة الخطاب الشعري الحديث وإشكالياته ، مجلة دراسات في اللغة العربية و آدابها، مج2، ع2، س2010، ص: 46.

³ ينظر: عبيدة صبطي، نجيب بخوش: مدخل إلى السيميولوجيا ، دار الخلدونية للنشر والتوزيع ، القبة ، (الجزائر)، ط1؛ 2009، ص: 11، 12.

وضع "دوسوسير" مصطلح سيميولوجيا (Sémiologie)، في مخطوطة كتبها في عام 1894م، وجاء في مقرر الألسنية العامّة (Général linguistiques) لـ "دي سوسير" الذي نشر في العام 1916، بعد موته الآتي: «من الممكن... ابتكار علم يدرس دور الإشارات كجزء من الحياة الاجتماعية، ويكون جزءا من علم النفس الاجتماعي، وبذلك من علم النفس العام ونرى تسمية السيميولوجيا، من الكلمة اليونانية (Sémion)، أي إشارة، وهو يدرس طبيعة الإشارات والقوانين التي تحكمها، وبما أنّ هذا العلم لا يوجد بعد، لا يمكن الجزم بأنّه سيوجد، لكن يجوز له أن يوجد، يوجد له سلفا بمكان، وما الألسنية إلاّ فرع من فروع هذا العلم العام...، فالسيميولوجيا عند سوسير علم يدرس دور الإشارات كجزء من الحياة الاجتماعية»¹.

أمّا الفيلسوف الأمريكي "بيرس" يسميها السيميوطيقا ويصفها بالدستور الشكلياني للإشارات، استعار بيرس مصطلحاته من جون لوك وكتب الآتي: «إنّ المنطق بالمعنى الواسع للكلمة... تسمية أخرى للسيمياء (Semeiotike)، الدستور شبه الضروري والشكلياني للإشارات، وعندما أصف الدستور بأنّه شبه ضروري أو شكلياني؛ أعني أنّنا نطلّع على سمات الإشارة أثناء اكتساب المعرفة»².

بناء على هذا النحو نجد أنّ للسيميولوجيا أو السيميوطيقا تفاعلات كثيرة، مع معارف وحقول أخرى داخل المنظومة الفكرية والعلمية والمنهجية، فلقد ارتبط هذا العلم في نشأته بالفلسفة واللسانيات و علم النفس والاجتماع والمنطق والظاهراتية (تجارب حدسية يعتمد عليها الإنسان لمعرفة الأشياء)، علاوة على ارتباطها بدراسة الأنثروبولوجيا (علم الإنسان) كتحليل الأساطير والأنساق الثقافية غير اللفظية، كما ترتبط منهجيا بدراسة الأدب (الشعرية والنحو والبلاغة)، والفنون اللفظية والبصريّة كالموسيقى والفنون التشكيلية، والمسرح والسينما³.

من خلال ما سبق نستنتج النقاط التالية:

- السيميائية جزء من العلوم الطبية القديمة، حيث كان القدامى يدرسون العلامة الدالة المسببة للمرض.

¹دانيال تشاندلر: أسس السيميائية، تر: طلال وهبة، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، (لبنان)، ط1؛ 2008، ص29، 30

²المرجع نفسه: ص30

³ينظر: عبدة صبطي، نجيب بخوش: المرجع السابق، ص13

- أفلاطون وأرسطو من الأوائل الذين أبدعوا وتحدثوا في الألفاظ والمعاني والرموز.
- كان علم السيمياءات في القديم محلّ جدل بين الدال والمدلول والمرجع
- كان العرب يدركون هذا الفن ، مثلهم في ذلك الرواقيين الذين أتوا من كنعان وفينيقيا، وكانوا يميّزون بين الدال والمدلول، فهم سبقوا المدرسة الغربية في التفرقة بين الدال و المدلول و ذلك بفضل لغاتهم الثلاث التي كانوا يتقنونها متمثلة في : اليونانية ، الأمازيغية والكنعانية.
- يعود الفضل لاستقلالية السيمياءية كعلم مستقل بذاته ، يندرج ضمن الفروع الفلسفية، إلى جون لوك.
- يعود الفضل للتأسيس العلمي لهذا الفنّ إلى اللساني السويسري دي سيسير والمنطقي الأمريكي "بيرس".
- لقد قام دي سوسير بتسمية هذا الفنّ بعلم السيميولوجيا ، الذي يدرس العلامات داخل حياة المجتمع ، أمّا بيرس فأعطاه اسم السيميوطيقا المطابقة لعلم المنطق ، والتي تدرس العلامات في الفكر الإنساني.
- أصبحت السيمياءات علما قائما بذاته مستقلا عن الفنون الأخرى خاصة اللسانيات.
- السيمياءات من المناهج التقديرية التي استطاعت أن تتجاوز مع مجموعة من العلوم على غرار الطبّ، علم المعمار، السينما، المسرح، الإعلام الآلي.
- ما يميز المنهج السيميائي أنّه يستمدّ مبادئه من علوم كثيرة أبرزها: اللسانيات، الفلسفة، علم الإنسان، علم النفس، علم الاجتماع، الفلسفة ومبادئ المنطق.
- حقول السيمياءات كثيرة أبرزها: الأدب السينما، المسرح، الموسيقى، الاقتصاد، عالم الأزياء، علم الاجتماع، الثقافة.
- مرجعيات وخلفيات العالمين مختلفة كثيرا، فاللساني "دوسوسير" يجعل من ثنائية الدال والمدلول مكونين أساسيين لمفهوم العلامة، ويؤكد على أنّ اللّغة جزء من العلامات، في حين أنّ المنطقي الأمريكي "بيرس" جعل العلامة شديدة الشعب، وصنّفها إلى ما يقارب السبعين نوعا.
- العلامة عند "دوسوسير" تتألف من ثنائية الدال والمدلول، أمّا الأمريكي شارل سندررس بيرس، فقد أضاق ثنائية أخرى تتمثّل في المرجع الذي يشار إليه في عالم الموجودات، وكذا الطريق الذي يوصل إلى الدال.

3. المدارس السيمائية واتجاهاتها:

استمدت السيمائيات أصولها من اللسانيات، وتفرّعت باعتبارها منهجا للتّحليل إلى مدارس واتجاهات يمكن تشخيصها على الشكل الآتي:

1.3. الاتجاه الفرنسي: ويتفرّع بدوره إلى اتجاهات ومدارس:

1.1.3. المدرسة السويسرية:

البداية الحقيقية للسيمائية كانت مع العالم اللساني دوسوسير، الذي حدّد لها مكانة كبرى؛ إذ جعلها تشتمل في طياتها على اللسانيات، وعدّها علما للعلامات يدرس حياة الدلائل داخل الحياة الاجتماعية والطّبيعية كذلك، و الأنساق القائمة على اعتبارية الدليل الذي يعتبره محايدا يقصي الذات والإيديولوجيا؛ ويتّسم بالتّجريد، علاوة على ذلك فإنّ السيمولوجيا عند سوسير موضوعين رئيسيين:

- الدلائل الاعتبارية *
- الدلائل الطّبيعية **

العلامة عند دوسوسير «قائمة على الدال والمدلول؛ مع استقصاء المرجع، والعلاقة الموجودة بينهما اعتبارية، وهكذا... أغفل بعض المؤشّرات الضرورية في التّدليل كالرمز والإشارة والأيقونة، ومع ذلك فقد استفادت من هذه الثنائية المقاربات السيميوطيقية في تحليل النصّ لما حاولت التركيز على شكلنة المضمون، وإبعاد الواقع أو المرجع بمحاولاته المختلفة، كما أثرى المقاربة السيمولوجية بكثير من المصطلحات والتّصورات والمفاهيم اللسانية، ذات الفعالية الكبيرة في

* الدلالة الاعتبارية: ما تعارف عليه النّاس وتواضعوا عليه، مثل: (ضرب) لو تعارف النّاس من قبل على لفظ (ربض) لكان الفهم للجميع بنفس المعنى، فالعلاقة بين الدال والمدلول في هذه اللحظة لا تتعلّل بالعقل، كما أنّ اختلاف اللّغات يبرهن اعتبارية الدلالات مثل: كلمة (رجل) بالعربية تختلف عن كلمة (م ا ن) بالانجليزية.

** الدلالة الطّبيعية: العلاقة بين الدال والمدلول تخضع لطبيعة وفطرة كل ما يدبّ على وجه الأرض مثل: (أح أح) يدلّ على أنين المريض.

الإجراء وفكّ مغالق النَّصوص، وهو الشيء الذي أهله ليكون رجل عصره، وممّا ساعده في ذلك اهتمامه الكبير باللّسانيات البنيوية التي وظّفها في مختلف دراساته التي تناولها تنظيراً وتطبيقاً¹.

2.1.3. سيمياء التّواصل :

انطلاقاً من المرجعية السوسيرية، فقد تولّد اتجاه سيميائي تواصللي يدرس العلامات انطلاقاً من معيار أساسي هو الوظيفة التواصلية، ولا يدخل في دائرة اهتمامه العلامات التي لا تستعمل في التّواصل، فالتّواصل مشروط بالمقصديّة وإرادة المرسل التّبليغ والتّأثير في المرسل إليه، كما تركّزت جهودهم في معظمها على تصنيف أنساق العلامات التي ينبغي أن تشكّل موضوع الدّراسة².

فالتّواصل السيميائي يقسّم إلى تواصل لساني، وتواصل غير لساني:

أ. التّواصل اللّساني: يتمثّل في الطريقة المعروفة في عملية التّواصل التي تحدث بين البضّر بواسطة الكلام .

ب. التّواصل غير اللّساني: وهو الذي تستخدم فيه لغات غير اللّغات المعتادة³.

يعتمد التّواصل غير اللساني على ثلاث معايير تتمثّل فيما يلي:

- معيار الإشارية النّسقيّة: «حين تكون العلامات ثابتة ودائمة كعلامات السير والأشكال الهندسية
- معيار الإشارية اللّانّسقيّة: حين تكون العلامات غير ثابتة، وغير دائمة كالمصقّات الدّعائية المختلفة، التي تجلب انتباه المستهلك.
- معيار الإشارية العادية: كالشّعارات الصّغيرة التي ترسم عليها مثلاً مظلة، ثمّ تعلق على واجهات المتاجر، دليلاً على ما يوجد فيها من بضائع»⁴.

¹ لخصر العرابي: المرجع السابق، ص 98، 99

² ينظر: سامية طاهرية : التّفكير السيميائي عند عبد الملك مرتاض؛ مقارنة وصفية، أطروحة ماجستير، (غير منشورة)، جامعة أدرار، 2014/2015، ص 32

³ ينظر: لخصر العرابي: المرجع السابق، ص: 100

⁴ المرجع نفسه: ص 101

هذا وتهدف سيميولوجيا التّواصل عبر علاماتها وأماراتها وإشاراتهما إلى الإبلاغ والتّأثير على الغير عن وعي أو غير وعي؛ وبتعبير آخر تستعمل السيميولوجيا مجموعة من الوسائل اللّغويّة وغير اللّغويّة، لتنبه الآخر والتّأثير عليه عن طريق ارسال رسالة وتبليغها إيّاه، ومن هنا فالعلامة تتكوّن من ثلاثة عناصر: الدّال والمدلول والوظيفة القصدية، فالدليل مجرد أداة تواصلية تؤدّي وظيفة التّبليغ وتحمل قصدا تواسليا، وهذا القصد التّواصلية حاضر في الأنساق اللّغوية وغير اللّغوية¹.

تنقسم الأمارات (L'indication) إلى ثلاثة أقسام:

أ. «الأمارات العفوية»: مثل: لون السّماء الذي يشير بالنّسبة لصيّد السمك إلى حالة البحر يوم غد.

ب. الأمارات العفوية المغلوطة: كأن يستعمل متكلم ما لكنة لغوية ينتحل من خلالها شخصية أجنبية ليوهنا بأنّه غريب عن البلد.

ت. الأمارات القصدية: هي التي تهدف إلى تبليغ إرسالية مثل: علامات المرور، وتسمّى هذه الأمارات القصدية أيضا بالعلامات. «².

هذا فيما يخصّ التّواصل، أمّا محور العلامة، فإنّ الدّال الموافق للمدلول يشكّلان معا ما يسمّى بالعلامة وللعلامة أربعة أنواع:

أ. الإشارة (L'indice): جلّ الباحثين يقدّمون «مثالا واحدا حين يتعلّق الأمر بتعريف الإشارة، وذلك هو الدّخان الذي يدرك بحاسّة البصر، فإنّه ينبئ عن وجود نار لا يطالها الإدراك، إذ الكلّ يعرف أنّه لا دخان بدون نار؛ ومن الناس من يبرهن على أنّه في الإمكان تصوّر النّار والدّخان في نفس الوقت، وفي هذه الحالة لا يمكن أن يكون الدّخان

¹ ينظر: لخضر العرابي: المرجع السابق:ص102

² جميل حمداوي: سيميولوجيا التّواصل وسيميولوجيا الدّلالة، منبر حرّ للثقافة والفكر والأدب، تاريخ النّشر: 2008/02/07، تاريخ الاطّلاع: 2020/03/15 رابط الموقع: <https://www.diwanalarab.com>

إشارة، لأنّ مفهومه اختلط بمفهوم لازمه وهو النّار، ومعنى ذلك أنّ الدّخان لا يكون إشارة إلّا حيث لا تظهر النّار للعيان»¹.

ب. المؤشّر (**le signale**): هو العلامة التي هي بمثابة تزيد لا يكمل معناه في الفعل المعنوي، إلّا انطلاقاً من اللّحظة التي يلتقطه فيها عمرو، وبالطّريقة التي تتمّ بها إقامة العلاقة بين وجه العلامة المتصوّر وبين مدلوله.

ت. الأيقون (**l'icône**): الأيقون بالمعنى السيميولوجي، مستعار من الكلمة الإنجليزية (Icon)، وحاضر في التّصوّر الفرنسي فكلّ المشتقّات جميعاً لها ارتباط بالصّورة: تارة تدلّ على صورة مقدّسة، وأخرى على عمل فنيّ يدرس حسب الموضوع أو الموضوعية (Thème)².

ث. التّصميم المصغّر والخطّاطة (**La maquette et Le schémas**): «يجعل بيرس الرّسم البياني علامة أيقونية، لأنّ هذا الرّسم البياني يحيل على المميّزات الخاصّة بالشيء، فالمدرّك بالبصر هو ما جرت العادة باعتباره، وخير مثال على ذلك كلّ ما يرى بالعين المجردة مثل: التّلفزة والسّينما»³.

ج. الرّمز (**Le symbole**): ويسمّى أيضاً بعلامة العلامة، أي العلامة التي تنتج قصد النيابة عن علامة أخرى مرادفة لها، ومنها يصبح الرّمز دالاً على شيء، ليس له وجه أيقوني كالخوف، والفرح، فمن بين أنواع الرّمز كلّ الشّعارات والصّفات، والشّارات، فيقال: إنّ السّلحفاة رمز للبطء، وإنّ الثّورة شعار القوّة، كما أنّ الحمامة رمز البراءة والسّلام، في حين أنّ الدّيك شعار للحذر، أمّا بالنّسبة للصّفّة فإنّ المنجل صفة لسريس إلهة الحصاد⁴.

تكوّن العلامة من ثلاث وحدات وهي «الدّال والمدلول والقصد، وهم يركّزون في أبحاثهم على الوظيفة التّواصلية أو الاتّصالية، ولا تختص هذه الوظيفة بالرّسالة اللّسانية، وإنّما توجد أيضاً في البنيات السيميائية التي تشكّلها الحقول غير اللّسانية، غير أنّ هذا التّواصل مشروط بالقصدية،

¹ محمد السّرعيني: محاضرات في السيميولوجيا، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدّار البيضاء، ط1؛ 1987، ص37

² ينظر: المرجع نفسه: 41، 42، 43

³ المرجع نفسه: 44

⁴ ينظر: لخضر العرابي: المرجع نفسه، ص103

وإرادة المرسل في التأثير على الغير، إذ لا يمكن للعلامة أن تكون أداة التّواصلية القصديّة، ما لم تشترط القصديّة التّواصلية الواعية»¹.

سيمياء التّواصل تقوم على المحاور الآتية:

- محور التّواصل وكلّ ما يتعلّق به من تواصل لساني لفظي وغير لساني كإشارات المرور.
- محور العلامة بشقّي أنواعها، ومكوّناتها، وهي الدال والمدلول والرسالة القصديّة.
- لا بدّ من توقّف ستّ عناصر أساسية وهي: الرسالة، والمرسل، والمرسل إليه، والقناة كظرف الرّسالة الورقيّة مثلا، والموضوع الهادف، واللّغة السّهلة المفهومة للمتلقّي لو المرسل إليه.
- خير مثال على سيمياء التّواصل المثل الشّعبي الجزائري القائل: «الحّرّ بالغمزة، والبرهوش بالدّبزة»، فمن خلال الإشارة يفهم الإنسان الحّرّ لماذا يعاتب؟، أمّا الإنسان اللّئيم فلا يفهم إلاّ بإشارة ظاهرة مثل: الضّرب، التّعزير .

3.1.3. سيميولوجيا الدّلالة:

جاء هذا الاتجاه كردّ فعل على أصحاب سيميولوجيا التّواصل، ويعتبر الرّائد الأوّل له هو (رولان بارت)* الذي أكّد أنّ السّيميولوجيا نفسها استمدّت مفاهيمها «الإجرائية من اللّسانيات التي أصابها التّفكّك، و أنّ علم الأدلّة يعالج كلّ الشّفرات التي تمتلك بعدا اجتماعيا حقيقيا، بسبب كون كلّ الأنساق الدّلالية لا يمكن لها أن تتكوّن بمعزل عن اللّغة...»².

تحدّث "رولان بارت" في كتابه (درس السيميولوجيا) عن سيمياء الدلالة فقال: «استمدّت السّيميولوجيا هذا العلم الذي يمكن أن نحده رسميا بأنّه علم الدلائل، مفاهيمها الإجرائية من

¹ عبد الله إبراهيم، سعيد الغانمي، عواد علي: معرفة الآخر (مدخل إلى المناهج التّقديّة الحديثة)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2؛ 1996، ص85، 86.

* فيلسوف فرنسي، وناقد أدبي ومنظر اجتماعي، ولد في 1913/11/12 في شربور، أصيب بمرض السلّ في صغره، حاز على شهادة الدراسات الكلاسيكية من جامعة السوربون سنة 1939، ثمّ درس بمصر، وبوخارست، ليصبح بعدها أستاذا، في السيميولوجيا سنة 1976 بجامعة كولجي دي فرانس، ساهم في تطوّر مدارس عدّة نذكر منها: البنيوية، ما بعد البنيوية، الوجودية وعلم الدّلالة، وهو من الأعلام الكبار في التيار الفكري المسّمى بما بعد الوجودية، توفي اثر حادث سير في 1980/03/25م.

² فيصل الأحمر: معجم السيميائية، الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر، ط1؛ 2010، ص91

اللّسانيات ،... ، وخلاصة القول فإنّ صرح اللّسانيات أصبح يتفكك اليوم من شدّة الشّعب أو من شدّة الجوع ،مداً أو جزراً ،وهذا التّفويض للّسانيات هو ما أدعوه من جهتي سيميولوجيا»¹.

إنّ أهمّ ما يميّز سيمائيات الدّلالة أنّها رفضت التّمييز بين الدّليل والأمانة، وأكّدت على ضرورة التّعامل مع لغة تتأثّر بالطّبقة الاجتماعية التي تكلمها ، وصعوبة الفصل بين الدّليل والأمانة هو المشكل الذي يثيره (لويس جان كالفي)، حين يتساءل قائلاً: «هل يمكننا دائماً الفصل الواضح بين هذا وذاك؟ الطّربوش العالي chapeau والكسكيطة Casquette؛ لاشكّ أنّهما أمارتان على الحالة الاجتماعية الذي يحمل أحدهما، غير أنّ برجوازيًا يمكنه أن يختار كسكيتته بغرض توصيل شيئاً ما في لحظة ما»².

إذن تنطلق هذه السيمائيات من تصوّرات دوسوسير ،لكنّها تتجاوز القصدية التّواصلية ،مركّزة على آليات الدّلالة داخل العلامات وأنساقها السيمائية ، ينسب هذا الاتجاه بالدّرجة الأولى إلى رولان بارت ، بل هناك من يسمّيها سيميولوجيا رولان بارت ،والذي يرى أنّ الجزء الأكبر من البحث السيميولوجي يتركز على الدّلالة؛ وتتميّز سيميولوجيا بارت في كونها تتغذّى من معارف مختلفة، ثمّ تقدّم خدمات كبيرة لفنون أخرى كعلم النّفس والاجتماع والفلسفة والتاريخ وحتىّ الثقافات الشّعبيّة المختلفة ، وهذا لما لعلم الدّلالة من أثر بالغ الأهميّة في شتى المجالات .

ترتكز سيميولوجيا الدّلالة على مجموعة من العناصر الآتية، حيث تتنوّع هذه العناصر على خانات أربع كلّها مستقاة من الألسنيّة البنيويّة وهي: اللّغة والكلام، الدّال والمدلول، المركّب التّعبري والنّظام، والدّلالة الدّاتية والدّلالة الإيحائية.

أ. اللّغة والكلام والمنظور السيميولوجي:

لما نذهب للحديث عن هذين العنصرين لا بدّ من الإشارة إلى « أنّ العلامات هي مجال السيميولوجيا، تمّ وضعها بطريقة اصطلاحية انفرادية اعتبارية، لتدلّ على ما تدلّ عليه، بسبب الضغط الذي يستخرج دلالات تفرض على الأفراد توليد دوال أخرى. كما أنّ كلاً من اللّغة والكلام

¹ رولان بارت : درس السيميولوجيا ، تر: عبد السلام بن عبد العالي ،دار طوبقال للنشر ، الدّار البيضاء ، المغرب ،3؛1996،ص20،21

² فيصل الأحمر: المرجع السابق ، ص:92

عبارة عن مجموعة من القواعد يستظلّ الثاني بظّلها، فإنّها في السيميولوجيا لا يتناسبان في الحجم، حيث أنّ هناك مسافة كبيرة بين النموذج وبين إنجازها في نظام الثياب، حتّى ليكاد أن يكون لغة بدون كلام»¹.

طبّق رولان بارت هذه الثنائية على عدّة ظواهر أبرزها ظاهري الطّعام واللبّاس، حيث «لما تحدّث عن الطّعام بيّن أنّ اللغة تتكوّن من قواعد، فالطّعام نوعان (حلو/مرّ)، فقواعد التّأليف بين مواد صنع الطّعام، أمّا كلام الغذاء يتمثّل في اختيار القارئ للطّعام الذي يشتهيّه من خلال اختيار نوع الطّعام حسب لائحة مصمّمة تقدّم في المطاعم، حيث توضع هذه اللوائح حسب طبيعة المجتمع، كما تدوّن هذه اللوائح حسب رغبات النّاس، وكذلك ما يحدث للصّيغ اللسانية المركّبة التي تؤلّف في الرّسائل»².

أ. الدّال والمدلول والمنظور السيميولوجي:

ما يميّز سيمياء الدّلالة لدى (بارت) خاصّة هو «اخلاصها للنموذج السوسيري، في الإقرار بمبدأ ثنائية الدّال والمدلول في تشكيل العلامة، ثمّ التّوسّع خارج هذا التّصوّر دالّة، فيكون المثلث السوسيري موسّعا عند " رولان بارت"، ويتّضح المثلث من خلال مثال "باقة الورد" كدال، والعلاقة الجامعة بينهما في وحدة العلامة، ويقترح "بارت" بعد هذا أن نسّمّي الدّال بالشّكل، والمدلول بالفهم، والعلامة بالتّدليل عند تعرّضه للأسطورة»³.

ذكر (بارت) في كتابه "أسطوريّات" هذا الأمر قائلا: «إليك مثالا جديدا من شأنه أن يفهمك بشكل واضح كيف أنّ قارئ الأسطورة يصل فيها إلى عقلنة المدلول بالدّال، نحن في شهر يوليو، وأنا أقرأ عنوانا بارزا في فرانس - سوار France soir : الأسعار الخضروات: بدأ التّخفيض، دعونا نرسم بسرعة الخطاطة العلاماتية، المثال هو جملة، والمنظومة الأولى فيه لغويّة محض، ودالّ المنظومة الثانية يتألّف هنا من عدد معيّن من العناصر المعجميّة العارضة، كالحروف العظيمة في عنونة

¹محمد السرغيني: المرجع السابق، ص. 21، 22،

²Barthes Roland ; L'aventure Sémiologique ; Edition Seuil ; 1985 ; Paris ; P : 31

³رولان بارت: أسطوريّات، تر: توفيق قريّة، منشورات الجمل، بيروت لبنان، (د ط)، 1980، ص.: 260.

صدر الصّحيفة حيث يستقبل القارئ عادة أخبار العالم الرئيسة ، والمدلول (المتصّور) هو ما يجب أن يسمّى بلفظة حوشية محدثة¹.

يمكننا القول إنّ الدال والمدلول ينتجان الدلالة في سياق واحد، فمثلا المعطف لا أهميّة له إلاّ في البرد الشديد، فهو علامة دالة على فصل الشتاء ، وفي نفس الوقت على برودة الطقس ، ممّا يجعل الإنسان يدرك الدلالة الحقيقية للمعطف ، وكذا اللون الأحمر في إشارة المرور يرمز إلى توقّف حركة السيّارات لفترة مؤقتة ، ثمّ الإقلاع من جديد أثناء السّير ، أمّا على مستويات أخرى يتغيّر مفهوم اللون الأحمر ، فمثلا في الحرب دليل على الدّم ، والنّار وغيرها ، وفي السّلم دليل على ورود وأزهار تجمع بين أصحاب العداوة.

ب. المركّب والنّظام:

يحدّد "رولان بارت" في توظيفه لهذه الثنائية طرفين أساسيين: المركب والنّظام، ويتبع تطوّرها في اللسانيات الحديثة، فيرى أنّ «الرّوابط التركيبيّة Syntagmatique تسمّى عند هيلمسليف علاقات Relation ويطلق عليها جاكسون اسم التّجاور Contiguités ويصفها مارتينييه بصلات Contrastes، أمّا روابط النّظام Systematiques فترباطات Corrélation عند الأول وتمثالات عند الثاني وتعارضات عند الأخير وبارت نفسه يستخدم مفهومي : المركّب والنّظام للتدليل على هذين النوعين من العلاقات اللّغويّة»².

ت. التّعيين والإحاء:

يتطرّق "رولان بارت" إلى ثنائية التّعيين والإحاء، حيث «يدرس الأنساق الدلالية المذكورة أعلاه ، وفق تمفصلين دلّالين: التّمفصل الأول يشمل دالا ومدلولا وعلاقة دلالية ، لذلك فهو جانب تعيني (Dénotative) يؤدّي إلى دلالة مباشرة واحدة ، أمّا التّمفصل الثاني فيتخذ من الأوّل برمته دالا لمدلول آخر ، وتجدر الإشارة إلى أنّ السيمياء البارطية ظلّت حريصة على منحها البنيوي

¹ رولان بارت: المرجع السابق: ص 263

² وائل بركات: السيميولوجيا بقراءة رولان بارت، مجلّة جامعة دمشق، مج 18، ع 02، ص 2002، ص 64.

الصّرف، فعلى الرّغم من انفتاحها على مظاهر التواصل الاجتماعي بقيت مركّزة على الدّلالة الدّاخلية للأنساق دون الانجرار إلى التّحليل الاجتماعي أو النّفسي أو التّاريخي للعلامات»¹.

يستخلص ممّا سبق ما يلي:

- طرفي العلامة عند فرديناند دوسوسير تتمثّل في: الدّال والمدلول.
- طرفي العلامة عند رولان بارت تتمثّل في: التّقرير والإيجاء.
- طرفي العلامة عند هيملسيف تتمثّل في: التّعبير والتّضمين.
- ظلّت السيميولوجيا عند بارت محصورة في نطاق العلامة: الدّال والمدلول
- سيميوطيقا بيرس منححت لعلامة أبعادا أخرى وهي: الدّال (المفسّرة)، والمدلول (المصورة)، والموضوع (الذي لا يقابله أيّ شيء).

4.1.3. مدرسة باريس السيميولوجية:

يمثّل هذه المدرسة كلّ من غريماس (Greimas)* و ميشيل أرنفي (Michel arrive)** وكلود شاب رول (Claude chabrol)*** «تجسّدت أعمال هذه المدرسة في الكتاب القيم الذي صدر سنة 1982، تحت عنوان السيميولوجيا، مدرسة باريس، ولقد وسع هؤلاء الكتاب من مفهوم السيميولوجيا الذي لا يتجاوز أنظمة العلامات، إلى مصطلح السيميوطيقا

¹ وائل بركات: المرجع السابق، ص 69

*ألجيرداس جوليان غريماس لساني سيميائي من أصل ليطواني، ولد بروسيا سنة 1917، بمنطقة تسمى تولا، يعتبر المؤسس الأول للسيمياءيات البنوية انطلاقا من لسانيات فرديناند دي سوسيرويلمسليف، اهتمّ بالبحث اللّساني السيميائي بدراسة الدراسات العليا في العلوم الاجتماعية، ومدرسة باريس السيميائية، توفي في باريس بفرنسا عام 1992م.

**ميشل أرنفي ولد 1936/12/07، في نويصور سين قرب باريس، كانت أمه معلمة، وأبوه مهندسا، بعدما أتمّ دراسته بالجامعة، عمل أستاذا بثانوية إيفروبتواز، ثمّ بعدا انتقل لتدريس اللّغويات والسيمياءيات بجامعة نانثير بفرنسا، من 1983م إلى غاية تفاعده 2006م، كان أيضا روائيا وكاتبا للقصص القصيرة، توفي في 2017/04/03 بسان كلود قرب باريس .

***ولد شابرول في 1930/07/24 بباريس، في البداية كان مهتما بعلم الصيدلة، لكن رسب فيها، فتوجّه إلى علم الأدب والفنون، فحصل على شهادة الآداب من جامعة السوربون، كان مهتما بالنقد والإخراج والسينما، فأصبح فيما بعد مخرجا سينمائيا كبيرا، من أشهر أعمال شابرول فيلم «امرأة خائنة» سنة 1968 و«جزار» العام 1969 و«ليمت الوحش» العام 1969.

الذي يقصد به علم الأنظمة الدلالية ، واعتمدت هذه المجموعة على أبحاث كل من دي سوسير ويلمسليف (Hjelmslev) ، وبيرس¹.

توجّه جلّ اهتمام رواد هذه المدرسة إلى الأجناس الأدبية، والنصوص السردية، والخرافة، وذلك من خلال اعتمادهم على التحليل البنيوي، في تحليل الخطابات النصّية تحليلا سطحيا وعميقا، من منظور سيميوطيقي، قائم على البنية العامليّة من مرسل ومرسل إليه².

5.1.3. اتّجاه السيميوطيقا المادّية:

إنّ من يمثّل هذا الاتجاه الباحثة جوليا كريستيفا (Julia Kristeva) التي «أعطت أهمية كبرى للعلامة في علاقتها بالمرجع المادّي، هذا ولقد استعملت كريستيفا مصطلحات سيميوطيقية للوصول إلى التّديل في النّصوص المعلّلة، فقد استبدلت السيم (Sème) الموظّف من قبل مدرسة باريس السيميوطيقية بمصطلح سيمانايز (Sémanalyse)، أي : التحليل السيميائي، كما ركّزت كريستيفا على الإنتاج الأدبي بدل الإبداع الأدبي، لذا لم يكن هدفها الدّلالة بل المدلولية، لذلك وظّفت مصطلحات ذات بعد ماركسي، كالمنتج والممارسة الدّالة ، والمنتوج على عكس المصطلحات الموظّفة في الفكر الرّأسمالي واللاهوتي، مثل: المبدع والإبداع الفتي³.

اتّجاه السيميولوجيا المادّية يهتمّ بدراسة الوظائف والأشكال الموجودة في اللّغة، وكذا مظاهر اللّغة المادّية، إذ أنّ الاهتمام بالشكل المادّي للّسيمياء يولّد دلالات جديدة، كما تركّز هذه المدرسة كثيرا على عملية الإنتاج الأدبي أيضا.

¹ الخضر العرابي: المرجع السابق، ص 107

² ينظر: جميل حمداوي : السيميوطيقا والعنونة، مجلة عالم الفكر، مج 25، ع 3، ص 1997، ص 92

*ناقدة أدبية، روائية ومحللة نسوية، بلغارية الأصل، ولدت في 1940/07/24م ببلغاريا، ألّفت حوالي 30 كتابا منها: قوى الرعب، أساطير الحب، الشمس السوداء، الاكتئاب والسوداوية، علم العلامات، علم اللغويات، النظرية الأدبية والنقدية، التحليل النفسي، التحليل السياسي والثقافي، لها أيضا مقالات في التّناسّ وفي الفكر البنيوي وما بعد البنيوي، وألّفت العديد كم الروايات المشابهة للقصص البوليسية، كانت تعمل أستاذة زائرة بجامعة كولومبيا، وهي الآن أستاذة فخريّة بجامعة باريس ديديرو.

³ جميل حمداوي: الاتجاهات السيميوطيقية (التيارات والمدارس السيميوطيقية في الثقافة الغربية)، الألوكة، المغرب، ط1؛ 2015،

6.1.3. السيميولوجية الرّمزية:

تسمّى هذه المدرسة بنظرية الأشكال الرّمزية أيضا، حيث استلهم أصحاب هذه المدرسة نظرية بيرس الموسّعة عن العلامة، ووظّفها أنماطها كالإشارة، والأيقون، والرّمز، فانحصر الحدث الرّمزي لديهم في النصوص، والمأثورات الشفوية، والقرارات، والتنظيمات، والأنظمة، ومن ثمّ تتمّ دراسة هذه العناصر عبر ثلاثة مستويات:

- 1) المستوى الشعري (Le niveau poétique)
- 2) المستوى المادّي (Le niveau matériel)
- 3) المستوى الجمالي (Le niveau Esthétique)¹.

الملاحظ على هذا الاتجاه أنّه حصر الرّمز في النصوص والقرارات والأنظمة، لكن وفق مستويات ثلاث تتمثّل في:

- المستوى الشعري: يدرس علاقة المنتج بالإنتاج
- المستوى المادّي: يهتمّ بالإنتاج والابداع فقط
- المستوى الحسّي: ينظر في كيفية تلقّي القارئ للإنتاج وتقبّله.

2.3. سيميوطيقا الأمريكي بيرس :

أطلق الفيلسوف المنطقي تشارلز سندرلر بيرس على علم العلامات مصطلح السيميوطيقا (Sémiotique) التي تقوم في نظره على المنطق والرياضيات، وبهذا التصور تكون السيميوطيقا مدخلا ضروريا للمنطق الذي يعدّ فرعاً متشعباً عن علم للدلائل الرّمزية، وبهذا المفهوم تكون السيميوطيقا لدى بيرس بحثاً موسّعاً، إذ ينكبّ على الدلائل اللسانية وغير اللسانية، وهي ذات وظيفة فلسفية منطقية لا يمكن فصلها عن فلسفته التي من سماتها الواقعية والتداولية والاستمرارية².

¹ ينظر: جميل حمداوي: الاتجاهات السيميوطيقية (التيارات والمدارس السيميوطيقية في الثقافة الغربية)، ص32

² ينظر: لخضر العربي : المرجع السابق، ص108

تكمن وظيفة السيميوطيقا « في انتاج مراقبة مقصودة ونقدية للاعتقادات أو الأعراف، ومن هنا يمكن اعتبارها سيميوطيقا الدلالة والتواصل والتمثيل في آن واحد، كما أنّها اجتماعية وجدلية، وتعتمد على أبعاد ثلاثة ألا وهي: البعد التركيبي، البعد التداولي، والسبب في ذلك يعود إلى أنّ الدليل البيروسي ثلاثي، نظرا لوجود الممثل أو الدليل باعتباره دليلا في البعد الأول، ووجود موضوع الدليل (المعنى) في البعد الثاني، والبعد الأخير تتمثل في المؤول الذي يفسّر كيفية إحالة الدليل على موضوعه انطلاقا من قواعد الدلالة الموجودة فيه»¹.

3.3. السيميائية في الاتجاه الروسي:

يمثل هذا الاتجاه الشكلايين الروس* ومدرسة تارتو (Tartu)** التي تعتبر من أهم المدارس السيميولوجية الروسية، ومن أعلامها البارزين نجد: يوري لوتمان (Youri Loutmain)*** صاحب بنية النصّ الفني، و تودوروف (Todorov)****» ولقد جمعت أعمال هؤلاء في

¹ الحضر العربي: المدارس النقدية المعاصرة، ص 109

* كانت هذه المدرسة أحد المذاهب المؤثرة في ميدان النقد الأدبي في روسيا في الفترة الممتدة من 1910 إلى 1930م، وهي تشتمل على أعمال العديد من المفكرين الروس ذوي التأثير الكبير على الساحة الأدبية، مثل رومان جاكسون، فأكدوا على خصوصية لغة الشعر والأدب واستقلاليتها، تعد الشكلية الروسية حركة متشعبة، تجمع في واقع الأمر بين مؤسستين أدبيتين في ذلك الحين وهما جمعية دراسة اللغة الشعرية في سانت بطرسبرغ والدائرة اللغوية في موسكو، أول من أطلق مصطلح الشكلية هم المناهضون لهذه الحركة، وهو مصطلح يشير إلى معان يرفضها الشكليون أنفسهم. كان الأدب قبل الشكلية الروسية يعامل على أنه صورة مرآته عن سيرة المؤلف وخلفيته أو توثيقاً تاريخياً أو اجتماعياً، أما الشكليون فيعلنون أن الأدب منتج له استقلالته وخصوصيته.

** هي مدرسة سيميائية تم تشكيلها في عام 1964 بقيادة جوري لوتمان، يوجد مقرّها في قسم السيميائية بجامعة تارتو سيموتيك، لها أقدم مجلة سيميائية في العالم، أنشأ أعضاؤها الإطار النظري لسيمياء الثقافة، تكمن الأصول النظرية لهذه المدرسة، في علم اللغة البنوي لدي سيسير، وأفكار الشكليات الروسية، ودائرة براغ اللغوية، كانت تتميز دائما بروح عالية من التسامح الأكاديمي، والانفتاح على الاتجاهات الثقافية في أنحاء أوروبا.

*** يوري لوتمان مؤرخ لغوي وأدبي من أستونيا، ولد في 1922/02/28م، في سانت بطرسبورغ، نال عدة أوسمة أهمها: وسام الحرب الوطنية، وسام الجمره الحمراء، ميدالية الشجاعة، كان عضو في عدة أكاديميات، نذكر منها: الأكاديمية النرويجية للعلوم والآداب، الأكاديمية الملكية السويدية للرسائل والتاريخ والآثار، توفي في 1993/10/28.

**** فيلسوف فرنسي بلغاري الأصل، ولد في 1939/03/01م، بصوفيا البلغارية، مقيم بفرنسا منذ 1963م، عمل أستاذا زائرا في عدة جامعات منها جامعة هارفارد كان مهتماً بالكتابة في النظريات الأدبية والثقافية والتاريخية، ألف حوالي 21 كتابا أبرزها: شعرية النثر، مقدمة الشاعرية، نال وسام ضابط من قصر الفنون والأدب، توفي في 1977/02/07.

كتاب جامع تحت اسم: أعمال حول أنظمة العلامات ، وقد ميّزت تارتو بين ثلاث مصطلحات، ألا وهي: السيميوطيقا الخاصة التي تدرس أنظمة العلامات ذات الهدف التواصلية ، والسيميوطيقا المعرفية التي تهتمّ بالأنظمة السيميولوجية وما يشابهها ، والسيميوطيقا العامة التي تتكفل بالتنسيق بين جميع العلوم الأخرى ، ولكن تارتو اختارت السيميوطيقا ذات البعد الايستيمولوجي المعرفي، وهكذا اهتمت هذه المدرسة بسيميوطيقا الثقافة¹.

استفادت سيمياء الثقافة من النظرية الماركسية كثيرا، وكذا من لسانيات الخطاب، والمنهج البنوي، ومن الفلسفة الرمزية، فقام روادها بوضع نظام محكم يجمع بين الانسان والمحيط الخارجي الذي يرتبط به.

4.3. الاتجاه الإيطالي:

ما نلاحظه أنّ هناك ترابط كبير بين قواعد سيمياء التواصل وقواعد سيمياء الثقافة، وهذا ما أشار إليه لاندي روسي (Landi-Rossi) «الذي حدّد السيميوطيقا من خلال أبعاد البرمجة التي يمكن حصرها في ثلاثة أنواع وهي: أنماط الإنتاج (مجموع قوى الإنتاج وعلاقات الإنتاج)، والايديولوجيات (تخطيطات اجتماعية لمنط عام)، وبرامج التواصل (التواصل اللفظي وغير اللفظي)، ويلاحظ على الاتجاه الإيطالي، أنّه يلتقي مع مدرسة تارتو الروسية في التركيز على سيميوطيقا الثقافة لأنّ الظواهر الثقافية ذات مقصدية تواصلية²».

زعماء هذا الاتجاه هما: "أمبرتو إيكو" * و "لاندي روسي" «الذين اهتمّا كثيرا بالظواهر الثقافية باعتبارها موضوعات تواصلية وأنساق دلالية، على غرار سيميوطيقا الثقافة في روسيا، وكثيرا

¹ إبراهيم عبد العزيز السمري: اتجاهات النقد الأدبي العربي في القرن العشرين، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط1؛ 2011، ص302، 303

² المرجع نفسه: ص105

* فيلسوف إيطالي، وروائي وباحث في القرون الوسطى، يُعرف بروايته الشهيرة اسم الوردية، ومقالاته العديدة. وهو أحد أهم النقاد اللاتينيين في العالم، ولد بمدينة ألساندريا بإقليم بييمونتي، يوم 1932/01/05، أخذ اسم عائلته إكو (Eco) من الحروف اللاتينية الأولى ex coelis oblatus هبة السماء له مؤلفات كثيرة نذكر منها: السيميائية وفلسفة اللغة، العلامة تحليل المفهوم التاريخي، آليات الكتابة السردية، التأويل بين السيميائيات والتفكيكية، العدد صفر، مقبرة براغ، حاشية على اسم الوردية، الأثر المفتوح، جزيرة اليوم السابق، شعلة الملكة لونة الغامضة، زهات في غابة السرد، توفي يوم 2016/02/19.

ما أكد أمبرتو إيكو على أنّ كلّ تواصل عبارة عن سلوك مبرمج، وأنّ أيّ نسق تواصل يؤول إلى وظيفة ما، وبالتالي يمكن لأيّ نسق ذي صيغة مندمجة أن يؤول دورا تواصليا، وقوانين التواصل هي قوانين الثقافة»¹.

5.3. سيمياء الثقافة:

يعتبر كلود لوفي شتراوس Claude Lévi Strauss * أول من «جعل للثقافة نظاما رمزيا دالاً، فهو من حدّد خصوصية الثقافة من خلال دراساته العلاقة بينها وبين الطبيعة في نظام القرابة، وإنتاج الأساطير فشكّل أرضية خصبة للتحليل و التعمّق السيميولوجي»².

نشأت هذه السيمياءية في أحضان مدرسة موسكو «التي انبثقت أساسا عن مدرسة الشكلايين الروس Formaliste Russe، وتمثّلت في صورتين: في صورة بنيوية سوفياتية في جامعة موسكو، وفي صورة سيميوطيقا الأدب والسينما والثقافة في جامعة تارتو Tartu في استونيا، كانت تقوم بالأساس على عدم التشبّث بفكرة المحايثة والنص المغلق التي تبنتها الشكلائية من خلال التطلّع إلى ما هو أشمل من النص الأدبي، وأكثر اتّساعا من اللغة الطبيعية، فالنصّ المغلق وهم ضلّل الكثير من البنيويين، كما استفادت سيمياءية الثقافة من فلسفة الأشكال الرمزية»³.

¹ إبراهيم عبد العزيز السمري: المرجع السابق، ص304

* ولد كلود ليفي ستراوس في بروكسيل يوم 11/28/1908، من العلماء الاجتماعيين، وأحد منظّري البنيوية بوجهها اللغوي والأنثروبولوجي، بدأ تكوينه العلمي بدراسة الفلسفة. ثمّ سافر إلى البرازيل حيث درّس علم الاجتماع واكتشف أعمال علماء الأنثروبولوجيا الأميركيين، وبعد عودته إلى فرنسا سنة 1948 قدّم أطروحته المتعلقة ب"المشاكل النظرية للقرابة" (1949 كان علم اللغة المتمثل في نموذج دي سوسير من أهم المفاهيم والمقولات التي وظفها ليفي ستراوس في قراءة الأساطير والعلاقات العائلية وأساطير الهنود الحمر. فتوصّل إلى أنّ بينة الأسطورة في العقل البشري هي بنية واحدة، بالرغم من اختلاف اللغات والثقافات والحضارات، لذا فإننا نفكر بالبنيات الذهنية العقلية ذاتها. وهذا كانت مناسبة ليقدّم أطروحته عن المشاكل النظرية للقرابة سنة 1949، ألّف العديد من الكتب نذكر منها: العرق والتاريخ، الأنثروبولوجيا البنيوية، الأسطورة والمعنى، طريق الأفعنة، النظرة من بعيد، أسطوريات، ينظر يقرأ يسمع، توفي إثر نوبة قلبية بتاريخ 2009/10/30.

² خليفة محمد فتحي: التمثيلات الثقافية في الأشهار التلفزيوني (دراسة تحليلية سيميولوجية لعينة من اشهارات القناة الخاصة الشروق تيفي، (أطروحة دكتوراه)، (منشورة)، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم، 2017/2016، ص39.

³ حبيب بوزوادة: سيمياءات الثقافة لدى جماعة موسكو تارتو، الملتقى الدولي السابع 'السيمياء والنص الأدبي'، قسم الآداب واللغة العربية، جامعة محمد خيضر بسكرة، أيام 31/30/29 أكتوبر 2013، ص134

اهتمت أيضا جماعة إيطاليا بالجانب الثقافي وكيفية اشتغال العلامات فيه وركزت على شروط تتمثل فيما يلي:

- جعل وظائف أخرى للأشياء الطبيعية، بعيدة عن وظيفتها الأيقونية داخل المجتمع.
- استجابة الشيء الطبيعي لوظيفة معينة.

6.3. سيمياء الأدب:

والمقصود بسيمياء الأدب كل ما يندرج تحت ظلال الأدب من شعر ونثر، وما ينتمي إلى النثر من سرد بجميع أشكاله كالرواية والقصة والأقصوصة والحكاية، وهو ما يسمّى حاليا بسيميوطيقا الشعر بالنسبة للأول وسيمياء السرد بالنسبة للثاني.

1.6.3. سيمياء الشعر:

تختلف اللغة الشعرية عن اللغة العادية المستعملة في مختلف السياقات، كونها تعتمد على الخيال بكثرة، «ونجد الناقد ميشال ريفاتير* من خلال مقال وسمه ب: سيميوطيقا الشعر دلالة القصيدة، يميل إلى القول باختلاف اللغة الشعرية، عن الاستخدام العقلي المتعارف عليه، وذلك بسبب جنوحها للخيال، واعتمادها على الرمز في التصوير، فالشعر يعبر دائما عن المفاهيم والأشياء بشكل غير مباشر، ومن ثمّ فلغة الشعر تتجاوز القوانين الداخلية المتواضع عليها، كون أنّ الشعر يقول شيئا ويعني شيئا آخر، وهذا ما يجعل للغة الشعر استخداما خاصا لها»¹.

تمرّ العملية السردية عند ريفاتير عبر قراءتين؛ فعلى القارئ قبل الوصول إلى الدلالة، أن يتجاوز المحاكاة، حيث ينطلق في حلّ شفرة القصيدة بالقراءة الأولى، التي تستمرّ من بداية النصّ إلى نهايته، ومن أعلى الصّفحة إلى أسفلها، متّبعًا في ذلك المسيرة السياقية، ففي هذه القراءة

*ميشال ريفاتير باحث لغوي ورومانسي، ولد يوم 1924/11/20 ببورجانيوف، درس بجامعة باريس: كولومبيا، باريس و ليون (1896-1969)، عاش متنقلا بين أمريكا وفرنسا، كان من أعضاء الأكاديمية الأمريكية للفنون والعلوم، توفي في 2006/05/27.

¹علي مقدم: تلقّي المنهج السيميائي عند عبد الملك مرتاض (مقاربة وصفية)، (أطروحة ماجستير)، (منشورة)، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم، 2016/2015، ص58، 59.

الاستكشافية الأولى يتم تفسير أولي، وفي هذه المرحلة من القراءة يتم استيعاب المحاكاة وفهمها جيداً، أما المرحلة الثانية من القراءة هي القراءة الاسترجاعية حين يحين الوقت لتفسير ثان، أي لقراءة تأويلية حقيقية¹.

وضع ميشال ريفاتير (مبادئ للخطاب الشعري أهمها: «الكيفية التي تنمو بها القصيدة من الأغنية الشعبية باستخدام النقي أو التقديم والتأخير، هي إحدى السمات النمطية في الخطاب وما يفعله مروون بمادة القصيدة النواة هو انتقاله التدريجي من النثري إلى الشعري»².
فبذلك تتشكل شفرات ورموز في النص الشعري، تجلب اهتمام القارئ والتمعن فيها لاستخراج هذه الألغاز التي تزيد القصيدة الشعرية جمالا.

2.6.3. سيمياء السرد:

يرتكز موضوع السيمائيات منذ القديم على الخطاب ، فهو يقوم باستكشاف العلامات والدلالات ، والبحث في أغوار المعاني ، وقد تحول اهتمام السيمائية شيئاً فشيئاً من الخطاب اللفظي إلى خطاب الفعل والإنتاج والسرد ، الذي استقلّ بنفسه وأصبح يدرج ضمن السيمياء السردية ، ومشروع غريماس السيمائي السردى شخص الكثير من المفاهيم والدلالات ، إذ يعتبر « حقل التحليل السردى للخطابات هو بدون منازع الحقل السيمائي الذي عرف أثناء السنين الأخيرة التطورات الأكثر أهمية، أو على الأقلّ الأبحاث النظرية والتطبيقات الأكثر عدداً، انطلق التفكير في السردية من الاستغلال المبكر نوعاً ما»³.

¹ ينظر: كمال جدي: المصطلحات السيمائية السردية في الخطاب النقدي عند رشيد بن مالك، (أطروحة ماجستير)، (منشورة)، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، 2011/2012، ص 30

² روبرت شولز: السيمياء والتأويل: تر: سعيد الغانمي، دار الفارس للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1994، ص19

³ جوزيف كورتيس: مدخل الى السيمائية السردية والخطابية، تر: جمال حضري، الدار العربية للعلوم ناشرون ، الجزائر، ط1، 2007، ص15

يعود الفضل في ذلك إلى الباحث الروسي "فلاديمير بروب (Vladimir Broub)* الذي «سيخضع الخطاب السرديّ (الحكايات العجيبة) لأول مرّة لدراسة لا تقف عند حدود تعيين مواضيعه أو تصنيف وحداته الموضوعية، بل تسعى إلى تنظيم عملية استفسارية تنظر في ذات النصّ في الجانب الشكلي، حيث كانت محاولته تهدف دائماً لاستخراج مجموعة من الخصائص التي تفرّق بين الخطاب السردى (الحكاية الشعبية بالتحديد) عن غيره من الخطاب، ولقد كانت دراسته الشهيرة "مورفولوجيا الحكاية العجيبة" اسنة 1928 دراسة بارزة في تاريخ السيمائيات السردية»¹.

كان هدف بروب (Broub) الوصول الى قالب نموذجي عام لتشكيل الحكاية ، ولتحقيق ذلك انطلق من الفرضيات التالية:

أ. **الثابت والمتغير:** فالوظيفة برأيه موجودة في النص ولا تحتاج الى شخصية بعينها لوجودها، لأنّ أيّ شخصية يمكن لها أن تؤدّيها.

ب. **محدودية الوظائف:** لا ينبغي بالضرورة وجود كلّ الوظائف، لأن غياب بعض الوظائف لا يغير من وضعية الوظائف الأخرى

ت. **الانتماء إلى شكل أدبي واحد:** ضرورة وجود سبع شخصيات أساسية في الحكاية العجيبة حصرها فيما يلي: المتعدّي، الواهب ، المساعد، الأميرة، الباعث، البطل، البطل المزيف².

*باحث روسي متخصص في الحكايات الشعبية، ولد بسان بيترسبورغ يوم 1895/04/29م، وتوفي بنفس المدينة في 1970/08/22م ، كان من أصحاب المدرسة البنوية، حيث اشتهر بدراساته البنوية لبنية الحكايات الشعبية، التي اهتم باستخراج أصغر مكوناتها السردية .

¹ سعيد بنكراد: السيمائيات السردية، مطبعة الجناح الجديدة، الدار البيضاء، (د ط)، 2001، ص 17

² ينظر: لخضر حشلافي ، فاطمة بدراني: السيمائيات السردية من فلاديمير بروب إلى غريغاس، مجلة مقاليد، مج5 ع09؛ ص2015، ص:76

الأتجاه الثاني ينسب لجيرار جينيت (Gérard Genette)* حيث «رَكَزَ على عمليّة السرد نفسها، إذ ميّز بين ثلاثة مفاهيم: الحكاية وتطلق على المضمون السردى أي على المدلول والقصّة: وتطلق على النصّ السردى، وهو الدالّ، ثمّ القصّ: يطلق على العملية المنتجة ذاتها، وبالتالي على مجموعة المواقف المتخيلة المنتجة للنصّ السردى»¹.

اقترح الروسي ميخائيل باختين (Mikhail Bakhtin)** «مصطلح 'الحوارية' على اعتبار أنّ للرواية عدّة مستويات تتركز كلّ لغة فيها على إثارة بقيّة اللغات حوارياً، إلى درجة أن يغيب المؤلّف وسطها، لكن يبقى في كلّ رواية مهما تعدّدت مستوياتها مركزاً لغوياً يتمثّل في الخطاب الإيديولوجي، ذلك أنّ الحوار الاجتماعي يتردّد في الخطاب ذاته، وهو الذي نوه إلى أنّ اللّغة الشعريّة المضافة إلى الرواية يصبح ثانوياً بجانب السرد»².

1.2.6.3. غريماس رائد السيمائيات السردية:

أول من أسّس النظرية السيمائيات السردية «غريماس الذي ارتبط اسمه بها، فقد شكّل في كتابه الصادر سنة 1966، والموسوم بالدلالة البنيوية الحجر الأساس لهذه المدرسة، وأصدر أعمالاً

* ناقد ومنظر أدبي فرنسي، ولد سنة 1930 بفرنسا، صاحب منجز نقدي ضخم وفريد من نوعه في النقد والخطاب السردى وأنساقه وجماليات الحكاية والتمثيل وشعرية النصوص واللغة الأدبية، كان جينيت دوماً جانب رولان بارت يدعوان إلى تحليل أدبي ابداعي ودراسات نقدية تضاهي الابداع السردى، أسّس مجلّة "بوتيك" التي تحولت إلى منارة للنقد الأدبي البنيوي في مستهل السبعينيات من القرن الماضي. له مؤلفات كثيرة أبرزها: مدخل لجامع النصّ، خطاب الحكاية: بحث في المنهج، عودة على خطاب الحكاية، نظرية السرد من وجهة نظر التبئير، طرائق تحليل السرد الأدبي: دراسات، من البنيوية على الشعرية، توفي سنة 2018.

¹ فيصل الأحمر: معجم السيمائيات، ص 208

** فيلسوف ولغوي ومنظر أدبي سوفيتي. ولد في مدينة أريول سنة 1895م، درس فقه اللغة وتخرّج عام 1918. التحق بمجال التعليم في بداية مسيرته العملية، يعتبر أول من أسّس "حلقة باختين" النقدية عام 1921، نفى إلى منطقة سيبيريا بسبب ديانته المسيحية الأرثوذكسية عام 1929م، برت ساقه نتيجة التهاب تعرّض له، سنة 1938م. عمل بأحد معاهد الفنون بمدينة لينينغراد، ثمّ أستاذاً بجامعة سارانسك، له العديد من المؤلفات منها: الثقافة الهزلية الشعبية في العصور الوسطى وعصر النهضة، سنة وفاته 1975م.

² المرجع نفسه: ص 210

أخرى تصبّ في الجرى نفسه منها "في المعنى" وقاموسه المشترك مع جوزيف كورتيس، وتعدّ هذه الأعمال مرجعا مهمّا في مقارنة النصوص السردية»¹.

رَكز غريماس على «النّموذج الوظيفي لبروب وطوّره محدثا بعض التعديلات فأعطى أهمية بالغة للأفعال على حساب الشّخصيات، وانتقد بعض الوظائف التي أشار إليها بروب، وجمع بين بعض الدوائر الوظيفية، مثل دائرتي المعتدي والشّرير، وجمعهما في دائرة تعرف بالعامل المعاكس أو المعارض، ودائرتي الواهب والمساعد جمعهما في دائرة واحدة هي العامل المساعد، وقد أضاف دائرتين لم يوجدتهما بروب تتمثّلان في: العامل المرسل والمرسل إليه، وبالتالي تحصّل على نموذج الخصاص المعروف بالنّموذج العاملية»².

قسّم غريماس النموذج العاملية إلى ستة عوامل مقسّمة إلى ثلاث علاقات:

أ. علاقة الرغبة (**Relation de désir**): تمثّلها العلاقة القائمة بين الذات والموضوع المرغوب فيه.

ب. علاقة الصراع (**Relation de lutte**): تمثّلها العلاقة بين المساعد والمعارض.

ت. علاقة التواصل (**Relation de communication**): تمثّلها العلاقة بين المرسل والمرسل إليه؛ وتشكّل مجموع هذه العلاقات البنية الدلالية الداخلية لجميع الأنماط السردية»³.

حاول غريماس في تعامله مع النصّ السّردي دراسة المستوى السطحي للبرنامج السردية، ومكوناته الأساسية كالتّحفيز والكفاءة والانجاز والتّقييم، مع دراسة الصور باعتبارها وحدات دلالية وصور معجمية، مع إبراز مساراتها وربطها بالبنية العاملة والإطار الوصفي، وعلى المستوى العميق يدرس المكون الدلالي والمكون المنطقي، باستقراء التشاكل والمربع السيميائي، الذي يولّد التّمظهرات النصّية السّطحية سردا وحكاية، ويقوم هذا المربع السيميائي على تشخيص

¹ نصيرة بركة: هندسة المعنى في القصيدة السردية، مقارنة سيميائية "شوقي بزيع أنموذجا"، (أطروحة دكتوراه)، (منشورة)، جامعة

جيلالي ليايس، سيدي بلعباس، 2019/2018، ص 09

² المرجع نفسه: ص 10

³ المرجع نفسه: ص 11

علاقات التضاد والتناقض والاختلاف، والذي بدوره يولد المعنى في أشكال تصويرية مختلفة، تتمظهر بصيغ تعبيرية متنوّعة¹.

قام غريماس بتشغيل مجموعة من المفاهيم في تحليله السيميائي السردي، فوظف مفاهيم الجدلية في النصّ السردي، حيث أبرز ل أنّ البنية السردية تتقدّم بصفتها مواجهة بين فاعلين رئيسيين: الفرد والمجتمع، والجدلية تتضح على مستوى التقطيع، بحسب المعرفة، حيث يتقدّم المحكي بصفته مجابهة بين معرفتين، وبين نوعين من معرفة الفعل: الفرد الذي يحاول إقناع الرأي العام، والبطل (المضاد) المجتمع الذي يواجه بتأويله الخاص للأحداث، هذه المعرفة الاختلافية تقابلها المعرفة المطلقة للذات الساردة، التي تتحدّث عن الناس وعن الأشياء، كما أنّها تعدّ حاضرة في كلّ مكان، وعالمة بكلّ شيء².

مشروع غريماس السيميائي ركّز على مرجعيات فلسفية نذكر منها: المدرسة الشكلانية الروسية، والفلسفة والأنثروبولوجيا، ولسانيات دوسوسير، ومجهودات بروب، ونظريات "يلمسليف" المتمثّلة في الدال والمدلول والكلام والسيرورة. وثنائية براغ، وعلى ما قدمه اللساني "لوسيان تينير" الذي وضع سواند للفعل، تتغير وضعيات هذا الفعل مع الفاعل والمفعول به، فالفاعل عبارة عن ذات قامت بالفعل و الموضوع خاضع لهذا الفعل، والمساعد يساعد والمعرقل هو المعارض، كما أنّ لانتقادات كلود ليفي ستروس أثر بالغ الأهمية في بلورة النظرية السيميائية السردية، التي برمجها مع مبادئ اللسانيات.

4. علاقة السيميائيات باللسانيات:

يعود الفضل لنشأة اللسانيات في أوروبا إلى العالم السويسري فرديناند دوسوسير، كما أنّه من الباحثين الغربيين الأوائل الذين كان لهم فضل السبق في اكتشاف المنهج السيميائي، ولذلك وجب علينا تبيان العلاقة القائمة بين هذين الفنّين، الأمر الذي جعل دوسوسير يقرّ بأنّ اللسانيات ليست سوى فرع من هذا العلم العام والقوانين التي اكتشفتها السيمولوجيا قابلة لتطبيقها على اللسانيات،

¹ ينظر: جوزيف كورتيس: المرجع السابق، ص12

² ينظر: ألجيرداس جوليان غريماس: سيميائيات السرد، تر: عبد المجيد نوسي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب،

مؤكدًا أنّ السيميولوجيا تتجاوز مجال اللسانيات المحدود، من دراسة اللغات إلى دراسة العلامات داخل الحقل الاجتماعي سواء أكانت تلك العلامات لغوية أو غير لغوية، أمّا بارت عكس هذه الوضعية واعتبر السيميولوجيا فرع من اللسانيات¹.

يستند بارت في قلبه هذه العلاقة إلى عدّة أدلّة، أبرزها أنّ كلّ «نظام سيميولوجي يمتزج حتماً باللّغة فلا يمكن الانفتاح على الأنظمة السيميولوجية الأخرى، كالطعام واللباس ودراسة خصائصها إلّا عبر الدليل اللساني الذي يقسّم دوالها ويعيّن مدلولاتها، ومن ثمّ يبدو لنا في النهاية أنّ تحيّل نظام من الصور أو الأشياء التي تستطيع مدلولاتها أن تتواجد خارج اللّغة أمر يزداد صعوبة أكثر فأكثر»².

في حديثنا عن العلاقة القائمة بين السيميائيات واللّسانيات فإنّهما تربط بينهما علاقة تقليدية تعتمد على الأعراف الاجتماعية والثقافية، ويتّضح هذا بشكل خاصّ في حالة العلامات اللّغوية التي كان دوسوسير معنياً بها، مرتكزاً على قاعدة مفادها ضرورة وجود نظام سيميائي قائم على اعتبارية العلامة، لأنّ العلامات التّعسّفية تستطيع تحقيق عملية سيميائية مثالية، وهذا هو السبب في ضرورة وجود أنظمة تعبير أكثر تعقيداً وانتشاراً، الأمر الذي جعل اللسانيات بمثابة نموذج لكل علم السيميولوجيا³.

تعتبر اللسانيات فرعاً من السيميولوجيا لأنّها تستخدم اللّغة الطّبيعية في إجراءاتها النظرية والتحليلية، غير أنّها تتجاوز هذا في تناولها لمختلف العلامات اللّغوية وغير اللّغوية، في شتّى العلوم الأخرى المختلفة والمتنوّعة.

¹ ينظر: قدور عبد الله ثاني: سيميائية الصورة؛ مغامرة سيميائية في أشهر الإرساليات البصرية في العالم، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، (د ط)، 2005، ص 99

² لخضر روجي: علاقة السيمياء باللّسانيات، مجلة الممارسات اللّغوية، مج 5، ع 2، س 2014، ص 115

³ ينظر: شريهان حوامة: علاقة السيميائيات باللّسانيات، تاريخ النّشر: 2021/12/10، تاريخ الاطّلاع 2022/03/05، رابط

الموقع: <https://e3arabi.com/sociology/>

5. خصائص المنهج السيميائي:

يتميّز المنهج السيميائي عن غيره من المناهج النقدية الأخرى بخاصية تعدّد القراءة السيميولوجية التي غالبا ما تكون غير نهائية، معتمدة على مجموعة من المبادئ والخصائص نوجزها كما يلي:

1.5. مبدأ المحايثة: كان هذا المفهوم شائعا في المنهج البنيوي، اتّصل بمنجز «رائد اللسانيات الحديثة فرديناند دوسوسير (Ferdinand de Saussure) عندما دعا إلى اعتماد التزامن بديلا للتعاقب في الدرس اللساني، وراح يؤكّد انغلاق نسق اللّغة، وخصوصية قانونه، رافضا أي تفسير خارجي أو تاريخي»¹.

ضف إلى ذلك فإنّ «الحديث عن المحايثة هي المادّة التي يستند إليها المبدع مبدئيا من أجل إنتاج نصوص مخصوصة، كما أنّ هناك الأشكال المضمونية التي تشير إلى التّحقّقات الخطابيّة المخصوصة، وهي ما يخبر عن التّلوين الثّقافي الخاصّ بتوزيع المادّة المضمونيّة»². كما ساهمت المحايثة في تطوير العملية الخطابية في المنهج السيميائي مساهمة فعالة.

2.5. التحليل البنيوي: يعتمد المنهج السيميائي على قواعد المنهج البنيوي في كثير من الأمور، وذلك لأنّ صاحب المنهج السيميائي هو نفسه مؤسس المنهج البنيوي فرديناند دوسوسير (Ferdinand de Saussure)، ولذلك فإنّ السيميولوجيا تتبّع إجراءات البنيوية، غير أنّها تدرس نظام العلامات المعروف في الميدان الثّقافي، لأنّها أنظمة عالمية تشمل بيئات معينة، بينما البنيوية تدرس العلامة سواء كانت فرعا من نظام اعترفت به الثقافة كنظام أم لم تعترف به، وهذا هو الفارق الوحيد الذي يجعلنا نستطيع التمييز بين الحقلين³.

¹ عبدالرحمن بن إبراهيم المهوس: المحايثة من البنيوية إلى السيميولوجيا، مجلة العلوم الإنسانية، مج8، ع16، س2014، ص2

² سعيد بنكراد: مفاهيم في السيميائية، تاريخ النّشر: جويلية2003، تاريخ الاطّلاع: 2021/8/12، رابط الموقع: <http://saidbengrad.free.fr/ar/art12.htm>.

³ ينظر: ميجان الرويلي، سعد البازغي: دليل النّاقد الأدبي، المركز الثّقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 2002، ص178، 179.

3.5. بناء الخطاب وتنظيمه: وهذا هو الشيء الذي يميّز المنهج السيميائي عن المنهجي البنيوي، فالسيمائية تقوم بتحليل النصوص تحليلاً مستوياتياً في جميع المجالات بفعل الخطاب، أمّا البنيوية فيقتصر مهامها على الجملة، بخلاف «السيمولوجيا التي تنظر في العلامات والسيرورات التأويلية، وتنطلق بمختلف اتجاهاتها وأنواعها من مفهوم العلامة بوصفها القاعدة التي تركز عليها الدراسات والتحليلات جميعها، بداية بالنموذج البنيوي الأصغر وحدة دالة دلالة تامّة، وتشكّل العلامة مفهوماً أساسياً في السيمولوجيا، ويمكن أن تكون طبيعية أو اصطلاحية عرفية أو اعتبارية أو معلّلة مشقّرة أو غير مشقّرة»¹.

6. آليات تحليل النصوص الأدبية وفق المنهج السيميائي:

ينطلق المنهج السيميائي في العملية التطبيقية التي يمارسها على النصوص الأدبية باتّباعه مجموعة من التساؤلات التي يسعى الناقد لحلّها وتيسيرها وهي كالآتي:

- لا يهتمّ بمن كتب النصّ، بل يهدف لإبراز المعنى واستخراج ما في النصّ من دلالات.
- معلوم لدينا أنّ النصّ يحتوي على بنيتين: واحدة عميقة وأخرى بسيطة يسعى صاحب المحلّل من خلالهما لإبراز العلاقة القائمة بينهما.
- المحلّل السيميائي ينطلق من فكرة مبدؤها أنّ النصّ يحتوي على شفرات وألغاز ورموز ينبغي الكشف عن أسرارها وخبائرها والاجتهاد في حلّها.

التحليل السيميائي للنصوص الأدبية يختلف حسب كلّ جنس أدبي، غير أنّ هناك نقاط مشتركة تجمع بين كلّ الأجناس الأدبية، تركز على مرحلتين:

- أ. **مرحلة القراءة:** تختلف عن قراءة النقاد العادية بانفتاحها الدائم ويرجع هذا الانفتاح إلى عدّة أسباب أهمّها أنّ النصّ يعني شيئاً على مستويات عديدة في المكان وفي لحظات عديدة في الزمان لذا تختلف كلّ قراءة عن أخرى.

¹ليلي شعبان وآخرون: المنهج السيميائي في تحليل النصّ الأدبي، حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالاسكندرية، مج1، ع33، س2017، ص791

ب. مرحلة الانتقال من المادية إلى مرحلة المعنى: فمعنى الكلمات التي نجدتها في المعاجم ليس دائما معنى الكلمات التي نجدها في التواصل العقلي، وعلم العلامات لا يهتم إلا بالمعنى الأخير¹.

الحقل السيميائي يتناول مختلف الأجناس الأدبية على غرار الشعر، القصة، المقامة، الرواية، وكذا مختلف المجالات المختلفة والتي نذكر منها: الثقافة، المسرح، الإشهار، السينما، عالم الأزياء الحياة الاجتماعية، لكن قواعد تحليلها يختلف من ميدان إلى آخر، والتي نوضحها على النحو الآتي:

1.6. آلية التحليل السيميائي للنصوص السردية:

لا توجد آلية متقارب عليها، لكن المحللين السيميائيين العرب اعتمدوا منهج السيميائي الليتواني الأصل غريماس (Greimas) الذي أرسى قواعد السيميائيات السردية، «حيث أسس نموذجها النظري ابتداء من الخرافة والحكاية الشعبية، مستثمرة العمل الهام لبروب (Broub) في "مرفولوجية الخرافة"، ثم استدراقات ليفي ستروس (Lévi-Strauss)، لتفتتح المدرسة بعد ذلك على حقول معرفية أخرى، مثل: سيميائيات الأهواء، ونظرية الكوارث، ومفهوم التناظر، وقد أغنت هذه الإبدالات النظرية السيميائية السردية، وجعلت منها إطارا حاضنا لنصوص ذات أبعاد مختلفة اجتماعية وسياسية ودينية»².

التحليل السيميائي للنصوص السردية تناول المستويات التالية: البنيات الدلالية الأولية العاملة، الموجّهات، والبنيات السردية والموضوعاتية، والبنيات التصويرية، ويفترض في كل

¹ ينظر: علي زغينة: مناهج التحليل السيميائي، محاضرات الملتقى الوطني الأول: السيمياء والنص الأدبي، قسم الآداب واللغة العربية، جامعة بسكرة، (الجزائر)، أيام 7، 8 نوفمبر 2000، ص 135، 136.

² عبدالمجيد العابد: التحليل السيميائي السردية لرواية "اللصّ والكلاب" لنجيب محفوظ، تاريخ النشر 2022/10/01، تاريخ الاطلاع 2022/10/05، رابط الموقع: <http://www.aklaam.net/>

مستوى أنه ينطلق من المجرد إلى المحسوس، وأنه يتمفضل في المستوى الموالي له مباشرة، ولكن بشكل معقد فاقتربت بذلك السيمائية الأدبية من الأنتروبولوجية البنائية للخطاب السردى¹.

تقوم السيمائية السردية الغريماسية بالتركيز على الدلالة، وهذا ما جعله يقسم النصّ إلى مستويين رئيسيين «يتفرّع كل واحد منهما بدوره إلى قسمين فرعيين متكاملين، وهو ما يكمن الإشارة إليه فيما يأتي: المستوى السطحي (Le niveau de surface)، المستوى العميق (Le niveau de profond)، ففي المستوى الأول سيكون على المحلل رصد مكوّنين اثنين يقعدان لنظام العناصر المعروفة بانتمائها إلى هذا المستوى وهما: مكوّن سردي، فيه يتمّ مراعاة سلسلة التطورات الطارئة على حالة الفواعل، ومكوّن خطابي يضبط الترابط الخاصّ بالصّور ومولّدات المعنى»².

المستوى العميق يسير وفق قاعدة الثنائيات المتضادة، حيث كلّ قطب من هذه الثنائيات يحمل عدّة دلالات ومعاني يسمّيها غريماس بالقطب الدلالي، فالقارئ للنصّ يلاحظ وجود عدّة دلالات على القطب الأول من صفات، أسماء، أفعال... وفي المقابل وجود عدّة دلالات أخرى تدلّ على التقيض، عنصر مشترك هو المحور الدلالي... انطلاقاً من البنية الدلالية للمحور تتكوّن شبكة من العلاقات بين الوحدات الدلالية التي يتمّ توزيعها على المربع السيميائي الذي يعتبر خطاطة يتمّ من خلاله عرض التّحرّك الفعلي للمشروع بعلاقاته التّصنيفية (التّضادّ-التّناقض)³.

ومّا يساهم في تحوّل البنى السردية إلى بنى سيمائية سردية كذلك مشروع «البناء العملي» الذي يقوم على مفهومي الاتّصال والانفصال، بحيث يحدّد غريماس المشروع باعتباره متتالية من الحالات والتحوّلات في إطار العلاقة بين الذات والموضوع وتحوّلاتها⁴.

¹ ينظر: عبدالقادر شرشار: مستويات التحليل السيميائي في مقارنة النصّ السردى، مجلة بحوث سيميائية، مج1، ع1، س2002، ص136

² قادة عقاق: السردية ومستويات التحليل السيميائي للتّصووص (سيمياء السرد الغريماسية نموذجاً)، مجلة الخطاب، مج3، ع3، س2008، ص229

³ ينظر: نبيلة فراحتية: آليات التحليل السيميائي للنصّ السردى في الخطاب التقدي الجزائري "تجربة عبد الحميد بورايو-رشيد بن مالك أنموذجاً"، مجلة الفضاء المغاربي، مج3، ع4، س2020، ص31

⁴ المرجع نفسه: ص32

2.6. آية التحليل السيميائي للنص الشعري:

تقنيات تحليل النصوص الشعرية تختلف من محلل إلى آخر، غير أن الآليات السيميائية المتعارف عليها في هذا المجال تتمثل فيما يلي:

في البداية يقوم الناقد بتناول سيميائية العنوان وبنيته من خلال استعراض عنوان النص الشعري، لون الكتاب، غلاف الكتاب، الطباعة، الإهداء، نوع الصورة الموجودة في الكتاب، لأن «العنوان علامة لغوية تعلق النص لتحده وتجذب القارئ إليه، فلو العناوين لظلت كثير من الكتب مكدسة، فالعنوان يحظى باهتمام بالغ في الدراسات السيميائية، وهذا ما جعله ضرورة ملحّة في القصيدة الحديثة ومطلبا أساسيا في التركيبة، والبناء العام للنص».¹

ثمّ ينتقل المحلل بعد ذلك إلى دراسة البنية الصوتية لهذا النص الإبداعي، لأن «طبيعة التحليل اللغوي للعنوان تقتضي البدء بأصغر وحدة صوتية في النظام اللغوي إلى أعلى مراتب التركيب، وهو الدافع عند تتبع معاني الألفاظ الانطلاق من أصغر وحدة صوتية للتفريق بين المعاني، ثمّ يقوم بعدها الناقد بالتعرض للبنية التركيبية وخاصة الحمل التحوّية وسياقاتها، دون أن ينسى البنية الصرفية التي يتناول فيها الباحث صيغ الأفعال، وما تتعرض لها من تغييرات عند إسنادها للضمائر، وتناول الظواهر الصرفية مثل: ظاهرة التصغير وغيرها من الأمور المتعلقة بفنّ الصرف»².

ثمّ ينتقل إلى الحقل الدلالي، الذي يعتمد على «تصنيف مجموع الكلمات في المتون الشعرية، إلى حقول دلالية خاصة بالمعنى الذي يجمع كل مجموعة لتسهيل المقاربة النقدية، والتّقريب من مفاتيح التّأويل، وأخيرا يذهب الباحث إلى حقل الموسيقى، فيتطرق للحديث عن موسيقى النصّ الشعري، من خلال ثنائية "الوزن والقافية" وعلاقتها بالنصّ الشعري علاماتيا، وكشف صورهما التأولية النصّانية تدريجيا، من خلال ظاهري "التنغيم والغنة"³.

¹ عبد الرزاق حاجي، هواري بلقاسم: آليات التحليل السيميائي للخطاب الشعري في النقد الجزائري؛ قصيدة "يا دار" لمحمد العيد آل خليفة"، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، مج13، ع1، ص1، 2021، ص1204

² ليلي شعبان وآخرون: المرجع السابق، ص797

³ المرجع نفسه: ص799

بعد عرضنا لإجراءات التحليل السيميائي الخاصّة بالنصوص الشعرية إلا أننا وجدنا بعض من النقاد العرب التزم بهذه الآليات، وهناك من استفاد من إجراءات أخرى، وهذا حسب اختلاف وجهات نظر لديهم «فمثلا محمّد مفتاح وعبد الملك مرتاض اشتركا في المنطلق فلم يركّزا على مدرسة معيّنة، فعبد الملك مرتاض يرى أنّ النصّ الشعريّ يحتمل أوجهها عديدة لا يمكن لمنهج معين الإحاطة بها، فلا البنيوية ولا الأسلوبية ولا السيميائية وحدها قادرة بأدواتها التقنية وإجراءاتها المنهجية على الإحاطة بالنصّ، أمّا محمّد مفتاح أدرك أنّ آية مدرسة لم توفّق إلى الآن في صياغة نظرة شاملة»¹.

أمّا بالنسبة للمستويات التي تناولها هؤلاء النقادين، فإنّهما اهتمّا بالتشاكل والتباين على المستوى الصوتي والمعجمي والتركيبى والدلالي للنصّ، بيد أنّ عبد الملك مرتاض أضاف مستوى الحيز، ثمّ مستوى المماثل والقرينة، وكليهما أهملتا الجانب الإيقاعي².

7. مخطّط يوضّح تطوّر السيميائيات منذ القديم إلى اليوم:

ارتأينا أن نضع مخطّطا نوضّح من خلاله مراحل تطور المنهج السيميائي في المدرسة الغربية، حيث تعدّدت أسسها، وشكّلت أنظمة سيميائية في مختلف الحقول التي استطاعت الولوج إليها، عبر العصور، فقسّمتنا هذه المراحل كما يلي:

أ. **مرحلة العصور القديمة:** مثلها الشكّلائيون الذي اهتموا بعلم الأمراض، وكذا الرواقيون الذين كان لهم فضل السبق في اكتشاف الدال والمدلول.

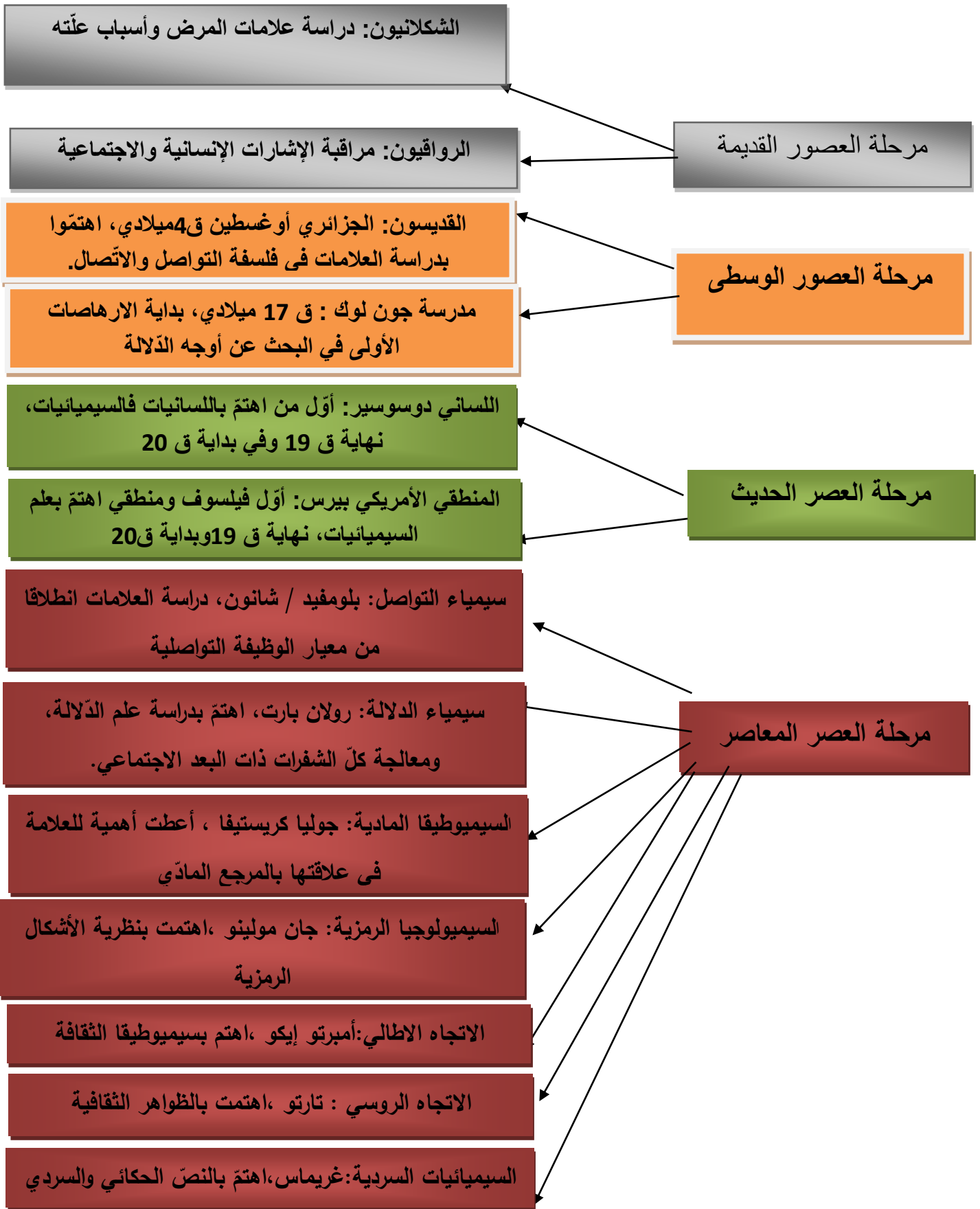
ب. **مرحلة العصور الوسطى:** أبرز هذه المرحلة القديس الجزائري أوغسطين الذي يعتبر أول من وضع أسس العلامات، بالإضافة إلى جون لوك الذي يعتبر أحد مؤسسي السيميوطيقا الفلسفية التي تبنّاها فيما بعد الأمريكي بيرس بعد ميله الكبير لنظرياته.

¹ فاتح علاق: التحليل السيميائي للخطاب الشعري في النقد العربي المعاصر (مستوياته وإجراءاته)، مجلة جامعة دمشق، مج 25، ع 1، 2، س 2009، ص 153

² ينظر: المرجع نفسه: ص 161

ت. مرحلة العصر الحديث: وهم مؤسسي هذا العلم: فرديناند دوسوسير (Ferdinand de Saussure) و تشارلز سندرز بيرس (Charl Sanders Peirce)

ث. مرحلة العصر المعاصر: وفيه تعددت حقول السيمائية، فظهرت سيمياء التواصل، و سيمياء الدلالة، و السيمولوجيا الرمزية، و السيمياء المادية، و سيمياء الثقافة، و السيمائيات السردية، وكان المنحطّط على التحو الآتي:



الفصل الثاني: مقاربات سيميائية في الخطاب النقدي الجزائري

1. الخطاب النقدي السيميائي في الوطن العربي
2. إشكاليات المنهج السيميائي في الخطاب النقدي الجزائري
3. تجليات المنهج السيميائي في الخطاب النقدي الجزائري
4. إشكاليات تناول المصطلح السيميائي في الخطاب النقدي الجزائري

تمهيد:

عرف الخطاب النقدي العربي الحديث و المعاصر تحولات جذرية في أواخر القرن العشرين، نتيجة ما فرضته المناهج النقدية المعاصرة (سياقية كانت أو نسقية)، القادمة إلينا من المدرسة الغربية الجديدة، والتي تحصل عليها النقاد العرب بفضل المثاقفة والترجمة و الاحتكاك الكبير مع المدرسة الغربية، مما جعل النقاد العرب يقبلون على هذه المناهج تنظيرا وتطبيقا، وتجلت هذه الممارسة في تشريهم للنصوص العربية القديمة والحديثة، وفقا لأساسيات هذه المناهج، ويعدّ المنهج السيميائي " من أهمّ المناهج التي شكّلت بعدا ثقافيا نقديا بين الغرب و العرب، ولقد ركّز نقادنا العرب على تحليل النصوص الشعرية القديمة لأنّ للنص الشعري القديم بعد ثقافي وتاريخي كبير في الذاكرة العربية الإبداعية، لدى المتلقي و المبدع والنّاقذ على وجه الخصوص.

اهتمّ النّقد العربي المعاصر بتحليل النّصوص الشعريّة، مستخرجا مختلف معالمها ورموزها متّبعاً الأسس النقدية السليمة للمنهج السيميائي، وهذا ما يسرّ عملية الممارسة والتطبيق خاصة على النصوص الشعرية القديمة، وقد ورد في مختلف كتب النقد والدراسات السيميائية العديد من المقالات، والكتب، التي نظّرت وشخصت وطبقت آليات النقد السيميائي خاصة في مجال تلقي النص الشعري القديم، وخلصت إلى نتائج هامة في كيفية تعاملنا وتلقينا للنص القديم وفق المنهج السيميائي الذي نهل منها نقادنا المغاربة و المشاركة على السواء.

1. الخطاب النقدي السيميائي في الوطن العربي:

لا يمكننا القول بأنّه يوجد انقطاع للنقد الدلالي السيميائي العربي القديم، عن النّقد السيميائي العربي المعاصر، فقد « عرف الوطن العربي القراءة السيميائية المبكرة منذ منتصف السبعينات، وأخذت تتأسس خلال الثمانينات من بوابة المغرب العربي، ومن خلال الأقلام التي أسهمت في هذا الحقل من النّقد العربي المعاصر، محمّد مفتاح، عبد الفتّاح كليطو ومحمّد الماكري من المغرب، وعلي العشيّ وسمير المرزوقي من تونس، وعبد الملك مرتاض وعبد القادر فيدوح وأحمد يوسف

وعبد الحميد بورايو ورشيد بن مالك والطاهر رواينية من الجزائر، وعبد الله الغدّامي من السّعوديّة، وقاسم المقداد ومحمد خير البقاعي من سوريا وغيرهم¹.

من الأسباب التي ساهمت في ظهور السيميولوجيا في العالم العربي «التّرجمة والمثاقفة والاطّلاع على الإنتاجات المنشورة في أوروبا والتّلمذة على أستاذة السيميولوجيا في جامعات الغرب، حيث بدأت السيميولوجيا بالظهور بالمغرب العربي أوّلا، وبعض الأقطار العربيّة ثانيا، عبر محاضرات الأساتذة منذ الثّمانينات، عن طريق نشر كتب ودراسات ومقالات تعريفية بالسيميولوجيا، أو عن طريق التّرجمة، وإنجاز أعمال تطبيقية في شكل كتب أو مقالات ورسائل وأطروحات جامعية تقارب النّصوص الأدبيّة والفنّيّة والسّياسية، على ضوء المنهج السيميائي، أنجزت بالمغرب وتونس وهي لا تعدّ و لا تحصى»².

انتقل المنهج النقدي السيميائي إلى الوطن العربي خلال نهاية سبعينيات القرن الماضي، لكن دخل مجال التّأسيس في الثّمانينات ومن أهمّ اسهامات نقادنا المعاصرين في تأسيس المنهج السيميائي نذكر:

1.1. المغرب العربي:

من النّقّاد المغاربة الأوئل الذين كان لهم فضل السّبق في هذا المجال عبد الكبير الخطيبي ومحمد مفتاح الذي يمتلك ثلاثة دراسات تطبيقية تتمثّل في مايلي: "في سيمياء الشعر القديم" سنة 1982م، وكتاب في "تحليل الخطاب الشعري" سنة 1985م، و"دينامية النص" سنة 1987م، جميع هذه الكتب درست الجانب الشعري. بينما التحليل السيميائي لحياة المجتمع، فقد رسم عبد الكبير الخطيبي مؤلّفه "الاسم العربي الجريح" سنة 1980م، قام من خلاله تحليل أربعة حقول هي: الأمثال، والوشم، والخط، والجماع³.

¹ حفناوي بعلي: التجربة العربيّة في مجال السيمياء، دراسة مقارنة مع السيميولوجيا الحديثة، الملتقى الوطني الثاني السيمياء والنصّ الأدبي، قسم الآداب واللغة العربيّة، جامعة محمد خيضر بسكرة (الجزائر)، أيام 15/16 أبريل 2002، ص 164.

² إبراهيم عبد العزيز السمري: المرجع السابق، ص 305.

³ ينظر: محمد عزّام: تأسيل المناهج النقدية (السيميائية نموذجاً)، تاريخ النّشر: 2008/09/19، تاريخ الاطّلاع: 2021/05/25، رابط الموقع: <https://www.diwanalarab.com/>

نظرا للاهتمام الكبير بهذا المنهج، «فقد هرعت له الدّراسات تترى، وعقدت له عدّة ملتقيات، وأسّست له جمعيات على غرار مجلة "دراسات سيميائية أدبية لسائبة" المغربية سنة 1987م، ومحضّت لها قواميس متخصصة، (كما فعل التّهامي الرّاجي الهاشمي، رشيد بن مالك، سعيد بنكراد)، وصارت مادّة من مواد الدّراسة في أقسام اللّغة العربية وآدابها، ومنهجها ينتهجه كثير من النّقّاد المعاصرين، كمحمّد مفتاح، ومحمّد الماكري، وأنور المرتجي، قاسم مقداد، وعبدالله الغدّامي وصلاح فضل وعبد الملك مرتاض وعبدالقادر فيدوح وعبدالحاميد بورايو وحسين خمري ورشيد بن مالك وسعيد بوطاجين ومحمّد النّاصر العجمي...»¹.

أمّا في الجزائر فقد تبلور هذا العلم من خلال «بيان السيميائية والأدب بالجزائر سنة 1988، والذي صدر بعد أشغال مؤتمر السيمياء والنصّ الأدبي الذي عقد بجامعة سطيف، وتوّج الملتقى بإنشاء "رابطة السيميائيين الجزائريين"، وتشكّل من: عبد الحميد بورايو، صالح مفقودة، عمر عيلان، حسين خمري، رشيد بن مالك، يوسف الأطرش و السعيد بوطاجين»².

استطاع النّقّاد الجزائريون تسجيل حضورهم من خلال الممارسات السيميائية التي قاموا بها، على مستويات التّنظير والتّطبيق والترجمة «حيث حاول أصحاب هذا الاتجاه التّأسيس لهذا المنهج عن طريق نقل المعرفة السيميائية الغربية بمختلف اتجاهاتها ومدارسها هذا من جهة، ومن جهة أخرى إثبات مدى فاعلية هذا الاتجاه وقدرته على فكّ شفرات النّصوص»³.

¹ يوسف وغليسي: مناهج النّقد الأدبي، جسور للنّشر والتّوزيع، المحمدية، الجزائر، ط3؛ 2015، ص98

² ريمة خلدون: المشروع النقدي عند أحمد يوسف، أطروحة دكتوراه (منشورة)، جامعة محمد بوضياف، المسلة، الجزائر، 2018/2019، ص110، 111

³ أحمد سايجي: النّقد النّسقي الجزائري بين الأصول والتّجليات، أطروحة دكتوراه (منشورة)، جامعة الجيلالي ليايس سيدي بلعباس، الجزائر، 2018/2017، ص106، 107

يقول يوسف وغليسي: «نشير بوجه خاص إلى الجناح المغربي صاحب الفضل الأكبر في هذا الشأن إلى: محمد مفتاح، عبد الفتاح كليطو، أنور المرتجي، محمد الماكري... إضافة إلى أسماء أخرى موزعة هنا وهناك... عبد الملك مرتاض وعبد القادر فيدوح من الجزائر»¹.

ومن الذين ساهموا في تأسيس هذا الحقل في الوطن العربي نذكر أيضا «علي العشي وسمير المرزوقي من تونس وعبد الملك مرتاض وعبد القادر فيدوح وأحمد يوسف وعبد الحميد بورايو ورشيد بن مالك والطاهر رواينية من الجزائر»².

أكد مجموعة من المفكرين الجزائريين الذين سنذكرهم فيما بعد أن «الجامعة الجزائرية هي صاحبة الريادة في إدخال النقد السيميائي وتطبيقه على الساحة المغاربية، حيث حاولت أن تجعل منه منهجا معياريا لتحليل النصوص الأدبية وذلك في المؤتمر العربي للسيميائيات الذي عقد في جامعة سطيف سنة 1988، لكن يُلصق بتلك الترجمات و المصنفات و الجهود النقدية الجزائرية ، خاصة الغموض ؛ والخلط بين المفاهيم والانفلات في المعاني و التلاعب في الألفاظ، خاصة في اقتراحها بالمصطلحات، أو في أسوأ الأحوال شرح الغامض بمفردات غامضة مقابلة في لغتها الأجنبية»³.

من المؤلفات الأولى لهؤلاء النقاد في هذا المجال نذكر ما يلي:

- علي العشي: تحليل سيميائي للجزء الأول من كتاب طه حسين سنة 1976م
- عبد الملك مرتاض: ألف ليلة وليلة تحليل سيميائي تفكيكي، حمّال بغداد سنة 1983م.
- إدريس بلمليح: الروية البيانية عند الجاحظ سنة 1984م.
- محمد السّرغيني: محاضرات في السيميولوجيا سنة 1987م.
- محمد البكري: العرب والفكر العالمي سنة 1988م.
- حتّون مبارك: دروس في السيميائيات سنة 1988م.

¹ يوسف وغليسي: النقد الجزائري من اللانسونية إلى الألسنية، إصدارات رابطة ابداع الثقافية، (د ط)، 2002، ص133

² عبد القادر دحدي: التحليل السيميائي في النقد الأدبي الجزائري الحديث، عبد الملك مرتاض أنموذجا، أطروحة ماجستير(منشورة)، جامعة قاصدي مرياح، ورقلة(الجزائر)، 2013/2014، ص36

³ زياد يوزبان: التنظير النقدي الأدبي، تاريخ النشر: 2012/12/03، تاريخ الاطلاع: 2021/06/02، رابط الموقع:

- عبد القادر فيدوح: دلائلية النصّ الأدبي، دراسة سيميائية للشعر الجزائري لسنة 1989م.

2.1. المشرق العربي:

أبرز رواد السيميائية في المشرق العربي: «عبد الله الغدّامي من العربية السعودية، وقاسم مقداد ومحمد خير البقاعي من سوريا»¹.

ومن النقاد المشاركة أيضا نذكر ما يلي:

- محمود السّعران: علم اللّغة سنة 1959.
- صلاح فضل الذي له عدّة مؤلّفات في هذا المجال نذكر منها: مناهج النّقد المعاصر، شفرات النصّ، علم النصّ، نظريّة البنائية، علم النصّ.
- تمام حسّان: مناهج البحث اللّغوي سنة 1960.
- ميشال زكرياء: الألسنية علم اللّغة الحديث مبادئها وأعلامها، بيروت سنة 1980.

2. إشكاليات المنهج السيميائي في الخطاب النقدي الجزائري:

1.2. مفهوم المنهج:

1.1.2. لغة:

جاء في لسان العرب: «كلمة منهج تعني الطريق أو المسلك الواضح المستقيم البيّن»².

وفي مختار الصّحاح «وردت كلمة (ن ه ج)، التّهج بوزن الفلاس، والمنهج بوزن المذهب والمنهاج الطّريق الصّحيح، ونهج الطّريق أبانه وأوضحه، ونهجه أيضا سلّكه»³. قال صاحب تفسير الجلالين، متحدّثا عن المنهج بأنّه عبارة عن «طريقا واضحا في الدّين يمشون عليه»⁴، في تفسيره لقوله تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شُرْعَةً وَمِنْهَا جَا﴾⁵.

¹ حفاوي بعلي: المرجع السابق: 164، 165.

² جمال الدين بن منظور: لسان العرب، مادة (ن ه ج)، ج6، ص383.

³ زين الدّين محمّد بن أبي بن عبد القادر الرّازي: مختار الصحاح، مادة (ن ه ج)، ص586.

⁴ جلال الدّين الخليلي، جلال الدّين السيوطي: تفسير الجلالين الميسّر، دار البشري، باكستان، ط1؛ 2010، ص116.

⁵ سورة المائدة: الآية: 48.

أما معجم مصطلحات الأدب واللغة لمجدي وهبة، فقد عرّفه بقوله: «بوجه علم وسيلة محدّدة توصل إلى غاية معيّنة، كما أنّ المنهج العلمي عبارة عن طريق منظّمة لعدّة عمليّات ذهنيّة أو حسنيّة، بهدف الوصول إلى الحقيقة، وإيجاد الحجج الدامغة لتحقيقها»¹.

إنّ التعريفات اللغويّة لكلمة منهج لها مدلول واحد موحد وهو:

- الطّريق القويم، الذي يوصل إلى الهدف الصّحيح.
 - السّبيل الوحيد الذي يخلّص النّاس من الهاوية ، فباقي السّبل كلّها في ضلالة إلاّ طريق الله الحقّ.
 - يرتكز المنهج على أسس وقواعد سليمة، يتقيّد بها ليحقّق الأهداف المرجوة.
- اجتمعت هذه التعاريف في هدف واحد وهو الصّراط المستقيم الموصل لبرّ الأمان، لكن للإيضاح أكثر لابدّ من التعريف الاصطلاحي، الذي هو الآخر سيكون منه الجديد حول هذا اللفظ.

2.1.2. اصطلاحاً:

ركّزنا على المفاهيم المعاصرة فقط، فقد عرّف عبد الرّحمن بدوي المنهج « بالبرنامج الذي يحدّد لنا السّبيل للوصول إلى الحقيقة، أو الطّريق المؤدّي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم، فتدخل تحته كلّ طريقة تؤدّي غرض معلوم نريد تحصيله، فتمت على هذا الاعتبار منهج للتعلّم، ومنهج للقراءة، وتمت أيضاً منهج للوصول إلى نتائج مادّيّة، كما هو الحال في العلوم العمليّة»².

يقول أحمد طالب: «ما دام العلم يهدف إلى الكشف عن الخصائص المشتركة، والعلاقات القائمة بين الظواهر المختلفة، فإنّه يعتمد على المنهج العلمي، الذي يتضمّن الملاحظة والتأثير والاستنباط والاستقراء والوصف والتجريب، والتّحليل، والتّعليل، والتّقد، والتّاريخ، معتمداً على المناهج الملائم، وغالبا ما يفرض البحث، المنهج، الذي يناسب طبيعته»³.

¹مجدي وهبة: معجم المصطلحات العربيّة في اللّغة والأدب، مكتبة لبنان، ساحة رياض الصّالح، بيروت، ط2؛ 1984، ص393

²عبد الرّحمن بدوي: مناهج البحث العلمي، وكالة المطبوعات، فهد السّالم، الكويت، ط3؛ 1977، ص06.

³أحمد طالب: منهجية إعداد المذكرات والرسائل الجامعيّة، دار الغرب للتّشريع والتّوزيع، وهران، ط7؛ 2015، ص54.

يعرّف أيضا على أنّه في ضوء مناهج البحث على أنّه «منهج البحث هو الطريقة المثلى التي نعتد عليها من أجل حلّ مشكلة البحث، والوصول إلى نتائج أقرب إلى الصّحة والموضوعيّة»¹.

أمّا في المدرسة الغربية فيعرّف المنهج بأنّه: «الطريقة التي يسلكها العقل في دراسة موضوع أيّ علم من العلوم للوصول إلى قضاياه الكليّة، أي القوانين العلمية، أو هو الطريقة، التي يبني بها العلم قواعده ويصل إلى حقائقه»².

من خلال التعاريف الاصطلاحية فإنّ المنهج مرتبط بالبحث العلمي ارتباطا وثيقا، باعتباره السبيل الأنجح لتحقيق بحث علمي سليم متين، فحضور المنهج يعني تمكين الباحث من إتقان عمليّة البحوث العلمية، على الرّغم من اختلاف المناهج التي يسير على طريقها الباحث.

ومنه يمكننا أن نجمل عدّة مفاهيم منها:

- الطريق الصّحيح الذي لا يأتيه الباطل من أي مكان
- السبيل الوحيد الذي يقضي على اختلاف السبل الباطلة
- هو الحياة التي يسلكها الإنسان في حياته، إن اتّبع الصّلاح سلم ونجا، وان سلك الفساد خاب وخسر
- كلّ إنسان مخيّر، لكنّ كل شيء يأتي من جنس العمل.
- هو الطريق الذي يسعى من خلاله الإنسان مجتهدا لكشف الحقائق.
- ثلة من التقنيات التي يعتمد عليها الباحث لإنجاز بحثه وفق طريقة معتمدة من أكاديميات البحث العلمي.

¹ سليمان ولد خصال: منهجية البحث في العلوم الإسلامية، مكتبة الإمام مالك، باب الواد، (الجزائر)، ط1؛ 2015، ص39

² فاضل ثامر: اللّغة الثّانية في إشكالية المنهج والنّظرية والمصطلح في الخطاب النقدي العربي الحديث، المركز الثّقافي العربي، بيروت، ط1؛ 1994، ص220

2.2. تجليات المنهج السيميائي في الخطاب النقدي الجزائري:

يعتبر عبد الملك مرتاض من النقاد الجزائريين الذين كان لهم فضل السبق في دراسة هذا المنهج الغربي الجديد، بعبارة أدقّ هو رائد السيميائية في الجزائر، وما أهله ليكون كذلك الكتب الكثيرة التي ألفها في هذا المجال، من الناحية النظرية والتطبيقية، كما لا ننسى الفضل الكبير الذي قدّمه العديد من النقاد الجزائريين الذين ساهموا في دراسة هذا المنهج نظريا وممارسة وترجمة، فساهموا بذلك في إثراء المكتبة الجزائرية، وقد ارتأينا أن نرتّبهم حسب تاريخ ميلادهم:

1.2.2. عبد الملك مرتاض

2.2.2. عبد القادر فيدوح

3.2.2. أحمد يوسف

4.2.2. حسين خمري

5.2.2. السعيد بوطاجين

6.2.2. رشيد بن مالك

7.2.2. عبد الحميد بورايو

8.2.2. إبراهيم صحراوي

9.2.2. الطاهر رواينية

10.2.2. عبد القادر فهم الشيباني.

ساهم هؤلاء النقاد مساهمة فعّالة في إثراء المكتبة الجزائرية، بما نالوه من رصيد فكري وفلسفي ناتج عن المناهج الغربية، وكذا ما تعلّموه من المدرسة العربية الأصيلة، فاستطاعوا بذلك صنع مستقبلا معرفيا مشرقا، والذي بدوره شقّ طريق الإبداع العالمي، متخلّصا من التبعية والشعور بالنقص.

1.2.2. عبد الملك مرتاض:

عبد الملك مرتاض من النقاد الجزائريين الذين تأثروا كثيرا بالمنهج السيميائي «وبدا ذلك واضحا حينما شهدت كتاباته تحولا من مرحلة الدراسات السياقية مع نهاية فترة السبعينات إلى منتصف الثمانينات، إلى مرحلة الدراسات النسقية من أواسط الثمانينات إلى نهاية الألفية...»¹.

أما فيما يخص المؤلفات التي دوّنها الناقد في مجال الدراسات النسقية، بداية بالبنوية فالسيميائية وكذا الأسلوبية والتفكيكية، نذكر منها ما يلي:

1. النصّ الأدبي من أين؟ وإلى أين؟: وهران 1983م.
2. بنية الخطاب الشعري، دراسة تشريحية لقصيدة أشجان يمانية، سنة 1986م.
3. ألف ليلة وليلة، دراسة تفكيكية لحكاية حمال بغداد، 1989م.
4. القصة الجزائرية المعاصرة سنة 1990م.
5. ألف . ياء (تحليل سيميائي لقصيدة "أين ليلاي" لمحمد العيد، سنة 1992م.
6. شعرية القصيدة .. قصيدة القراءة، تحليل مركب لقصيدة "أشجان يمانية" سنة 1994م.
7. تحليل الخطاب السردي، تحليل سيميائي مركب لرواية "زقاق المدق" لنجيب محفوظ، سنة 1995م.
8. جمالية الجيز في مقامات السيوطي سنة 1996م.
9. قراء النص: بين محدودية الاستعمال ولا نهائية التأويل، مؤسسة اليمامة، الرياض سنة 1997م.
10. في نظرية الرواية، سنة 1998م .
11. السبع المعلقات، مقارنة سيميائية أنثروبولوجية لنصوصها، سنة 1999م.
12. النص، والنص الغائب في شعر سعاد الصباح سنة 1999م.
13. الأدب الجزائري القديم سنة 2000م.
14. نظام الخطاب القرآني، (تحليل سيميائي مركب لسورة الرحمن)، سنة 2001م.

¹الحاج جغدم: التحولات النقدية لدى عبد الملك مرتاض من السياق إلى النسق، مجلة اللغة والاتصال، مج10، ع16؛ س2014، ص56

15. التحليل السيميائي للخطاب الشعري، (تحليل سيميائي لقصيدة (شناشيل ابنة الجلي)، سنة 2001م.
16. في نظرية النقد (متابعة لأهم المدارس النقدية المعاصرة ورصد لنظرياتها) سنة 2002م.
17. نظرية القراءة، سنة 2003م.
18. نظرية النصّ الأدبي سنة 2007م.
19. قضايا الشعرية، سنة 2008م.
20. نظرية البلاغة، سنة 2010م.
21. مائة قضية وقضية...؛ مقالات ودراسات تعالج قضايا فكرية ونقدية متنوّعة، سنة 2012م.
22. مقدمات منهجية

مفهوم المنهج السيميائي عند مرتاض يربطه بمعارفه التي اكتسبها من التراث العربي الإسلامي الأصيل وكذا نظريات أصحاب المدرسة الغربية الحديثة، الذين درس عندهم بالغرب، فقد اكتسب من هذين المدرستين المفاهيم الخاصة بهذا المنهج، مستخدما نظريته المعرفية جامعا بين الأصالة والمعاصرة، ومن أمثلة ما تفرّد به الباحث عن غيره من النقاد صياغته لمصطلح (السيمياء) بدل (السيمياء)، وحثّه في ذلك أنّ هذا المصطلح أسهل وأيسر في النطق عن مصطلح (السيمياء)، لأنّ العرب تحبّد الكلام السهل الهين.

ارتكز عبد الملك مرتاض في تناوله للدراسات السيميائية على مجموعة من المصادر «سعى من خلالها سعياً مشهوداً إلى توطين المعرفة السيميائية عن طريق الجمع بين التّصوّر بين القديم والجديد، ثمّ محاولة البحث عن مرجعيتها في التّراث العربي، محاولاً التّركيب بين الأسس الإبستمولوجية والمرتكزات المعرفية»¹.

توزّعت مصادر النّاقِد السيميائية حول مدرستين هما:

أ. مدرسة التّراث العربي الإسلامي: نظراً لتشبعه بخلفيات ثقافية وروافد فكرية عربية وإسلامية منذ نعومة أظافره، وهو الذي وصف نفسه بقوله: «وإنّ هذا القرآن تربطني به صلة روحية حميمة منذ صباي المبكّر حيث كان أوّل ما حفظت، فأمعنت في ختمه إحدى عشرة مرّة، مسطوراً على لوح الخشب، ومدبّجاً بقلم القصب، وبحر الصّمغ»².

المصادر التراثية التي اعتمد عليها في مؤلّفاته نوجزها كما يلي:

- كتاب السيرة النبويّة لابن هشام وابن كثير
- كتب التّفاسير: تفسير القرآن العظيم لابن كثير و كتاب الكشّاف عن حقائق غوامض التّنزيل و عيون الأقاويل في وجه التّأويل للزّمخشري الذي أخذ عنه الكثير في دراساته، حيث وصفه بقوله: «فصّل الزّمخشري تفصيلاً كأنّه اختصّ به لوحده فيما ألهمنا به من مصادر»³.
- كتب الجاحظ خاصّة: الحيوان والبيان والتبيين
- كتاب الإعجاز ودلائله لعبد القاهر الجرجاني
- مؤلّف سيبويه "الكتاب"
- مدوّنة ابن رشيق القيرواني الخاصّة بمحاسن الشّعْر وآدابه

¹ يوسف وغليسي: عاشق الضاد؛ قراءات في كتابات العلامة عبد الملك مرتاض، جسور للتّشعر والتّوزيع، ط1، 2018، ص251، 252.

² عبد الملك مرتاض: نظام الخطاب القرآني؛ تحليل سيميائي مركّب لسورة الرّحمن، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، (د ط)، 2001، ص7.

³ عبد الملك مرتاض: السبع المعلّقات؛ مقارنة سيميائية أنتروبولوجية لنصوصها، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، (د ط)، 1998، ص399.

- عبد الرحمن بن خلدون صاحب "المقدمة"
- مدونة "الأغاني" لصاحبه أبو الفرج الأصفهاني الأموي.
- وثلة من النقاد العرب على غرار الأمدي صاحب المؤلف والمختلف، الأصفهاني صاحب الأغاني، الثعالبي صاحب فقه اللغة، ومحمد بن سلام الجمحي مؤلف كتاب طبقات فحول الشعراء، والسيوطي، وابن طباطبا العلوي صاحب كتاب عيار الشعر، وكذا كتاب الأمالي للقيلي، والعقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي، والشعر والشعراء لابن قتيبة، والقرطاجي صاحب منهاج البلغاء وسراج الأدباء، والمبرد صاحب الكامل في اللغة والأدب، ابن التميم صاحب الفهرست والمسعودي صاحب مروج الذهب ومعادن الجوهر.
- الرؤية التراثية والإسلامية لعبد الملك مرتاض تبلورت في الدراسات التالية:
 - ❖ ألف ليلة وليلة، دراسة تفكيكية لحكاية حمال بغداد.
 - ❖ درس المقامة من خلال كتابه "جمالية الحيز في مقامات السيوطي".
 - ❖ النص الأدبي من أين؟ وإلى أين؟ خصّصه لتشريح نص أبي حيان التوحيدي.
 - ❖ درس شعر المعلقات من خلال كتابه "السبع المعلقات؛ مقارنة سيميائية أنتروبولوجية لنصوصها".
 - ❖ له كتاب نستطيع أن ندرجه ضمن تخصص دراسات قرآنية في كتابه "نظام الخطاب القرآني"، درس فيه "سورة الرحمن دراسة سيميائية".

ما يجزم أنّ مشرب عبد الملك مرتاض تراثي إسلامي خالص، ما ورد في بعض كتاباته حين قال: «والعرب من الأمم التي تعاملت مع النصّ الأدبي على أساس من افتتاحيته وعطائيته، منذ القدم بحيث ألفيناهم يكلفون كلفاً شديداً ببعض النصوص الأدبية الكبرى، مثل: شعر المتنبي الذي وصلنا من التراث أكثر من ثلاثين قراءة أدبية عنه، لعل أشهرها: قراءات ابن الأثير، وابن جني، وابن سيده، والتبريزي، وعلي بن عبد العزيز الجرجاني، والصّاحب بن عبّاد، وأبي حيان التوحيدي، والشّريف الرّضي، والواحدي، ومثل ذلك يقال في النصوص الشعريّة التي جمعها أبو تمام...»¹.

¹عبد الملك مرتاض: التحليل السيميائي للخطاب الشعري، تحليل بالإجراء المستوياتي لقصيدة شناشيل ابنة الجلبي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، (د ط)، 2005، ص8

ب. مدرسة الحداثة الغربية:

عبد الملك مرتاض من أوائل النقاد العرب الذين كان لهم فضل السبق في استيراد المناهج النقدية المعاصرة إلى النقد الجزائري، فضلا على ما اكتسبه من نقاد ولسانيين ومترجمين احتكّ بهم أثناء دراسته بفرنسا، فأسس لنفسه أسسا فكرية استمدّ منها منهجه السيميائي وإجراءاته التّنظيرية والتّقييدية، كما أنّه يدرج المناهج الغربية (البنوية، السيمولوجيا، التّشريحية، الأسلوبية) ضمن النّقد اللّسانيّ، ولقد تعدّدت مصادره السيميائية الحداثيّة كما يلي:

- التّيار اللّسانيّ الغربي صاحب الثّورة السيمولوجية المناهضة للمدّ البنيوي: بزعامة السويسري فرديناند دي سوسير (Ferdinand de Saussure) وجملة من «المنظرين في فرنسا لهذا العلم الجديد مثل: "تودوروف" و "ديكرو"، "غريماس"، "جاكوبسن"، "كلود ليفي ستراوس"، "بنفنيست"، "رولان بارت"، "جوليا كريستيفا"، و "جينيت"، وعلى أساس هذا التقدير كان لأحداث 1968 في فرنسا الأثر العام في وقف المدّ البنيوي ومضاعفة النّقد وبدء ثورة السيمولوجية، كمنهج ونظريّة؛ تهدف إلى القراءة المفتوحة على نقيض البنيوية»¹.
- التّيار المنطقي الفلسفي السيميوطقي: بقيادة الأمريكي تشارلز ساندرس بيرس (Charles Sanders Peirce)، وإضافة إلى هذين التيارين الغالبين على مصادره اعتمد كذلك على:

❖ المعجم السيميائي المعقلن "الغريماس (Greimas) وكورتيس (Cortes)".

❖ في مجال التّقنيات السردية «حلّل الشّخصية في مستوياتها البنيوي الوظيفي من منظور سيميائي، متقصّيا في ذلك دلالات الأسماء والأعمار والشخصيات من حيث البناء المورفولوجي، فجنح إلى بعض المعاجم القديمة في الثّقافة الغربية مثل معجم فيليوت مورون الموسوعي (Viollette Morin Encyclopedie)»².

¹مولاي علي بوخاتم: الدرس السيميائي المغربي؛ دراسة وصفية نقدية إحصائية في نموذجي عبد الملك مرتاض ومحمد مفتاح،

ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د ط)، 2005، ص15

²المرجع نفسه: ص24

- اعتماده المنهج السيميائي مركباً مع المناهج الأخرى أبرزها المنهج البنوي، التفكيكي، الأسلوب في ممارساته السيميائية.
- تأثره بتيار جاك دريدا (Jacques Derrida)، حيث كان يدرس النصوص في بعض الأحيان دراسات مستوياتيه، مسلطاً الضوء على مستوى بنية اللغة، ثم المستوى التفكيكي، وهذا ما أشار إليه في بعض كتبه قائلا: «إنّ جاك دريدا هو الذي، أو هو أحد الذين طوّروا البنوية بالمفهوم الطودوروفي ودرجوا بها رويدا رويدا نحو التشرحيّة أو التفكيكيّة... وقد فصل جاك دريدا كثيراً من آرائه في كتبه الثلاثة التي نظّر فيها لهذه النزعة، والكتب هي: "في علمانية التحو" و "الصوت والظاهرة، و"الكتابة والاختلاف"»¹.
- ميله الكبير لترجمة بعض النصوص السيميائية مثل: «الأصول السيميائية في فكر شارل سندر بيرس (Charles Sanders Peirce) وجنوحه إلى ترجمة المربع السيميائي لغريماس (Greimas) كما أنّه عادة ما كان يركّب بين السيميائيات والتأويلات»².
- محاكاته لعناوين السيميائيين الغربيين، وبخاصّة عناوين «رولان بارت وأمبرتو إيكو. ومن ذلك عنوان كتاب "أ/ي؛ تحليلي سيميائي لقصيدة" أين ليلاي لمحمد العيد، عنوان رولان بارت في S/Z بيد أنّ المتن الذي درسه بارت كان قصصياً، أمّا المتن الذي درسه عبد الملك مرتاض فكان متنا شعرياً... وكذا ينطبق على هذه المحاكاة عنوان الكتاب الذي خصّصه إلى قراءة شعر عبد الوهاب البياتي "قراءة النصّ بين محدودية الاستعمال ولا نهائية التأويل" عنوان كتاب "حدود التأويل" لأمبرتو إيكو»³.
- في نظر عبد الملك مرتاض السيميائيات خلقت من رحم اللسانيات إذ نلغيه يشير إلى "دوسوسير" و "بيرس" و "أندري مارتيني" و "يامسليف" و "بنفينست" وهؤلاء يعدّون من ركائز مشروع السيميائيات التي استعانت بجبر العلامات... فهو يرى أنّ السيميائيات خليط من اللسانيات والتحويات والبلاغيات⁴.

¹ عبد الملك مرتاض: أ/ي دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة "أين ليلاي" محمد العيد آل خليفة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر (د ط)، 1992، ص 21، 22.

² يوسف وغليسي: المرجع السابق، ص 281.

³ المرجع نفسه: ص 285.

⁴ ينظر: المرجع نفسه: ص 302.

- استفادته من أفكار المدرسة الشكلائية الروسية وأقطابها البارزين أمثال «رولاند جاكسان (Roland Gaksan)، وطوماسفيسكي (Tomasfiski) وإكنيوم (Icnioum) وفكتور جيرومونيسكي (Victor Zirmunski) كما يبدو ذلك في كتابه "تحليل الخطاب السردى؛ معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية زقاق المدق"»¹.
- تأثره الكبير بأستاذه أندريه ميكائيل (André Miquel) الذي أخذ عنه فكرة اللامنهج هو المنهج، ومن جملة ما قاله عن هذا الموضوع قوله: «كنت يوما منفردا بأستاذي أندريه ميكائيل في معهد فرنسا بباريس (Collège de France) في جلسة علمية حين كنت بصدد تهيئة أطروحة دكتوراه دولة تحت إشرافه، فأفضى بنا الحديث إلى إشكالية المنهج وطوائله، بل غوائله، فزعم لي في شيء من التحدّي العلمي المصحوب بالسخرية إنّ المنهج هو اللامنهج!»².
- يعتمد عبد الملك مرتاض في التحليل السيميائي على منهجية تنطلق من المضمون إلى الشكل، ثمّ من الشكل إلى المضمون، أخذا هذه المنهجية من مشرفه أندريه ميكائيل (André Miquel)، «فهو من النقاد الذين حسموا وبشكل نهائي مسألة الشكل والمضمون، فقد حاول تشكيل منهج سيميائي مركّب أكثر نضجا، لضمان الدقة والضبط الكفيلين بتقويم النصّوص، ونقدها نقدا موضوعيا قائما على رأب الصدع بين شكلها ومضمونها انطلاقا من التوحيد بين دوالها ومدلولاتها، وفقا لمبدأ دوسوسير»³.
- استحوذت التّأويلات على تحليلاته السيميائية ولاسيما ما كتبه جهابذتها من أمثال: "غدامير" و "إيكو" و "ريكور" و "دريدا" و "بيرس" على الرّغم من أنّه يعي تعدّد مفاهيم التّأويلات مثلها مثل السيميائيات، فإنّه يحدّد أهدافها، مستعملا التّأويلية لشرح ما أشكل من المعاني، وتحليل ما استعص من التّسوج الأدبية العميقة الفكر⁴.

¹ طارق ثابت: عبد الملك مرتاض وجهوده في التّنظير لتحليل الخطاب الأدبي (المنهج السيميائي أنموذجا)، مجلّة الأثر، مج10، ع11، س2011، ص213

² عبد الملك مرتاض: تقديم المنهج المستوياني، مجلّة اللّغة الوظيفية، مج3، ع2، س2016، ص8

³ هامل بن عيسى: واقع الخطاب السيميائي في التّقد الأدبي الجزائري، أطروحة ماجستير، (منشورة)، جامعة وهران، 2006/2005، ص117

⁴ ينظر: يوسف وغليسي: المرجع السابق، ص286

- أخذ عبد الملك مرتاض كذلك من النظريّات الإغريقية «التي نهض بها هايدجر مارتن (Heidegger Martin) وبول ريكور (Paul Ricoeur) الذين يرون بأنّه ليس هناك نظرية كاملة لتأويل النصوص، وإمّا هناك نظريات متفرّقة ومتعارفة كلّ منها قد ينحصر لدى نصّ واحد، وقد استمدّ هذه الرّؤية من المعجم العالمي لبرنار دباي (Bernard Dupy) وأثراها من خلال معجم غريماس وكورتيس، ثمّ توسّع إلى مفاهيم سيميائية أخرى أبرزها الحيز، التّحيز، اللغة، المقولات الحيزية»¹.
- استند عبد الملك مرتاض كذلك على معجم لاروس (Dictionnaire Larousse) في تعريفه لمصطلح التّناس، مؤكّداً أنّ صبري حافظ من أوائل النّقاد العرب الذين اصطنعوا هذا المصطلح بما هو جار عليه الآن في مقالة نشرها في مجلّة "ألف" عام 1984م، ومفنداً على أولئك الذين زعموا أنّ جوليا كريستيفا (Julia Kristeva) من أوائل من اصطنعوا التّناس من النّقاد الفرنسيين جازماً على أنّ فضل السبق يرجع للنّاقد الرّوسمي ميخائيل باختين (Mikhail Bakhtine)².
- يؤكّد يوسف وغليسي أنّ عبد الملك مرتاض اصطنع لنفسه التّحليل الذي يمكن وصفه تجاوزاً بالتّحليل المحيث بعد أن نصّح له أستاذه أندري ميكايل (André Miquel) أن يقرأ مؤلّفات البلجيكي كلود ليفي سترواس (Claude Levi Strauss) والفرنسي رولان بارت (Barthes) والبلغاري تزيفتان تودوروف (Tzvetan Todorov) والليتواني الأصل جوليان أليراس غريماس (Algirdas Julien Greimas)، ثمّ نصّح له بعد ذلك أن يصطفي المنهج الذي يطمئن إليه، ويراه مناسباً لقراءة النصوص التي يقبل على دراستها³. استند عبد الملك مرتاض في تحليلاته السيميائية على مختلف إجراءات المنهج السيميائي، وخصّصها بالمناهج الغربية الأخرى خاصّة المنهج البنيوي والتّفكيكي وكذا الأسلوب، مستخدماً منهج الإحصاء كنمط تحليلي وصفي.

¹ علي مقدّم: المصطلح السيميائي بين التعريب والتّغريب لدى عبد الملك مرتاض، مجلّة علوم اللّغة العربيّة وآدابها، مج 11، ع 1، س 2019، ص 333، 334.

² ينظر: عبد الملك مرتاض: مائة قضية... وقضية؛ مقالات ودراسات تعالج قضايا فكرية ونقدية متنوّعة، ص 206، 207، 208.

³ ينظر: يوسف وغليسي: المرجع السابق، ص 274.

2.2.2. عبد القادر فيدوح*:

يعتبر عبد القادر فيدوح من أوائل من تبني الأساليب السيميائية واستخدمها في بحثه، وذلك من خلال اعتماده على القراءة التأويلية، وأبرز مؤلفاته ما يلي:

1. دلالاتية النصّ الأدبي، دراسة سيميائية للشعر الجزائري، وهران، 1993م.
2. الرؤيا والتأويل، مدخل لقراءة القصيدة الجزائرية المعاصرة، الجزائر، 1994م.
3. نظرية التأويل في الفلسفة العربية الإسلامية، سوريا، دمشق، 2004م.
4. إراءة التأويل ومدارج معنى الشعر، سوريا، 2009م.
5. أيقونة الحرف وتأويل العبارة الصوفية في شعر أديب كمال الدين، بيروت، 2016م.
6. تأويل المتخيّل، السرد والأنساق الثقافية، سوريا، دمشق، 2019م.

يعدّ كتاب دلالاتية النصّ الأدبي، أول كتاب للنقاد في هذا الفنّ، والذي قسّمه إلى أربعة أقسام: القسم الأول والثاني تحدّث فيهما عن الجانب النظري، بينما الثالث والرابع خصّصهما للجانب التطبيقي إذ يعتبر هذا الكتاب بمثابة نقطة تحوّل للنقاد في مسيرته العلمية وهذا ما أكّده من خلال حوار مع عبد القادر فهمم الشيباني: «ما لقيته من تشجيع من قبل بعض الباحثين كان له الدور الأسمى في السير قدما آنذاك، الأمر الذي أثمر كتابا موازيا لكتاب دلالاتية النصّ الأدبي، تحت عنوان الرؤيا والتأويل مدخل لقراءة القصيدة الجزائرية المعاصرة، ناهيك عمّا جنّيته من فوائد جمّة، كان لها الأثر الإيجابي، من قبل بعض المنتقدين لهذا الكتاب، وليس هذا فحسب، وإتّما عوامل التشجيع كثيرة...ازدادت حيرتي أكثر عندما أحضر الدكتور منذر عياشي الكتاب نفسه لأكتب

* من مواليد ولاية معسكر (الجزائر) 1948م، دكتوراه في النّقد الأدبي الحديث، أستاذ النّقد الأدبي الحديث وفلسفة الفنّ، أستاذ زائر في بعض الجامعات العربيّة، أستاذ مشارك حاليا في جامعة البحرين، عضو فاعل في كثير من اللجان والجمعيات الثقافية والأنشطة الجامعيّة، شارك في العديد من المؤتمرات والندوات الدوليّة، له العديد من البحوث الأكاديمية والنقدية، له مؤلّفات منشورة أهمّها: الجمالية في الفكر العربي، دمشق 1999، القيم الفكرية والجمالية في شعر طرفة بن العبد، البحرين 1998، شعرية القصّ، الجزائر 1996، الرؤيا والتأويل، الجزائر 1994، دلالاتية النصّ الأدبي، الجزائر 1993، الاتّجاه النّفسي في نقد الشّعر العربي، دمشق 1992.

عليه كلمة إهداء، مع أيّ لم أر الدكتور إلّا بعد أن جمعت بيننا البحرين، ولا أكتمك أنّ ذلك كان مدعاة فخر حينها لباحث كان يحتر في بحر وهران»¹.

يؤكد الباحث في مقدّمة كتابه صراحة على المنهج الذي سار على دربه في كتابه الأوّل، وهو المزاوجة بين السيميائية والتأويلية، وذلك من خلال قوله: « جاءت السيميائية "التأويلية" في سبيل القضاء على نظريّة المحاكاة الأرسطية ، (كما جاء مثلا نظام السّوق الحرّة في القانون الاقتصادي لفرض حكم البقاء للأقوى وإعطاء الحرّيّة في التّعامل)، فالنصّ إذن لم يعد يحمل الرّاية الايديولوجية التي اعتمدت بنية الخلل الاجتماعي مظهرها لها، لأنّ النصّ الادبي اليوم أصبح يحمل دلالات متنوّعة وفق ما تحدّده القراءات المتعدّدة التي تختلف هي الأخرى باختلاف المكونات الإدراكية للقارئ المتفتّح على إطاره الحضاري الذي ينتمي إليه»².

يشير فيدوح على أنّ للتأويل التأملي مكسب كبير وهامّ، يعين المتلقّي في القراءة السيميائية، وهذا ما استقرّ عليه من خلال تأكيده على أنّ «جمالية التلقّي تخضع لمعايير التأويل التأملي المتّجه نحو كومة من التّساؤلات التي لا تستقرّ ولا تنتهي في جواب، وهكذا بدخل النصّ حلبة التبادلات بين الأسئلة والأجوبة للتحوّل القراءة السيميائية في تأويلها المشروط إلى رهان تساؤلات الخطاب ومكاشفة أوّليات الكتابة الكامنة في مآزق الذات وتفاعلاتها، ومن ثمّ يؤدّي كلّ مصّ إلى طرح جديد، وهكذا تتعدّد المعاني بتعدّد الأسئلة»³.

عنون الناقد الجزء الأوّل النظري من الكتاب بسيميائية النصّ الأدبي، وفيه يتحدّث الناقد عن جملة من المفاهيم السيميائية، التي تعرضّ إليها كلّ من دي سوسير وبيرس، كما أنّه بيّن أقسامها المتمثّلة في الأيقونة والمؤشّر والرّمز-، واستعرض أيضا أهمّ الاتجاهات السيميائية، وفعاليتها في استبيان دلالية النصوص بشكل عام، ومن الكتب التي اعتمد عليها في هذا الجزء، كتاب "دروس في

¹ عبد القادر فهم الشيباني: حوار مع عبدالقادر فيدوح السيميائيات وعوالم المغامرات النقدية، مجلّة أيقونات، مج1، ع1، س2018، ص134.

² عبد القادر فيدوح: دلالية النصّ الأدبي، دراسة سيميائية للشعر الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، وهران، ط1؛ 1997، ص1، 2.

³ المرجع نفسه: ص3.

السيميائيات لحنون مبارك"، وكتاب "الاتجاهات السيميولوجية المعاصرة لمارسيلو داسكال"، بالإضافة على مجموعة من المقالات خاصة تلك المنشورة في مجلة فصول المصرية¹.

بينما الجزء الثاني النظري من الكتاب فقد عنوانه "بالبعد التأويلي للسيميائية" فشرح فيه الناقد مصطلح التأويلية قديما وحديثا، مبينا الارهاصات الأولى لهذا الفن، التي نشأت بداية مع الكتب الدينية، وكتب البلاغة القديمة، وكان مرجعه في ذلك الكتب العربية التراثية، التالية: "الصناعتين لأبي هلال العسكري" و"أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني"، وقد بين حدود التأويل في مدرسة القدامى من خلال تأكيده على أنّ مصطلح التأويل كان سائدا لدى بعض الأصوليين والبلاغيين بدافع المنهجية الوصفية التي فرضت هيمنتها على الممارسات الإجرائية لجمالية النصّ الناتجة عن التقويم التفسيري قصد الوصول إلى غرض الفهم².

أما القسم الثالث والرابع من الكتاب خصصهما الناقد للجانب التطبيقي، من خلال تطبيقه المنهج السيميائي على "نونية بكر بن حمّاد" و"قصائد شعرية الأقلام الغضة" أجود ما قيل في تجمّع شعراء الجزائر المعاصرة بوهان سنة 1993م، ومن المراجع التي اعتمد عليها في بحثه التطبيقي نذكر: كتاب التحليل السيميائي للخطاب الشعري لعبد الملك مرتاض، الشعر العربي المعاصر لعزّ الدين إسماعيل، تحليل الخطاب الشعري لمحمد مفتاح، السعيد الورقي صاحب لغة الشعر العربي الحديث.

من إيجابيات هذا الكتاب، أنّه يعتبر من المصادر الأولى للمنهج السيميائي في الجزائر، ليضاف إلى المكتبة العربية النقدية، وقد ركّز المؤلف على المراجع الأجنبية، والمراجع العربية الحديثة، ومجموعة من المقالات الحديثة فقط، ومن عيوب هذا الكتاب غياب قائمة المصادر والمراجع في آخر البحث، وهذا تقصير منهجي من المؤلف، كما أنّ الناقد وضع الإحالات في آخر كلّ فصل لكن ما يعاب على هذه الإحالات أنّها كانت ناقصة من جهة، لكن مفيدة للقارئ من جهة معرفة القارئ بمصدر ما كتب في كلّ فصل، وبسهل عليه الغوص فيها إذا أراد ذلك.

¹ ينظر: عبد القادر فيدوح: المرجع السابق: ص 6-21

² ينظر: المرجع نفسه: ص 28

أما مصدره الثاني "الرؤيا والتأويل" فاعتبره الناقد أول كتاب «يجوب حقل الشعر الجزائري المعاصر واستقصائه بما يتناسب ومحك التجربة الحداثية، لعله يجعل من هذه القراءة حافزا لإثارة الصّمت الأريد المبلّد، بعدما أخذ تجربة أولى، متمثلة في كتابه "دلائلية النصّ الأدبي"¹.

ويعتبر هذا الكتاب من المؤلّفات الأولى التي مارس فيها الناقد المنهج السيميائي على الشعر الجزائري المعاصر، وذلك من خلال تعامله مع النصوص الشعريّة «من منظور تأويلي وابتعاده ما أمكن عن مجال العرض والتفسير، بل يبدو الجهد التأويلي مغدّيا روحيا لرؤيا النصّ، ذلك أنّ الخطاب الشعري في معظمه عبارة عن نصّ جاهز يتسلّط عليه الحكم البرهاني، في حين أنّ الحركة الإبداعية الفاعلة هي التي تسوّغ للقارئ استجابة من نوع متميّز، لما في النصّ من ثغرات وثقوب جديدة فيه، فتحدث حميمية وجدانية بين المتلقّي وعالم النصّ الذي يفسح المجال رحبا للاحتمال والاستكمال².

ما توصلنا إليه أنّ الناقد يهتم كثيرا بالتأويل، في ممارساته الدلالية، لاستخراج ألبان النصوص وشفراتها، وهذا ما وصفه بالسيميائيات التأويلية، «التي تقوم على إعادة ما يخزنه من ذخيرة معرفية ومعلوماتية، تتجسّد في سياق التجربة لإعطاء سلطة النصّ صفة التحرّر من قيود خلق الصّور التي تحفّز الانعكاس الإدراكي لمعنى التأويل، فما يرومه القارئ المؤوّل ليس السياق العام للنصّ والمعنى الظاهر له، وإّما ما وراء الذي لم يبح به النصّ، فالمتعة الدّهنية هي مطلب القارئ وغايته التي يحقّقها من عمليّة الشدّ والجذب مع النصّ، ليغنم بعدها نصّا جديدا مستخلصا من رحم النصّ الأول»³.

اعتمد الناقد في كتابه هذا على جملة من المراجع العربيّة، أهمّها: النّقد البنيوي الحديث لفؤاد أبو منصور، ما الشعر العظيم؟ ليوسف اليوسف، أبحّات الشعر العربي المعاصر لإحسان عبّاس، أفق الحداثة وحداثة النّمط لسامي مهدي، ومجموعة من مقالات سيميائية النصّ الشعري، وهي مراجع مترجمة، وهذا ما يجعلها تتعد عن الدقّة المطلوبة، وكان من نتائج ذلك اعتماد الباحث على

¹ ينظر: عبد القادر فيدوح، الرّؤيا والتأويل مدخل لقراءة القصيدة الجزائرية المعاصرة، ديوان المطبوعات الجامعيّة، وهران، ط1؛ 1994، ص4

² ينظر: المرجع نفسه: ص5

³ جميلة سلطان الماس الجاسم: أيقونة الغوص في الشعر العربي المعاصر بالخليج، أطروحة ماجستير (منشورة)، جامعة قطر، 2021/2020، ص59

أسلوب التّحليل الانطباعي في تحليل النّصوص، وشرحه مختلف النّصوص في عدّة مواضيع من دراسته معتمدا على الشّرح والإنشاء¹.

ومن كتب عبد القادر فيدوح كذلك كتاب "نظريّة التّأويل في الفلسفة العربيّة الإسلامية" والذي حاول فيه الإجابة على الأسئلة التّالية: «هل استطاعت الفلسفة العربيّة الإسلامية في نظرتها التّأويلية أن تميّز بين المعقول واللامعقول في تطوير الفكر الإسلامي تباعا؟ وقبل كلّ ذلك هل نستطيع الحديث عن الفلسفة العربيّة الإسلامية بمعزل عن العقيدة؟ وإلى أيّ مدى استطاع هذا العقل أن يراهن على تحليل النصّ؟ وأي نصّ؟»².

وحاول النّاقد رسم معالم التّأويل في الثّقافة العربيّة الإسلامية مؤكّدا أنّ التّفسير والتّأويل يصبّان في مجرى واحد من خلال قوله: «وقد اجتمعت مباحث علوم القرآن على أنّ التّفسير والتّأويل يخرجان من مشكاة واحدة، فكلمة التّأويل ظهرت إلى جانب مصطلح التّفسير في بحوث القرآن عند عامّة المفسّرين، واعتبروها متساوية بصورة بارزة مع كلمة التّفسير في البحث عن المعنى، فكأنّ المصطلحان يدلّان على إيضاح معنى اللفظ والكشف عن مدلولاته»³.

ومن ثمة بيّن النّاقد كلّ أصناف التّأويل في كتابه بدءا بالتّأويل بالمأثور، والتّفسير بالرّأي، والتّأويل بالنّظائر كتفسير القرآن بعضه ببعضه، وكذا التّأويل بالحديث، والتّأويل بمقتضى الحال كنزول بعض الآيات مجملة غير مفصّلة، أو مطلقة غير مقيدة، وأيضا التّأويل بالدراية عند علماء مذهب الرّأي، كما تعرّض لماهية التّأويل عند أبرز الفرق الإسلامية كالشاعرة، والمعتزلة، والصّوفية، ومذهب السّلف الصّالح، «من هذا المنظور يمكن اعتبار التّأويل في سياقه الفلسفي محلّ خلاف بين الفقهاء وعلماء الكلام والفلاسفة، من حيث السّياق الإجرائي، نظرا لوجه الخلاف بين المعرفة الاعتقادية عن طريق القلب واللّسان، والمعرفة الكسبية التي يخوض فيها الإنسان بالعلم والعقل، وقد وصل

¹ ينظر: علي مقدم: تلقّي المنهج السيميائي عند عبد الملك مرتاض (مقاربة وصفية)، ص16

² عبد القادر فيدوح: نظريّة التّأويل في الفلسفة العربيّة الإسلامية، دار الأوائل، دمشق، سوريا، (د ط)، 2004، ص3

³ المرجع نفسه: ص23

الخلاف بين القدامى إلى أشدّه، فبينما وُكّلت المعتزلة سلطة التّفكير إلى العقل المطلق، أرجعت الفرق الكلامية الأخرى أمر التدبّر والتّفكّر إلى التّوفيق بين النّقل والعقل»¹.

وخصّص عبد القادر فيدوح في كتابه "إراءة التّأويل ومدارج معنى الشّعر" جزءا خاصّا بالجانب النظري تحدّث فيه عن أوجه الاختلاف بين التّأويل العربي الإسلامي، والتّأويل الغربي، مؤكّدا أنّ «التّأويل في الفكر العربي الإسلامي يعنى بالجوانب الرّوحية المتجلّية في مظاهر الوجود التي نظر إليها القرآن، أمّا النظريّة التّأويلية الغربيّة تقوم على معطيات الواقع الحسّي»².

تعرّض النّاقد أيضا في الجانب النظري إلى السيميائية الغربية، ملخّصا ذلك في أنّ ثراء القاموس السيميوطيقي الغربي ما هو إلّا نتيجة لكثرة رواده، وتباين اتّجاهاته، الأمر الذي أسهم في تعدّد فروع السيمولوجيا، ثمّ عاد للحديث عن العلامة في التراث النقدي العربي من بوّابة "ماهية العلامة عند العرب" مؤكّدا أنّ اللّغويين والمناطقية والفلاسفة العرب القدامى أمثال الجاحظ، وأبو هلال العسكري وابن سينا وابن فارس، وغيرهم جعلوا للعلامة مراتب وأقسام وأنظمة، واحتكموا في ذلك إلى العقل، والمنطق، والحسّ، والخيال، واستقوا بعض المفاهيم الدلالية من المعارف التّفسيّة³.

ثمّ انتقل النّاقد في الفصول الأخيرة من الكتاب إلى تطبيق المنهج السيميائي على نماذج من الشّعر الجزائري القديم والمعاصر، ففي الشّعر الجزائري القديم قصيدة شعرية للتّاهرتي بكر بن حمّاد*، التي حاول من خلالها دراسة نصّ قديم في ضوء أساليب وأدوات حديثة، تصبّ في قالب القراءة

¹ عبد القادر فيدوح: نظريّة التّأويل في الفلسفة العربيّة الإسلامية، ص69.

² عبد القادر فيدوح: إراءة التّأويل ومدارج معنى الشّعر، صفحات للدراسات والنّشر، البحرين، (د ط)، 2009، ص39.

³ ينظر: المرجع نفسه: ص53-55

* هو أبو عبد الرّحمن بكر بن حمّاد بن سمر بن إسماعيل الزناتي أصلا والتّاهرتي نشأة، نسبة إلى تاهرت، وهي تيارت (ولاية جزائرية حاليا) كانت عاصمة الرّستميّين قديما كان عالما في الحديث، وشاعرا من شعراء الطّبقة الأولى في عصره، ولد عام 200هـ/816م بمدينة تاهرت، بما تعلّم وتلقّى دروسه الأولى على يد مشاهير علمائها وكبار محدّثيها، وبعد بلوغه سنّ السّابعة عشر غادر مدينة تاهرت نحو إفريقية والمشرق، أشتهر بالشّعر والأدب والفصاحة والبيان حتّى عدّ رائد الشّعر بالدولة الرّستميّة، توفّي سنة 296هـ/908م، بعدما خرج فازا من القيروان مع ابنه، فتعرّض لهما اللّصوص في مشارف تاهرت، وقتلوا ولده، أمّا هو فأصيب جروحا بليغة كان لها أثر نفسي لوفاته، مخلّفا وراءه ما أملاه على تلاميذه في كتب الحديث، وله أقوال في الجرح والتّعديل، وله قصائد شعرية رائعة في الاعتذار والرّثاء والهجاء والرّهد والوعظ(نقلا عن مقال لصالح محمد عنوانه: بكر بن حمّاد حياته وآثاره).

التأويلية، فدرسها من حيث فضاء النصّ ولحمته، ثمّ نسيج النصّ، من خلال تعرّضه للمعجم القرآني، ثمّ التّركيب النّحوي، ثمّ تشاكل الألفاظ والجمل وتقابلها، ثمّ التّركيب البلاغي، ثمّ إيقاع النصّ الداخلي والخارجي، وختمها بالبعد الدلالي في القصيدة¹.

أمّا في الشّعر الجزائري الحديث، فقد قام النّاقّد بدراسة تطبيقية للمنهج السيميائي وسمها "بأيقونة الصّورة المجد والانعراج في قصيدة بغداد" للشّاعر الجزائري عبد الله العشي*، وقد بدأ في تحليله السيميائي بنية القصيدة أوّلاً من خلال تعريفه بحضارة بغداد، نقطة وحدة الأمة العربيّة وارتكازها، كما أكّد على نقاوة بيئتها الخصبة، الغنيّة بالخير العظيم، لأنّها من الأسباب الرئيسيّة التي جعلت الشاعر يتغنّى ببغداد، كونها همزة وصل بين الحضارات، ونقطة تقاطع بين الحضارات وسيّدة من سادات العرب في المجال اللغوي و الثقافي والاجتماعي والعلمي...

ثمّ انتقل النّاقّد إلى دراسة مدارج معنى القصيدة وهذا ما نوّه إليه بقوله: «النصّ لا يفهم إلاّ من خلال نسجه المتشابك، وغموض علاقته وتفاعلاته عبر حركاته المتعاقبة، ومن خلال إيجاءاته وإشارياته، وتأكيد القراءة السيميائية على ما ورائياته، وفضاءاته اللامرئية هي محاولة للكشف عن هذه الرّموز وإضاءة دلالاتها، ومن ثمّ فإنّ الخطاب الشّعري بوصفه دالاً يسعى إلى قطع روابطه مع المعاني الانفعالية التي تحمل الأبعاد الدلالية للخطاب»².

انطلاقاً من دراساته التّطبيقية فإنّ عبد القادر فيدوح استطاع «هضم المناهج التّقديّة المعاصرة لاسيما ما بعد البنيويّة (أفقد بيّنت مقارنته التأويلية هذه القطيعة مع المناهج السياقية وقدرتها على الولوج إلى عالم التّأويل والتّحكّم في آلياته الإجرائية، وكلّ ذلك بلغة نقدية نسجها من خيوط

¹ ينظر: عبد القادر فيدوح: إراءة التّأويل ومدارج معنى الشّعر، ص 66-83.

* أستاذ الأدب العربي بجامعة باتنة (الجزائر)، له دكتوراه دولة في نظريّة الأدب 1992م، درّس في عدد من الجامعات الجزائرية والعربية، أشرف وناقش عشرات الرسائل العلمية في الجامعات الجزائرية والعربية، اشتغل عضواً في لجان علمية على مستوى وزارة التعليم العالي والبحث العلمي بالجزائر، واتحاد الكتاب، ولجان الترقية والخبرة العلمية، شارك في العديد من المؤتمرات الوطنية الدولية، من كتاباته: زحام الخطابات، مدخل تصنيفي لأشكال الخطابات الواصفة. أسئلة الشعرية، بحث في آليات الابداع الشعري. جمالية الدعاء النبوي. أحمد معاش، الشاعر وتجربته. الحدأة والهوية، من شعره: مقام البوح، يطوف بالأسماء، صحوة الغيم، قصيدة بغداد.

² المرجع نفسه: ص 119.

الإبداع حتى ضاهت لغة النصّ الشعري في كثير من الجوانب، ما جعله متمكناً من السيميائية التأويلية»¹.

اختصّ الناقد في تحليلاته النقدية بسيميائية التأويل من خلال ربطه التأويل بعلم العلامات «حيث أجاد فيدوح في كشف علامات النصّ في سيرورته، وفكّ مرموزات إشارات في سيرورته، وتضلّع في تأويل النصّ وتفسير أبعاده، حتى أضحى كتابه وثيقة علمية فكرية مهمّة جدّاً، لطلبة العلم والباحثين والمفكرين وفق ما توجبه الدراسات التطبيقية في سياقها التّسقيّة»².

للناقد أيضاً دراسة تطبيقية وفق هذا المنهج تبناها في كتابه "أيقونة الحرف وتأويل العبارة الصّوفية في شعر أديب كمال الدين"^{*}، إذ يحتوي هذا الكتاب على ثلاثة أجزاء رئيسية و مقدمتين ، الأولى كتبها المؤلف والثانية كتبها الناقد فاضل عبود التميمي أمّا الجزء الأوّل فقد خصّصه للحديث عن متاهة الحروف وسؤال المعاني، بينما الجزء الثاني عنونه بالهوية وسؤال المعنى ، وختم كتابه بعنوان لخصّه في رؤيا الإشارة بدلائل العبارة /مقاربة تأويلية صوفية.

اهتمّت الدّراسات السيميائية اهتماما كبيرا بالنصوص الموازية (المصاحبة) ، المرتبطة بعبئات النصّ، إذ هي مجموعة من النصوص التي تخفر المتن وتحيط به من عناوين وأسماء المؤلّفين وتنظر في

¹نادية لطروش: المنهج التأويلي عند عبد القادر فيدوح، قصيدة بغداد 'نموذجا'، مجلّة تاريخ العلوم، مج2، ع4، س2016، ص161.

²غيثاء علي قادة: سيمياء التلقّي في إراءة التأويل للناقد عبد القادر فيدوح، مجلّة أبوليوس، مج7، ع2، س2020، ص75.
*شاعر من العراق مقيم حاليا في أستراليا، ولد عام1953 ببابل، تخرّج من كلية الإدارة والاقتصاد بجامعة بغداد1976م، كما حصل على بكالوريوس أدب إنجليزي من كلية اللغات بجامعة بغداد1999م، وعلى دبلوم الترجمة الفورية من المعهد التقني لولاية جنوب أستراليا2005م، له18 مجموعة شعرية بالعربية والانجليزية، صاحب جائزة الشعر الكبرى سنة1999م بالعراق، اختيرت قصائده ضمن أفضل القصائد الأسترالية المكتوبة بالإنجليزية عامي2007و2012 على التوالي، صدرت8 كتب نقدية عن تجربته الشعرية، مع عدد كبير من الدّراسات التّقديّة والمقالات، صدرت له عدّة مجاميع نذكر منها: شجرة الحروف، دار أزمنة للنشر والتوزيع، عمّان، الأردن2006م، رقصة الحرف الأخيرة، منشورات ضفاف، بيروت، لبنان،2005م، في مرآة الحرف، منشورات ضفاف، بيروت، لبنان،2006م.

الإهداءات والمقدمات والخاتمات وكذا الفهارس وكل ما يكتب أو يرسم على الصّفحة الأولى لواجهة الكتاب وآخر صفحة فيه من الغلاف الخارجي¹.

ومن النصوص الموازية التي ارتبطت بالعنوان اعترافات رائعة وشهادات قويّة من الباحث فاضل عبّود التّميمي الذي قال في مقدّمة الكتاب « وجدت نفسي وأنا أحاول قراءة هذا الكتاب توزّعت بين عالمين كبيرين: عالم الشاعر الذي شغلني منذ زمن ليس بالقليل، وهو يرتقي شجرة الحروف بسلم الشعر ... وعالم الناقد الذي ارتقى شجرة الكلمة بسلم النقد الذي أخذه استعدادا، وافتتانا، وتعلّمنا لأن يكون فنانا، وقد سوّلت لي نفسي الادعاء أنّ لي صلة قديمة، ومعرفة عميقة بما كتب قبل سنوات بعيدة، وإن لم ألقه وجها لوجه فقد التقيته كثيرا على صفحات ما كتب²».

وما لاحظناه أيضا ما وجد في الغلاف الخارجي للكتاب، حيث جاء العنوان بخطّ أصفر كبير، إشارة إلى أنّ وضع العنوان بهذه الطريقة له رموز وإيماءات نصّية تصافح القارئ، وفي أعلى صفحة الغلاف اسم المؤلف إشارة لحقّ ملكيته الكتاب، وفي الغلاف الأخير للكتاب صورتين للناقد والشاعر وهذا إيحاء له وقع قويّ يلج ذهن القارئ، ممّا يعينه على التمعّن والنظر في شخصية الذات المنجزة للقصيدة المتمثلة في الشاعر أديب كمال الدين، والذات الباحثة في غور النصّ الشعري والكاشفة عن أسرار وألغاز النصّ، متمثلة في الناقد عبد القادر فيدوح.

هذا التصميم الذي وجدناه في الكتاب يدخل في إطار سيميائية العنوان أو علم العناوين وهو الذي يمدّنا بزاد ثمين لتفكيك النصّ ودراسته، ونقول هنا أنّه يقدّم لنا معونة كبرى لضبط انسجام النصّ وفهم ما غمض منه، إذ هو المحور الذي يتوالد ويتنامى ويعيد إنتاج نفسه، وهو الذي يحدّد هويّة القصيدة، فهو إن صحّت المشابهة بمثابة الرّأس للجسد، والأساس الذي تبنى عليه، غير أنّه إمّا أن يكون طويلا فيساعد على توقّع المضمون الذي يتلوه، وإمّا أن يكون قصيرا، فحينئذ لا بدّ من قرائن.

¹ ينظر: عبد الرزّاق بلال: مدخل إلى عتبات النصّ، دراسة في مقدّمات النقد العربي القديم، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، بيروت، (د ط)، 2000، ص 21

² عبد القادر فيدوح: أيقونة الحرف وتأويل العبارة الصّوفية في شعر أديب كمال الدين، منشورات ضفاف، بيروت، لبنان، ط 1؛ 2016، ص 12

افتتح عبد القادر فيدوح كتابه بمقدمتين الأولى اعتراف وشهادة من الباحث فاضل عبود التميمي* الذي أقرّ على أنّ الناقد أحسن الاختيار في تأليف هذا الكتاب، الذي أبان جمالية نقد في صور شاعر معاصر فقد وفق وهو يقترب من شعر الشاعر وفي عقله تنبض أسئلة السيمياء في مفهومها المطلق من عقاب الاختلافات المصطلحية والاشكالات المعجمية، متجاوزا إرث الحراك المبني على هوامش التناحر ليدخل المتن متسلحا بقراءة الرموز، والإشارات والدلالات التي تحمل طاقات مولدة الشعر راصدا السلوك الشعري للعلامة¹.

في حين جاءت المقدمة الثانية من الناقد نفسه والتي قال فيها أنّه أمام «مبدع أقدر من غيره على توظيف السمة الكشفية للكلمة المؤدية إلى صدق البصيرة، وامتكن من تشعب دلالة العبارة في علاقاتها مع ما أسميناه بالقصيدة السمة»².

يدرك المتلقي بعد قراءة العنوان المنهج الذي اعتمد عليه الناقد في كتابه مباشرة بعد قراءة العنوان يدرك المتلقي المنهج الذي اعتمد عليه الناقد في كتابه وهو المنهج السيميائي، فعند تحليلنا للعنوان نفهم أنّ (أيقونة) في عنوان الكتاب تتحدد بحسب علاقة تماثلها مع حقيقة العالم الخارجي، لتدخل في علاقة مشابهة مع التاريخ الخارجي للشاعر، و(الحرف) في العنوان بوصفه (رمز) يشير إلى الموضوع الذي يعبر عنه من خلال عرف يقترن بالأفكار العامة، و(التأويل) في العنوان يخرج دلالة اللفظ من الحقيقة إلى الدلالة المجازية من غير أن يُخل بعادة لسان العرب في التجويز من تسمية الشيء، وقد اقترن بتعدد القراءات وحرية المتلقي في اعتماده إيّاها، وكانت (العبارة الصوفية) في العنوان التي فُتّن بها أديب كمال الدين منذ نعومة أظفاره الشعرية خاتمة التشكيل العتباتي³.

* ناقد وباحث عراقي، أستاذ البلاغة والنقد الأدبي في كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة ديالى العراق، عضو لجنة تحكيم الروايات الأولى — جائزة كتارا للرواية العربية (الدورة الخامسة) و عضو لجنة جائزة الإبداع العراقي سنة 2019، له عدّة مؤلفات نذكر منها: قراءات بلاغية 2008م، حضور النص: قراءات في الخطاب البلاغي النقدي عند العرب سنة 2011م، جذور نظرية الاجناس الأدبية في النقد العربي القديم 2017م، راءات في (كتاب الصناعتين : الكتابة والشعر) لأبي هلال العسكري 2019م، دراسات ثقافية في الرواية والرحلة 2020م.

¹ ينظر: عبد القادر فيدوح: أيقونة الحرف وتأويل العبارة الصوفية في شعر أديب كمال الدين، ص 9.

² المرجع نفسه: ص 29

³ ينظر: فاضل عبود التميمي: شعر أديب كمال الدين في منظور النقد السيميائي عند عبد القادر فيدوح، تاريخ النشر:

2016، تاريخ الاطلاع 2021/06/23، رابط الموقع: <http://www.aadebk.com/kasaedy>

ما يلاحظ على هذا الكتاب أنّ مقدّمة الكتاب ليست أكاديمية، غاب عنها طرح الإشكالات والتساؤلات، وهذا شيء جديد على المتلقّي، لكنّ الكاتب كان يهدف إلى شيء في مقدّمته وهو الدّخول مباشرة في الموضوع، كما خلص إلى نقطة مفادها أنّ أديب كمال الدّين أشدّ اهتماما بالحرف وأسراره، وهو الذي نعت شعره بالقصيدة السّمة، بديلا للقصيدة الصورة، أي بترجيح مصطلح السّمة بديلا للصّورة، الأمر الذي يتطابق مع لغة الشّاعر التي تسمو على كلّ ما هو متساق وطبيعي في العمليّة الإبداعية¹.

عنون الفصل الأخير من هذا الكتاب "برؤيا الإشارة بدلائل العبارة /مقاربة تأويلية صوفية" ليوصل رسالة للمتلقّي مفادها أنّ الشّاعر متصوّف، ولذلك وردت في جلّ قصائده مضامين صوفية وهذا ما أكّده الشّاعر في حوار مع جريدة السّفير اللّبنانية حين قال: «أنا في داخلي متصوّف وملتزم بهذا التّصوّف وسلوكه الصّارم على مدار الساعة. والتصوّف عراقي عربي إسلامي! وضرب مثلا بقميص الجينز الذي يلبسه، بأنّه يوجد تحته خرقة الصوّفيّ! مبرهنا على أنّ خرقة الصّوفيّة صنعها أهل العراق أهل العروبة والإسلام»².

جعل الناقد الكتاب خاليا من الاستنتاج الذي توصل إليه، ويبدو أنه بسبب هذا الإهمال المتعمد خضع لسلطة الوعي النقدي، مما يتطلب من المتلقّي وضع خاتمة خاصة بهذا الموضوع. وهذا يدخل في إطار السيميائية المتحركة التي تجمع بين القراءة المفتوحة للناقد والمتلقّي بطريقة معينة، مناسبة لمستويات مختلفة من القراءة.

عبد القادر فيدوح ناقد متمرس في الجانب النقدي، ومهتمّ بالمناهج التّسقيّة على غرار السيميائية والبنوية وإجراءتهما، كما أنّه يملك حسّا قويّا في مجال التّأويل، وكذا في ميدان التّحليل النّفسي والاجتماعي.

¹ ينظر: عيد القادر فيدوح: أيقونة الحرف وتأويل العبارة الصّوفية في شعر أديب كمال الدّين، ص 28

² حوار مع الشّاعر أديب كمال الدّين، أجراه معه إسكندر حبش، منشور بجريدة السّفير اللّبنانية، تاريخ النشر 2013/09/04، تاريخ الاطلاع 2021/06/24، رابط الموقع <http://www.adeebk.com/kasaedy>

3.2.2. أحمد يوسف*:

أحمد يوسف من النقاد الجزائريين الأوائل الذين اهتموا بالمنهج السيميائي نظرياً وممارسة، نظراً «لتخصّصه في "السيميائيات وتحليل الخطاب" أثناء دراساته العليا، ما جعله يتعمق بمنهجية أكبر في هذا المجال، ويسعى لتحليل المشهد السيميائي للباحث العربي كمرحلة أولى، ثمّ الأخذ بهذا المنهج كمرتكز علمي للتطبيق على نصوص أدبية عربية وجزائرية، سواء أكانت النصوص نثرية أم شعرية، وقد شكّلت ثلاثيته السيميائية قاعدة حقيقية للسيميائيات العربية، ونقصد بذلك كتبه: سيميائيات التواصل وفعاليات الحوار، المفاهيم والآليات 2004م، الدلالات المفتوحة، مقارنة سيميائية في فلسفة العلامة 2005م، السيميائيات الواصفة، المنطق السيميائي وجبر العلامات 2005م»¹.

ارتبط اسم الباحث أحمد يوسف ارتباطاً وثيقاً باهتمامه الشديد بالنقد والبحث الفلسفي والأدب الشعبي حيث صرّح في أحد حواراته قائلاً: «دخلت إلى عالم المناهج النقدية الحديثة من بوابة الأدب الشعبي، إذ تمحضت عن منجزه النقديّ عشرات الكتب والمقالات المحكمة والأعمال المشتركة من بينها "السلالة الشعرية في الجزائر، علامات الخفوت وسيمياء اليتيم 2004م"، "القراءة

* ولد سنة 1960 بعين البرد بسيدي بلعباس، تلقى تعليمه الابتدائي والمتوسطي والثانوي بها، ثمّ انتقل إلى جامعة وهران بمعهد التكنولوجيا سنة 1981، عمل أستاذاً للتعليم المتوسط، ثمّ أستاذاً للتعليم الثانوي بثانوية بوخلدة مختار بسيدي بلعباس، وهذا بعدما تلقى تكويناً بالمدرسة العليا بهران سنة 1985م، تحضّل على شهادة الماجستير سنة 1989م بجامعة وهران بدرجة مشرف جذاً، ثمّ تحضّل على شهادة دكتوراه دولة بقسم اللغة العربية وآدابها سنة 1999م، ثمّ نال شهادة دكتوراه دولة بقسم الفلسفة سنة 2004م، تقلّد عدّة مراتب في الجامعة في مجال التدريس آخرها أستاذ ميثم مدمج سنة 2008م، قدّم الناقد العديد من الأبحاث والمنشورات في المجالات العلمية والكتب المحكمة فاقت 25 مقالا نذكر منها: ، السيميائيات ومرتكزاتها الايبستيمولوجية، مجلة سيميائيات 2006 السيميائيات والبلاغة الجديدة، مجلّة علامات 2007، وله عدّة مؤلفات نذكر منها: القراءة النسقية ومقولاتها النقدية 2000م، سيميائية التواصل وفعالية الحوار 2004م، السلالة الشعرية في الجزائر 2004م، السيميائيات الواصفة 2005م، الدلالات المفتوحة 2005م، لغة الحياة 2010م (نقلا عن السيرة العلمية المختصرة لأحمد يوسف يوم 2015/12/8).

¹ سعاد بن ناصر: آليات أحمد يوسف النقدية في كتابيه "يتم النصّ، الجينيولوجيا الضائعة"، و"السلالة الشعرية في الجزائر، علامات الخفوت وسمات اليتيم"، مجلّة العلوم الإنسانية، مج 1، ع 46، س 2016، ص 236.

النسقية، سلطة البنية ووهم المحايثة 2003م"، يتم النص والجنالوجيا الضائعة 2002م"، "علامات فارقة في الثقافة والفكر والأدب 2013م"، "النظرية السيميائية، من العلامة إلى الخطاب 2018م" وغيرها من الكتب والأبحاث المحكمة التي يضيق المقام عن تعدادها¹.

وكانت بدايته العلمية الأولى مع هذا المنهج «في وقت مبكر نسبيا عبر كتابين عربيين تزامنا من حيث الظهور الأول ترجمة لكتاب بارت بعنوان "مباديء في علم الدلالة" للمغربي محمد البكري عام 1986م، وكتاب بارت كتاب موجز مكتّف كتبه صاحبه 1964م؛ والثاني: "أنظمة العلامات في اللغة والأدب والثقافة" كتبه مجموعة من كبار المتخصصين منهم شكري عياد وعبد المنعم تليمة ونصر حامد أبو زيد وسيزا قاسم. والكتاب ضخم به دراسات وترجمات لنصوص السيميائية»².

لقد أسّس الناقد علاقة حوار بين بيانات المعرفة الغربية والأشياء المنبثقة عن تراثنا العربي، في رؤية نقدية تتشابك فيها فروع المعرفة المختلفة من أدب ونقد وفكر ومنطق وفلسفة في أعماله النقدية منتقلا فيها «من طريقة عرض النظرية السيميائية والاشتغال عليها، إلى محاولة التفكير بشأن العلامة السيميائية وملابساتها الفلسفية من أجل فهم العلاقة بين الفلسفة والبحث السيميائي...» وقد تجلّى ذلك بوضوح في اهتمامه برسم الخطوط الرئيسية للنظرية السيميائية ولغتها الواصفة، ومقاربة أطرها المرجعية وامتداداتها التاريخية مقارنة فلسفية³.

تمحورت دراسة أحمد يوسف للمنهج السيميائي على الجانب النظري كثيرا، بداية ب كتابه الذي وسّمه "بالسيميائيات الواصفة، المنطق السيميائي وجبر العلامات" حيث قسّم كتابه إلى خمسة فصول، استهلّه بإبراز عنصر التفكير السيميائي الأرسطي، ثمّ قام بدراسة تاريخية العلامة وأنماطها ودلائلها السيميائية، في بقية الفصول الأربعة الأخرى، وهذا ما أشار إليه بقوله: «لا يمكن تقديم تصوّر عن ماهية العلامة إلاّ عن طريق إدراك علاقتها بالمعنى، لأنّ هذه العلاقة كوّنّت هاجسا معرفيا

¹ عبد الرحمن المسكري، منشور بمجلة نزوى العمانية، تاريخ النشر: 2021/06/05، تاريخ الاطلاع: 2021/07/26، رابط الموقع: <https://www.nizwa.com/>

² أحمد يوسف: سؤال في المنهج: تاريخ النشر: 2018/02/10، تاريخ الاطلاع: 2021/06/26، رابط الموقع: <http://alantologia.com>

³ هامل بن عيسى: إشكالية الخطاب السيميائي في النقد الأدبي المغاربي؛ دراسة في نقد النقد، جامعة وهران، أطروحة دكتوراه (منشورة)، 2013/2012، ص343.

للتفكير الفلسفي القديم، منذ أن بدأ الباحثين ينظرون ويتأملون في المسألة القائمة بين الفكر واللغة وبين الصور والأشياء من جهة، والكلمات والأشياء من جهة أخرى»¹.

أما كتابه "الدلالات المفتوحة؛ مقارنة سيميائية في فلسفة العلامة"، فقد ساوى فيه بين النظرية السيميائية وعلم المنطق والفلسفة وعلم النفس، وهذا ما نوه إليه في قوله: «بات الارتباط متينا إلى حدّ التّطابق بين السيميائيات والمنطق ونظرية المعرفة، وإن كان التّأويل السيميائي للخطاب الفلسفي ذا طبيعة أكثر خصوصية وأكثر تعقيدا، بل إنّ البحث في قضايا علم النفس العام التي اشترط "دوسوسير" حضورها في بناء المشروع السيميائي مثل الإدراك والانتباه والإحساس»².

قسّم المؤلف كتابه إلى مقدّمة وستّة فصول دون خاتمة، تضمّن الفصل الأول المنطلقات الأولى للسيميائية في الفكر الأرسطي، فمهّد للفصل الثاني بموضوع السيميائيات ولغة الحساب مبيّنا أنّ «السيرورة الفكرية هي عملية حسابية على جمع العلامات وطرحها وفق تركيب سيميائي خالص تقضي فيه القضايا التي تجمع فيها الأسماء إلى الحكم الذي يتمّ فيه تحديد الأشياء و التعرّف إلى كفيّاتها، حيث لا سبيل إلى الإقرار بصدقها أو كذبها ما لم تكن منضوية ضمن قانون تركيبية»³، أمّا الفصل الثالث فقد خصّصه للسيميائيات الحسيّة التي «وصفها بسيّدة المعارف في طلب العالم الخارجي»⁴.

درس في الفصول الأخرى موضوع جبر العلامة والمنطق السيميائي، مشيدا بالفكر المنطقي والرياضي لبيرس، الذي انطلق منه في تحديد منهجه الخاصّ بعلم العلامات وفق مبادئ الفلسفة القديمة، والذي بدوره أسّس ما يعرف (بسيموطيقا بيرس)، كما حثّ الناقد أيضا على ضرورة تحكيم النزعة العقلية في البحوث السيميائية، والقدرة على امتلاك لغة واصفة تساهم في تحقيق السيرورة السيميائية.

ومن إيجابيات الناقد أنّه «خرق جدار الصّمت الذي تعاني منه السيميائية، على مستوى الخطاب الفلسفي في الواقع النقدي العربي، وعمل على مقارنة الأسس التي تركز عليها فلسفة

¹ أحمد يوسف: السيميائيات الواصفة؛ المنطق السيميائي وجبر العلامات، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1؛ 2005، ص19

² ينظر: أحمد يوسف: الدلالات المفتوحة؛ مقارنة سيميائية في فلسفة العلامة، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1؛ 2005، ص9.

³ المرجع نفسه: ص56

⁴ المرجع نفسه: ص79

العلامة، فضلا عن بيان اهتزاز الطّروحات الفكرية والنّقديّة الغربية المعاصرة، مستعرضا أهم الآراء الفلسفيّة التي ثارت حول إشكالية المعنى في فلسفة اللّغة، منذ أرسطو إلى بيرس وسوسير مرورا بأبرز فلاسفة اللّغة الحداثيين»¹.

ومن دراساته أيضا مقاله "مقدّمة في سيميائيات الإشهار وتمثيالاته المتعدّدة"، موضّحا أنّ السيميائيات ينظر إليها على أنّها نظريّة تختصّ بالدلالة، فالإشهار من حيث أنّه موضوع للدّرس السيميائي-لا محالة-مجالا للبحث عن وقائع المعنى وآثاره، وستدرك هذه الوقائع عن طريق الاستنباط من مجموع الأنساق الدالّة المتمثّلة في النصوص والصّور والأيقونات والموسيقى ولغة الجسد².

من خلال اطلاعنا على الدّراسات التي أنجزت عن الناقد أحمد يوسف وجدنا أنّ «الأبحاث السيميائية لأحمد يوسف بمثابة تأسيس مهمّ للسيميائية في المغرب العربي، وأنّ خطوة التّفكير السيميائي عنده محاولة خروج من ثقافة الاستهلاك إلى ثقافة الإنتاج، وهذا إن دلّ على شيء، فهو يدلّ على دور أحمد يوسف في التأسيس لخطاب نقدي حداثي في التقد العربي»³.

ولتوضيح وجهة نظرنا نوّكد على أنّ هذين الكتّابين ينبغي أن يدرّسا لطلبة اللّيسانس والماستير، فهو بحقّ يثري رصيد الطّلاب خاصّة في الجانب النظري، لأنّهما يدرسان المنهج السيميائي منذ تاريخه الأول إلى العصر الحديث الذي تأسّس من خلاله هذا المنهج بصورة واضحة على يد السويسري دي سوسير والأمريكي بيرس.

أعطى أحمد يوسف رؤية واضحة عن المنهج السيميائي من خلال جزمه على ضرورة وجود هذا المنهج في عصرنا الحالي لأنّه «يسعى إلى تحويل العلوم الإنسانية (اللغة والأدب والفن) من مجرد تأمّلات وانطباعات إلى علوم بالمعنى الدقيق للكلمة، بفضل أنساق من العلاقات تكشف عن الأبنية العميقة التي تنطوي عليها. فتستخلص قوانين تتحكم في هذه المادة؛ ومن آفاقه دراسة علامات الحيوانات، وعلامات الشم، وعلامات الاتصال باللمس، ومفاتيح المذاق، والاتصال البصري،

¹هامل بن عيسى: إشكالية الخطاب السيميائي في الخطاب النقدي المغاري (دراسة في نقد التقد)، أطروحة دكتوراه (منشورة)، جامعة وهران (الجزائر)، 2012/2013، ص343، 344.

²ينظر: أحمد يوسف: مقدّمة في سيميائيات الإشهار وتمثيالاته المتعدّدة، مجلّة أيقونات، مج5، ع5، ص10، 11.

³رّمة خلدون: المشروع النقدي عند أحمد يوسف (كتاب "القراءة التّسقيّة سلطة البنية ووهم المحاينة" أنموذجا)، أطروحة دكتوراه (منشورة)، جامعة محمد بوضياف المسيلة، (الجزائر)، 2018/2019، ص142.

وأنماط الأصوات، والتشخيص الطبي، وأوضاع الجسد، واللغات الصورية والمكتوبة، والإعلان والإشهار، والسينما والقصة المصورة والملصقات، وقراءة اللوحات التشكيلية»¹.

يعتبر أحمد يوسف من النقاد الأوائل الذين عرفوا المتلقي العربي المناهج النقدية الحديثة، وأخصّ بالذكر المنهج السيميائي، الذي تخصص فيه باكراً ضمن ميدان "السيميائيات وتحليل الخطاب" فالأعمال التي قدّمها جاءت لتؤسس لمشروع سيميائي في النقد الجزائري، على أسس معرفية وفلسفية متينة، وبما أنه صاحب مشروع فإنّ جهوده توزعت على المجالات التالية:

1. أعماله الخاصة بدراسة الجذور التاريخية للسيميائية.
2. تأطير مجموعة من الباحثين في السيميائيات.
3. تأسيس مجلة متخصصة في ميدان السيميائيات (صدر العدد الأول منها في خريف 2005م).
4. تأسيس مخبر السيميائيات وتحليل الخطاب، وهذا ما جعل الخطاب التأسيسي لدى يوسف أحمد يتأصل من خلال فرضية مفادها أنّ السيميائيات جهاز مفاهيمي معرفي تمتد جذوره في الإرث المعرفي الإنساني منذ أن أصبح الإنسان يستطيع التفكير والإدراك ويصنع الأسس المعرفية إلى اليوم»².

ما اجتهد في تدوينه أحمد يوسف بدرجة ضمن 'خطاب تأسيس وتنظير المنهج السيميائي في الجزائر'، فهو بذلك أضاف عملاً معرفياً ممتنعاً غطّى ذلك النقص الذي كان ينتقد المشروع السيميائي في النقد الحديث الجزائري، حيث أبان منذ البداية عن الموقف الذي كان يصبوا إليه...، ومما يظهر ذكاء الناقد أنه كان يعتبر الفلسفة والمنطق أساس تطوير المقولات المعرفية، الأمر الذي أكسب بحوثه قوة الحجّة ودقّة المعلومة ومنطقية السؤال، لأنّه باحث يرمن بتلك الصرامة

¹ ينظر: أحمد يوسف: سؤال في المنهج: تاريخ النشر: 2018/02/10، تاريخ الاطلاع: 2021/06/26، رابط الموقع: <http://alantologia.com>

² ينظر: سماح أسعيد: في نقد الخطاب الشعري الجزائري المعاصر من منظور الباحث أحمد يوسف (قراءة في الأصول والتحليلات)، أطروحة ماجستير (منشورة)، جامعة محمد لامين دباغين، سطيف 2، (الجزائر)، 2013/2014، ص 160، 161.

العلمية التي تمكّن الناقد من الوقوف على حقيقة النصّ الإبداعي، وأنّه بدون تلك الصّرامة تضع الحقيقة تبعاً للأهواء¹.

لم يتعمّق يوسف أحمد كثيراً في الجانب التطبيقي، ما عدا استثارته لثلاثية العلامة عند بيرس (الموضوع)، (المؤشّر، الأيقونة، الرّمز)، والمرجع السيميائي في رصد تجلّيات المعنى، وحضور الخطاب البصري ومدارسه، تناولته للعتبات النصّية (عتبة العنوان، عتبة الإهداء) كما جاءت عند "جيرار جنيت" وغيرها كثير ممّا عمّق الدّراسة ومكّن الناقد من رصد جوهر هذا النصّ المختلف².

بالإضافة إلى ممارساته التطبيقية مقالته " سيميائيات العتبات النصّية؛ مقارنة في خطاب الإهداء (شعر اليتيم في الجزائر أنموذجاً)"، حيث اهتمّ في هذه الدّراسة بتقديم مقارنة لشكل من أشكال العتبات النصّية، متمثلة في رسالة الإهداء الواردة في الآثار الشعريّة الجزائريّة (سواء أكانت دواوين ام قصائد شعريّة)، فانطلق في تعامله مع الإهداء على أنّه خطاب تتمفصل داخل ملفوظاته البني اللسانيّة مع البني الدّهنيّة، دون تنقيبه عن تاريخية الإهداء في الثقافتين العربيّة والغربيّة كما فعل جيرار جنيت، فركّز على إهداء الأثر، كي يصل إلى السيميائيات التي تبحث عن الإيديولوجي داخل مسكن العلامة في صيرورتها العامّة التي يطلق عليها السيميائيون بالسّموزيس³.

وضع أحمد يوسف الخطاب التأسيسي الأوّل للسيميائيات في الجزائر، وأكّد على ضرورة اطلاع المتلقّي بالأصول الفكرية والمنطقيّة لهذا الفنّ، و إدراك جميع المفاهيم المتعلّقة بهذا المنهج، وتحديد جميع المحطّات التي مرّ بها، نظراً لوجود تيارات كثيرة تشعبت فيه، فكان لا بدّ من معرفة أدقّ تفاصيلها حتّى يسهل على طالب العلم التفرّيق بين كلّ ما هو سيميائي وما هو ملامس للمنهج السيميائي، وهذا ما جعله يتعمّق في التراث الغربيّ والعربيّ لهذا العلم، وتجسّدت أعماله في كتابه "كتاب الدّلالات المفتوحة؛ مقارنة سيميائية في فلسفة العلامة 2005م، وكتاب السيميائيات الواصفة، المنطق السيميائي وجبر العلامات 2005م، الذين اعتبرهما الباحثين السيميائيين في الجزائر

¹ ينظر: بوداود وذنان: خطاب التأسيس السيميائي في النقد الجزائري (مقارنة في بعض أعمال يوسف أحمد)، مجلّة الباحث، مج1، ع2، س2009، ص9، 10.

² ينظر: حياة بن الشيخ: المرجع السابق: ص209

³ ينظر: أحمد يوسف: سيميائيات عتبات النصّ؛ مقارنة في خطاب الإهداء (شعر اليتيم في الجزائر أنموذجاً)، مجلّة اللّغة والأدب، مج9، ع1، س2001، ص169، 170.

من الدراسات السيميائية الأولى التي زاوجت التّنظير السيميائي بأصوله العلميّة والفكرية المؤسسة له، والتي تزوّد للناقد الجزائري بأسس ومبادي ومفاهيم متكاملة للنظرية السيميائية، تساعده في بناء أرضية سيميائية، في جانبها التطبيقي.

4.2.2. حسين خمري*:

يعتبر حسين خمري من الأعلام السيميائيين الجزائريين الذين ساهموا في إثراء المكتبة الجزائرية بمجموعة من الكتب والمقالات التي دوّنها خصيصاً لهذا المنهج:

1. مقال بعنوان: " ما تبقى لكم: العنوان والدلالات، الموقف الأدبي، دمشق، سنة 1989م.
2. مقال في " سيميائية الخطاب الروائي" (تجليات الحداثة) بجامعة وهران، سنة 1994م.
3. سلطة الرّمز: سيميائية القراءة أعمال ملتقى (جامعة عناية)، سنة 1995م
4. كتاب فضاء المتخيّل، (مقاربات في الرواية)، منشورات الاختلاف، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية، الجزائر، 2002م.
5. كتاب نظرية النصّ من بنية المعنى إلى سيميائية الدال، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2007م.
6. كتاب اللّغة الأخرى بين الترجمة والأدب، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2007م.
7. مداخلة " سيميائية التّمشهد وبلاغة الذات؛ هوى الخطاب" في الملتقى السادس 'للسّيمياء والنصّ الأدبي' بجامعة محمّد خيضر بسكرة، سنة 2011م.
8. مقال في " سيميائية الترجمة" بمجلة 'بحوث سيميائية' سنة 2015م.

للظروف البيئية والتكوينية التي عاشها الناقد دور بالغ الأهمية في تأثره بالمدرسة الفرنسية وأخصّ بالذكر - نظرية غريماس - ولقد تنوّعت دراسات خمري بين التّظرية والتّطبيق والترجمة، ومن

* من مواليد 1955م بولاية قسنطينة، أكاديمي وناقد ومترجم جزائري، درس بجامعة السوربون، وهناك التقى بصاحبة ثورة اللّغة الشعريّة جوليا كريستيفا، التي أشرفت على أطروحته للدكتوراه في الأدب الحديث، بعد عودته إلى الجزائر عمل أستاذاً بجامعة قسنطينة، ثمّ ترأس قسمها للترجمة، كما أشرف على العديد من المجالات في التّقد والدراسات الأدبية والترجمة، له عدّة مؤلّفات نذكر منها: بنية الخطاب الأدبي 1983م، بنية الخطاب النقدي 1990م، فضاء المتخيّل 2001م، الظاهرة الشعريّة العربيّة: الحضور والغياب 2001م، نظرية النصّ من بنية المعنى إلى سيميائية الدال 2007م، سرديات التّقد في تحليل آليات الخطاب النقدي المعاصر 2011م، توفي في 2021/01/13م إثر إصابته بفيروس كورونا (كوفيد-19)، دفن بمقبرة زواغي قسنطينة.

ممارسات الناقد التطبيقية كتابه "فضاء المتخيّل؛ مقاربات في الرواية" حيث درس فيه روايتين دراسة سيميائية سردية، بداية برواية "صوت الكهف" ل'عبد الملك مرتاض' التي جعلها بمثابة «وثيقة الصّلة بتقنيات الرواية الجديدة الفرنسيّة و إنجازاتها النظريّة عند كلّ من 'ناتالي سارروت' و 'ميشال بوتور' و 'جان ريكاردو' و 'آلان روب غرييه'»¹.

إضافة إلى ذلك فإنّ الباحث انطلق في دراسته لهذه الرواية من نظريّة غريماس المتعلّقة بالبرنامج السردّي، وصولاً إلى قاعدة الوظائف التي نظّرها 'فلاديمير بروب' وهذا ما صرّح به قائلاً: «سنعتمد في تحليلنا لهذه القضية على نظريّة 'فلاديمير بروب'، وذلك لأنّ البنية الأسطورية في رواية "صوت الكهف" تنظّم كلّ الاحداث وتوجّهها باتجاه جوّ أسطوري له كلّ عناصر الحكاية العجائبية»²، كما وضّح طريقة استعراضه التحليلي وذلك من خلال انطلاقه في البداية من: «أصغر الوحدات أو العلامات وصولاً إلى البنية الكلية التي تحكم الرواية، مراعيًا خصائص النّظم وقيمه التعبيريّة وطرائق تشكّل المضامين الروائيّة»³.

أمّا الجزء الثّاني من هذا الكتاب استعرض فيه رواية "الحوّات والقصر" للروائي الجزائري الطّاهر وطّار، عنوانها "علاميّة النصّ الواقعي"، محاولاً كشف الأبعاد الأسطورية باعتبارها تشكّل بعداً علامياً ورمزيّاً له دلّاته داخل النصّ السردّي، ولعلّ لجوؤه إلى مثل هذا التحليل نابع من قراءته للتراث الشّعبي الخرافي والأسطوري، وبخاصّة التّراث النقدي البروبي المتعلّق بالحكاية الشّعبيّة الروسية كما أضاءت قراءته لفكر الطّاهر وطّار الكثير من جوانبه الإيديولوجيّة⁴.

يواصل الناقد بحوثه السيميائية، من خلال كتابه "نظريّة النصّ من بنية المعنى إلى سيميائية الدّالّ" الذي استهلّه بمقدّمة بيّن فيه الفرق بين مفهوم النصّ ونظريّة النصّ في المنهج السيميائي قائلاً: «إذا نظرنا إلى نظريّة النصّ من زاوية سيميائية نجدّها تتجاوز مفهوم النصّ الأدبي، أي كلّ ما

¹ حسين خمري: فضاء المتخيّل (مقاربات في الرواية)، منشورات الاختلاف، المؤسّسة الوطنيّة للفنون المطبعية، الرغاية، الجزائر، ط1؛ 2002، ص156.

² المرجع نفسه: ص185.

³ المرجع نفسه: ص157.

⁴ ينظر: علي سحنين: السرديات السيميائية وتطبيقاتها في النّقد الجزائري؛ قراءة في كتاب فضاء المتخيّل لحسين خمري، مجلّة النصّ، مع1، ع2، س2015، ص34.

يتّصل بالإبلاغ والتّبلغ فمن الخطاب السياسي إلى المقرّر الإداري إلى الخطاب الإشهاري إلى البحث العلمي إلى التّحليل الرّياضيّ المجرّد كلّها كنصوص، لأنّها تشترك في كونها منظومات رمزية سيميائية ولكنها تختلف في المرجعيّة التي تحيل إليها وفي نظمها المعرفيّة فتحدّد لنفسها مشروع التّوصيف المنهجي»¹.

والمنهج السيميائي من المناهج النّصائيّة التي تقوم بتحليل النّصوص وتحلّلها إلى قوانين، وهذا ما جعل الباحث يسمّي كتابه بنظرية النّصّ بحيث تجاوزت الدّراسات الكلاسيكية التي كانت تهتمّ بتحليل مختلف الخطابات الأدبيّة ومعانيها لتحلّ مكائها الدّراسات التّسقيّة التي تعني أكثر بالجمال التّطبيقي، والمنهج السيميائي ضمن هذه المناهج حيث «يقوم بعملية تنظيم للخطابات وتوزيعها ونشرها، والنصّ من هذا المنظور هو عبارة عن منظومة سيميائية يتمّ تحليلها في سياق تداولي والبحث في ظلاله وخفائيه (المعاني المتحقّية والمكبوتة)، وبهذا فالسيميائيات تفتح مجال التّبادل التّطبيقي بين النّصوص المتباينة وتساهم في بلورة نظرية النّصّ»².

تعرّض خمري في كتابه لمفهوم النّصّ واشكالاته مؤكّدا أنّ نظرية الأدب تطوّرت في كنف الدّراسات السّياقيّة مثل علم الاجتماع والتّاريخ وعلم النّفس وعلم الجمال التّقليدي، فقد بدأت تدريجيا تنزاح عن الحقل الأدبي، بفضل تطوّر المشهد النقدي الذي اكتسحته اللسانيات وعلوم اللّغة والسيميائيات، وقد بدا هذا المفهوم ينمحي لحساب مفهوم جديد هو "نظرية النّصّ" و "علم النّصّ"³.

في الفصل الأخير من الكتاب قدّم حسين نماذج من الممارسات النّصائية لمجموعة من النّقاد العرب جعلها على المنوال الآتي:

أ. النّصّ الشعري: يتمثّل في المنهج السيميائي الذي وظّفه عند عبد الملك مرتاض من خلال كتابه "ألف ياء دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة أين ليلاي لمحمّد العيد آل خليفة" وقام بتحليلها من

¹ حسين خمري: نظرية النّصّ من بنية المعنى إلى سيميائية الدّالّ، الدّار العربيّة للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1؛ 2007، ص14.

² المرجع نفسه: ص ن.

³ ينظر: المرجع نفسه: ص22

الناحية النظرية والتطبيقية في إطار ما يعرف بنقد النقد، كما تحدّث عن طبيعة العنوان الذي رسمه مرتاض والمشابه لحدّ كبير عنوان كتاب بارت (س/ز)، واعتبر هذه الدراسة بمثابة قطيعة للممارسات النقدية السابقة¹.

ب. النصّ الروائي: أشار الناقد إلى محاولة سعيد علّوش الاستفادة من المنهج النقدي البنيوي التداولي على رواية "عنف المتخيّل في أعمال إميل حبيبي"، مؤكّدا أنّ سعيد علّوش اهتمّ عبر كامل دراسته بمظاهر التناصّ، في محاولة منه لإعطاء عمله مظهرا تفكيكيا².

ت. النصّ الشعبي: اتّخذ الباحث كتاب عبد الحميد بورايو الموسوم بـ «القصص الشعبي في منطقة بسكرة (دراسة ميدانية)» ميدانا للتّحليل والدراسة³.

ث. النصّ التاريخي: جعل الناقد من بحث سيزا قاسم "الخطاب التاريخي من التقييد إلى الإرسال؛ قراءة في الطّبري والمسعودي وابن خلدون" ميدانا للمعاينة والتّحليل، فعمد على تبيان مدى أصالة البحث خاصّة وأنّه كان مسبقا بكتاب يصبّ في نفس المصبّ وهو كتاب علي أواميل "الخطاب التاريخي؛ دراسة لمنهجية ابن خلدون"⁴.

اهتمّ الناقد حسين خمري كثيرا بالجانب التّنظيري، وهو من أبرز الأقلام الجزائرية التي أثروا المناهج النقدية ومنهم المنهج السيميائي في الساحة العربيّة، لأنّه كان صاحب حسّ نقدي وإبداعي بفضل ما كان يملكه من خلفيات معرفية وفكرية واسعة، بالإضافة إلى اطلاعه الكبير على الترجمة التي تعتبر اللبّ الأساسي للمناهج الغربية بصفة عامّة، ومعرفته العميقة بالقضايا الفلسفية العربيّة والغربيّة، وهذا ما جعله يتمكّن من ناصية المناهج الغربيّة المعاصرة، وكان يقارن في دراساته بين أعلامه الغربيين الذين درس عندهم -نخصّ بالذّكر أستاذته "جوليا كريستيفا"- وعمالقة الفكر العربي، مبرهنّا على أنّ ما ورثه الغرب من نظريات عربيّ خالص اندثر مع تراجع حضارة المسلمين.

¹ ينظر: نظرية النصّ من بنية المعنى إلى سيميائية الدالّ، ص 373-402.

² ينظر: المرجع نفسه: ص 403

³ ينظر: المرجع نفسه: ص 435

⁴ ينظر: المرجع نفسه: ص 459

استطاع الناقد تحقيق رؤية تكاملية للمنهج السيميائي من خلال ربطه بين آراء الباحثين من التراثين العربي والغربي، بعد تمكّنه من المنهج الحدائثي الغربي، وما لاحظناه خلوّ جميع كتبه التي درسناها من خاتمة، لكن يعتبر كتابه "نظرية النصّ" كتاب نظري رائع خاصّة للمبتدئين في هذا الميدان، وما توصّلنا إليه من خلال قراءتنا لكتبه أنّه كان مهتمّاً كثيرا بالمنهج السيميائي، وكان منفتحاً انفتاحاً واسعاً على الفكر الفلسفي والمنطقي الذي يعتبر جوهر النظريات النقدية المعاصرة، كما كان على دراية واسعة بخبايا النصوص والمناهج والنظريات الجديدة.

5.2.2. السعيد بوطاجين*:

يعدّ السعيد بوطاجين عالماً من أعلام المنهج السيميائي في الجزائر، فقد كان شديد الاهتمام بالمصطلح النقدي الأجنبي حيث عمد على مزاجته مع مصطلحات الإرث العربي القديم، كما كان مبدعاً في مجالاً كثيرة أبرزها عالم القصّة والرواية والترجمة، وهو ما ساعده كثيراً في ممارساته التطبيقية للمناهج الغربية المعاصرة على النصوص الأدبية، ومن مؤلفاته النقدية ما يلي:

1. السرد ووهم المرجع (مقاربات في النصّ السردي الجزائري الحديث)، طبع بمنشورات الاختلاف بالجزائر سنة 2005م.
2. الترجمة والمصطلح (دراسة في إشكالية ترجمة المصطلح النقدي الجديد)، طبع بمنشورات الاختلاف بالجزائر سنة 2008م.

* كاتب، قاصّ، ناقد، روائي و مترجم، أكاديمي جزائري من مواليد تكاسانه بولاية جيجل في 06/01/1958م، تحصّل على شهادة ليسانس أدب بجامعة الجزائر 1981م، ثمّ على دبلوم الدراسات المعمّقة من جامعة السوربون بفرنسا سنة 1982م، ثمّ حصل على شهادة الماجستير من جامعة الجزائر (نقد أدبي) سنة 1997م، ثمّ شهادة الدكتوراه (المصطلح النقدي والترجمة) من نفس الجامعة سنة 2007م، يعمل أستاذ جامعي منذ سنة 1982م إلى يومنا هذا نال وسام الاستحقاق التقاضي الوطني سنة 1991م، اشتغل عضو في اتحاد الكتاب الجزائريين، عضو في اتحاد الكتاب العرب، حاز على الرّيشة الذهبية للكتابة الصحفية 1991م، وسام الفنّان 2005م، الدرع الوطني للثقافة 2006م، له مؤلفات عدّة نذكر منها: اللّغة عليكم جميعاً (مجموعة قصصية)، حدائثي وجواربي وأنتم (مجموعة قصصية)، رواية أعوذ بالله، الترجمة والمصطلح دراسة في إشكالية ترجمة المصطلح النقدي الجديد، الاشتغال العملي (دراسة سيميائية) غدا يوم جديد لابن هدّوقة، السرد ووهم المرجع .

3. الاشتغال العملي (دراسة سيميائية) غدا يوم جديد لابن هدوقة*، طبع بمنشورات الاختلاف بالجزائر، سنة 2000م.

حاوره أحد صحفيي الجزيرة نت عن سبب ارتباط اسمه بالنقد السيميائي للنصوص الأدبية فأجابه قائلا: «يعود اهتمامي بالمقاربات السيميائية والسردية إلى نهاية السبعينيات ومطلع الثمانينيات. حين اهتمّ بتدريس اللغة الأجنبية لطلبته بالجامعة، كما ساعدته جامعة السوربون في تطوير مجموعة من المفاهيم. على يد جيل من النقاد الفرنسيين الذين تعلّم معهم»¹.

وهذه دلالة قاطعة على شغفه الكبير بهذا الفنّ الذي تلقّاه عن المدرسة الغربية، وجسّده تطبيقا وممارسة على بعض القصص والروايات الجزائرية، ومن هذه الدراسات نذكر كتابه "الاشتغال العملي (دراسة سيميائية) غدا يوم جديد"، والتي تناول فيها الجانب التطبيقي من نظرية غريمانس السيميائية التي تنتمي إلى مجال السيميائيات السردية، «ومّا استنتجته الناقد أنّ هذه القراءة أنّ الناقد كان دقيقا جدّا وموقفا في اختيار عنوان كتابه الذي عكس ما هو موجود في متنه، وكذلك تعامله بموضوعية مع ما جاء به نظرية غريمانس من قوانين وقواعد دون أيّ استعلاء، كما أنّه وفق في مقطوعاته التي اختارها من مدوّنته ليطبّق عليها قواعد النظرية خاصّة تلك المتعلقة بالعامل، وهو

*عبد الحميد بن هدوقة صاحب أول رواية جزائرية مكتوبة باللغة العربية، ربح الجنوب سنة 1971م، ولد 09 جانفي 1925 بقرية الحمراء التابعة لمنصورة بولاية برج بوعريّيج، تتلمذ على مجموعة من علماء الزيتونة الممتازين في الثقافة العربية الإسلامية، نال الشهادة العالمية في الأدب من جامعة الزيتونة و شهادة التمثيل العربي من معهد فنون الدراما في تونس، أسس الفرقة الفنية التابعة للإذاعة و التلفزيون الجزائري التي كان ينتمي إليها ثلة من الممثلين و الفنانين الجزائريين، تقلّد عددا كبيرا من المناصب في المؤسسة الوطنية لقنوات التلفزيون الجزائري، ثمّ مدير عام للمؤسسة الوطنية للكتاب ثمّ رئيسا للمجلس الأعلى للثقافة، ثمّ نائب رئيس المجلس الاستشاري الوطني من قبل الرئيس الراحل محمد بوضياف، توفي في 21 أكتوبر 1996م، بعد صراعه مع مرض عضال، تاركا وراءه إرثا ثقافيا و فنيا و فكريا نذكر منه: الجزائر بين الامس واليوم، قصص الظلال الجزائرية، الأشعة السبعة، مجموعة شعرية بعنوان الأرواح الشاغرة، غدا يوم جديد.

¹حاوره الخير شوار: بوطاجين؛ النقد يجزّر النصّ من سلطة المبدع، تاريخ النشر 2015/05/18م، تاريخ الاطلاع: 2021/07/25م، رابط الموقع: <https://www.aljazeera.net/>

بذلك خالف فكرته السابقة التي تنصّ على عدم تحليله للبنى الصغرى، كاشفا عن بنى النصّ الكبرى ودلالاته العميقة وشبكات العلاقات التي تحكمه»¹.

وهذا ما صرّح به في مستهلّ كتابه قائلا: «وقد خصّصنا الدّراسة للبنية العامليّة، مبينين لماذا اعتمدنا على البنى الشّاملة دون الوحدات الصّغرى المنتجة للمعنى، ولضبط العمليّة التحليليّة عملنا على انتقاء الدّوات الكبرى المهيمنة نصّيّا وربطها بالبرامج السّرديّة لتبيان أهمّ الاتّصالات والانفصالات بين الدّوات والموضوعات، حتّى يتسنى لنا توضيح كيفية انتشار مختلف القيم وفق بنى عامليّة متميّزة»².

تناول النّاقِد في مقدّمة كتابه معاناته من مشكل المنهج و المصطلح مؤكّدا على أنّ المناهج كلّها تبحث عن ذاتها باستمرار لامتلاك النّصوص، كما أنّ تطبيقاتها المتكرّرة تدفع بنا للتّساؤل عن مدى قدرتها على إمامها بخصوصية الإنتاج المعرفي، أمّا بخصوص المصطلح فقد اعتبر النّاقِد التّرجمة عائقا شتّت مستويات التّلقّي لدى الفكر العربي³، ولذلك كان يميل بوطاجين إلى التّرجمات الدّقيقة، وكذا الأخذ بالكلمات الشائعة في التّرجمة، وكذا اللّجوء إلى التّفسير والشّرح عند تعذّر عمليّة التّرجمة، كيف لا وهو الذي كان مهتمّا كثيرا بفنّ التّرجمة ودّرسه لسنوات عديدة بالجامعة.

ثمّ وضع تمهيدا تطرّق فيه إلى الحديث عن اشكالية العامل باعتباره أساس العمليّة السيميائية الذي يتقاطع مع الشّخصية والممثل والوظيفة، مؤكّدا على أنّ كتاب الدّلالة البنيويّة لألخيرداس جوليان غريماس عام 1966م يعدّ حدثا معتبرا في الحقل السيميائي الأوروبي، بالإضافة إلى قاموس السيميائ الذي ألفه رفقة جوزيف كورتيس سنة 1979م، أصبح مرجعا هاما لأغلبيّة الباحثين الذي جاءوا من بعده فرغم اتّسامه بالشّموليّة والتّعقيد إلّا أنّ الباحث السيميائي لا بدّ أن يعود إليه⁴.

¹ محمّد أمباركي: قراءة في جزء من كتاب الاشتغال العملي (دراسة سيميائية) "غدا يوم جديد" لابن هدّوقة عيّنة، للسّعيد بوطاجين، مجلّة دراسات وأبحاث، مع 13، ع 2، س 2021، ص 157.

² السّعيد بوطاجين: الاشتغال العملي (دراسة سيميائية) "غدا يوم جديد" لابن هدّوقة عيّنة، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط 1؛ 2000، ص 10.

³ ينظر: المرجع نفسه، ص 9.

⁴ ينظر: المرجع نفسه، ص 13.

قسّم كتابه إلى فصلين، وسم الفصل الأول "بالتّرسيمات العامليّة"، فقسّم رواية "غدا يوم جديد" إلى مجموعة من القصص، على خمس مراحل لخصّها كما يلي:

1. المدينة - الموضوع: مسعودة تريد الذهاب إلى العاصمة... (ص23-ص40)
2. الكتابة - الموضوع: مسعودة تريد تدوين حياتها... (ص41-ص62)
3. الزاوية - الموضوع: الحبيب يريد الذهاب إلى الزاوية... (ص63-ص78)
4. الأرض - الموضوع: عزوز يريد الحصول على الأراضي... (ص79-ص92)
5. المدينة - الموضوع: العمّة حليلة تريد تزويج خديجة بقُدور... (ص93-ص106)

بينما الفصل الثّاني "المثلثات العامليّة" تناول فيه بعض الشّخصيات والعوامل التي أغفلها أثناء تحليله للبنى العامليّة الكبرى، وهذه الشّخصيات تمثّلت في (محمّد بن سعدون، قدّور، الحاج أحمد، ابن القائد، القائد)، وأغفل شخصيات ثانوية لا تأثير لها على مجرى الأحداث السرديّة، منها شخصية (باية والواشمة والمخفي وأمّ محمّد بن سعدون)، وتبريره في ذلك أنّه أصاب حين لجأ في تحليلاته على البنى الكبرى التي جسّدتها ترسيمات عامليّة كبرى¹.

أكّد النّاقد أنّه أغفل عدّة شخصيات أثناء تحليل البنى العاملية لعدّة أسباب أهمّها « الظّهور والاختفاء المفاجئ لبعض الشّخصيات: باية، الحارة، الواشمة، وكذا ورودها على مستوى السّرد والحوار دون أن تكون لها علاقة كبيرة بالتّحوّلات الحديثة وانقلاباتها: المخفي، بومدين، ثمّ ورود شخصيات أخرى على فترات تاريخية محدّدة مكانيا وزمانيا: الوالي العام،...، بالإضافة إلى شخصيات أخرى لا تدرك أسماها سوى عن طريق معرفة تاريخية لا قيمة لها من حيث الاشتغال العملي على مستوى البنى الكبرى².

وختم كتابه بتففيّلة (خاتمة) تضمّنت ملخص ما تطرّق إليه في كتابه مؤكّدا على أنّ المثلثات العامليّة تتضمّن عوامل مجدودة بالمقارنة مع التّرسيمة العامليّة، وذلك لافتقارها إلى عنصر الصّراع،

¹ ينظر: علي سحنين: التحليل السيميائي للخطاب الرّوائي في النّقد الجزائري (كتاب الاشتغال العملي للنّاقد السعيد بوطاجين أنموذجا)، مجلّة مقاليد، مج3، ع4، س2013، ص127.

² ينظر: السعيد بوطاجين: المرجع السابق، ص107، 108.

ومن ثمّ انحاء خاوتي المساندة والمعارضة واكتفاء الحكاية بثلاث وظائف: الذات، الموضوع، المتلقي كما أكد على أنّ رواية "عدا يوم حديد" رواية متقدّرة، بحاجة إلى اهتمام أكبر من قبل نقاد متخصصين في مناهج مختلفة لتبيان كفاءات تفصل المعنى¹.

وجعل في الأخير مصطلح "تقفيلة" بدلا من خاتمة، كإشارة منه صريحة على غلق الرواية وتلخيص ما قام به، ثمّ وضع في آخر كتابه إحالات وهوامش ثمّ ترجمة لأهمّ المصطلحات التي استخدمها في بحثه، وهذا ما يفعله المختصّون في الروايات والقصص، وقد عكست دراسته هذه مستواه العلمي ورصيده المعرفي في حقل السيميائيات السردية، وقد نصح السعيد بوطاجين أثناء تطبيقه للآليات الإجرائية التي اقترحها "غريماس" حيث تجاوز التطبيق الحرفي لها، مستعينا في تحليله للنصّ الروائي المدرّس بالنصّ نفسه دون سواه².

أمّا كتابه "السرد ووهم المرجع"، فيعتبر من أهمّ الاعمال النقديّة الجزائريّة التي اهتمّت بالمنجز السردية الجزائري رواية وقصة خاصّة إذا ما قورنت بالنقد الشعري الذي اهتمّ به الكثير من النقاد، وهذا ما أشار إليه السعيد بقوله: «لقد تأكّد لي أنّ السرد الجزائري بدأ يستقلّ شيئا فشيئا عن المفاهيم الغيريّة مكوّنا بذلك عالمه الخاصّ، وهي ميزة طيّبة وجب التأكيد عليها من أجل الاستثناء، لأنّ الاستثناء جوهر أيّة خصوصيّة إبداعية»³.

استهلّ الناقد كتابه بمقدمة ثمّ قام بمقاربة سيميائية وبنوية وأسلوبية لمجموعة من الروايات والقصص بداية برواية الانطباع الأخير لمالك حداد، ثمّ رواية تميمون لرشيد بوجدره، ليتناول بعد ذلك موضوع لغة اللّغة من خلال روايات الحبيب السائح؛ ذلك الحنين، تماسخت، دم النسيان، كما تعرّض الكتاب لدراسة مطوّلة لشعرية السرد في رواية غدا يوم جديد لعبد الحميد بن هدوقة، ثمّ الكتابات السردية لعمار بلحسن، وأعقبها بقتصص ابن هدوقة التي نشرت بعد وفاته وعنونها بذكريات وجراح.

¹ ينظر: السعيد بوطاجين: الاشتغال العملي (دراسة سيميائية) "غدا يوم جديد" لابن هدوقة عيّنة، ص 143-145

² ينظر: مريم شويشي: السيميائية السردية في النقد الجزائري، قراءة وصفية تحليلية في نموذج السعيد بوطاجين، مجلّة إشكالات في اللّغة والأدب، مج 10، ع 2، ص 2021، ص 173.

³ السعيد بوطاجين: السرد ووهم المرجع؛ مقاربات في النصّ السردية الجزائري، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط 1؛ 2005، ص 5.

ختم كتابه بمساءلة وسمها يقوله " الرواية غدا"، إشارة منه على أنّ ما حدث « للرواية الحدائبة في الجزائر غالبا ما اتكأت على النسخ بمفهومه الآلي، الأمر الذي أبرز محدوديتها وانغلاقها على مستويات كثيرة: اللغة، الأساليب، القراءة، المتخيّل، والحال أنّ هناك سوء فهم بين الواقع والأدب، فالأزمة ليست أدبا إنّما موضوع لها، وما يهمنّا ليس أزمة المجتمع، وإنّما أزمة الأدب في كيفية التعامل مع أزمة المجتمع»¹.

ما شجّع الناقد على تأليف هذا الكتاب إلحاح زملائه على جمع ما كتبه من مقالات في كتاب واحد وهذا ما صرّح به قائلا: «اقترح عليّ بعض الأصدقاء المهتمين بالنصّ الجزائري جمع المحاضرات التي قدّمتها في ملتقيات وطنية ودولية وطبعها في كتاب، وها إنّني أفعل ذلك احتراما لهم، هكذا سيشترون معي في إيجابيات وسلبيات هذه المقالات التي كتبت في أوقات متباينة وفي ظروف مؤلمة كذلك»².

ومن إيجابيات هذه الدراسة أنّه طغى عليها الجانب التطبيقي، الذي يعين الطلاب كثيرا خاصّة في مجال الممارسة النقدية للمناهج الحديثة، بنوية كانت أو أسلوبية أو تداولية، وأخصّ بالذكر المنهج السيميائي فقد كان يتتبع بنية العلامة والعنوان، فيقول: «والواقع أنّ عنوان الرواية الذي اعتبرناه بمثابة بنية مقدّمة يوحي في جزء منه على الأقلّ بوضع الخطاب لأنّ كلمة انطباع تدلّ على الحالة والعرض أكثر من دلالتها على الحركة، ومن ثمّ إدراكنا أنّ النصّ سيؤول إلى التراخي، وهي فرضية قبلية مستقاة من شعريّة العنوان، وبالتالي احتمال تعارضها مع البنية اللاحقة»³.

قدرة الناقد على مراوغة المناهج الحديثة جعله يطرّق باب «السيميائيات السردية في تحليله لنصّ "تيميون لبوجدره"، كاشفا عن العلاقة الانفصالية أو الاتصالية بين السارد البطل وحيزين مكانين مهيمينين: قسنطينة والصحراء أما في رواية "تماسحت دم النسيان" اهتمّ بالانزياح الأسلوبي، مستعملا الآليات الأسلوبية في تحليله للخطاب، ثمّ يدرج في رواية "غدا يوم جديد" توليفة جديدة

¹ السعيد بوطاجين: السرد ووهم المرجع؛ مقاربات في النصّ السردى الجزائري، ص 185.

² المرجع نفسه: ص 5

³ المرجع نفسه: ص 13.

تعرف بالمرجع السيميائي، ثمّ عالج رواية "ذكريات وجراح" معالجة سيميائية دون شعور القارئ بذلك، أمّا قصص عمّار بلحسن فعالجها معالجة بنيوية و سيميائية¹.

يعدّ السعيد بوطاجين من أعلام المنهج السيميائي في الجزائر خاصّة في جانبي التطبيق، والترجمة والتعريب، وما أهله لذلك معرفته الواسعة بالمنطلقات الفلسفية القديمة لعلم السيمياء، والفكر العربي القديم في هذا الميدان، وكذا اطلاعه الواسع على الفكر الغربي نظرا لاحتكاكه بمنظري السيمياء في المدرسة الغربية خاصّة بجامعة السوربون، كما أنّه كان أستاذا للسيمياء وتحليل الخطاب بالجامعات الجزائرية، إضافة إلى تدريسه لعلم الترجمة بالجامعات، وهذا ما يجعلنا نعتبه ب"غريماس الجزائر" بحكم أنّه كان مهتمّا كثيرا في دراساته السيميائية بالتمودج العملي الغريماسي، وأكّد على ضرورة النظر في العلاقات التي وضعها غريماس التي تربط الدافع والفاعل وموضوع الفعل والمستفيد كما كان حريصا على ضرورة تدقيق المصطلح وأخذه من التراث الأصيل كي يتلقّى الطالب منهج غربي صحيح.

6.2.2. رشيد بن مالك*:

رشيد بن مالك من النقاد الجزائريين الأكثر تأثيرا بالمنهج السيميائي، فقد سار في درب هذا المنهج بداية من التنظير ثمّ الممارسة فالترجمة والتعريب، وقد شهدت له بذلك الباحثة لفرنسية آن إينو حين اعتبرته من الجزائريين الأوائل الذين استطاعوا إدراك المنهج السيميائي بكلّ قوانينه وقواعده، فالقارئ العربي في نظره يواجه صعوبة كبيرة في قراءة ما كتب عن السيميائيات سواء أكان مترجما أو في شكل بحوث، وبذلك يكون قد وضع أصعبه في مكمن الضعف في النقد العربي الحديث، لأنّه اطّلع على السيميائيات في موطن نشأتها وتعلّم منهاجها من أفواه أقطابها ومشايخها

¹ ليلية زباني، أحمد قيطون: بنية الخطاب التقدي لدى السعيد بوطاجين؛ كتاب السرد ووهم المرجع (أمودجا)، مجلّة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والانسانية، مج 12، ع6، س2020، ص133، 134
* من مواليد 1956م بصيرة ولاية تلمسان، نشر العديد من البحوث في المجالات الوطنية والدولية، شارك في ملتقيات وطنية ودولية، ترجم بعض البحوث في مجال السيميائيات ونائب رئيس رابطة السيميائيين الجزائريين يشغل حاليا منصب رئيس قسم الثقافة الشعبية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة أبي بكر بلقايد تلمسان.

ومنظريها، ولذلك فهو يرى أنّ تلك الأعمال تظلّ ناقصة لأنها مفصولة عن مناخها الذي ولدت فيه¹.

وما يميّز رشيد بن مالك عن غيره من النقاد الجزائريين أنّه يدرس المناهج العربيّة دون الاعتماد على التّرجمات بحيث يأخذها من منابعها، بالإضافة إلى اكتسابه المادّة العلميّة بعمق التّجربة، ومتمرس في مجال تحليل النّصوص السّردية، ومنهجه يتحلّى بالموضوعيّة العلميّة، سواء في تنظيراته الاصطلاحية أم في النّصوص التّطبيقية التي يتناولها بالدراسة بينما أسلوبه يتسم بوضوح المنهج الذي يظهر من خلال الكشف عن المرجعية النظرية التي يستند عليها².

وما عرف عن الباحث رشيد بن مالك أنّه «ظلّ شديد الوفاء للمدرسة الفرنسيّة في السيميائيات ولم يجد عنها قيد أملة ولم يهتم بأيّ منهج آخر، هذا هو اختياره وهو حرّ في ذلك حيث لم يلتفت إلى المدرسة الأمريكيّة التي اهتمّ بها غيره من أمثال أحمد يوسف الجزائري، وأمينة بلّعلي وغيرهما»³.

ولقد شهدت مسيرته العلميّة مؤلّفات كثيرة شملت جميع الجوانب بداية بالجانب النظري فالتطبيقي ثمّ التّرجمة والتّعريب، نذكرها كما يلي:

1. رسالة دكتوراه " السيميائية بين النظرية والتطبيق؛ رواية نوار واللوز لواسيني الأعرج نموذجاً" (مخطوطة)، سنة 1994م/1995م
2. السيميائية مدرسة باريس (ترجمة لجان كلود كوكي) سنة 2003م
3. مقدّمة في السيميائيات السردية سنة 2000م.
4. السيميائية السردية سنة 2006م.
5. البنية السردية في النظرية السيميائية سنة 2001م.

¹ ينظر: بوداود وذناني: خطاب التأسيس السيميائي في النّقد الجزائري (مقاربة في بعض أعمال يوسف أحمد)، ص118.

² ينظر: صالح تقايجي: قراءة سيميائية في النّصّ السّردية؛ الدكتور رشيد بن مالك نموذجاً مجلة الآداب واللّغات، مج1، ع4، س2013، ص213.

³ لكحل لعجال: المقاربة السيميائية عند رشيد بن مالك، أطروحة دكتوراه (منشورة)، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، (الجزائر)، 2016/2017، ص227.

6. قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص؛ عربي-إنجليزي-فرنسي، نشر سنة 2000م
7. السيميائية أصولها وقواعدها ترجمة ل: "ميشال أريفيه، لوي بانويه، جوزيف كورتيس، جان كلود جيرو"، سنة 2002م.
8. تاريخ السيميائية ترجمة للباحثة آن إينو، سنة 2004م.
9. السيميائية، الأصول والقواعد والتاريخ؛ ترجمة لمجموعة من السيميائيين الغربيين، سنة 2008م¹.
10. من المعجمات إلى السيميائيات، نشر سنة 2013م
11. المشروع السيميولوجي في الدراسات العربية؛ مبادئ في علم الأدلة للأستاذ محمد البكري نموذجاً نشر في 2020م، كما يملك العديد من المقالات في هذا الفن الذي تأثر به وبرع فيه كثيراً نوجزها كما يلي:

1. قراءة سيميائية في رواية العشاء السفلي، مجلة آفاق، منشورة في يناير 1990م
2. تحليل سيميائي لقصة عائشة للكاتب أحمد رضا حوحو، مجلة التبيين، منشورة في يوليو 1990م
3. قراءة سيميائية في رواية عواصف جزيرة الطيور، الجسرة الثقافية، منشورة في يناير 2001م.
4. اشكالية ترجمة المصطلح في البحوث السيميائية العربية الراهنة، علامات في النقد، ديسمبر 2001م
5. قراءة سيميائية في كتاب إغاثة الأمة بكشف العمّة للمقرئ، مجلة التراث العربي، يناير 2002م
6. البنية السردية النظرية السيميائية، مجلة ثقافات، أكتوبر 2002م.
7. قراءة سيميائية لرواية الصحن، علامات، أبريل 2006م².

¹ ينظر: رشيد بلعيفة: رشيد بن مالك ومحاولات تأصيل النقد السيميائي، الملتقى الدولي الثامن للسيميائ والنص الأدبي، جامعة محمد خيضر بسكرة، (الجزائر)، أيام 10/09/08-10/09/08 نوفمبر/2015م، ص 598.

² ينظر: رشيد الخيون: أرشيف الشارح للمجالات العربية والثقافية، تاريخ النشر: 2016/08/14م، تاريخ الاطلاع: 2021/07/18، رابط الموقع: <https://archive.alsharekh.org/>

درس رشيد بن مالك مجموعة من القصص والروايات العربية والجزائرية تحليلاً سيميائياً، وفق المفهوم الغريماسي، بداية بمؤلفه الأول "مقدمة في السيميائية السردية"، والذي قسمه إلى قسمين، قسم نظري وآخر تطبيقي، تناول في النظري الأصول الشكلانية واللسانية للنظرية السيميائية، وهذا ما نوه إليه في مقدمة الكتاب بقوله: «سنسعى في هذا البحث إلى دراسة الأصول اللسانية والشكلانية التي انبنت عليها النظرية السيميائية (مدرسة باريس) واستمدت منها مصطلحيها العلمية مع إجراء تعديلات على مفاهيمها تقصياً في ذلك الانسجام مع التوجهات الجديدة للبحث السيميائي المعاصر»¹.

أما القسم الثاني فجاء تطبيقياً لأن الناقد كان؛ هدفه الرئيسي تحليل ما تناوله في الجزء الأول من الكتاب «كمحاولة لتثبيت المكتسبات النظرية التي تم التطرق إليها عند عرض أسس هذه النظرية وذلك من خلال معالجته لقصتي "العروس" لغسان كنافي* و"عائشة" لأحمد رضا حوحو**، ورواية ربح الجنوب "عبد الحميد بن هدوقة، وكان يهدف من خلال هذه المحاولات التطبيقية إلى تبسيط القواعد النظرية التي يركز عليها التحليل السيميائي»².

¹ رشيد بن مالك: مقدمة في السيميائية السردية، دار القصة للنشر، الجزائر، (د ط)، 2000، ص5.

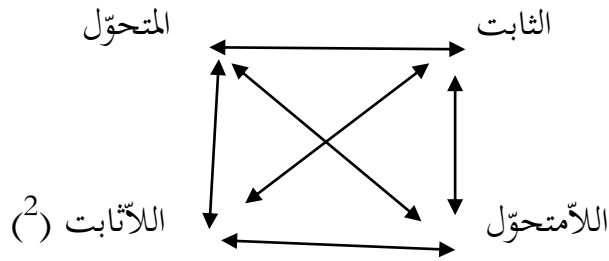
*روائي وقاص فلسطيني، ولد بعكا شمال فلسطين سنة 1936م، عاش متنقلاً بين لبنان، سوريا، الكويت، كل كتاباته كانت متعلقة بالقضية الفلسطينية نال جائزة أصدقاء الكتاب في لبنان سنة 1966م عن روايته "ما تبقى لكم"، كان الناطق الرسمي للمكتب السياسي لمنظمة التحرير الفلسطينية، كما عمل محرراً بمجلة الحريّة اللبنانية، ثم رئيساً لمجلة المحرر اللبنانية، استشهد في 1972/7/8م، تاركاً خلفه أكثر من 18 كتاباً والكثير من الروايات والقصص والمقالات.

**ناقد وقاص وروائي جزائري، ولد في 1910/12/15م، ببلدة سيدي عقبة بسكرة، درس بالمدينة المنورة وتخرّج من مدرسة العلوم الإسلامية سنة 1938م، انضم إلى جمعية العلماء المسلمين بعد عودته إلى الجزائر وعمل مدرّساً بها، فمديراً ثم مفتشاً للتعليم، مثل الجزائر في مؤتمر باريس الدولي للسلام أحسن تمثيل سنة 1949م، أسس جمعية المزهرة القسنطيني للمسرح والموسيقى، و اشتغل في الصحافة من خلال مقالاته المنشورة في جريدتي البصائر والشعلة الأسبوعية التي كانت تصدر بقسنطينة، أعتقل رضا حوحو ف 1956/3/29م، ثم حوّل إلى جبل الوحش المشرف على قسنطينة وتمّ إعدامه هناك، ودفن رفقة مجموعة من الشهداء في حفرة جماعية، ترك مجموعة من الكتب نذكر منها: غادة أم القرى، مع حمار الحكيم، صاحبة الوحي، نماذج بشرية.

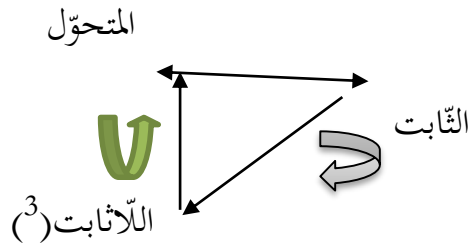
² المرجع نفسه: صفحة الغلاف الأخير من الكتاب

قام الناقد بتحليل قصّتان ورواية في كتابه، لكن اخترنا الحديث عن قصّة "عائشة" لكون راوي القصّة جزائري، وثانياً أنّ رشيد بن مالك حلّلها كاملة، فقد قسّمها إلى مقطوعتين، فعنوان الأولى بالخطاب الموضوعي معتبرا المقطوعة السردية «وحدة خطابية تجري مجرى القصّة الصّغيرة»¹.

وهذا ما تجسّد في بداية القصّة التي شرح فيها رضا حوحو حياة البأس والظلم التي عاشتها المرأة الجزائرية، في ظلّ العادات والتقاليد التي فرضها المجتمع الجزائري، وهذا ما فسّره رشيد بن مالك من خلال المربّع السيميائي الآتي:



فسّر الناقد الثّابت على أنّه: التّقاليد والعادات التي فرضها المجتمع الجزائري على المرأة، والمتحوّل هو ما كانت تصبو إليه للخروج من هذه القوقعة التي سئمت منها، فالراوي في المقطوعة الأولى ركّز على قضية تحرير المرأة من عصبية القبائل الجزائرية، وهذا ما جعل الناقد يستخلص الشّكل الآتي:



يفسّر هذا الشّكل على أنّ المرأة بقيت تعيش حياتها الأولى دون تحقيق مرادها وهو التحرّر من عصبية المجتمع الجزائري.

¹ رشيد بن مالك: مقدّمة في السيميائية السردية، ص72.

² المرجع نفسه: ص77

³ المرجع نفسه: ص82

بيد أنّ المقطوعة الثانية وسمها بالخطاب السردى، المتمثل في بطل القصة عائشة التي كانت تعيش حياة هادئة رغم قيود المجتمع سرعان ما تحوّلت حياتها لضياح شرفها ونقمة المجتمع عليها بعد فرارها مع الشاب الأوروبي وتعرضها للاغتصاب فلم يرحمها المجتمع بكلماته الجارحة، وتأسيسا على ما سبق فإنّ الناقد رسم جدولا يبيّن الثابت والمتحوّل في هذه القصة، ويفسّر هنا وهناك، وهذا لغرض إبراز التحويل الأساسي الذي يغدّي البنية السردية:

المسار (1)	المسار (2)
- هي إذن كائن تافه لا مسؤولية له (أ) - إنّها دولا ب بشريّ تديره يد ذويها (ب) - لا تتحرّك ولا تسكن إلاّ بإرادته ووفقا لرغباتهم (ج) - لا تملك الحقّ في التفكير (د).	- وضّح لها حقوقها في الحياة (أ) - لم ينس ذكر من أعطاه القانون (ب) - من الحقوق والمحافظة على رغباتها (ج) - تعيش صحبته في عيش رغد محفوفة بالحرية والحبّ والسعادة (د)
العبودية	التحرّر

(1).

يبيّن هذا الجدول الوضع (المتحوّل) الذي آلت إليه عائشة بعد ما كانت في وضع (ثابت)، نالت حرّيتها لتدخل في عبودية جديدة وهي فرار الشاب الأروبي ونقمة المجتمع عليها بعد ضياح شرفها، أمّا هنا فهو المكان الذي كانت تعيش فيه، في حين أنّ هناك هو المكان الذي فرّ إليه الشاب، «ثمّ يظهر ببرنامج سردي آخر تسعى من خلاله عائشة إلى سدّ الافتقار الذي أحدثه المجتمع بإذلالها، والشابّ باغتصابه لأنوثتها والذئاب البشرية بدفعها إلى طريق الغواية، فتبدأ بالبحث عن عمل

¹رشيد بن مالك: مقدّمة في السيميائية السردية، ص 82.

فتحصل على ذلك كخادمة في فندق ثم تتفوق في الاهتداء إلى زوج، لتحوّل الأمور من جديد إلى الاستقرار»¹.

أما كتابه الثاني "السيميائيات السردية" فألقى من خلاله الضوء على السيميائية بوصفها خيرا منهجيا مغايرا للمناهج التقليدية، بما يساعد على تطوير سيميائية عربية ليست نسخة حرفية أو مطابقة للسيميائية في الغرب².

خصّص الناقد الجانب النظري للحديث عن واقع السيميائية في العالمين العربي والغربي، وتاريخها في المدرسة الغربية، وكذا تلقّيها في العالم العربي، أما الجانب التطبيقي تناول فيه قراءات سيميائية على نصوص عربية، حاز الجزء التطبيقي منها على القسط الأكبر من الكتاب، (بداية من الصفحة 44 إلى الصفحة 182)، فبدأ بـ "كليلة ودمنة" لعبد الله بن المقفع*، فرواية "نوار اللوز" لواسيني الأعرج**، ثم ختم دراسته برواية "عواصف جزيرة الطيور" لجيلالي خلاص*** فاستعمل الآليات التالية: المقدمات المنهجية فالجداول ثم الخطاطات ثم الرموز والعبارات الرياضيّة، وقد كشف هذا الكتاب عن منهجية واضحة وتحكم دقيق في الممارسة النقدية، وبالضبط السيميائية السردية التي

¹ خلف الله بن علي: الممارسة السيميائية السردية في النقد الجزائري؛ قراءة في إسهامي رشيد بن مالك وإبراهيم صحراوي، مجلّة الفضاء المغاربي، مج 3، ع3، س2019، ص91.

² ينظر: رشيد بن مالك: السيميائيات السردية، دار مجدلاوي، عمان، الأردن، ط1؛ 2006، ص7.

* مفكّرًا فارسي وشاعرا وكاتبًا، عاش في زمن الخلافتين الأموية والعباسية، ولد سنة 106هـ-724م، وتوفي سنة 142هـ-759م، درس الفارسية وتعلّم العربية في كتب الأدباء، أول من اهتم بترجمة كتب المنطق من المسلمين، يمتلك العديد من الترجمات والكتب أهمّها: كليلة ودمنة، الأدب الكبير، الأدب الصغير، الدرّة اليتيمة.

** أكاديمي وروائي جزائري ولد بتاريخ 1954/8/8م ببلدية سيدي بوجنان بتلمسان، نال شهادة البكالوريا بجامعة الجزائر، ليتحوّل إلى جامعة وهران التي نال بها شهادة ليسانس في الأدب العربي، ثم انتقل إلى سوريا بمنحة حكومية لمواصلة دراسته العليا، وهناك تحصّل على درجة الماجستير والدكتوراه، ثم عاد إلى الجزائر وشغل منصبا أكاديميا بجامعة الجزائر، ثم انتقل إلى جامعة السوربون لتدريس الأدب العربي هناك، ويشغل حاليا أستاذ كرسي بجامعة الجزائر، وجامعة السوربون بباريس، يملك الكثير من الروايات والقصص نذكر منها: حارسه الظلال، كتاب الأمير، نساء كازانوف، أسماك البر المتوحش.

*** روائي جزائري ابن مدينة عين الدفلى ولد يوم 1952/04/20م، من عائلة فلاحية بسيطة، تخرّج مدرّس من خميس مليانة سنة 1970م، نال شهادة البكالوريا سنة 1973م، ودخل الجامعة لدراسة الحقوق سرعان ما توقف عن الدراسة ليلتحق بالخدمة العسكرية في جيجل، تخلّى عن التعليم وعمل مترجما حرا ثم بالعديد من المؤسسات، ليستقرّ أخيرا في المجلس الأعلى للإعلام ووزارة الاتصال والثقافة التي أخذ منها التقاعد سنة 1997م، ثم تفرّغ للصحافة والإبداع، له العديد من القصص والروايات نذكر منها: حريف رجل المدينة، زهور الأزمنة المتوحشة، مرارة الزّهان، السّفَر إلى الحبّ، الدّيك المغرور، الحبّ في المناطق المحرّمة.

استقاها الباحث من أصولها الغربية، وأسقطها على نصوص سردية عربية، فثبت المفاهيم والمصطلحات الدقيقة واستعمل لغة الأرقام والجداول والبيانات وغيرها من الأدوات الرياضيّة، وهذا ما جعله أهلا للتقدير عند النقاد ورواد السيمياء خاصّة¹.

في ضوء ذلك كله نلخص إلى معلومة مفادها أنّ رشيد بن مالك «اعتمد في تحليله على أنواع الانتقال من حالة إلى حالة بحيث وقف على آلية التحوّل استنادا إلى الصيغ الرمزيّة التي شكّلها غريماش في كتابه "السيمائيات البنيويّة"، كما درس الشخصية لا كائن نفسي، وإنّما كمشاركة في البرنامج السردّي، إذ لم يحدّد ميولاتها النفسية أو خصالها الخلقية، وإنّما بموقفها وتحركاتها داخل القصة محاولا إبراز آلية الشخصية في تطوّر الفعل السردّي»².

فهو بحقّ معلم من معالم السيميائيات في الجزائر، ذلك لأنّه من السيميائيين الأوائل الذي كان لهم «فضل السبق في إثراء الدرس السيميائي العربي، بتأصيل وترجمة عدد كبير من المصطلحات السيميائية السردية نقلا عن الفرنسية، كما ساعدته معاصرة المدّ البنيوي، بما حمله من المفاهيم المنجزة لدى أقطاب السيميولوجيا الأروبيّة، على تقصّي التيارات المتفاعلة في البيئة النقديّة العربيّة عبر مشروع سيميائي، يندرج ضمن دراسة جمعت بين التلقّي السيميائي النظري والترجمة للمصطلح السردّي»³.

تعتبر دراسات رشيد بن مالك في المجال السيميائي من الدّراسات القليلة التي ساهمت بشكل كبير في تأسيس الخطاب النقدي السيميائي الجزائري وتأصيله، كما كان لممارساته التّطبيقية وقع قويّ يستطيع الباحث الاعتماد على نماذجه خاصّة في مجال السيميائيات السردية، وقد استطاع النّاقدا اثبات وجوده بفضل قاموسه السيميائي الذي أصبح مرجعا هاماّ للسيميائيين في الوطن العربي عامّة، والجزائر خاصّة، بشهادة الغريبين على براعته الفائقة في هذا المجال.

¹ ينظر: لكحل لعجال: قراءة في كتاب السيميائيات السردية لرشيد بن مالك، مجلّة مقاليد، مج6، ع1، س2016، ص52-56

² سميرة بارودي: الدّراسات السردية في النّقد الجزائري المعاصر، أطروحة ماجستير (منشورة)، جامعة وهران، (الجزائر)، 2011/2012، ص52، 53

³ كمال جدّي: المصطلحات السيميائية السردية في الخطاب النقدي عند رشيد بن مالك، أطروحة ماجستير (منشورة)، جامعة قاصدي مرياح ورقلة، (الجزائر)، 2011/2012، ص124، 125

7.2.2. عبد الحميد بورايو*:

اهتمّ عبد الحميد بورايو بالموروث السردي للأدب الشعبي الجزائري في بدايات دراسته، سرعان ما زواج بين هذا الموروث والمنهج السيميائي السردى في مجال النقد، حيث حاول تطبيق هذا المنهج إلى أقصى حدّ ممكن على القصص الشعبي إيماناً بجأته إلى الكشف عن شكله وبناء لغته، إذ نفخ فيها روح العصر وتحدياته ورآه، وهذا وفق آليات إجرائية تستند إلى رصيد معرفي وهو ما قدّمه من خلال العديد من الأعمال: التحليل السيميائي للخطاب السردى وكذلك البطل الملحمي والبطلة الضحية في الأدب الشفوي الجزائري، وأيضاً المسار السردى وتنظيم المحتوى دراسة سيميائية لنماذج من حكايات ألف ليلة وليله وكليلا ودمنة¹.

مارس عبد الحميد بورايو المنهج السيميائي في وقت مبكر من خلال كتابه "القصص الشعبي في بسكرة؛ دراسة ميدانية"، وقد برز هذا جلياً في المفاهيم السيميائية التي وظّفها أبرزها: الممثل، المرسل، المرسل إليه، الموضوع والفاعل... رغم أنّه لم يصرّح بذلك في كتابه، لأنّه ارتكز بصفة أكبر على المنهج البنيوي، وهذا ما بيّنه في مقدّمة كتابه قائلاً: «قام الباحث بتحليل نماذج من النصوص، فكشف عن البنية التركيبية لكلّ نمط قصصي وعلاقة هذه البنية بالبنية الأمّ التي تولّدت عنها وهي البنية الاجتماعية مستعينا في ذلك بالمنهج البنيوي»².

* ناقد جزائري متخصص في الأدب الشعبي، من مواليد سنة 1950م سليمان (تونس)، تلقى تعليمه بمسط رأسه، ورجع في بداية الاستقلال (1964) إلى موطنه الأصل واستقرّ بالجزائر العاصمة وتابع دراسته الثانويّة هناك، ثمّ انتقل بعدها إلى جامعة الجزائر بمعهد اللّغة والأدب العربي ومنها نال شهادة الإجازة سنة 1973م، وأوفد في بعثة إلى مصر لدراسة الماجستير في الأدب الشعبي بجامعة القاهرة، فقدّم رسالة تحت عنوان "القصص الشعبي في منطقة بسكرة" سنة 1978م، تحصّل على شهادة الدكتوراه من قسم اللّغة العربيّة بجامعة الجزائر سنة 1996م، تحت عنوان "المسار السردى وتنظيم المحتوى دراسة سيميائية لنماذج من ألف ليلة وليله"، تقلّد العديد من المناصب أبرزها أستاذ بجامعة (تيزي وزو، الجزائر، تيبازة، تلمسان)، مدير مخبر أطلس الثقافة الشعبية بالجزائر، رئيس رابطة السيميائيين الجزائريين المؤسسة بجامعة سطيف سنة 1998م، أبرز مؤلّفاته: القصص الشعبي في منطقة بسكرة، منطق السرد (دراسات في القصة الجزائرية المعاصرة)، الحكايات الخرافية للمغرب العربي.

¹ ينظر: المسعود قاسم: اتجاهات النقد الأدبي في الجزائر (النقد الأدبي عند عبد الحميد بورايو)، أطروحة دكتوراه (منشورة)، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، (الجزائر)، 2018/2019، ص 57.

² عبد الحميد بورايو: القصص الشعبي في منطقة بسكرة؛ دراسة ميدانية، المؤسسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، (د ط)، 1994، ص 5.

ينطلق بورايو في تحليله للنصوص السردية من «نظرية غريماس التي تستند إلى اللسانيات والمنطق الرياضي، وإلى أعمال كورتيس المكتملة لمشروع أستاذه غريماس، وبما أن آليات التحليل السيميائي تصلح لأن تطبق على كافة الأنواع السردية، فقد وجد عبد الحميد بورايو ضالته في هذا المنهج وقاه باستثماره في مجال السرد الشعبي الذي يحتاج لمثل هذا المنهج، الذي يقف على كنه النصوص مستجليا بنيتها وكاشفا لمعانيها العميقة»¹.

تبى الناقد في البداية التحليل الوظيفي لبروب (Broub) لأنه يتناسب مع تخصصه المتمثل في الأدب الشعبي، والذي يتلاءم مع دراسات فلاديمير بروب في الحكايات الخرافية والأساطير فقد نشأت السيميائية السردية من رحم التحليل الوظيفي، وهذا ما نوه إليه بورايو في كتابه "الحكايات الخرافية للمغرب العربي" حين قال: «تأخذ دراستنا في حسابنا البحث الشكلي والبنوي الذي أنجز في هذا المجال والذي تعود ريادته لفلاديمير بروب وكلود ليفي شتراوس وتمت متابعته وتطوره من طرف من جاء بعدهم من الباحثين من أمثال كلود بيرموند وغريماس وكورتيس وآخرين»².

تبدأ الممارسات السيميائية للناقد، كونه متشبعا من مناهج كثيرة بداية بالمدرسة الشكلانية الروسية انتهاء إلى الفكر السيميائي لغريماس وقد أشار إلى ذلك قائلا: «قد عرفت الفترة الحالية من تاريخ الدراسات الأدبية نمو مباحث جديدة بالاطلاع تميز بالشراء، تندرج ضمن ما يسمي بالسيميائيات، وهي مشروع بحث يعتمد في دراسته للنصوص الأدبية على نتائج اللسانيات والإناسة الثقافية والاستمولوجيا»³.

اهتم الباحث كثيرا بالممارسات التطبيقية، فكان يستهل كتبه بمدخل نظري يعرض فيه خطوات المنهجية المتبعة، ليدخل مباشرة بعد ذلك إلى الجانب التطبيقي، ولقد كان يركز في تحليلاته السيميائية على 1/ نموذج المسار السردية، 2/ نموذج العاملين، 3/ نموذج المسار الغرضي، 4/ نموذج البنية الدلالية، 5/ الحقل المعجمي، 6/ المقطوعات الخطابية، 7/ التجسيديات الخطابية، 8/ البرنامج

¹ الخضير بكيري: المصطلح الأناسي في الخطاب النقدي لعبد الحميد بورايو؛ المرجعيات والتلوي، أطروحة ماجستير (منشورة)، جامعة وهران 1 (الجزائر)؛ 2016/2017، ص 64.

² عبد الحميد بورايو: الحكايات الخرافية للمغرب العربي؛ دراسة تحليلية في معنى المعنى لمجموعة من الحكايات، شعب الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، (د ط)، 2007، ص 15.

³ عبد الحميد بورايو: منطق السرد (دراسات في القصة الجزائرية الحديثة)، منشورات السهل، الجزائر، (د ط)، 2009، ص 25.

السردية،⁹ المرّج السيميائي، إذ أنّ «لكلّ نسق من هذه الأنساق النموذجية قواعد عمله وانسجامها، منها ما يتعلّق بمظهر الخطاب وبعناصره الحاضرة في السياق والمتجاورة في خطاب القصة مثل المسارين السردية والغرضية، ومنها ما هو ضمني ومحايث، يتمّ استنباطه وفق آليات تحليل يسمح بها التّموذج المستنبط مثل بينة الفاعلين والبنية الدلالية العميقة»¹.

يختلف تلقّي عبد الحميد بورايو للخطاب السيميائي عن غيره من النقاد الجزائريين، وذلك نظرا للمرجعيات التي تتحكّم في هذا التلقّي، لأنّ كان دائما يهتمّ بالتركيز على تطبيق أدوات التحليل السيميائي على الموروث الشعبي القديم فلكلّ متلقّي منطلقاته المعرفية والمنهجية والأيدولوجية التي حاول من خلالها إخضاع النّصّ المقروء (الخطاب السيميائي) لها، فحتّى إذا وقع تحليل نصّ واحد من طرف متلقّين أو أكثر، مثل قراءة رشيد بن مالك و قراءة عبد الحميد بورايو لإحدى حكايات كليلة ودمنة، فإنّهما وإن انطلقا من منهج واحد (السيميائية)، وإن استعملا إجراءات واحدة، إلا أنّ النتائج تختلف في نهاية المطاف، وذلك لأنّ النّصّ في حدّ ذاته يمنح كلّ من يقرأه شيئا لم يمنحه قارئاً آخر من قبل.²

بناء على ما سبق فإنّ بورايو أكّد للجميع قابليّة الموروث الشعبي العربي القديم للقراءة النقدية التي تتلاءم مع آليات المناهج التّسقيّة الحديثة، انطلاقا من قناعته بأنّ النّصوص الشعبيّة تمتاز بالثراء الدلالي والانفتاح على النّصوص الأخرى كما يعدّ هذا أحد الخيارات المنهجية التي تبنّاها الباحث عن وعي وفد دافع عن خياره لكون التّطبيقات الأولى للسيميائية الشّكلانية أولت عناية خاصّة بالقصص الشعبي، خاصّة وأنّ تحليلات غريماس السردية انبنت على جهود الشّكلاني الروسي فلاديمير بروب، طبّقت على نصوص شعبية، كما أنّ جوزيف كورتيس قدّم هو الآخر تحليلات إضافية للحكاية الشعبيّة.³

¹ عبد الحميد بورايو: التحليل السيميائي للخطاب السردية؛ دراسة لحكايات من ألف ليلة وليلة وكليلة ودمنة، دار الغرب، وهران، الجزائر، (د ط)، 2003، ص5

² ينظر: عائشة حمادو: تلقّي السيميائية عند عبد الحميد بورايو بين آليات المنهج وخصوصية النّصّ المقارب، مجلّة الحكمة للدراسات الأدبية واللّغوية، مج5، ع10، س2017، ص21.

³ ينظر: المرجع نفسه، ص23.

استعانة بما سبق نستطيع القول إنّ عبد الحميد بورايو يدرج ضمن النقاد الأوائل الذين تبوّأ المنهج السيميائي وطبقوه على نصوص الأدب الشعبي في الوطن العربي عامّة والجزائر بصفة خاصّة، وذلك منذ بداية الثمانينات، بداية بكتابه "القصص الشعبي في بسكرة؛ دراسة ميدانية" «ولقد تميّزت الدّراسة السيميائية السردية عند الناقد عبد الحميد بورايو بالتركيز على أكثر من مصدر سيميائي في صياغة لأفكاره التي اعتمد عليها في مقارنة النصوص التراثية العربية، وربّما يعود هذا التنوّع في المصادر إلى رغبة الباحث لتكريس أكثر من مدرسة نقدية، وكذا تعريف الباحث العربي بأفكار مختلف المدارس النقدية العربية»¹.

على الرغم من أنّ بصمة الناقد البارزة في الجانب النظري والتطبيقي لهذا المنهج، والتي زوّد من خلالها المكتبة العربية بمؤلفاته، إلاّ أنّه لم يغفل عن خطاب الترجمة والتعريب، وبفضل هذه الأخيرة اكتملت منظومة مشروعه النقدي، «فقد راكم عبد الحميد بورايو منجزا ترجميا مهمّا، استمدّ قيمته من طبيعة المادة المعرفية المنقولة، والمتمثلة أساسا في الدراسات السردية، والسيميائيات وهي فروع معرفية لقيت رواجاً في محيط التلقّي العربي، وعرفت احتفاءً واسعاً في الصّعيد العالمي، وقد ترجم بورايو مقالات مهمّة شكّلت مداخل معرفية للقارئ العربي، في تلقّيه لتلك الفروع الدّراسية، نقلها عن أقطابها ورؤاها»².

وفيما يخصّ جملة الكتب التي ألفها في مجال الترجمة ما يلي:

1. مدخل إلى السيميولوجيا؛ نصّ/صورة، دليّة مرسلّي وآخرون سنة 1995م
2. الكشف عن المعنى في النصّ السردّي، سنة 2008م
3. السيميائيات السردية؛ نموذج سردية، الأشكال السردية، وظائف العنوان؛ ج. لينتيفيليت، ج. كورتيس، ج. كومبروبي، سنة 2013م
4. النظرية السيميائية، مسار التّوليد الدلالي سنة 2013م
5. السرديات التطبيقية، مقاربات سيميائية سردية، مجموعة كتاب، سنة 2013م.

¹ نسيم تاحي: تجلّيات السيميائية السردية في الدرس النقدي العربي؛ المسار السردّي وتنظيم المحتوى لعبد الحميد بورايو، مجلّة إشكالات في اللّغة والأدب، مج 10، ع 2، س 2021، ص 860.

² حمزة بسّو: المشروع النقدي عند عبد الحميد بورايو، مجلّة اللّغة العربية، مج 21، ع 44، س 2019، ص 375.

6. المنهج السيميائي؛ الخلفيات النظرية وآليات التطبيق، سنة 2014م.

تحدّث بورايو عن مجهوده في هذا المجال مثمّنا بمجهود زملائه الأساتذة: رشيد بن مالك، السّعيد بوطاجين والسّعيد بن كراد، فقال في مقدّمة كتابه "المنهج السيميائي الخلفيات النظرية وآليات التطبيق": «تمثّل هذه النّصوص تجرّبي الخاصّة في مواجهة مسألة ترجمة المصطلحات الحاملة للمفاهيم الأساسية والمفتاحية ذات الطّبيعة المنهجية، ... قد حاولت قدر الإمكان أن أتقارب في اختيارها مع زملائي المنشغلين بها فأستفيد من اجتهاداتهم، إلى جانب ذلك استعنت بالقواميس اللّسانية المتخصصة التي ظهرت في العالم العربي»¹.

اخترنا هذا الكتاب من كتبه المترجمة كنموذج لأنّه قسّمه إلى ثلاثة أقسام: الأوّل والثّاني تناولوا الجانب النظري، أمّا الثّالث فطبّق ما درسه في الجانب النظري، إذ استند «القسم الأوّل والثّاني على مبادئ السيميائيات الشّكلانية في صيغتها الفرنسية والمسماة عادة بمدرسة باريس، أمّا القسم الثّالث فقد احتوى على دراسات متنوّعة بعضها طبّق مبادئ التحليل السيميائي المحدّدة في القسم النظري، وبعضها الآخر استعمل المنهج البنيوي دون أن يتقيّد بآليات التحليل السيميائي»².

يعتبر هذا الكتاب بمثابة معجم عربي مترجم للدّرس السيميائي الفرنسي في مجال السرديات خاصة فهو مرجع هامّ لطلبة العلم والباحثين وحتى النّقاد، حيث ألفه زمن - كان المنهج السيميائي حديث عهد بالجامعة الجزائري- وقد ساهم رفقة زملائه في بلورة نقد سيميائي جزائري مستقلّ بذاته بمعونة رفقاء دربه الذين ثمّن مجهوداتهم واعتبرهم مدرسة قائمة في هذا الفنّ.

عبد الحميد بورايو قام من قامات النّقد السيميائي في الجزائر، لأنّه من الأوائل الذي كان لهم فضل السّبق في ربط الموروث الشّعبي الجزائري بالمناهج الغربية وأخصّ بالذكر المنهج البنيوي والسيميائي، فما أعطى لبحوثه صبغة عصريّة جديدة حسن «استثماره في الآليات الإجرائية للاتّجاهات الغربية بما يخدم ممارساته النّقديّة، وتأطيرها ضمن فضاء فكري وثقافي عربي من خلال إعادة بلورتها بشكل تفادي فيه كلّ تعقيد إجرائي وجنح في ذلك على التّبسيط، دون أن يتخلّى عن الإطار العام لهذه الاتّجاهات، كما كان حريصا على تقديم النّصوص التي عاجلها، إذ كان يردف

¹ عبد الحميد بورايو: المنهج السيميائي الخلفيات النظرية وآليات التطبيق، دار التنوير، الجزائر، ط1؛ 2014، ص6.

² المرجع نفسه: ص5.

النقد البنوي والسيميائي مقارنة تكملية تعطي تفسيراً سياقياً للحكايات إما اجتماعياً أو ثقافياً وهذا من أجل استكشاف الدلالات العميقة للنصوص»¹.

8.2.2. إبراهيم صحراوي*:

لا يمكننا الحديث عن المنهج السيميائي في الجزائر دون الحديث عن اسهامات الباحث الجزائري إبراهيم صحراوي، الذي تبني السيميائية السردية من خلال دراسته النقدية التي أدرجها في كتابه المعنون بتحليل الخطاب الأدبي دراسة تطبيقية، والتي طبق فيها الميكانيزمات النقدية للسيميائية السردية على راية جهاد المحبين لجرجي زيدان، وهو قسم عمله إلى ثلاث مراحل، فدرس في المرحلة الأولى الوضعية البدائية والنهائية للرواية، ثم تحولات الرواية في المرحلة الثانية، وختمها بمرحلة ثالثة متمثلة في النموذج العملي للرواية².

حاول الناقد أيضاً دراسة شكل من أشكال قصص الأدب العربي القديم من خلال مقاله الموسوم بـ "المقامة البغدادية لبديع الزمان الهمداني، محاولة قراءة سيميائية" فبدأ مقاله بتمهيد شجع فيه على ضرورة الاهتمام بالمنهج السيميائي، ثم درس المقامة البغدادية دراسة سيميائية من خلال تقسيمه النص إلى قسمين: تطرق في القسم الأول للنظام السرد العام للمقامة، أما القسم الثاني فعرض فيه لبنية النص، كما قطع النص إلى مقاطع سردية باعتبارها وحدة محلية من الخطاب السردية، قابلة للعمل كقصة لكن يمكنها أن تندمج فيه كإحدى أقسامه المكونة فيه³.

¹ المسعود قاسم: مرجعيات الخطاب النقدي عند عبد الحميد بورايو، مجلة رفوف، مج7، ع1، س2019، ص245.

* ناقد وكاتب و مترجم جزائري، ولد بالحامة ولاية سطيف في 11/06/1958م، يعمل حالياً أستاذ جامعي بالجزائر العاصمة، حصل على جائزة ابن خلدون "سنغور للترجمة" سنة 2016م، له العديد من الكتب نذكر منها: تحليل الخطاب الأدبي، السرد العربي القديم؛ الأنواع والوظائف والبنيات، فلسفات عصرنا؛ تياراتها، مذاهبها، أعلامها وقضاياها، موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين، سرديات، ديوان القصة.

² ينظر: عبدالكبير أبوبكر: منهجية المقاربة السردية عند إبراهيم صحراوي، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، مج12، ع3، س2020، ص206

³ ينظر: خلف الله بن علي: الممارسة السيميائية السردية في النقد الجزائري؛ قراءة في إسهام رشيد بن مالك وإبراهيم صحراوي، مجلة الفضاء المغاربي، مج3، ع3، س2019، ص93.

ثمن الناقد السعيد بوطاجين منهجه الدراسي حين قال في إحدى حواراته: «إبراهيم من أوائل الأساتذة الجزائريين الذين اهتموا بالمنهج السيميائي، كما تعلمه من الأصول، أي في جامعة السوربون ثلاثة، مع كثير من الوعي بمنطقاته ومساراته وأفقه بحدوده، ذلك أنه كتب دراسات مهمة ومثيرة، ونبيهة في آن واحد، ودقيقة مدركة لطبيعة النص والخطاب»¹.

9.2.2. الطاهر رواينية*:

كما توجد بعض الجهود النقدية السيميائية للباحث الطاهر رواينية، من خلال أطروحته "سرديات الخطاب الروائي المغاربي الجديد؛ مقارنة نصائية تطبيقية في آليات المحكي الروائي"، مشيرا إلى ذلك بقوله: «وقد اعتمدت في دراستها منهاجا يستند إلى نظرية المحكي، وما أنجزته السرديات في هذا المجال بدءا بدء بتراث الشكلايين الروس، ولكنني آثرت الجمع بين توجّهين يزاوجان بين المقاربة الشكلائية والتأويلية، ممثّلين في دراسة "مايك بال" للدلالة السردية في الرواية، وفي الدراسة السيميائية التعاقبية للرواية الحديثة لفلامير كرزينسكي**»².

ما يلاحظ على هذه الدراسة أنّ الناقد «لم يتقيد بالصرامة المنهجية للتمودج الزمني الشكلي والتقني الذي اقترحه "جيرار جنيت" وإتّما سعى ليكون أكثر انفتاحا على الدلالة في دراسة الزمن، ممّا قاده إلى استدعاء آراء "فلامير كرزينسكي"، في السيميائية التعاقبية مطعمة بأفكار "مايك بال" في السرديات التوسيعية، وآراء "فولفانغ إيزر" في جماليات التلقي والتأويل»³.

¹ حوار رمضان نايلي مع ثلثة من الناقدین: شكر...إبراهيم صحراوي: تاريخ النشر 2015/12/14، تاريخ الاطلاع 2021/7/25، رابط الموقع <https://www.elhiwardz.com/>.

* ناقد وأكاديمي جزائري، يشغل حاليا منصب أستاذ جامعي بجامعة عنابة، مهتم بالخطاب والتحليل السردی، شارك في العديد من الوطنية والدولية، والعديد من المؤلفات نذكر منها: شعرية الدال في بنية الاستهلال في السرد العربي القديم، سيولوجيا الأدب و سيولوجيا الكتابة، سردية الخطاب المغاربي؛ دراسة في آليات البحث.

** باحث وناقد سيميائي بولوني الأصل، أستاذ الأدب المقارن بجامعة مونريال بكندا، عضو في العديد من الجمعيات والمجلات المهتمة بالبحث الأدبي السيميائي والمقارن، أبروها مجلة دراسات فرنسية، ومجلة أبحاث سيميائية، كان أكثر اهتماما بالرواية.

² الطاهر رواينية: سرديات الخطاب الروائي المغاربي الجديد؛ مقارنة نصائية تطبيقية في آليات المحكي الروائي، أطروحة دكتوراه (غير منشورة)، جامعة الجزائر، 2000/1999، ص: د.

³ علي سحنين: السيميائيات التعاقبية وترهين دلالة الزمن الروائي؛ الطاهر رواينية نموذجاً، مجلة دراسات معاصرة، مج 2، ع 2، ص 69، 2018.

10.2.2. عبد القادر فهم الشيباني* :

من الاسهامات الجديدة في النقد الجزائري المعاصر ما كتبه الباحث من كتب تدرج ضمن المنتج الجزائري في المنهج السيميائي، وقد استهلّ عبد القادر فهم الشيباني دراساته السيميائية بكتابه "معالم السيميائيات العامة أسسها ومفاهيمها" الذي صدر سنة 2008م، وهو كتاب نظري، كان غرض الباحث الرئيس في هذا الكتاب ضبط المرجعية القاعدية للمسارات التنظيرية للسيميائيات العامة، ومن ثمّ تقديمها للقارئ العربي بالبسط والشرح، مع اختبار حدودها الإجرائية، عبر استحداث المفاهيم وإثراء الأسس والمرجعيات، لإعطاء دفعا قويا وسببا من الأسباب الموضوعية لمعالجة إشكالات السيميائيات العامة¹.

للباحث أيضا كتاب نظري في السيميائيات السردية تناول فيه المبادئ النظرية للسيميائيات السردية، لأنه رأى أنّ سيميائيات غريماس السردية لم توفّق تنظيريا في تأطير علاقة النصّوصية بالأدبية، بالرغم من تلك الاستدراكات التي عكف عليها أقطاب مدرسة باريس من بعده، بالبحث عن معالم واضحة للسيميائيات الأدبية².

هذا فضلا عن دراسات أخرى لجملة من الباحثين نذكر منهم: محمّد ساري الذي عمل على تحليل الرواية سيميائيا وفق أنموذج "جيرار جينيت" في كتابه الموسوم بـ "التحليل السيميائي للسرد؛ رواية المعجزة أنموذجا"، وكذا الباحث أحمد طالب صاحب كتاب "السيميائية من النظرية إلى التطبيق"، والسيميائي "علي بوخاتم" المتحصّل على شهادة الدكتوراه في السيميائيات، والحامل للعديد من المؤلّفات أهمّها "الدّرس السيميائي المغربي؛ دراسة وصفية نقدية إحصائية في نموذجي عبد الملك مرتاض ومحمّد مفتاح"، و الكاتب "عبد القادر شرشار" صاحب كتاب "تحليل الخطاب

* كاتب وناقد جزائري، يعمل حاليا أستاذ جامعي بجامعة معسكر، ورئيس لجنّة أيقونات بسيدي بلعباس، شارك في العديد من المنتقيات الوطنية والدولية، له العديد من المؤلّفات نذكر منها: السيميائيات العامة أسسها ومفاهيمها، سيميائيات المحكي المترابط؛ سرديات الهندسة الترابطية، السرديات الرقمية؛ بحث في سيميائيات النصّ المترابط، السيميائيات المنطقية والعلامة البصرية.

¹ ينظر: عبد القادر فهم الشيباني: معالم السيميائيات العامة أسسها ومفاهيمها، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1؛ 2008، ص6.

² ينظر: عبد القادر فهم الشيباني: سيميائيات المحكي المترابط؛ سرديات الهندسة الترابطية: نحو نظرية للرواية الرقمية، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2014، ص3.

السردى وقضايا النصّ"، والباحث "يوسف وغليسي" الذي ألف العديد من الكتب في المجال السيميائي، ومن جملة ما كتب "إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد" و"مناهج النقد الأدبي"، و"النقد الجزائري المعاصر من اللانسونية إلى الألسنية".

3. إشكاليات تناول المصطلح السيميائي في الخطاب النقدي الجزائري:

1.3. مفهوم المصطلح:

1.1.3. لغة:

ورد في باب (الصّاد واللام وما يثلاثهما) من معجم مقاييس اللغة لابن فارس: «الصّاد واللام والحاء أصل واحد يدلّ على خلاف الفساد، يقال: صلح الشيء يصلح صلاحا، ويقال: صلح بفتح اللام، وقال بعض أهل العلم: إنّ مكّة تسمّى صلاحا»¹.

كلمة مصطلح مأخوذة من المادّة اللّغويّة (ص ل ح)، «والصّلاح ضدّ الفساد، و(الصّلاح) بالكسر مصدره (المصالحة)، والاسم (الصّلاح) يذكر ويؤنّث، وقد (اصطلحا) و(تصالحا) و (اصّالحا) بتشديد الصّاد»².

ورد في المعجم الوسيط: «(اصطلمح) القوم زال ما بينهم من خلاف، وعلى الأمر تعارفوا عليه، و(الاصطلاح) مصدره (اصطلمح)، واتّفاق طائفة على شيء مخصوص ولكلّ علم اصطلاحاته»³.

وفي اللّغات الغربية يطلق على المصطلح «كلمات تكاد متّفقة من حيث النّطق والإملاء، وهي الكلمات (term) في الإنجليزيّة والهولنديّة والدنماركيّة والتّرويجيّة والسويديّة ولغة ويلز، (terminus) أو (term) في الألمانيّة، و (term) في الفرنسيّة، و (termin) في الإيطاليّة، و termino في الإسبانيّة، و termo في البرتغاليّة»⁴.

¹ أحمد بن فارس بن زكرياء: معجم مقاييس اللغة، ص303.

² زين الدّين محمد بن أبي بن عبد القادر التّازي: مختار الصحاح، ص326.

³ إبراهيم أنيس وآخرون: المعجم الوسيط، مجمع اللّغة العربيّة، مكتبة الشروق الدّولية، القاهرة، ط4؛ 2004، ص520.

⁴ ينظر: حمود فهمي حجازي: الأسس اللّغويّة لعلم المصطلح، مكتب غريب، القاهرة، (د ط)، (د ت)، ص9.

ما يمكن قوله إنّ ما اتّفتقت عليه المعاجم العربيّة يكمن في أنّ الصّلاح ضدّ الفساد، وعليه فإنّ أيّ شيء اجتمعت عليه القبائل يعتبر صلاحاً وتصالحاً ومصالحاً، ومنه اصطلاحاً، وما اختلفوا فيه فهو يدخل في إطار المفسدة التي لا تجلب إلّا الضرر للمجتمع.

2.1.3. اصطلاحاً:

اهتمّ العرب القدامى بالمصطلح اهتماماً كبيراً لكونه «قضية أساسية في الموروث اللغوي العربي، حيث أنشأوا نظير ذلك شبكة من المصطلحات تساعد على ضبط مفاهيم العلوم وتصنيف ظواهرها، ولذلك فتقديم المصطلح تقديمًا تكوينيًا ونظريًا يوقف الباحث والقارئ العربيين علة تضاريس المصطلح، ويجعلها يدركان استيعابه في حقله المعرفي»¹.

وعرّف الجرجاني (ت816هـ)* الاصطلاح بقوله: «عبارة عن إتفاق قام على تسمية الشيء باسم ما ينقل عن موضعه الأوّل، أو إخراج اللفظ من معنى لغوي إلى آخر لمناسبة بينهما، وقيل: انتقال الشيء من معنى لغوي إلى معنى آخر يوضّح المراد، وقيل: كلام معيّن بين جماعة معيّنين»².

وهناك من عرّف المصطلح بكونه «أداة من أدوات التفكير العلمي، ووسيلة من وسائل التقدّم العلمي والأدبي، وهو قبل ذلك لغة مشتركة، بما يتمّ التفاهم والتواصل بين الناس عامّة، في مجال محدّد من مجالات المعرفة والحياة، فإذا لم يتوقّف للعلم مصطلحه العلمي الذي يعدّ مفتاحه، فقد هذا العلم مسوّغه وتعطلت وظيفته»³.

¹ محمد بولخوط: حضور المصطلح في التراث اللغوي العربي القديم؛ المصطلح الصوتي الفيسيولوجي أنموذجاً بين الوضع والاستعمال، مجلّة دراسات، ع70، س2018، ص237.

* علي بن محمّد بن علي الشريف الجرجاني الحنفي، عالم المشرق، سمّي بالشّريف لأنّ نسبه يرجع إلى محمد بن زيد الدّاعي الحسيني من أشرف آل البيت، ولد بمدينة نجران بالشّمال الشّرقى لإيران بالقرب من بحر قزوين سنة740هـ، شبّ الشريف الجرجاني محباً للعلوم، فلازم الشيوخ وقرأ المتون، ثم ارتحل لطلب العلم بمصر و الشام وبلاد الرّوم، ولما صار بحراً للعلوم عاد إلى بلده فجلس للتدريس والإفتاء، فقصده الطّلاب، وأخذ عنه الكبار وبالغوا في تعظيمه لاسيما علماء العجم والرّوم، توفي رحمه الله بشيراز سنة816هـ، وممّا تركه من آثار علمية: التعريفات، تفسير الزهراوين، حاشية على الكشّاف، شرح على الكافية في التّحوي.

² علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني: كتاب التعريفات، تح: محمّد صدّيق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، (د ط)، 2004، ص27.

³ محمد عزام: المصطلح النقدي في التراث الأدبي العربي، دار الشّرق العربي، حلب، سوريا، (د ط)، 2010، ص7

أما الناقد التونسي عبد السلام المسدي* فقد جعل المصطلح « بمثابة الكشف المفهومي الذي يقيم للمنهج النقدي سورة الجامع وحصنه المانع، فهو له كالتسياب العقلي الذي يرسي حرمانه رادعا إياه أن يلبس غيره، وحاضرا غيره أن يتلبس به»¹.

اعتبر يوسف وغليسي* المصطلح بمثابة «رمز لغوي مفرد أو مركب أحادي الدلالة، متزاح نسبيا عن دلالاته المعجمية الأولى، يعبر عن مفهوم نقدي محدد وواضح، متفق عليه بين أهل هذا الحقل، أو يرجى منه ذلك»².

في ضوء ما سبق فإن كلمة مصطلح تعني ما اصطلاح العامة على تسميته، وكذا ما تعارف الناس على حدوده، وما اجتمع القوم في القبيلة الواحدة على معرفته، فمثلا في الزمن القديم كانت العرب تسمي أبناءها بأسماء الحيوان القوي والطيّر الجارح كأسد وليث وكليب ونسر وهديل، كما اصطلاح أهل مكة على تسمية بيت الله الحرام بالكعبة، والمصطلحات تختلف من قوم إلى قوم ومن علوم إلى أخرى، ومن لهجة إلى أخرى ولذلك نزل القرآن على سبعة أحرف وهي (لهجات العرب).

* من مواليد مدينة صفاقس (تونس)، متخرّج من كليّة الآداب ودار المعلمين العليا في الجامعة التونسية حصل على الإجازة وعلى التّبريز وعلى دكتوراه الدّولة، أستاذ اللّسانيات في الجامعة التونسية منذ 1972م، عضو المجمع العلمي العراقي منذ 1989م، عضو المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون منذ 1997م، عضو مجمع اللّغو العربيّة في الجماهيرية الليبية منذ 1999م، عضو مجمع اللّغة العربيّة بدمشق منذ 2002م، عمل وزيرا للتعليم العالي والبحث العلمي، فسفيرا لدي جامعة الدول العربيّة، ثمّ سفيرا لدى المملكة العربيّة السعوديّة.

¹ عبد السلام المسدي: الأدب وخطاب النّقد، دار الكتاب الوطنيّة، بنغازي، ليبيا، ط1؛ 2004، ص167.

* ناقد واكاديمي جزائري، دكتور دولة في الآداب تخصص نقد معاصر، أستاذ بجامعة قسنطينة منذ 1996م، أحرز جائزة الشيخ زايد للكتاب سنة 2009م، نشر أكثر من 30 مقالة علمية في أشهر الدّورات العربيّة، أصدر 3 مجموعات شعريّة و8 كتب نقدية، أبرز كتبه: الخطاب النّقدي عند عبد الملك مرتاض، النّقد الجزائري المعاصر، الشعريات والسرديات، مناهج النقد الأدبي، خطاب التّأنيث .

² يوسف وغليسي: إشكالية المصطلح في الخطاب النّقدي العربيّ الجديد، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1؛ 2008، ص24.

2.3. المصطلح السيميائي واستعمالاته عند النقاد الجزائريين:

إذا نحن تتبعنا الممارسة السيميائية الجزائرية في مجال المصطلح، فإننا نحصل على جملة من التطبيقات السيميائية التي قام بها كل من « رشيد بن مالك وحسين خمري و أحمد يوسف و عبد الحميد بورايو... لكنها لا تكاد تأخذ طابعها المنهجي المنظم إلا عند الدكتورين عبد الملك مرتاض و عبد القادر فيدوح»¹.

ما يلاحظ على هذا الموضوع جملة الاشكالات التي وقع فيه النقاد العرب، حين أرادوا أن ينقلوه إلى اللغة العربية، حيث « حاروا واختلفوا في ترجمته إلى العديد من المصطلحات (السيميائية، السيميولوجية، السيميوطيقية، العلامية، الإشارية، علم العلامات، علم الإشارات، الأعراضية، الدلائلية، الدالية...، لكن المصطلحات الثلاث الأخيرة هي أردأ الترجمات، والأحسن على الإطلاق هي السيميائية»².

مبادئ وشروط نقل المصطلح من اللغة الأم إلى اللغة العربية، يتركز على الترجمة والوضع والتعريب، والذي كان سببا رئيسيا في إنشاء العديد من المعاجم العربية، والقواميس التحليلية، وفتح المجال لجملة من الباحثين الجزائريين أمثال رشيد بن مالك في تصميم مدونات جزائرية ساهمت بشكل كبير في حل هذه الأزمة التي عانى منها النقد الجزائري، وتبقى أزمة نقل المصطلح في الجزائر ترتبط ب «غياب المرجع العلمي المعرب الموحد من كتاب بيداغوجي أو معجم للمصطلح مما دفع بالكثير من المعربين الجزائريين إلى الضياع بين الترجمات العربية للمصطلح الواحد والحيرة أي منهم يعتمدون، فمنهم من اعتمد المصطلح المصري وآخرون المصطلح السوري أو العراقي... فيما فضلت فية أخرى اختراع المصطلح الجزائري»³.

يرجع يوسف و غليسي إشكالية المصطلح في الجزائر إلى كون «المصطلح الأجنبي قد ينقل من مصطلح عربي مبهم الحد والمفهوم، أو أنّ المفهوم الغربي الواحد قد ينقل بعشرات المصطلحات

¹ يوسف و غليسي: النقد الجزائري المعاصر من اللانسنوتية إلى الألسنتية، إصدارات رابطة إبداع الثقافية، الجزائر، (د ط)، 2002، ص 134.

² المرجع نفسه، ص 33.

³ فتيحة العبدوي: إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي الجزائري المعاصر، أطروحة ما جستير (منشورة)، جامعة وهران، السانيا، (الجزائر)، 2013/2014، ص 33/34

العربية المترادفة أمامه، أو أنّ المصطلح العربي الواحد قد يرد مقابلا لمفهومين غربيين، أو أكثر في الوقت ذاته، أو أنّ الناقد العربي الواحد قد يصطنع مصطلحا فيه كثيرا من التصرف في مقابله الأجنبي»¹.

تزخر السيميائيات بمصطلحات تساعد الباحث الجزائري على تحليل النصّ وفكّ شفرته، إلا أنّ هذه المصطلحات مازالت تعاني من الاضطراب والتداخل مع مصطلحات العلوم الأخرى لأنّ «معظم المناهج موروث بعضها عن بعض وقائم بعضها على بعض، فلا البنيوية ولا النفسانية ولا السيميائية ولا الأسلوبية نفسها تستطيع إحداهنّ أن تزعم أنّها ناشئة من عدم، وأنّ كلّ أدواتها التقنيّة ومصطلحاتها المفهوماتية جديدة»².

سنقوم بعرض أهمّ المصطلحات السيميائية التي تناولها السيميائيين الجزائريين:

1.2.3. المرجعية التراثية للمصطلحات السيميائية عند عبد الملك مرتاض:

سيطر التراث العربي الإسلامي على فكر ومرجعيات عبد الملك مرتاض، كونه من أكثر النقاد توظيفا للتراث العربي الإسلامي في كتبه، فقد كان سعيه دوما إظهار البصمة العربية الإسلامية الأصيلة، حيث كان يستند إليها في شرح مسألة اختلاف المصطلحات وتوحد المفاهيم السيميائية التي أحدثها الغرب، مؤكّدا أنّ جلّ هذه المصطلحات عربيّة خالصة متجدّرة في البلاغة العربيّة القديمة، لكنّ الاختلاف يبقى في التسمية، داعيا النقاد إلى ضرورة «دراسة التراث بمناهج جديدة أو الانطلاق من هذا التراث من أجل تمثّل هذه الحداثة العربيّة واستيعابها و مدارستها»³.

ومن جملة المصطلحات التي أوعز عبد الملك مرتاض جذورها للتراث العربي الإسلامي نذكر:

أ. **مصطلح السّمة:** يأتي هذا المصطلح في طليعة المصطلحات السيميائية التي نسب عبد الملك مرتاض أصولها إلى البلاغة العربية القديمة، منوها إلى مسألة مفادها أنّ الشعراء العرب تعاملوا مع السّمة قديما، ومارسوا السلوك السيمائي دون قصد، وإن لم يكونوا حتما يشعرون، وخير

¹ يوسف وغليسي: إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، ص55

² عبد الملك مرتاض: التحليل السيميائي للخطاب الشعري؛ تحليل مستوياتي لقصيدة شناشيل الجلي، دار الكتاب العربي، الجزائر، (د ط)، 2001، ص10.

³ عبد الملك مرتاض: الكتابة من موقع العدم، دار الغرب، وهران (د ط)، 2004، ص7

مثال على ذلك ما يحكيه عنتر بن شدّاد عن جواده حين رمى بلبانه أعداءه في معمعة حامية الوطيس، ذلك أنّ عنتره يفهم لغة جواده السيميائية ليس بالعلم، بل بالفطرة¹. أكد عبد الملك مرتاض أنّ الجاحظ استعمل مصطلح السّمة، وهذا ما أشار إليه بقوله: «الجاحظ يتحدّث بوعي معرفي مدهش عن أنواع التبليغ السيميائي فيجعل السّمة اللفظية أداة للامثال بالسّامع، فهي سمة مرقونة، في حين جعل سمة الإشارة للنّاظر وحده، فهي سمة بصريّة، أمّا الكتابة فجعلها سمة حاضرة، دالّة على سمة، أو سمات غائبة يتأوّلها كلّ حسب فهمه ومستوى ثقافته»².

إذا كان الجاحظ اصطنع مصطلح(العلامة)في أشكال الاستقبال والارسال الدّالة على السّمة، فإنّ عبد القاهر الجرجاني حسب مرتاض تناول السّمة من منظور لغوي دلالي خالص، دون تعويمها في النّظرية العامّة للنّصّ، كونه يعلّق على مثل نحوي يطرحه وهو "زيد خارج"، فيعتبر نسبة خروج زيد إلى الخارج يرجع إلى كون ألفاظ اللّغات سمات لمعنى الخروج³.

ب. مصطلح الشعريّة أو الأدبيّة: يعتبر من المصطلحات التي عايشها العرب منذ القدم، لأنّ الشعر هو ديوان العرب وتاريخهم، ومواضيع الشعر تتعلّق باللفظ والمعنى وعمود الشعر، ولقد وظّفه في تراثنا النقدي العديد من الأدباء القدامى كابن رشيق، والقرطاجني وابن قدامة وغيرهم، وإذا كان مرتاض يستند كما هو مألوف إلى المرجعية التّراثية مزاجا بينها وبين المرجعية الحدائثية، فالشّعريّة مصطلح موهم وعائم إذا ما قورن بمصطلح الشّعريّات الأكثر دقّة وتعبيرا عن المعنى المقصود، ونفرّق بينهما على أساس أنّ دلالة مصطلح الشّعريّة مجموعة من الخصائص الجمالية المميزة للشّعر، أمّا الشّعريات فتعني النّظرية العامّة التي تحكم الأعمال الأدبيّة، سواء كانت شعرا أو قصّة أو رواية أو مقامة أو أقصوصة»⁴.

¹ ينظر: عبد الملك مرتاض: بين السمة والسيميائية، مجلّة علامات، جدّة(السعودية)، مج5؛ ع5، ص1996، ص170

² عبد الملك مرتاض: نظرية النّصّ الأدبي، دار هومة للطباعة والنّشر، الجزائر، ط2؛ 2010، ص168

³ ينظر: المصدر نفسه: ص169

⁴ ينظر: عبد الله عبّان: تجربة نقد التّقدي في التّقدي العربي المعاصر؛ سعد البازغي، سعيد علّوش، عبد الملك مرتاض أمودجا، أطروحة دكتوراه(منشورة)، جامعة العربي التبسي، تبسة،(الجزائر)، 2017/2018، ص248

استعمل عبد الملك مرتاض هذا المصطلح وفق صيغ كثيرة على غرار صيغة الماء الشعري، الأدبيات، الشعريات «وكأنّ عبد الملك مرتاض يريد القول بأنّ الشعريّات هي العلم الذي يدرس الشعريّة، مثلما تدرس الأسلوبية الأسلوب، والحقل بيّن بين العلم أو الحقل المعرفي وموضوعه، وقد جاءت هذه الصيغة جمعا لا إفرادا قياسا على اللسانيات»¹.

ت. مصطلح الإشارة: يعتبر عبد الملك مرتاض أنّ الجاحظ هو أوّل من استعمل مصطلح الإشارة، حين جعل الحواس الخمسة بمثابة آليات لتحديد الإشارات والعلامات، والتي تكون «باليد وبالرأس وبالعين وبالحاجب وبالمنكب وبالثوب وبالسيّف، كما سبق غيره في لغة الحركات الجسدية ومعانيها من جهة، ولغة الصمّ البكم من جهة أخرى، من نحو لغة الإشارات والحركات التي منها: التثني، التّقبّل، الشّكل، استدعاء الشّهوة»².

ث. مصطلح التناص: ربط عبد الملك مرتاض هذا المصطلح بالمصطلح الذي كان شائعا عند العرب (السّرقات الأدبيّة) و«اختبره في أكثر من موطن من النّصوص بالقراءة والتّطبيق، ونشير إلى مقامات السيوطي، والسّبع المعلّقات، كما أفرد المقالة السادسة من كتاب "السبع المعلّقات للنّاصيّة والتناصيّة"»³.

أكّد عبد الملك مرتاض على أنّ مصطلح السّرقات الشعريّة مفرد أوجده آراء البلاغيين والنقاد القدماء، من ذلك آراء ابن سلام الجمحي وقدامة بن جعفر والآمدي وأبي عثمان بن الجاحظ وابن رشيق، وأبي هلال العسكري، و عبد القاهر الجرجاني، وعلي بن عبد العزيز الجرجاني، وحازم القرطاجيّ، ثمّ أشار إلى مسألة حفظ النّصوص ونسيانها في تصور "ابن خلدون" على أساس أنّها فكرة تناصيّة، وليست التناصّ نفسه، وفي ضوء كلّ هذا خلص إلى رفض التسوية بين فكرة التناصّ، ومفاهيم أخرى مثل: السّرقات والاقْتباس⁴.

¹ عبد الله مختاري: تحديد المنهج في كتابات عبد الملك مرتاض النقديّة، أطروحة دكتوراه (منشورة)، جامعة حسينية بن بوعلي الشلف، (الجزائر)، 2021/2020، ص100

² حسن محمّد الرابعة: مصطلح السيمياء بين التّأصيل والتّعريب، مجلّة الصّوتيات، مج5، ع1، س2009، ص28

³ يوسف وغليسي: عاشق الصّاد؛ قراءات في كتابات العلامة عبد الملك مرتاض، ص266

⁴ ينظر: مولاي علي بوخاتم: الدرس السيميائي المغاربي؛ دراسة وصفية نقدية إحصائية في نموذجي عبد الملك مرتاض ومحمد مفتاح، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د ط)، 2005، ص136، 137

ج. **مصطلح العلامة:** أشار مرتاض في كتابه "مائة قضية... وقضية" أنّ هذا المصطلح «أستعمل في الفكر النحوي العربي بمعنى لاحقة تلحق فعلا من الأفعال، أو اسما من الأسماء دون الحروف، فيستحيل من حال إلى حال أخرى، ولعلّ اصطناع ذلك المصطلح النحوي في المفاهيم السيميائية، على عهدنا هذا، قد يزيد هذا الأمر اضطرابا والتباسا»¹.

ح. **مصطلح التّشاكل:** يلاحظ عبد الملك مرتاض أنّ لهذا المصطلح حضور قويّ في التّراث العربي القديم؛ بحيث عاد بمحموله من التّراث البلاغي القديم (المشاكل، المقابلة، مراعاة النّظر، الجناس، الطّباق، الجمع، اللّف والتّشعر...)، فازداد اقتناعه بعظمة التّراث العربي الإسلامي، كما أنّ من كان يكثر من استعمال هذا المصطلح -حسب مرتاض- أبو عثمان الجاحظ، لأنّه كان يستعمله في قريب من معنى المصطلح السيميائي الغربي، حيث كان يطلق عليه لفظ المشاكلة².

أشار عبد الملك مرتاض في كتابه "مقامات السيوطي" إلى أنّ الجاحظ استخدم مصطلح "المشاكلة" كثيرا في كتاباته، لكن بغير المدلول الذي استخدمه الغربيون اليوم³.

2.2.3. عبد القادر فيدوح: بين الدلّائية والتّأويلية:

يقول يوسف وغيلسي: «استهلّ فيدوح جهوده السيميائية مع مطلع التّسعينات بعد نهاية مشواره الأكاديمي سنة 1990م بكتاب (دلّائية النصّ الأدبي)، وتحت عنوان جانبي آخر (دراسة سيميائية للشعر الجزائري) ومن العنوان يفشل النّاقد في تنظيم جهازه المصطلحي، إذ يستعمل مصطلحين لمفهوم واحد "الدّلائلية والسيميائية" ويغيب عنه أنّ الدّلائلية هي أيضا مقابل لكلمة «sémiotique»⁴.

أمّا مصطلح التّأويل في عصرنا الحالي فقد حصره فيدوح أساسا في «مؤهلات القارئ، باعتبار أنّ السّياق العام ومساق النصّ لا أهمّية لهما في التّأويل، لأنّ المقصود ليس الوصول إلى

¹ عبد الملك مرتاض: مائة قضية... وقضية؛ مقالات ودراسات تعالج قضايا فكرية ونقدية متنوّعة، ص 377

² ينظر: محمود فتوح: مصطلح التّشاكل في الخطاب النقدي العربي المعاصر بين التّرجمة والتّعريب، مجلّة نتائج الفكر، مج 4، ع 1، ص 2019، ص 291

³ ينظر: عبد الملك مرتاض: مقامات السيوطي، دراسة اتّحاد الكتّاب العرب، دمشق، (د ط)، 1996، ص 44

⁴ يوسف وغيلسي: النّقد الجزائري المعاصر من اللّانسونيّة إلى الألسنيّة، ص 134

حقيقة ما يتحدّث عنه النصّ، وإتّما الهدف تحقيق المتعة، والكشف عن طبيعة المقاربة الجمالية للتّفكير الحرّ القائم على المزاج المنطبع من النّفس من حيث كونه نشاطا ذوقيا، والخبرة بوصفها قيمة تمنحنا الاستجابة لتأثيراتنا المحسوسة التي تستند على التّطوّرات اللاحقة لمعايشتنا واقعا الممكن¹.

النّاقدا اعتمد مصطلح الدّلائلية في كتابه، لكنّه ذكر مصطلحات السيميولوجيا والسيميوطيقا والتّأويلية، وبذلك يكون قد اعتمد أربعة مصطلحات كلّها تصبّ في قالب غربي واحد وهي السيميائية، «ما يؤخذ على فيدوحي أنّ مرجعيته السيميائية منقولة بطريقة العنونة إلى درجة أنّ الكتاب كلّه يخلو من إشارة واحدة إلى مرجع سيميائي أصلي²».

3.2.3. أحمد يوسف: بين الدّلالات المفتوحة والسيميائيات الواصفة، والعلامات:

ومن التّساؤلات التي راودت ذهننا، التّسمية التي عنون بها النّاقدا كتبه، والتي اصطلح عليها "السيميائيات الواصفة؛ المنطق السيميائي وجبر العلامات" ففي الجزء الأول من العنوان (السيميائيات الواصفة) تناول أحمد يوسف فرعاً من فروع السيميائيات، أراد من خلاله تأسيس مشروع سيميائي في التقدي الجزائري مبني على أسس معرفية وفلسفية متينة، أمّا الجزء الثاني من العنوان فقد أراد النّاقدا من خلاله إيصال فكرة مفادها أنّ المنطق السيميائي يعبر في نظر الفلاسفة والنّقاد والسيميائيين عادة عن ما جاء به الفيلسوف الأمريكي تشارلز سندرز بيرس (Charl Sanders Peirce)، والذي عدّ السيميائيات تسمية أخرى للمنطق³.

وفي كتابه الآخر وضع ثلاثة مصطلحات كلّها تصبّ في قالب واحد وهي "الدّلالات المفتوحة" (مقاربة سيميائية في فلسفة العلامة) ليؤكّد أنّ التّفكير في سيميائيات بورس لا يمكن أن يتمّ بمعزل عن العلامات، من منطلق أنّ التّفكير بوجود العلامات قمين باستكشافه عبر الوقائع الخارجية، وأنّ هذه الوقائع هي التي تضفي المشروعية على إدراك الفكر والتّعريف عليه، لأنّ العلامات هي موضوع البحث السيميوطيقي الخالص⁴.

¹ عبد القادر فيدوحي: دلائلية النصّ الأدبي، دراسة سيميائية للشعر الجزائري، ص 29

² المرجع نفسه: ص 135

³ ينظر: حياة بن الشيخ: الجهود النقديّة عند أحمد يوسف من خلال كتبه (القراءة التّسقيّة، السيميائيات الواصفة، يتم النصّ)، أطروحة ماجستير (منشورة)، جامعة قاصدي مباح، ورقلة، (الجزائر)، 2014/2015، ص 132، 133.

⁴ ينظر: أحمد يوسف: الدّلالات المفتوحة، ص 118.

ولهذا نجد الناقد «يركّز على مفهوم العلامة في ظلّ الدلالات المفتوحة، وهذا لأنّ لمفهوم الدلالات المفتوحة (السيميويزيس) أهمية محورية داخل الصّرح المعرفي لنظرية بورس السيميائية»¹.

4.2.3. ترجمة المصطلح السيميائي عند حسين خمري:

للمؤلف كتاب "اللغة الأخرى بين الترجمة والأدب"، أثار فيه طبيعة العلاقة الموجودة بين الترجمة والسيميائيات ثمّ السيميائيات والترجمة، وهذا ما أشار إليه بقوله: «العلاقة بين السيميائيات والترجمة تبدو طبيعية، وإن لم نقل بديهية، فكلاهما يتعامل مع اللغة كمنظومة رمزية وكتركيب وكدلالة، وإن اختلفت مستويات التناول فإذا كانت الترجمة هي انتقال المعنى من لغة إلى أخرى أو باصطلاح علماء الترجمة من اللغة المصدر إلى اللغة الهدف، فإنّ دور السيميائيات يتمثل في وصف وتحليل هذه الحركة وهذا التحوّل، وإنّ أيّ كلمة أو مجموعة من الكلمات مهما كانت هي في الحقيقة حدث لغوي، ولنقل بأكثر دقة دون أيّ تضيق هي حدث سيميائي»².

كما نوّه خمري كذلك لسيميائية الترجمة مبينا نقاط الاشتراك والاختلاف اللتان تجتمعان فيهما الترجمة مع السيميائيات كون هذين الفنين لا يحتاج «إلى تدليل وتوكيد، فكلا العلمين قد عرف رواجاً في الأوساط الأكاديمية وإقبالا كبيرا من طرف العاملين في حقل الثقافة، فهما يشغلان بواسطة اللغة وموضوعهما هو المعرفة البشرية بصفة عامة، غير أنّ طريقة كلّ منهما تختلف باختلاف الوضعيات والسياقات ولكنهما يلتقيان في بناء العقل وصياغة المعرفة وتقديمها في شكل قابل للفهم والتداول»³.

فالترجمة فنّ مهمّ لطلاب العلم يساعد في عملية الاستقبال والتلقّي خاصة المناهج الغريبة، إذ يهدف كلّ من السيميائيات والترجمة إلى التحرّي عن المعنى ولكن بأهداف متباينة، فالأول يعالج النّصّ ويفكّكه إلى مستويات للوصول إلى معناه، أمّا الثاني فيشتغل أيضا على المعنى وما إن ينتهي من ضبطه ينقله إلى لغة ثانية، أي لغة الهدف، كما تمكّن المترجم من القدرة على فهم التّطبيقات

¹ حياة بن الشيخ: المرجع السابق: ص136

² حسين خمري: الترجمة و السيميائيات، مجلّة المترجم، مج5، ع2، ص2005، ص177.

³ حسين خمري: سيميائية الترجمة، مجلّة بحوث سيميائية، مج3، ع3، ص2007، ص203.

الغربية التي تساعده في مواجهة الصّعوبات عند ترجمة النصّ، ووقوفه على الإرهاصات الأولى التي تجمع هذين الحقلين، لتنتقل بعد ذلك إلى مختلف القواسم المشتركة التي تجمع بينهما¹.

5.2.3. السّعيد بوطاجين والمصطلح السيميائي:

من المصطلحات السيميائية السردية التي ارتكز عليها السّعيد بوطاجين في كتابه: الاشتغال العملي (دراسة سيميائية) "غدا يوم جديد" لابن هذوقة عيّنة" ما يلي:

المصطلح	مقابله باللغة الفرنسية
شخصية	Personnage
قصة	Histoire
سرد	Narration
برنامج سردي	Programme narratif
مرسل	Destinateur
مرسل إليه	Destinataire
خطاب السرد	Discours raconte
حافز	Motif
دور عملي	Rôle actantiel
عامل	Actant
وظيفة	Fonction
وظيفة العمليّة	Fonction actantielle
حكاية	Récit
عامل مرسل	Actant destinataire

يعتبر كتاب الاشتغال العملي من الدّراسات القليلة المميّزة التي حقّقت قفزة نوعية في الجانب التّطبيقي للمنهج السيميائي في الجزائر، خاصّة في نظرية غريماس السيميائية، متمثلة في نظرية العامل

¹ ينظر: أسماء بن مالك: الخلفيات التّطريّة للمصطلح السيميائي وترجمته إلى العربية، أطروحة دكتوراه (منشورة)، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، (الجزائر)، 2018/2019، ص 139.

التي تقارب إلى حدّ كبير رواية "غدا يوم جديد لابن هدّوقة"، ونتيجة لكون الناقد يتمتّع لقدرات هائلة في الترجمة والمنهج واطّلاعه الواسع على الثقافتين العربيّة والغربية، ممّا أهله لاكتشاف طرق اشتغال العوامل وأدوارها المختلفة في الرواية، وقد اعتبر بوطاجين العامل وحدة تركيبية ذات طابع شكليّ بغضّ النظر عن استغلال دلالي أو مرجعي أو إيديولوجي أو خلفية عقائديّة¹.

ومن مصطلحات الناقد كذلك مصطلحي المرسل والمرسل إليه لأنّهما عاملين من عوامل تشكيل النّمودج العملي في التّبلغ، والشّخصية عند الناقد تحمل عدّة أدوار، وتتقاطع مع العامل والممثل والوظيفة، فقد تبوّى الناقد نظريات غريّاس المتعلقة بالعامل بكلّ ما تحويه هذه العمليّة من مفاهيم ومصطلحات، وبهذا تعتبر مدوّنة السّعيد بوطاجين الموسومة بالاشتغال العملي من «أهمّ الدّراسات النقديّة في مجال التّقد السيميائي، فهي وثيقة مرجعيّة مهمّة بالنّسبة للباحثين والدّارسين في هذا المجال، ولاشكّ أنّ مقارنة مثل التي نهض بها بوطاجين استثمرت النظري ووظّفته إجرائيا جديدة بأنّ تسهم في ملء الفراغ النقدي في بلادنا وإشاعة الممارسة النقديّة التطبيقية التي طالما بقيت رهينة المنابر الأكاديمية»².

من مؤلّفات السّعيد بوطاجين في المنهج السيميائي كتابه " التّرجمة والمصطلح؛ دراسة في إشكالية ترجمة المصطلح النقدي الجديد"، والذي وضع فيه جدولا للمصطلحات السيميائية وما يقابلها باللّغة الأجنبيّة (اللّغة الفرنسيّة) نذكر منها:

المصطلح باللّغة العربيّة	المصطلح باللّغة الفرنسيّة
دلالة	Signification
تشفير	Codage
تفكيك	Décodage
خطاب	Discours
تناصّ	intertextualité

¹ ينظر: السعيد بوطاجين: الاشتغال العملي (دراسة سيميائية) "غدا يوم جديد" لابن هدّوقة عيّنة، ص19.

² علي سحّنين : لتّحليل السيميائي للخطاب الرّوائي في التّقد الجزائري (كتاب الاشتغال العملي للتّناقد السّعيد بوطاجين أمّودجا): ص130.

Macro sémiotique	سيميائيات كبرى
Micro sémiotique	سيميائيات صغرى
Modernisme	حادثة
Structuralisme	بنويّة
Stylistique	أسلوبيّة

(1).

حاول السعيد بوطاجين تأصيل المصطلحات السيميائية، من خلال بلورة جملة من المصطلحات، حتى يسهل على الباحث استعمالها بكل سهولة، لأنّ ميزة المصطلحات أنّها تختلف من فنّ إلى فنّ ومن لغة إلى أخرى ومن بلد إلى آخر، كما عمد على إمطة اللثام عن الخلط بين السيميائيات الكبرى والسيميائيات الصغرى كما تتخذ أسلوب بسيط ودقيق وواضح.

6.2.3. القاموس السيميائي لرشيد بن مالك:

من مؤلفات بن مالك التي كان لها أثر عظيم وساهمت بشكل كبير في إثراء المكتبة الجزائرية في مجال المصطلح السيميائي "قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص عربي-إنجليزي-فرنسي" حيث اعتبره بن مالك مغامرة صعبة في حقل سيميائي بكر لم تستقم فيه المصطلحات بعد بشكل نهائي، والذي جاء نتيجة صعوبات اعترضت طريقه بعد تحرجه والتحاقه بجامعة تلمسان لتدريس المنهجية والأدب الجزائري، وسار على منهجية وضع المصطلح الفرنسي وترجمته الإنجليزية ومعادلة اللغة العربية، وألحق ذلك بشرح قد يطول وقد يقصر حسب أهمية المصطلح².

ثمّ عبد الحميد بورايو بالقاموس الذي كتبه الناقد كونه يندرج ضمن «الخطّة التي وضعتها جمعية رابطة السيميائيين الجزائريين التي تأسست بجامعة سطيف في شهر ماي 1998م، وكان رشيد

¹ ينظر: السعيد بوطاجين: الترجمة والمصطلح؛ دراسة في إشكالية ترجمة المصطلح النقدي الجديد، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1؛ 2009، ص218-224.

² ينظر: رشيد بن مالك: قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص عربي-إنجليزي-فرنسي، دار الحكمة، الجزائر، 2000، ص5، 6.

بن مالك من مؤسسيها النشيطين وأعضائها البارزين، وكان هدفه الكبير لم شمل السيميائيين الجزائريين، وترقية المستوى النظري والتطبيقي للممارسات السيميائية، وكذا ربط الصلة بالسيميائيين في مختلف أنحاء العالم¹.

يحتوي القاموس على اثنين وسبعين ومائتين (272) صفحة، أدرج فيه الناقد حوالي ثمانمائة (800) مصطلح في مجال السيميائيات السردية، حتى يسهل البحث للمختصين في هذا المجال، تضم كل صفحة مصطلحا أو مصطلحين إلى ثلاثة مصطلحات على الأكثر، يقدم بعد كل مصطلح شرحا وتحليلا مترجما ترجمة سياقية في غالب الأحيان ومدعما بأشكال و ترسيمات، ومذيلا بإحالة أو أكثر لإزالة ما غمض من المصطلح، حتى يصبح المصطلح سهلا في تلقيه، كما كان يستحضر آراء وأقوال العلماء العرب المحدثين والقدامى ليدعم تعريفات المصطلحات السيميائية وضبطها².

رتب المؤلف المصطلحات التي عالجها في قاموسه ترتيبا ألفا بائيا؛ وفق الألف بائية الفرنسية، دون أن يفصل بين كل مجموعة وأخرى من هذه المصطلحات حسب حروف المعجم، وذيل شرح هذه المصطلحات بإحالة داخلية مستمدة من مواد القاموس كأن يشار عقب الانتهاء من تحليل وتفسير مادة (عامل) إلى الرجوع إلى المواد (عملية، ملفوظ، وظيفة...)، وإحالة أخرى خارجية عن طريق إشارات مقتضبة تمكن القارئ من العودة إلى المصدر أو المرجع للإلمام بالجوانب الأخرى المتصلة بالمصطلح³.

وبما أنّ إشكالية المصطلح هي العقبة التي كان يعاني منها الباحث السيميائي فإنّ رشيد بن مالك اجتهد كثيرا لبلورة قاموس يعين الباحث في كتاباته ومنهجه في الترجمة «ضبط مفاهيم المصطلحات في اللغة الأصلية والتحقق أولا من توافقها مع الإحالات الدلالية في اللغة الهدف،

¹ رشيد بن مالك: قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للتصويع عربي-إنجليزي-فرنسي، ص9.

² ينظر: عيسى برنار: تجربة رشيد بن مال في وضع قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للتصويع، مجلة البدر، مج11، ع7، ص2018، ص875، 876.

³ ينظر: عبد القادر شرشار: قراءة لقاموس مصطلحات التحليل السيميائي للتصويع الإنجليزي-فرنسي-عربي للأستاذ رشيد بن مالك، مجلة بحوث سيميائية، مج5، ع، ص2010، ص88، 89.

والنظر ثانيا فيما إذا كان استعمال هذه المصطلحات مطّردا أم أنّه يشكّل خرقا لما هو جار به العمل في البحوث السيميائية الرّاهنة»¹.

7.2.3. مصطلحات عبد الحميد بورايو:

قال عبد الحميد بورايو في إحدى كتبه: « نستمدّ أغلب أدواتنا المنهجية من نصوص تنتمي في أغلبها لنفس المدرسة السيميائية والتي يمكن أن نطلق عليها المدرسة الغريماشية ذات التّوجّه الشّكلاني، والتي كان لها اليد الطّولي في تطوير السّرديات أو علم السّرد منذ السّتينيات حتّى اليوم وكان امتدادها في الدّراسات السّردية الحديثة عبر دوائر البحث العلمي في الشّرق والغرب »².

أبرز مصطلحات عبد الحميد بورايو السيميائية نلخصها في الجدول التالي:

المصطلح باللّغة الفرنسية	المصطلح باللّغة العربيّة
Sémiotique	دلّائل، سيميولوجيا، سيميائيات
Narrative	سرديات، سردية
Actant	فاعل أو قائم بالفعل
Programme narratif	برنامج سردي
Acteur	ممثل
Carre sémiotique	مربع سيميائي
Contrat	عقد
Adjuvant	مساعد
Opposant	معارض
Séquence	مقطوعة
Objet	موضوع
Destinateur	مرسل

¹ رشيد بن مالك: إشكالية ترجمة المصطلح في البحوث السيميائية العربيّة، مجلّة علامات، مج 14، ع 53، س 2004، ص 318.
² عبد الحميد بورايو: المسار السردى وتنظيم المحتوى؛ دراسة سيميائية لنماذج من حكايات ألف ليلة وليلة، دار السبيل للنشر والتوزيع، الجزائر، (د ط)، 2008، ص 5.

مرسل إليه	Destinataire
-----------	--------------

تأثر عبد الحميد بورايو بالمنهج السيميائي كثيرا، وهذا ما لمخناه في الجدول من خلال استخدامه المصطلحات السيميائية الغربية كثيرا أبرزها: الممثل، القائم بالفعل، الفاعل، الموضوع، المرسل، المرسل إليه، المساعد والمعارض، كما استعان بالمرتع السيميائي في تحكيم العلاقات الدلالية الموجودة في القصص التي درسها.

إشكالية المصطلح من القضايا الشائكة التي طرحت في الخطاب النقدي السيميائي في الجزائر، فقد اتّسمت بالفوضى والاضطراب، بسبب تعدّد المصطلحات للمفهوم الواحد، لأنّ مصطلحات اللغة العربية دقيقة ومتشابهة كثيرا، ولذلك وجب على القائمين بهذا الفنّ ضرورة وضع معجم موحد وأصيل، يبعدنا عن آفة التّفرد التي تميّز بها النقد الجزائري خاصّة والنقد العربي عامّة، لأنّه بكلّ صراحة لا زال مشكل المصطلح في العالم العربي يعاني من أزمة الترجمة والتعريب، فلا بدّ من تكثيف الجهود لإيجاد حلول مناسبة لهذه الأزمة العلمية، التي تسببت في حصر الكثير من الطّاقات، وأضاعت جملة من الاجتهادات التي لربّما جدّدت هذه المناهج وفق قالب عربي خالص.

الفصل الثالث: إشكالية تلقي الخطاب النقدي السيميائي عند عبد الملك مرتاض

1. إشكالية تلقي المنهج السيميائي عند عبد الملك مرتاض؛
2. إشكالية اللّامنهج وتعدد المنهج ؛
3. إشكالية التّركيب المنهجي عند عبد الملك مرتاض
4. إشكالية صياغة المصطلح السيميائي عند عبد الملك مرتاض؛
5. إشكالية اللّغة عند مرتاض ؛
6. إشكالية تأثر النّاقد بالتّراث العربي الإسلامي والانتصار له.

تمهيد:

عبد الملك مرتاض من أوائل النقاد الجزائريين الذين كان لهم فضل السبق في بلورة المناهج الغربية في الجزائر خاصة والوطن العربي عامة، وأشربها بالذوق العربي الأصيل، إذ يعتبر مرتاض من الأسماء الجزائرية التي فرضت نفسها في الساحة العربية، بفضل مؤلفاته التي تعدت الثمانين كتابا في المجال الأدبي والنقدي.

حيث نال الخطاب السيميائي القسط الأكبر من مختلف مؤلفاته، وذلك من خلال تناوله هذا المنهج في جميع الجوانب بداية بالجانب النظري ثم التطبيقية؛ وذلك من خلال ممارساته السيميائية التي أسقطها على مختلف النصوص الشعرية والسردية قديمها ومعاصرها، ومما توصلنا إليه بعد استقراءنا لأعماله الجوانب أنه لم يخرج عن دائرة التراث العربي الأصيل فقد ربط المناهج الغربية بحضارتنا العربية الأصيلة ومن الإشكالات التي ارتأينا أن نطرحها في هذا الفصل:

1. إشكالية تلقي المنهج السيميائي عند عبد الملك مرتاض؛
2. إشكالية اللامنهج وتعدد المنهج؛
3. إشكالية التركيب المنهجي عند عبد الملك مرتاض؛
4. إشكالية صياغة المصطلح السيميائي عند عبد الملك مرتاض؛
5. إشكالية اللغة عند مرتاض؛
6. إشكالية تأثر الناقد بالتراث العربي الإسلامي والانتصار له.

1. إشكالية تلقي المنهج السيميائي عند عبد الملك مرتاض:

1.1. الخطاب التّظيري في كتابات عبد الملك مرتاض السيميائية:

كتب الملك مرتاض في الجانب النظري قليلة مقارنة بما ألفه من مدونات في المجال

التطبيقي، ومن ضمن ما كتب في الجانب التّصلي لهذا المنهج نذكر:

- النصّ الأدبي من أين وإلى أين؟ .
- في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد).
- نظرية القراءة (تأسيس للنظرية العامة للقراءة الأدبية).
- في نظرية نقد التّقد، متابعة لأهمّ المدارس التقديّة المعاصرة ورصد لنظريّاتها .
- نظرية النصّ الأدبي.
- الأدب الجزائري القديم؛ دراسة في الجذور.
- مائة قضية... وقضية؛ مقالات ودراسات تعالج قضايا فكرية ونقدية متنوّعة.
- شعرية القصّ وسيميائية النصّ.

يدرج كتاب "النصّ الأدبي من أين وإلى أين؟" ضمن المؤلّفات التي كان لها تأثير واسع

في العالم العربي، -ففي نظرنا -يعتبر الكتاب الأوّل الذي كتبه خصيصاً لطلبة العلم الذين كانوا في أمسّ الحاجة إليه، ويحتوي هذا الكتاب على أربع وستين ومائة (164) صفحة، قسّمه الكاتب إلى قسمين، تناول في القسم الأول فصلين، استهلّ الفصل الأول بحديثه عن الفنّ وجماليته ووظيفته، أمّا الفصل الثّاني فخصّصه لطريقة التّعامل مع النصّ الأدبي، بينما القسم الثّاني جعله تطبيقياً وذلك من خلال دراسته لبنية نصّ التّوحيدي في الفصل الثالث ثمّ قراءته للتركيبات الصّوتية لنفس النصّ .

وضّح الناقد طريقة المنهج الذي يسهّل عمليّة التّعامل مع النصّ الأدبي، مؤكّداً أنّه من المستحيلات السّبع وضع قواعد تضبط دراسة هذا النصّ، وتستخرج كنوزه وتكشف عن خفاياه، لكنّ الشيء الوحيد الذي يستطيع الدّارس القيام به هو وضع تجربته بين أيدي القراء أو حديثه عنها، وهذه الاستحالة على أدنى تقدير ترجع إلى مايلي:

1. نظرة الدارسين تختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة والثقافات والمناهج التعليمية المختلفة

2. ضرورة توفر الاستعداد النفسي الكامن، والقدرة الإبداعية الحارقة في الدارسين المختصين بهذا

المجال

3. إن النصّ الأدبي الواحد يجوز أن يعالجه دارس واحد معالجتين اثنتين أو أكثر من ذلك، إمّا لتطور في الثقافة الشخصية وإمّا لتبني منهج فني جديد¹.

ومّا أَلّفه الباحث في الجانب النظري أيضاً مؤلفه "في نظرية الرواية"، حيث احتوى هذا الكتاب على تسعين ومائتين (290) صفحة، شملت تسع مقالات كتبها مرتاض طيلة عشرين سنة ثمّ جمعها في هذا الكتاب، كي ييسّر على الباحث طريقة الوصول إليها، تناول فيها مجموعة من الإشكالات الخاصّة بمجال الخطاب الروائي على غرار اللغة السردية، الأمكنة والأزمنة، الشخصيات، ومجموعة من المصطلحات السردية، «وأهمّ ما ميّز مقالات هذا الكتاب أنّها تسعى للتأصيل السردية من خلال الأشكال السردية العربية الكثيرة كحكايات ألف ليلة وكييلة ودمنة، والمقامات... فكأنّها تسعى إلى تأسيس نظرية تستمدّ أصالتها من التراث، وإجراءاتها وصرامتها من الحداثة الغربية»².

أمّا كتابه "نظرية القراءة؛ تأسيس للنظرية العامة للقراءة الأدبية" فيصنّف من الموسوعات النقدية العربية الحديثة التي يحتاج إليها القارئ العربي، نظراً لما وجد فيه من تمازج بين الثقافات العالمية، احتوى الكتاب على قسمين: القسم الأول احتوى على سبعة فصول أمّا القسم الثاني فكان عبارة عن ملحق عرض فيه الكاتب مجموعة من التجارب التطبيقية المتنوّعة في قراءة النصوص الأدبية العربية.

¹ ينظر: عبد الملك مرتاض: النصّ الأدبي من أين وإلى أين؟، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د ط)، 1983، ص 49، 50، 51

² عبد الملك مرتاض: في نظرية الرواية؛ بحث في تقنيات السرد، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، (د ط)، 1998، آخر صفحة من غلاف الكتاب.

في الفصل الأول استهلّ الناقد دراسته بالخوض في النظريّة العامّة للقراءة من حيث هي مفهوم والقراءة من حيث هي قراءة حول القراءة، ثمّ علاقة القراءة في إجراءاتها النظريّة بعلم التأويل، ثمّ مفهوم القراءة بين الإبداع والابتداع، وأخيرا نظريّة القراءة بين التراث العربي والحدائثة الغربيّة¹.

أهمّ ما ميّز هذه الكتاب أنّ الباحث اعتبر التّأويلية فرعا من فروع السيميائية، مؤكّدا أنّه من الجدير المزواجة بين عدّة أساليب إجرائية في المعالجة السيميائية، ضاربا مثلا بلوسيان غولدمان (Lucian Goldman) الذي زواج بين البنيوية والاجتماعية بتحويلها إلى تركيبة منهجيّة، إذ أنّ معظم هذه المناهج موروث بعضها عن بعض، وهذا ما جعل مرتاض ينجح لتعدديّة القراءة بتعدّد القراء والأهواء والثّقافات، واختلاف الأزمنة وتباعد الأمكنة، حيث أنّه كان دائما يسعى لمعالجة النصّ الأدبي بالتّحليل، والتّموقع في إطار السيميائيات، وكذا الانتشار خارج فضائه².

أمّا الفصل الخامس منه فتعرّض لإشكالية العلاقة بين البثّ والتلقّي، في حين أنّ الفصل السّادس تطرّق فيه لإشكالية القراءة بالتّأويل وتأويل القراءة، مؤكّدا أنّ هذا المفهوم غايته «تأويل النّصوص الفلسفيّة الإغريقية من جهة، والثّقافة الدّينية المنبثقة من شروح التّوراه وما أضفى عليها اليهود من تحريفات و شعبدة وأساطير من جهة أخرى»³.

أمّا علم التّأويل عند العرب فمعروف لدى العام والخاصّ لأنّه كان يدرج ضمن علم التّفسير الذي كان علماء التّفسير يجتهدون فيه لتفسير ما لم يفهموه في القرآن الكريم، عن طريق القرآن بالقرآن، وكذا القرآن بالحديث النبوي الشّريف، وأخيرا التّفسير بالرأي الذي لا يخالف الشّريعة الإسلاميّة السّمحة.

¹ ينظر: عبد الملك مرتاض: نظرية القراءة؛ تأسيس للنظريّة العامّة للقراءة الأدبيّة، دار الغرب للنّشر والتّوزيع، وهران، (ط)، 2003، ص8، 9.

² ينظر: إبراهيم عبد التّور: جهود عبد الملك مرتاض في تنظير القراءة؛ قراءة في كتاب نظرية القراءة، مجلة قراءات، مج2، ع1، ص2010، ص56.

³ عبد الملك مرتاض: المصدر السابق، ص184.

في الفصل السابع عرض الناقد مفهوم القراءة بالإجراء المستوياتي الذي يفرضه النصّ سواء أكان شعراً أم نثراً، حاثاً المتلقي على ترك القراءة الأحادية المستوى باعتبارها قراءة سطحية فقط، وذكر خمسة مستويات تتمثل فيما يلي: « المستوى اللغوي، المستوى الحيزي، المستوى الزمني، المستوى الإيقاعي والمستوى التشاكلي، ويختتم بدراسة تطبيقية لبنتين شعريين، يعتمد فيهما الإجراء التشاكلي»¹.

ولعلّ أبرز مؤلف أبان فيه مرتاض عن ملامح و أطر المنهج السيميائي في الجانب التّظري كتابه الموسوم بـ "نظرية النصّ الأدبي"، يأتي نشر هذا الكتاب في إطار سلسلة كتب المؤلف الأخيرة التي يهتم فيها ببعض القضايا الأدبية والمعرفية التي تخص مشروع النقد الغني بملامح متنوعة. بالإضافة إلى المتابعة والوعي بقضايا الحداثة والمعاصرة، فهو يجمع أيضاً بين الأصالة والمعاصرة، ويعتبر جسراً بين التطبيق والتواصل النظري، يحتوي الكتاب على ثلاثين وأربعمئة صفحة، تناول فيها مختلف الاشكالات الخاصة بنظرية النصّ الأدبي، استهلّ كتابه بإثارة موضوع "النصّ الأدبي: إشكالية الماهية، زبقيّة المفهوم"، طرح فيه جملة من الأسئلة أبرزها: ماهو النصّ؟، ما علاقة النصّ باللّغة؟ كيف نقرؤه؟ بأيّ أدوات نتناوله؟ بأيّ إجراءات نعالجه؟ بأيّ نظريّات ننظر تجلّياته؟ كيف نحافظ على عذريته وسحرته؟ ما الذي يميّز النصّ عن الخطاب؟ ما الذي يميّز بين النصّ والعمل الأدبي؟².

تضمّن الكتاب ثمانية فصول، تناول في الفصل الأول تأصيل مجموعة من المفاهيم التّالية: نظريّة، نصّ، أدب، أمّا الفصل الثّاني فخصّصه لماهية الفنّ ووظيفته، ووضعه بين الأنظمة السيميائية، بينما الفصل الثّالث أثار فيه إشكالية العلاقة بين النصّ، الكتابة والمبدع.

¹ عبد الملك مرتاض: نظرية القراءة؛ تأسيس للنظرية العامّة للقراءة الأدبيّة، ص254.

² ينظر: عبد الملك مرتاض: نظرية النصّ الأدبي، ص4،5،7،9،11،12.

الفصل الرابع أفرده لإشكالية المفهوم في المنهج السيميائي، ثم إشكالية ازدواجية المصطلح السيميائي، في المدرستين العربية والغربية، وأهم ما توصل إليه في هذا الموضوع أن «مفهوم (السيميائية) يرتبط أساسا بعلم اللغة باللسانيات، في حين يرتبط مفهوم (السيميائيات) بالفلسفة والمنطق، وتنتمي إلى الثقافة الأنجلو أمريكية (لوك وبيرس خصوصا)، في حين يرتبط مفهوم السيميائية (السيمولوجيا) بالثقافة الفرنسية (غريماس، بارط، كريستيفا) على الرغم من أن غريماس (Greimas) عنون معجمه بمصطلح (السيميوتيكا) الذي يعتبر أعرق ميلادا (1555م) من مصطلح (السيميائية) أو (السيمولوجيا)»¹.

أشار الناقد في الفصل الخامس إلى مؤسسي نظرية "التناص في التراث العربي"، وخصّص الفصل السادس لنظرية "التناص في النقد الغربي المعاصر"، بينما الفصل السابع طرح فيه إشكالية الحيز في الكتابات العربية القديمة وكذا في النقد الغربي المعاصر، وختتم كتابه بفصل ثامن تناول فيه مجموعة من القضايا الخاصة بالنص الأدبي على غرار إشكالية النص المفتوح أو المغلق، المرجع والمرجعية، التداولية وتحليل الخطاب.

وجدنا الناقد في مؤلفاته يربط هذه المصطلحات بالمنظرين العرب ثم الغربيين، وهذه نقطة إيجابية تحفز القارئ أكثر على البحث لأنها تقدم رسالة للمتلقي مفادها أن للعرب تراث علمي عظيم، ينبغي للعام والخاصّ التعمق في كتب الأولين والغوص في بحر العروبة والافتخار بها .

ما يلاحظ في هذا الكتاب أن الناقد اعتمد على مجموعة من كتب العرب الأولين على غرار الأغاني للأصفهاني، الخصائص لابن جني، المقدمة لابن خلدون، العمدة في محاسن الشعر لابن رشيق القيرواني، عيار الشعر لابن طباطبا العلوي، العقد الفريد لابن عبد ربه، الشعر والشعراء لابن قتيبة، طبقات فحول الشعراء للجمحي، البيان والتبيين والحيوان للجاحظ، أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، الكامل في اللغة والأدب للمبرّد، منهاج البلغاء وسراج الأدباء

¹عبد الملك مرتاض: نظرية النصّ الأدبي، ص165

للقرطاجي، ومجموعة كبيرة من المرجع الأجنبية على غرار كتاب شمس الله تسطع على الغرب لسيغريد هونكي، وكتب لمجموعة من السيميائيين الغربيين أبرزهم: رولان بارت، لالاند، جولياكرستيفا و غريماس.

ومن مؤلفاته التّنظيريّة أيضا كتاب "مائة قضية... وقضية؛ مقالات ودراسات تعالج قضايا فكرية ونقدية متنوّعة" حيث قسّم هذا المؤلّف إلى ثمانية أقسام:

- القسم الأول: في قضايا الأدب والتّقد، والذي أثار فيه مسألة المنهج واللامنهج، والحيز الأدبي و موقفه من التّراث التقدي العربي.
- القسم الثاني: في قضايا التّراث مؤكّدا أنّه «لا يمكن الاستغناء عن التّراث بكلّ أثقاله وأحماله ولا بد من توظيفه في حياتنا العمليّة اليوميّة، وفي حياتنا الفكريّة العامّة، لأنّه كما صلح للأجداد فهو صالح للأحفاد»¹.

وما يهمّنا في هذا الكتاب القسم الثالث الذي سمّاه "سيميائيات" حيث تناول فيه مجموعة من المفاهيم الضّرورية والهامة على غرار مصطلح الانزياح، التّناسخ في المدرسة الغربية والعربية، التّداولية وتحليل الخطاب وكذا القسم السابع الذي تطرّق فيه عوائق ترجمة المصطلح التقدي ومما أثاره الناقد أيضا قضية الميراث البلاغي في المفاهيم السيميائية مبينا أنّ بعض «المفاهيم السيميائية المعاصرة هي فعلا كانت في أصلها بلاغية... فما كان يطلق عليه البديع والمعاني في البلاغة العربية ليس إلّا الأسلوبية بالمصطلح الجديد... كما أنّ ما كان يطلق عليه العدول في البلاغة العربية ليس إلّا الانزياح في مصطلحات السيميائية وهلمّ جرّا...»².

¹ عبد الملك مرتاض: مائة قضية... وقضية؛ مقالات ودراسات تعالج قضايا فكرية ونقدية متنوّعة، ص 115

² المصدر نفسه: ص 203.

2.1. المنهج السيميائي وخطاب الممارسة التطبيقية النقدية عند عبد الملك مرتاض :

يعتبر المنهج التطبيقي للباحث بمثابة نقلة نوعية للاتجاه السيميائي الذي جسده على النصوص الشعرية و النثرية ، وأحسن ما ميّزه عن غيره من النقاد العرب أنه استخدم هذا المنهج حتى في القرآن الكريم في سورة الرحمن نموذجاً، وقد وظّف الإجراءات السيميائية توظيفاً جيّداً، ومما وجدناه في كتب الباحث التطبيقية أنه كان دائماً يبدأ مؤلفاته بدراسات نظرية يقدمها كوسيلة يركز عليها المتلقي حين ينغمس في القراءة والتمعن ليصل إلى عملية الإدراك والفهم، وقد ارتأينا أن نقسم دراساته التطبيقية إلى ثلاثة أقسام:

أ. القرآن الكريم: له كتاب واحد في هذا المجال وهو:

- نظام الخطاب القرآني؛ تحليل سيميائي مركّب لسورة الرحمن .

ب. النصوص النثرية: ممّا تطرّق إليه في هذا الميدان نذكر:

- ألف ليلة وليلة؛ تحليل سيميائي تفكيكي لرواية "حمام بغداد" .
- تحليل الخطاب السردّي؛ معالجة تفكيكية سيميائية مركّبة لرواية "زقاق المدق" للمصري نجيب محفوظ.
- مقامات السيوطي؛ تحليل سيميائي لجمالية الحيز في المقامة الياقوتية.

ت. النصوص الشعرية: ألف العديد من الكتب في هذا المجال وهي كالاتي:

- أ/ي دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة "أين ليلاي" للجزائري محمد العيد آل خليفة.
- شعرية القصيدة؛ قصيدة القراءة، تحليل مركّب لقصيدة "أشجان يمانية" لليمني عبد العزيز المقالح، سنة 1994م، حيث أنّ هذه الدراسة ألّفها كردّ فعل ضدّ بعض المنتقدين الذين استهجنوا كتابه "بنية الخطاب الشعري؛ دراسة تشرّحية لقصيدة أشجان يمانية" ، وهذا

- الصّنيع شفع له عند النّقاد فأفردوه ضمن ،الحدث النقدي المتفرد في العالم بأسره لأنّه قرأه بقراءتين الأولى تشريحية، والثانية مركّبة¹.
- قراءة النّصّ بين محدوديّة الاستعمال، ولا نهائيّة التّأويل؛ تحليل سيميائيّ لقصيدة قمر شيراز للبياتي.
- السّبع المعلّقات؛ تحليل أنثروبولوجي سيميائي لشعرية نصوصها.
- التّحليل السيميائي للخطاب الشّعري؛ تحليل مستوياتي لقصيدة شناشيل ابنة الحلبي للعراقي بدر شاكر السّياب.
- رحلة نحو المستحيل؛ تحليل سيميائي مركّب لقصيدة "رحلة المراحل" للسّعودي سعد الحميد.
- عبد الملك مرتاض: الشّعْر الأول، معالجة تاريخية رصدًا وأنثروبولوجية مقارنة، وسيميائية تحليلًا لمطالع المعلّقات.

3.1. المنهج السيميائي وخطاب الترجمة والتعريب عند عبد الملك مرتاض:

لم يكن لمرتاض مؤلفات خاصّة بتعريب المصطلحات وترجمتها، لكنّها كانت جوهر انشغالاته التي كان دائم النظر فيها، حتّى ييسّر عملية تلقّي المناهج الغربية بصورة صحيحة للباحثين، وهذا ما أكّده في إحدى كتبه بقوله: «فلتكن هذه محاولة ممنهجة لدراسة التراث العربي، ولتكن قبل كلّ شيء مدرجة لإثارة السّؤال ومسلكة لاستضرام الجدال، ولتكن أيضا دعوة إلى التّجديد، ولكن بعيدا عن فخّ التقليد الذي ابتلينا به في هذه النظريّات التي نقرؤها مترجمة»².

كلام مرتاض صريح جدّا لأنّه يوصل رسالة للنّقاد ينصحهم من خلالها بضرورة الابتعاد عن تقليد الغربيين وضرورة الرّجوع إلى التراث العربي الإسلامي، وهذا لا يتكّار الجديد بعد ربطه بالمناهج

¹ ينظر: يوسف وغليسي: الخطاب النقدي عند عبد الملك مرتاض؛ بحث في المنهج وإشكالياته، دار البشائر للنشر والاتّصال،(د ط)،2002،ص75

² عبد الملك مرتاض: ألف ليلة وليلة؛ تحليل سيميائي تفكيكي لحكاية حمّال بغداد، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،(د ط)،1993،ص8

المعاصرة التي أثارها المدرسة الغربية، ولا يتأتى هذا الأمر للنقاد إلا من خلال الرجوع إلى أمهات الكتب الأصلية العربية، وهذا كي يجمع النقاد بين «المفاهيم الحديثة والتراث العربي، فيجمع بين كل ما هو حديث وكل ما هو تراث وإيجاد رابط بينهما، ومحاولة الخروج بمنهج سيميائي عربي يتكأ على التراث من جهة ويمسك بما هو حديث من جهة أخرى»¹.

تحدث مرتاض عن أربعة مفاهيم مختلفة تدرج ضمن أصول المنهج متقاربة الاستعمال في اللغات الأخرى وهي: «المنهجي، المنهجاني، المنهجية والمنهجوي»².

وبعد النظر في هذه المصطلحات وجدناها جميعا تصب في قالب واحد به متبعا تتمثل في سياسة يعتمدها الإنسان عامة لبناء ما يصبوا إليه من أهداف عبر اتباع طريق يمشي نحوه، متبعا مجموعة من الإرشادات والنصائح، لغرض الوصول إلى هدفه الذي يطمح الوصول إليه، فإن كانت الطريقة صحيحة ومستقيمة وقويمة وصل إلى مبتغاه وحل مشكلاته بل الإشكالات والعراقيل التي طانت كانت غامضة في تساؤلاته الفلسفية الأولى وهذا ما لمح إليه الناقد حين عرّف المنهج بكونه: «الطريقة المثلى لتلقي العلم وقضاياها للمتلقين»³.

يؤكد عبد الملك مرتاض في كتابه "النص الأدبي من أين وإلى أين؟" أنّ المنهج يختلف بسبب تطوّر الرؤية وتطوّر الثقافة واختلاف الزمن في ذلك دخل كبير نتيجة العوال التالية:

1. النصّ الأدبي الواحد المعروض على اثنان نتائجه مختلفة لاختلاف المنهج المتبع والرؤية الشخصية لكلّ دارس.

2. لعنصر الزمن دور هام في عملية دراسة النصّ الأدبي نظرا لاختلاف المناهج من عصر إلى آخر

¹ ثابت طارق: عبد الملك مرتاض وجهوده في التنظير لتحليل الخطاب الأدبي "المنهج السيميائي نموذجاً"، مجلّة الأثر، مج10، ع11، س2011، ص217

² عبد الملك مرتاض: مائة قضية ... وقضية؛ مقالات ودراسات تعالج قضايا فكرية ونقدية متنوّعة، ص11

³ المصدر نفسه: ص15

3. النصّ الأدبي لا يتغيّر لكنّ الشّيء الوحيد الذي تطرأ عليه تغييرات هو نوع الدّراسة والشّخص الذي يتناوله¹.

من خلال كلام الناقد يتّضح أنّ المنهج الذي ينبغي للباحث اتّباعه عند تحليل النصّ الأدبي ما يلي:

- ضرورة مراعاة النصّ من ناحيتي الزّمان والمكان
- ضرورة الإحاطة بالمناهج الغربية المعاصرة.
- الالتزام بالموضوعية والابتعاد عن الذاتية في النّقد
- التّسلّح الواسع بالمعارف والعلوم المختلفة
- العامل النّفسي المتميّز بثقافة الإبداع وابتكار الجديد وتذليل الصّعاب.

عبد الملك مرتاض من السيميائيين المعاصرين الذين ينتقدون كثيرا أولئك المتمرّسين الذين يعتمدون على المناهج التّراثية العتيقة فقط، ويوصي بضرورة الأخذ من النّظريّات الغربيّة القائم كثير منها على العلم، مع التّمسك بالتّراثيات وعجنها مع الثّانية عجنا مكينا ومذهبه في ذلك تناول النصّ برؤية مستقلة ومستقبليّة².

الخطاب التّطبيقي لمرتاض في مجال السيميائيات كثير الاهتمام بالنّصوص العربيّة التّراثيّة (شعرا ونثرا)، إذ وجدناه يستهلّ دراساته التّطبيقيّة بالغوص في بحر الأصول العربيّة ثمّ ربطها بالمناهج الغربية المعاصرة، وهذا أكّده حين قال في إحدى دراساته التّطبيقيّة بأنّها: «محاولة ممنهجة لدراسة التّراث العربي السّردية، من خلال إثارة الأسئلة، واستضرام الجدال، ودعوة للتّجديد بعيدا عن فتح التّقليد»³.

¹ ينظر: عبد الملك مرتاض: النصّ الأدبي من أين وإلى أين؟، ص 50، 51

² ينظر: عبد الملك مرتاض: ألف ليلة وليلة؛ دراسة سيميائية تفكيكية لحكاية حمال بغداد، ص 12

³ المصدر نفسه: ص 11

وفي حديثه عن المنهج السيميائي وجدناه يجزم صراحة أنّ «السيميائية تركيبية الطّبيعة، إذ أنّها تتركّب من العديد من المصطلحات النّقديّة والنّحويّة واللّسانيّاتية والفلسفيّة... فتحتويها، وتكيّفها مع إجراءاتها ومفاهيمها فتعالجها بالتّطوير والتّغيير، مؤكّدا أنّ السيميائية وريثة اللّسانيّات البنيويّة مؤسّسة في حلّة جديدة»¹.

وفي موضع آخر من كتابات النّقاد نجدّه يقرّ أنّ «اللّسانيّات تتحكّم في بنية النّصّ وحتّى فكرته تحت علم الدّلالة، وإذا كانت وظيفة السيميائيات إنّما هي العناية ببنية المونيمات أو الألفاظ...، فإنّ ذلك ما كان ليحظرها من تجاوز هذا المجال الضيّق إلى نقد بنية النّصّ والكشف عن أسرار هذه البنية العامّة من خلال البحث في أجزاء الكلام»².

في دراسات النّاقّد النّقديّة التّطبيقية نجدّه دائما كثير التّساؤل عن المنهج الأنسب لطبيعة النّصوص الأدبيّة ومن أمثلة أسئلته التي كان يطرحها قوله: «هل يمكن تأسيس منهج ثابت لجنس أدبي متحوّل؟... ثمّ أيّ منهج هذا الذي يستطيع استيعاب هذا العالم المعقّد المتشعب والمتغيّر والعجيب معا؟... أيّ منهج إذن هذا القادر على ما نشاء منه. أو نشاء له؟ أم يجب أن تتضافر هذه المناهج كلّها مضافة إلى السيميولوجية والتّفكيكية من أجل محاولة فكّ الألغاز وحلّ المعقّدات والاهتداء إلى المعميات...»³.

فمثلا بعد إتمام ممارساته السيميائية في رواية "زقاق المدقّ" أكّد عبد الملك مرتاض أنّه استطاع الكشف عن أهمّ السّمات والخصائص الكامنة في نصّ هذه الرّواية وبنيتها وأنّه ربّما لم يهمل أيّ شيء منها⁴.

¹ عبد الملك مرتاض: تحليل الخطاب السّردي؛ معالجة تفكيكية سيميائية مركّبة لرواية 'زقاق المدقّ'، ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون، الجزائر، (د ط)، 1995، ص 7، 8

² عبد الملك مرتاض: النّصّ الأدبي من أين وإلى أين؟، ص 54

³ عبد الملك مرتاض: تحليل الخطاب السّردي؛ معالجة تفكيكية سيميائية مركّبة لرواية 'زقاق المدقّ'، ص 3

⁴ ينظر: المصدر نفسه: ص 29

القارئ لهذا الكتاب يحصل على الكثير من المعطيات والدلالات التي تعينه كثيرا في هضم المنهج السيميائي، خاصة وأن الناقد احتكم كثيرا إلى عملية الإحصاء في جمع الكثير من الملاحظات احتوى هذا الكتاب على ثلاثة عشر وثلاثمائة (313) صفحة، استهل كتابه بمدخل عنوانه بالتحليل الروائي بأي منهج؟ وفيه طرح عدّة إشكالات عن المناهج المتبعة والمناسبة للتحليل الروائي، فهو كتاب تطبيقي بامتياز مارس الناقد من خلاله منهجين مركّبين هما: السيميائية والتفكيكية، وهذا نظرا لكون «الأعمال السردية زبقيّة الطّبيعة ممّا يعسر مع وجود هذه الصّفة التّحكّم فيها بمنهج صارم تنضوي تحته وتحرّك بمقتضاه»¹.

قسّم الناقد دراسته إلى قسمين تحلّل القسم الأوّل ثلاثة فصول ، تناول فيها طبيعة البنى السردية لرواية 'زقاق المدق'، أما الفصل الثّاني فناقش فيه التقنيات السردية، بداية بعنصر الشّخصية ووظائفها في الرواية، وكذا عنصر الزمان الممثل لهذه الرواية، وختم هذا القسم بدراسة لخصها في ذكر الخصائص الأسلوبية وكذا السيميائية الخاصّة بذه الرواية، ولم يضع خاتمة للكتاب ، وهو دأبه دائما كي يجعل المتلقّي متشوّقا دائما للقراءة، وقد اعتمد في دراسته على مصادر العرب التراثية نذكر منها: 'الحيوان للجاحظ'، ومراجع عربيّة أبرزها: كتاب 'من أدبنا المعاصر لطله حسين' و 'أسلوبية الرواية لحمد حمداني'، ومراجع أجنبيّة خاصة برولان بارت (Roland Barthes) وتودوروف (Todorov).

أمّا كتابه " ألف ليلة وليلة؛ تحليل سيميائي تفكيكي لحكاية حمال بغداد" فقد احتوى على ستّ وثلاثين وثلاثمائة (336) صفحة، استهلّ كتابه بمقدمة شرح فيها عمله في هذا الكتاب وذكر السر الذي جعله يفرد كتابه بحكاية من حكايات 'ألف ليلة وليلة'، جعل لهذه الدّراسة ثلاثة فصول، تناول في الفصل الأوّل طبيعة الحدث في الرواية، متمثلة في الشّخصيات والحيز والزمن ثمّ خصائص البناء الحكائي، وختم هذا الفصل بوضع معجم فنيّ للغة السرد الخاصّة بهذه الحكاية، في حين عنوان

¹ عبد الملك مرتاض: تحليل الخطاب السردية؛ معالجة تفكيكية سيميائية مركّبة لرواية 'زقاق المدق'، ص7

الفصل الثاني بفهارس ونصوص تناول فيها الوصف والإيقاع والتشبيه وأخيرا التّضادّ، بينما الفصل الثالث تطرّق فيه لفهرس المعاجم الفنّية للحكاية.

بعدما انتهى النّاقد من العمل التّطبيقي وضع نصّ الرّواية كاملا بداية من الصّفحة ستّ وتسعين ومائتين (296) إلى غاية الصّفحة ثلاثة وثلاثين وثلاثمائة (333)، ولم يضع خاتمة للكتاب كعادته، أمّا فيما يخصّ الكتب التي ارتكز عليها الأديب في هذا الكتاب، فنذكر: 'الفهرست لابن التّديم'، و 'رحلة في ألف ليلة وليلة لعبد الغني الملاح' و 'ألف ليلة وليلة في نظريّة الأدب الإنجليزي لمحمد جاسا لموسي' و مجموعة من المراجع الفرنسية خاصّة كتب 'غريماس' رائد السيميائيات السردية. يملك النّاقد الكثير من المؤلّفات الخاصّة بهذا المنهج، ومما كتب في هذا الميدان أيضا كتاب "التّحليل السيميائي للخطاب الشعري؛ تحليل بالإجراء المستوياتي لقصيدة شناسيل ابنة الجلبي"، والذي يعتبر كتاب نظريا وتطبيقيا، ومما تناوله مرتاض في هذا الكتاب، أنّه بدأ بالجانب النظري فوضّح الفروقات الموجودة بين إشكالية القراءة السيميائية ومصطلحا التّأويل والتّفسير حيث صنّف النّاقد التّأويل على أنّه «فرع من فروع السيميائية، وذلك على الرّغم من أنّ هذه الأعمال التّحليلية التي اتّخذت لها التّأويلية إجراء كانت تعني خصوصا بتعدّدية القراءة...»، كما أنّ تطوير التّفسير الذي ينهض على تأويلية الإجراء التي وقعت من حول نصّ القرآن العظيم أفضت إلى تطوير سيميائية التّأويل»¹.

من الإشكالات التي أثارها النّاقد أيضا في مدخل هذا الكتاب مسألة مفهوم القراءة التي اعتبرها إشكالية لسانياتية سيميائية نقدية جميعا، مبيّنا أنّ التّقدّرة قراءة خاصّة بشخص محترف لنصّ أدبي ما، مستخدما أدوات التّحليل والتّأويل لفهم هذا النصّ، وقراءة ما وراء النصّ من أسرار وألغاز حاثّا على ضرورة توظيف اللّغة التّقدّية الجديدة "التّركيب المنهجي"، مع الاجتهاد في تجنيس

¹ عبد الملك مرتاض: التّحليل السيميائي للخطاب الشعري؛ تحليل بالإجراء المستوياتي لقصيدة شناسيل ابنة الجلبي، منشورات

اتّحاد الكتاب العرب، دمشق، (د ط)، 2005، ص5

التركيبات المنهجية، مؤكداً أنّ معظم هذه المناهج موروث بعضها عن بعض، وقائم بعضها على بعضها الآخر، جاعلا السيميائية خليطاً من اللسانيات والنحويات، وربما البلاغيات أيضاً¹.

ومن المسائل التي أطال الناقد في الحديث عنها منهج قراءة النصوص، والتي أشار بأنه ينبغي أن يضل النص الواحد مفتوحاً إلى ما لا نهاية، لأنّ كلّ قارئ يدرسه بمنظاره ومنظوره الخاص، رافضاً بذلك نظريتي التحيز وكذا إغلاق النص التي تحدّثا عنها غريماس وكورتيس، مع ضرورة تحديد المنهج الذي ينهجه الباحث في تحليل النصوص الأدبية، دون الميل من حيث المبدأ إلى أيّ منهج كان لأنّ كلّ المناهج ناقصه حسبه، مع الاجتهاد أكثر في العمل التطبيقي، لمنح هذا العمل المنجز الشرعية الإبداعية والدفع الذاتي والابتعاد عن النظرة الميكانيكية*، حاثاً على ضرورة التطوير المستمرّ للأدوات المنهجية تأصيلاً وإجراءً².

عبد الملك مرتاض من النقاد العرب الداعين إلى التركيب المنهجي المفتوح إذ أنّ «الاشتغال بالمناهج الحدائرية يفضي حتماً إلى إنتاج حتماً نظرية معرفية جديدة بفضل التركيب المنهجي الذي يقع بين المناهج ضارباً مثلاً باللسانيات التي ولدت شيئاً اسمه السيميائيات، مبيّناً أنّ عملية تهجين أيّ منهج ضرورية لتنشيط أدواته وتفعيل إجراءاته، لتحقيق العطاء والتخصيب، بناء على الجنس الأدبي المقروء، فمثلاً إذا كان النصّ من جنس الرواية الجديدة فيمكن اصطناع البنية مع السيميائية أداة للفهم والتأويل، والتفكيكية إجراء منهجياً للعمل، أمّا إذا كان النصّ شعراً يمكن اصطناع السيميائية مع التأويل، والرّمز، والقرينة، والإشارة، والإقونة والانزياح»³.

وقد ارتأينا أن نضع جدولاً يسهّل على القارئ عملية تهجين منهج عبد الملك مرتاض:

¹ ينظر: عبد الملك مرتاض: التحليل السيميائي للخطاب الشعري؛ تحليل بالإجراء المستوياتي لقصيدة شناسيل ابنة الجلبي، ص6

*النظرة الضيقة البالغة التعصّب في قراءة النصوص مثل نظرة علماء النفس والاجتماع والإيديولوجيا وعلوم التربية.

² ينظر: المصدر نفسه: ص 7، 8، 9.

³ المصدر نفسه: ص10

الجنس الأدبي	المناهج المركبة
الرواية الواقعية الاشتراكية	البنوية التكوينية للتحليل والتفكيك كإجراء
الرواية الجديدة	البنوية مع الاستعانة بالسيميائية أداة للفهم والتأويل والتفكيكية إجراء منهجي للعمل
النص الشعري	1. إمّا اصطناع البنوية اللسانياتية مع محاولة اصطناع التفكيك
النص الشعري	2. اصطناع السيميائية مع استثمار كلّ عطاءات التأويلية، والرمز، والقرينة، والإشارة، والمماثل (الإقونة)، والانزياح، وكلّ الإجراءات السيميائية التي تجعل النصّ الشعري في أعلى الرقيّ والجمال.

وظّف الناقد المنهج السيميائي في كتابه "التحليل السيميائي للخطاب الشعري" باتّباع الأدوات الإجرائية النقدية الحدائثة على قصيدة "شناشيل ابنة الجلي" العادية الطول لأنّه في نظر الناقد «يتعدّد تناول نصّ طويل سواء أكان شعراً أم نثراً بمنهج جانح للسيميائية لما يتطلّب تتبّع كلّ سماته اللفظية من تحليل فرداني ومزدوج، ومرّكب أو جمعي، ونحوي، ومورفولوجي ومتشاكل وغير متشاكل، ومماثل ومتحايّر، بينما التّصوص الشعريّة العادية الطول يمكن أن نمارس عليها التّحليل السيميائي، فلا تمتنع من تقبلها له دون أن يفضي ذلك إلى طول مسرف و إسهاب مفرط»¹.

شرح الناقد طريقة عمله المعتمدة على قصيدة شاكر السيّاب، بتقسيم قراءته لهذا النصّ على ثلاث مستويات، إذ استهلّ في المستوى الأوّل نظرية التّشاكل والتّباين في لغة شعر بدر شاكر السيّاب، ثمّ تعرّض في المستوى الثّاني الحيز وما يملكه من دلالات سيميائية في النصّ الشعري، ليختم بحثه بتناول النصّ الشعري تحليلاً سيميائياً «حدثت لأول مرّة في العريّة، من خلال تأويله للألوان والمرئيات والملموسات والمشمومات والمذوقات، متجاوزاً ذلك إلى مماثلات وقرائن أخرى لم يطبّق

¹ عبد الملك مرتاض: التحليل السيميائي للخطاب الشعري؛ تحليل بالإجراء المستوياتي لقصيدة شناشيل ابنة الجلي، ص 11

عليها السيميائيون الغربيون، مبتكرا القرينة المركبة التي تشمل على مختلف الأخطاط* مانحة النصّ أبعادا دلالية خصبة»¹.

ختم مرتاض مدوّنته برسم نصّ القصيدة في آخر الكتاب حتي يدرسها المتلقّي، ويسهل عليه تناول ما فيها من أسرار تكتشف ما وراء السطور، وكعاداته لم يضع خاتمة للكتاب، وكان يدوّن المصادر والمراجع بعد انتهاء كلّ جزء من هذه المستويات كإحالة وتعليقات، أمّا المصادر العربيّة التي اعتمد عليها في هذا الكتاب نذكر منها: شرح ديوان حماسة أبي تمام للمرزوقي (ت421هـ)، وتحقيق شرح مشكل أبيات المتنبي لابن سيّده (ت458هـ)، وشذور الذهب لابن هشام (ت761هـ)، والسيرة النبوية لابن كثير (ت774هـ) وأكثر من المراجع الأجنبية أبرزها: التحليل السيميولوجي للأدب لكوردان جان كلود وكتب خاصّة بالناقدين غريماس (Greimas)، ورولان بارت (Roland Barthes)، ومجموعة من المعاجم الأجنبية.

ولم ينس في غمار مسيرته السيميائية شعر أبناء بلده، فألف كتابا أسماه "أ/ي"، دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة أين ليلاي للجزائري محمّد العيد آل خليفة" في أربعة وسبعين ومائة (174) صفحة، كأول عمل في تاريخ النقد الشعري في الجزائر، أمّا الحرفين أ/ي فكانا يقصد بهما الحرفان الأبجديّان في اللّغة العربيّة وهذا ما أشار إليه في مقدّمة كتابه قائلا: «(أ) هي أوّل ما يشكّل الأبجديّة العربيّة ومعظم الأبجديّات العالميّة، وال(ي) هي خاتمة حروف الأبجديّة العربيّة، وقد ينشأ عن ذلك ضمنا أنّ المضمون ثقافي قبل كلّ شيء، وينتمي أساسا إلى الثقافة العربيّة التي هي جزء من الثقافة الإنسانيّة»².

* يقصد بالأخطاط جميع القرائن مجتمعة متمثلة في البصر والشمّ والدّوق والسّمع واللمس وليس قرينة واحدة فقط.

¹ عبد الملك مرتاض: التحليل السيميائي للخطاب الشعري؛ تحليل بالإجراء المستوياتي لقصيدة شناشيل ابنة الجلبي، ص22

² عبد الملك مرتاض: أ/ي؛ دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة "أين ليلاي" لمحمّد العيد، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، (د ط)، 1992، ص4

ويذهب بعض النقاد العرب إلى أنّ عبد الملك مرتاض وضع هذا العنوان متأثراً بعنوان كتال رولان بارن S/Z «ولعلّ اعتبار قراءته الشعريّة حدثاً مميّزاً كان وراء انتقاء هذا العنوان، لكأنّه يقول حللت هذا النصّ من ألفه إلى يائه فلم أبق ولم أذر، وهذا بعد أن ابتغى من فضله وجعل للمعنى الحاضر والغائب نصيبهما، ويبدو أنّ اختياره منهل الشعر الجزائري كان مدفوعاً بعدة عوامل منها العزّة بتقدير أدب بلده الجزائر بعد أن انتهك حرمة الاستعمار الفرنسي حتّى يأتي شخص من أقصى المدينة يسعى جاهداً لإحياء الأدب الجزائري المضطهد في داره، ما دفعه إلى المضي في تفجير عين من عيون الأدب الجزائري»¹.

ينبغي الإشارة إلى أمر هامّ وهو أنّ الناقد عدلّ عنوان كتابه في الطبعة الثانية منه، إذ انتقل من "دراسة سيميائية تفكيكية" إلى "تحليل مركّب" وهذا ما يحملنا إلى الحديث اعتماده على المنهج المركّب الذي فرضته عليه طبيعة النصّ الأدبي، فقد وظّف الناقد مصطلح (القراءة)، (المستويات)، (إجراء)، من دون ذكر مصطلح (المنهج) وفي ذلك رؤية كامنة وراء اللّامنهج تتوسّع كلّما قرأنا نظريّته وممارسته، والذي حمّله على التّغيير الجزئيّ للعنوان إيمانه بأنّه حمل آليات منهج واحد (السيميائية) وما الثّاني إلّا إجراء (التفكيكية)، ومن ثمّ فتغيّرت قناعاته وراء تغيير العنوان سواء في تحديد ماهية المنهج والإجراء أو دقّة المصطلح، طارقاً باب التّأويلية التي لم يعلنها منهجاً أو حتّى إجراء يضاف إلى السيميائية والتفكيكية المعرب عنهما².

واللّافت للنّظر أنّ عبد الملك مرتاض تناول طريقة اللّامنهج من خلال تناول النصّ تناولاً مستوياتياً مسلّطاً الضّوء على مستوى بنية اللّغة، ثمّ في المستوى التفكيكي، ثمّ في مستوى الحيز، ثمّ في مستوى تعامل النصّ مع الزّمن، ثمّ في المستوى الإيقاعي، مؤكّداً أنّه لا سبيل من مدارس نصّ

¹ لطرّوش نانية: القراءة السيميائية والتفكيكية لدي عبد الملك مرتاض؛ من خلال دراسته "أين ليلاي"، مجلّة الدّراسات الثّقافية واللّغويّة الفنّيّة، المركز الديمقراطي العربي، ألمانيا، برلين، ع4، س2019، ص96.

² ينظر: عبد الملك مرتاض: أ/ي؛ دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة "أين ليلاي" لمحمّد العيد، ص98

مدارسه جادة بمنهج واحد فقط، بل لا بد من أن يكون متصوّراً في الذهن على نحو ما ، وفي دائرة المنهج الحدائى القلق الذي يتطلّع أبداً إلى تجديد نفسه وعدم الاطمئنان إلى مساره¹.

قسّم الناقد كتابه إلى ستّة فصول، استهلّه بتمهيد تطرّق فيه لطرح تساؤلات عن المنهج وعلاقته بطبيعة النصّ الأدبي، ثمّ تناول بنية القصيدة لدى محمّد العيد متعرّضاً لخصائص هذه القصيدة، ولغتها، مبيناً موقفه النقدي الذي تبناه والمتّصف بالكشف عمّا يمكن أن يكون فيه من الخفايا والكوامن بتفكيك بناه الدّاخليّة وملاحظة الشّفرات والعلامات التي تطبع لغته، وتحديد دلالاته، وتحكّم في خطابه، وكذا محاولة إذابة الحدود بين الشّكل والمضمون في جدليّة تنهض على توثيق الصّلة في علاقتها بالألسنيّة، متيقّناً أنّ النّقد الجديد لم يعد يرتضي لنفسه المفاضلة بين الشّعراء، الذي أصبح شيئاً من الضحالة الثقافية التي غيّبت المشروع النقدي الحدائى².

تناول في الفصل الثاني مستويات اللّغة بأنسجة سيميائية، كشفرات النصّ الذي تربطه شبكة من الرّموز والعلامات كرمز (ليلي)مثلا الذي وظّف كعلامة للعشق، وهي شفرة تدرج في قاموس العشاق، استخدم في قراءته لحكاية (أين ليلاي) ما تعلق بوظائف "فلاديمير بروب" (Vladimir Propp) في الحكاية العجيبة آخذاً بمنهج غريماس (Greimas) في السيميائيات السردية، إذ أكّد في موضع آخر أنّ «ما جاء به غريماس وكورتيس في كتابهما الذي ينظر للسيميائية "المعجم العقلاي لنظريّة اللّغة" ليس إلاّ محاولة معكوسة للجهد العظيم الذي نحض به فلاديمير بروب حين نشر كتابه "مرفولوجية الحكاية" سنة ثمان وعشرين وتسعمائة ألف وانتهى فيه إلى تحديد الوظائف السردية في إحدى وثلاثين ووظائف الشّخصيات في سبع»³.

¹ ينظر: عبد الملك مرتاض: أ/ي؛ دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة "أين ليلاي" لمحمّد العيد، ص13

² ينظر: المصدر نفسه: ص34، 35

³ عبد الملك مرتاض: تحليل الخطاب السردى؛ معالجة تفكيكية سيميائية مرّبة لرواية "زقاق المدق"، ص11

بينما الفصل الثالث خصّصه للقراءة التأويلية نظيرا وتطبيقا، بعنوان "مخاض النصّ وتأويليته" وهذا ما جعل الناقد يفسّر (ليلي) على أنّها رمز للحرية والحياة المستقلة للشعب الجزائري التي دوما كان يسعى مناضلا في سبيل تحقيقها ضدّ الاستعمار البائد، وهذا ظاهر للعيان في نصّ القصيدة، وبهذا نخرج عمّا تألفه العرب في السياق التاريخي لمصطلح (ليلي) الخاصّ بدائرة العشاق ، وهذا ما جعل الناقد يتساءل عن مدى صلاحية التأويل أو الهيرومينوطيقا لأن يكون رأيا أو وجهة نظر ذوقية أو علمية؟ موضّحا أنّ كلّ نصّ في نظره يفتقر إلى رؤية هيرومينوطيقية سواء كان نصّا دينيا أم سياسيا أم أدبيا، وهذا ما يجدّد حياة النصّ، ويكفل عطاءه المستمرّ عبر الأزمنة اللاحقة، مشبّها المؤوّل بالناقد، إلا أنّ الناقد متخصصّ في النصّ الأدبي بينما المؤوّل متخصصّ في النصّ الديني أو الفلسفي¹.

في حين أنّ الفصل الرابع "الحيز الشعري في نصّ (أين ليلاي)" الذي فضّل فيه مصطلح الحيز، على المكان والفضاء والمجال، متطرقا لخمسة أنواع من الحيز معتمدا على التفكيكية والتأويلية كإجابات تحليلية مساءلته، وحلية هذه الأسئلة أن تبقى بلا جواب كي يبقى ذوق و معنى للشعر والجمال والحقيقة والطبيعة، فبدأ بالحيز التائه المتعلّق بالشخصية الشعرية الحائرة في العثور على (ليلي) المصطلح الأسطوري، ثمّ تناول الحيز الممنوع المجسّد الذي مهما هتت الشخصية الشعرية وراءه لا تعثر عليه، ثمّ جنح للحيز المتحرّك المضطرب الذي يصعب العثور عليه، ليترك في الرابعة الحيز القاصر عن الاحتواء، الذي يجوز تعويضه بحضور الحيز أو غياب الموضوع، ليصل أخيرا إلى الحيز الحالم الذي يعتبر استمرارا للحيز الشاسع الضخم الذي ظلّ مع ذلك قاصرا عن احتواء (ليلي)².

¹ ينظر: عبد الملك مرتاض: تحليل الخطاب السردية؛ معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية "زقاق المدقّ"، ص 93، 94، 95

² ينظر: عبد الملك مرتاض: أ/ي دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة "أين ليلاي"، ص 116، 117

أفرد مرتاض الفصل الخامس لدراسة الزمن الشعري في النصّ، فاستنبطه من حدوث العلاقة بين الحيز والزمن، أو علاقة الدلالة بالاستعمال، أو علاقة المدلول بالوعي الزمني المتسلط بالقوة والفعل على أي نصّ إبداعي، وفق خمسة أزمنة مستهلاً بالزمن التقليدي الطّاعي في هذا النصّ مجسّدا في الزمن الماضي الطّاعي على النصّ الذي تحلله المضارع والمستقبل، ثمّ تعرّض للزمن الحرام غير المعروف التابع للحيز الحرام، بعدها تطرّق للزمن اليائس المتحلّي في أمر الشّخصية الشعريّة شديدة السّواد، ليجنح بعدها إلى الزمن المربع الذي يجعل الشّخصية الشعريّة تعاني من التّهمام ما تعاني، وتتجرّع من الأتراح ما تتجرّع، وختم دراسته بمعالجة الزمن الحالم الذي يشبه حكم المحكوم عليه بالإعدام بنيل العفو¹.

أمّا الفصل الأخير في هذا الكتاب فاستهلّ دراسته فيها بالإيقاع التركيبي للكشف عمّا في طيات هذا النصّ من الإيقاعات الكوامن فيه، ولا يهّمه الإيقاع الموزون فقط، بل الأهمّ النسق الصّوتي الواحد، أمّا الإيقاع الدّخلي المهتمّ بما وراء جمال الإيقاع ووظيفته وجمالياته وتأثيراته في حين أنّ الإيقاع الخارجيّ الخاصّ الفونيمات التي انتهت بها وحدات النصّ ومقارنتها، وتفسير هذه الظاهرة الصّوتية وتبيان وظائفها كما أنّ لطبيعة الخطاب تجعل النصّ يتخذ إيقاعا يشبه الزّجر وبماثل النواح يجمع بين الزّمان والحيز، بين الإنسان ومضطربه، بين التّاريخ والجغرافيا².

عدم وجود خاتمة في الكتاب من مناهج عبد الملك مرتاض المفصّلة في تأليفاته وهذا ما ألفناه في هذا الكتاب الذي رسم في آخره قصيدة "أين ليلاي"، أمّا المصادر والمراجع التي وظّفها في كتابه نذكر منها: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (ت656هـ) وكتاب العمدة في محاسن الشّعر لابن رشيق القيرواني (ت456هـ)، وكتابي الجاحظ (ت255هـ) (البيان والتبيين، والحيوان)، ومجموعة من المراجع الأجنبيّة الخاصّة برولان بارت (Roland Barthes)، وغريماس (Greimas) و

¹ ينظر: عبد الملك مرتاض: أ/ي دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة "أين ليلاي"، ص133، 134، 135

² ينظر: المصدر نفسه: ص155، 156، 157

تودوروف (Todorov) وأندري أكون (André Akoun)، ومما يمكن قوله فإنّ الرّؤى النّقديّة للنّاقد شرحت النّظريّات الغريّبة وأكّدت على عدم التّسليم بجاهزيّتها في الجانب النّظري، أمّا على صعيد التّطبيق بيّن كفاءته العالية وتمكّنه الدّقيق من المناهج الغريّبة خاصّة السيميائية والتّفكيكيّة.

استعمل مرتاض نفس المنهج أيضا في دراسة أدبيّة تراثيّة قديمة، تتمثّلت في مدوّنته « السّبع المعلّقات؛ مقارنة سيميائية أنثروبولوجيّة لنصوصها"، حيث احتوى هذا الكتاب على خمس وتسعين وأربعمائة (495) صفحة، هذه الدراسة أكّدت ثراء النّص الشعري الجاهلي وقدرته على الانسجام مع الأساليب النقدية المعاصرة، الكاشفة عن وفرته وروعته وسحره وبيانه، وهذا ما جعل النّاقد يسعى النّاقد لإعادة قراءة الشّعر الجاهلي من خلال قصائد المعلّقات التي تملك خصوصيّة في الشّعر العربي الأصيل، فجاء بقراءة جديدة احتكم من خلالها على منهج مركّب من الأنثروبولوجيا والسيميائيّة، أعانه على مناقشة كثيرا من الآراء والأفكار التي قيلت حول المعلّقات من حيث مضامينها وأشكالها معا¹.

قسّم النّاقد دراسته إلى عشرة مقالات وتمهيد، تعرّض لأهمّ القضايا التي كانت تشغل الدّارسين برؤى جديدة، وكان يدوّن الإحالات والتّعليقات بعد كلّ فصل، ولقد تطرق في التّمهيد إلى عنصري القراءة والتأويل حيث اعتبر التّأويلية إجراء مضطرب يغوص في المنهج الأنثروبولوجي والسيميائي في حيّزه دوما معترفا بأنّ المنهج الاجتماعي لا يستطيع منافسة الأنثروبولوجيا الأوسع مجالا، والأشدّ تسلّطا على المجتمعات في حين أنّ علم الاجتماع يتسلّط على الظّاهرة من حيث كونها تحدث وتكرّر وتشيع في مجتمع ما، أمّا علم الإنسان أو الأناسيّة كما سمّاها النّاقد تتسلّط على المجتمع البدائي في كليّاته فتجتهد في وصفه أوّلا ثمّ تحليله آخرا، سابقة حتّى علم النّفس في حدّ ذاته².

¹ ينظر: عبد الملك مرتاض: السّبع المعلّقات؛ مقارنة سيميائية أنثروبولوجيّة، منشورات اتحاد الكّتاب العرب، دمشق، (د ط)، 1998، ص3

² ينظر: المصدر نفسه: ص7

إنّ الحديث عن المنهج المتبع للناقد في هذه الدّراسة التّطبيقية المحضّة، التي كانت بدايتها نظريّة، يأخذنا إلى القول بأنّ هذه الدّراسة سارت وفق منهجه المعتاد، الذي يصبو دائماً إلى المزوجة في التحليل حيث سعى واضحاً في هذه الكتاب إلى الرّبط بين الأنثروبولوجيا والسيميائية لدى التّعرّض للتّصّ، والمزوجة بين المعلومات التّاريخية وافتراض الفروض لدى غياب التّصّ، وحين التّعرّض للحياة العامّة لدى العرب قبل الإسلام، وليس هذه المزوجة بين الأنثروبولوجيا والسيميائية أمراً مستهجناً في مسار علم المنهجية، سائراً على نهج كلود ليفي سطرّوس (Claude Levi Strauss) الذي كان يزوج بين الأنثروبولوجيا والبنويّة، ولوسيان غولدمان (Lucien Goldman) الذي كان يزوج بين البنويّة والاجتماعية¹.

درس مرتاض الانتماء القبلي لكلّ شعراء المعلّقات في المقال الأوّل، وهذا ما أشار إليهم حين اعتبر بأنّ القحطانيّين يجسّدون أصل العروبة، ويشكّلون ما يطلق عليه النّسابون العرب 'العرب العاربة' فإمّا حين نعدّ شعراء المعلّقات لا نلفي منهم إلاّ شاعراً واحداً قحطانيّاً، هو امرؤ القيس. أما السّنة الآخرون ينتهي نسبهم الأعلى إلى عدنان، اثنين منهم ينتميان إلى بكر وهما: طرفة بن العبد، والحارث بن حلزة، على حين أنّ عمرو بن كلثوم تغلي، وعنترة بن شدّاد عبسي، قيسي، مضري، وزهير من أبي سلمى مزني تميمي، ولبيد بن أبي ربيعة قيسي، وكلّ من تغلب، وبكر، وعبس، وقيم، وقيس ينتهي نسبها الأعلى إلى عدنان².

ينتصر الناقد للشعر العربي الأصيل ويفتخر بمعلّقات الشعراء السّبع، متسائلاً بعدّة أسئلة أبرزها «كيف أنّ امرؤ القيس يتحدّث عن تاريخ لا يعرفه التّاريخ، وهو وجود شعراً قبله كانوا يكون الدّيار، ويقفون على الأطلال، ولا نعرف عنهم شيئاً إلاّ أسماءهم ومنهم ابن حمام...؟ وأين ذهب ذلك الشعر؟ وكيف أغفل التّاريخ الشّفوي سير أولئك الشعراء العماليق؟... وكيف ولد الشعر العربي

¹ ينظر: عبد الملك مرتاض: السّبع المعلّقات؛ مقارنة سيميائية أنثروبولوجية، ص 8

² ينظر: المصدر نفسه: ص 21، 22، 23، 24

راقيا كاملا وناضجا رائعا؟ وكيف نشأت القصيدة العربية الجاهلية مكتملة البناء، محكمة النسيج، بدیعة السبک علی هذا النحو»¹.

كلّ هذه التّساؤلات كانت عبارة عن إجابات أراد النّاقد من ورائها أن يظهر دلائل قويّة للقارئ العربي يفتخر من خلالها بالمنجز الشعري العظيم لأجدادنا الأوائل الذين ارتقوا باللّغة العربيّة فوق كلّ لغات العالم.

أمّا المقال الثّاني فخصّصه لتناول بنية المطالع في المعلّقات، واستهلّه بالحديث عن الطّلل الذي كان سائدا عند العرب والذي كان يرمز إلى الأيّام الخوالي التي كانت تتباهى بها العرب، ثمّ انتقل إلى موضوع شعريّة المكان وأنتربولوجيّة الوسط، ثمّ جغرافية الأطلال التي هي عبارة عن «أمكنة جغرافية، ثابتة في معاجم البلدان العربيّة، خاصّة بحقل الأنثروبولوجيا مادامت هذه الأحياء أمكنة، ومياها، ووديانا، ومراعي، وجبالا، وروابي، وقفارا مقوية، ومادامت هذه الأمكنة بجذاميرها تشكّل وسطا تقليديا تجري فيه الحياة على أبسط ما تكون من البدائية، وتجري فيه العلاقات بين النّاس على أساس رابطة القرى فإن مدارستها تندرج ضمن حقل الأنثروبولوجيا»².

أثار النّاقد مسألة الحيّز وجماليته في المقال الثّالث، كون هذا العنصر أسال الكثير من الخبر في كتابات الدّارسين العرب الذين اختلفوا فيما بينهم حول دلائل هذا اللفظ، وقد اعترف عبد الملك مرتاض صراحة في هذا الكتاب أنّه خالف «جماعة النّقاد العرب المعاصرين في أنّهم يصطنعون الفضاء وأنّه يجبّد الحيّز، معتقدا أنّ الفضاء أوسع من أن يشمل الحيّز شمولا تفصيليا، وأشسع دلالة من أن يحتوي هذه المساحة الضيّقة أو المحدودة الأطراف التي تطلق على مكان جغرافي ما، فيطلق في العادة المكان على كلّ حيّز جغرافي معروف، أمّا الحيّز يطلق على الأحياء الخيالية والخرافية

¹ عبد الملك مرتاض: السّبع المعلّقات؛ مقارنة سيميائية أنتربولوجيّة، ص 27

² المصدر نفسه: ص 58

والأسطورية، وما لا يمكن أن يقع تحت حكم الاحتواء الجغرافي بشكل واضح دقيق، والحيز شامل له فضل الاحتواء على الإنسان لأنه مشمول»¹.

خصّص المقال الرابع لدراسة طقوس الماء في المعلقات، مع تلميحه «للإشارات المختلفة التي يمكن أن تغتدى أساسا لأنثروبولوجيا الماء وكلّ الطقوس الفولكلورية التي كانت ترتبط به حين تشخّ السماء، ويلجّ الجذب، فيصيب الناس روع وهلع، وإشفاق وقلق»².

أما المقال الخامس فأفرده لنظام النسخ اللغوي في المعلقات، ومنهجه في ذلك إبراز الرؤية الحديثة لهذا العلم التراثي، ضمن إطار منهجي مستوياتي يتحدّث عن نظام النسخ اللغوي لسطح النصّ الشعري المعلقاتي، كي تفهم الظاهرة الأسلوبية المتبنّاة في نسخ هذا النوع من الشعر بعد المرور على أدوات البلاغة المخصّصة لذلك، ولا يكون ذلك إلا بتعميم هذه الأدوات في طرائق القراءة الجديدة التي تتجالف بتلك البلاغيات نحو تأويلية القراءة وسيماءوية التأويل³.

في المقال السادس تناول الناصية والتناصية في المعلقات، فقسّم التناص إلى ثلاثة أقسام بداية بالتناص اللفظي الذي قسّمه على خمسة حقول تمثّلت فيما يلي: الطلل والرسم والدار والمنزل وما في حكمها، ثمّ الماء والمطر وما في حكمهما، فأداة التشبيه (كأنّ) وما في حكمها، فلفظ الحيّ، وختمها بلفظي البكاء والدمع وما في حكمها، ليذهب بعد ذلك إلى التناص المضموني الذي يتوسّع إلى التناص النسخي الذي يطلق عليه أيضا بالتناسخ كأن ينسخ شاعر على منوال شاعر آخر وأخيرا التناص الدّاتي ويقصد به التكرار الذي يحدث لدى ناص واحد عبر قصائده من حيث يشعر أو من حيث لا يشعر⁴.

¹ عبد الملك مرتاض: السبع المعلقات؛ مقارنة سيميائية أنثروبولوجية، ص 67

² المصدر نفسه: ص 88

³ ينظر: المصدر نفسه: ص 108، 109

⁴ ينظر: المصدر نفسه: ص 378، 379

الناقد اعتبر التناص من أساسيات إثارة التفاعل بين الشعراء، باعتباره المادة الأولى التي كان أصحاب المعلقات يعتمدون عليها لتأليف قصائدهم، كما كان يسمح لهم بتمثيل المصالح المشتركة التي كانت تجمعهم معاً. أما المقال السابع فوقف فيه على موضوع الإيقاع في المعلقات إذ ربطه بفنّية الجمال ثم ربط جماليته بالدلالة، تحت إجراء التأويلية القائم أساساً على التعامل مع النصّ الأدبي بحريّة تنهض على التماس المخارج والمواالح للنصّ، والسلوك بقراءته في مضطربات جماليّة وسيميائيّة تكون في الغالب مفتوحة الحدود غير منغلقة الآفاق¹.

وفي المقال الثامن أثار الناقد قضية "رمزيّة المرأة في الشعر الجاهلي"، متسائلاً عن الإشكاليات التالية: هل نساء المعلقات رمزيّات؟ ماذا عن حقيقة المرأة الجاهليّة في المعلقات؟ موضّحاً أنّ الرّجل العربي سبق الرّجل الغربي بقرون طوال في السلوك الحضاري المتمثّل في التّعني بجمال المرأة والدّفاع عن كرامتها وشرفها وعفّتها، كما أنّ تعنيّ الشعراء بنساء معيّنات وذكرهم في قصائدهم، دليل قاطع على أنّ هؤلاء الشعراء كانوا يحبّون نساء بأعيانهم ولم يكن ذلك مجرد رمز من الرموز، ولا مجرد قيمة من القيم الفنّيّة أو الجماليّة².

تناول في المقال التاسع المظاهر الاعتقاديّة للعرب في الجاهليّة، فوقف على «طائفة من المعتقدات العربيّة القديمة المرتبطة بالطّقوس الوثنيّة، وحلّلتها تحليلاً أنثروبولوجياً مثل: الذّبائح، العتائر، التّمائم، مسألة تقدّيس الثّور في المعتقدات الجاهليّة، وطواف العذارى حول بعض الأصنام مثل طوافهنّ حول صنم دوار، وغيرها ممّا له صلة بما كلعبة الميسر التي كانت طقوسها العجيبة لا تخلو من مظاهر اعتقادية متعدّدة»³.

¹ ينظر: عبد الملك مرتاض: السبع المعلقات؛ مقارنة سيميائية أنثروبولوجية، ص388

² ينظر: المصدر نفسه: ص416

³ المصدر نفسه: ص443

تناول مسألة الصناعات والحرف التي كان العرب يمتازون بها في الجاهلية، قراءة أنثروبولوجية حاول من خلالها الكشف عن الخصائص التفصيلية للحياة الجاهلية الأولى انطلاقاً من نصوص المعلقات السبع، ومما استخلصه الناقد في دراسته أنّ العرب كانت كثيرة الاهتمام بالصناعات والحرف التي تؤمن للناس الحد الأدنى من الرفاهية، ومن الصحة، ومن صحة الحيوان، ومن الدفاع عن النفس ومن التماس للعيش الرقيق ما أمكن، والرغيد ما وجد إليه سبيل من السبل كآلات والتجهيزات التي كانت تتخذ للسفر في اتجاهين إما آلات راحة الإنسان كالسرج والرحالة والركاب، وإما آلات راحة العيون المركوب ابتغاء التحكم فيه دون إيذائه، مثل الزمام واللجام ونحوهما¹.

منهج عبد الملك مرتاض السيميائي حافل بالممارسات التطبيقية وثمرات النقد التنظيري الذي قوّم منهجه في التحليل، وهذه حسنة تحسب له، وهي التي ميّزته عن سائر النقاد في الجزائر على المستوى الوطني، وفي الوطن العربي على المستوى الدولي، ومن كتبه في هذا المجال أيضاً كتاب "شعرية القصيدة؛ قصيدة القراءة؛ تحليل مركّب لقصيدة أشجان يمانيّة للشاعر اليماني عبد العزيز المقالح، والذي تناول فيه هذه القصيدة بمنهجية جديدة متمثلة في المنهج السيميائي والأسلوبي، وهو الذي حلّلها من قبل بنويوا في كتابه الأول "بنية الخطاب الشعري؛ دراسة تشرّحية في قصيدة أشجان يمانيّة". الناقد في هذه الدراسة، يستهلّ منهجه بمقدمة تحدّث من خلالها عن "منهجة الكتابة التحليلية" وهدفه في ذلك إثارة قضية العلاقة القائمة بين المبدع والمتلقّي، وتأكيد على نظرية القراءة الأولى والثانية، وأنّ مسعاه الأول في هذا الكتاب «لم يكن إلاّ من أجل ترسيخ مفهوم القراءة بالمفهوم السيميائي لهذه القراءة التي آثرها أن تعتمد على خمسة مستويات»².

من المسلّمات التي يثيرها الناقد كثيراً قضية القراءة المتعدّدة للنصّ الواحد، حيث يرى أنّ النصّ غير قابل للغلق، بل ينبغي أن يبقى مفتوحاً، ولأيّ ناقد أن يكتب في النصّ مرّات عديدة، وهذا ما

¹ ينظر: عبد الملك مرتاض: السبع المعلقات؛ مقارنة سيميائية أنثروبولوجية، ص 482، 483

² عبد الملك مرتاض: شعرية القصيدة، قصيدة القراءة، تحليل مركّب لقصيدة أشجان يمانيّة، دار المنتخب العربي، لبنان،

صنعه حين تعرّض لهذه القصيدة مرّتين، الأولى وفق المنهج التشريحي، والثانية بإجراء التشاكل الذي «عدّه فرعا من الفرعيات السيمائية التي اهتدى إليها غريماس في تأملاته وتجاربه حول نظرية النصّ الأدبي، وقد حلّل بها نموذجا قصيرا استشهد به من نصّ سردي فرنسي قصير، كتب سنة اثنتين وستين وتسعمائة وألف، فاستخرج منه خمسة تشاكلات»¹.

عبد الملك مرتاض يختلف عن الناقد غريماس (Greimas) في قضية ممارسته تعددية القراءة على النصّ الواحد، وهذا ما أشار إليه في قوله: «إشكالية القراءة التي تمارس على نصّ برؤى ومناظير متعدّدة، ولكنها تظلّ أبدا مختلفة، وعلى الرغم من أنّ غريماس يرفض في بعض كتاباته المتصلة بالنصّ تعددية القراءة»². كما استخدم الكاتب طريقة تعددية القراءة، وفق المستويات التالية:

- المستوى الأول: قراءة تشاكلية انتقائية
- المستوى الثاني: قراءة تشاكلية تحت زاوية الانحياز
- المستوى الثالث: قراءة انزياحية لنصّ أشجان يمانية
- المستوى الرابع: قراءة تحت زاوية الحيّز، لقصيدة أشجان يمانية
- المستوى الخامس: قراءة سيميائية مركّبة.

درس الناقد في المستوى الأول التشاكل (Isotopie) كمصطلح من المصطلحات السيميائية، وهذا ما اعترف به قائلا: «يبدو أنّ هذا المصطلح لم يجر في العربية إلاّ في بداية الأعوام الثمانين، من هذا القرن ولا نعرف معجما عربيا مما نملك نحن على الأقلّ عرض لهذا المفهوم السيميائي، الذي لا يبرح طريّ الإهاب قشيب الثياب، حيث لم يجر في لغة السيميائيين إلاّ منذ أن اصطنعه غريماس آخذا إياه من مصطلحات الكيميائيين، فوقه بدلالة اصطلاحية جديدة»³.

¹ عبد الملك مرتاض: شعرية القصيدة، قصيدة القراءة، تحليل مرّكب لقصيدة أشجان يمانية، ص 81

² المصدر نفسه: ص 21

³ المصدر نفسه: ص 4

اعتمد مرتاض على المنهج الأسلوبي في تحليل هذه القصيدة، فاستخرج حوالي سبعة وثلاثين (37) تشاكلا، مستعينا في ذلك بالمنهج السيميائي المتمثل في المربع السيميائي، ونظريات فرانسوا راستي (François Rastier) السيميائية¹.

ذكر محمد مفتاح في كتابه " تحليل الخطاب الشعري " أن فرانسوا راستي (François Rastier) يعتبر التشاكل على أنه تكرار للوحدات اللغوية، مهما كان نوع هذه الوحدات، فعَممه ليشمل التعبير والمضمون معا، ثم فتح له مجالا ليشمل التشاكل الصوتي، النبري، الإيقاعي والمعنوي².

وهذا ما جعل محمد مفتاح يقرّ على أن فرانسوا راستي (François Rastier) وغريماس (Greimas) يشتركان كثيرا في تحديد مفهوم التشاكل لكن راستي يضيف عناصر أخرى تتمثل فيما يلي:

- التشاكل يعيد الغموض في بعض النصوص التي تحمل التأويلات المختلفة بعد قراءتها وهذا ما يؤهله لإنتاج التباين الصحيح للنصوص المهمة.
- يعتبر بمثابة الآلية الصحيحة التي تحقق ترابط النص وانسجامه.

أما في المستوى الثاني أراد الناقد دراسة النصّ دراسة داخلية «انطلاقا من الخصائص اللسانية والبنوية والسيميائية التي تتطافر مجتمعة على تشكيله، لا من قواعد منهجية جائزة فجّة، يهجم بها عليه، ويحشره في غياباتها حشرا أعمى»³.

¹ ينظر: عبد الملك مرتاض: شعرية القصيدة، قصيدة القراءة، تحليل مركّب لقصيدة أشجان يمانيّة، ص41،42

² ينظر: محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية النّصّ)، المركز الثقافي العربي، الرباط، المغرب، ط2؛ 1986، ص19

³ عبد الملك مرتاض: شعرية القصيدة، قصيدة القراءة، تحليل مركّب لقصيدة أشجان يمانيّة، ص86

وجد الناقد أنّ النصّ حافل بالتشاكلات الذاتية، حيث أشار إليها على أنّها تقوم وفق «النزعة الذاتية التي تجسدها الأنا المفترسة في النفس البشرية، فالأنا تنطلق من حميم الذات الفردية، ثمّ تمتدّ على حميم الذات الجماعية (الأسرة، أقارب) على أن تشمل الوطن»¹.

للأنا الإنسانية دور بارز في النزعة الذاتية الموجودة في النصّ سواء أكانت (أنا) الفردية أم الجماعية، وهذا ما جعله يقسم التشاكل إلى ثلاثة أقسام بداية بالتشاكل الامتلاكي الذي يقوم على احتواء امتلاك الشيء والاعتزاز به، ثمّ انتقل إلى التشاكل الأناني الذي ينهض على المعنى الترحسني المكتسبي بالأعراض المرضية النفسية... وإتّما آتية بمعنى نحن أو الجماعة... وإذن فأنا النصّ هنا أنته ونحنه وهي هوه وهيه هي ضمير الجماعة ما كان منها وما هو كائن وما سيكون².

بالإضافة إلى التشاكل المتذاتي الذي يحاول الذوبان في الذات الأخرى أو الإذعان لها، أو السير في سبيلها طوعا واختيارا، فهو إذن يجسّد الخضوع والاستسلام، ويخصي الناقد عدد التشاكلات في كلّ نوع، حيث بلغت عدد المتشاكلات المجسّدة للامتلاك تسعا وعشرين متشاكلا، وتلك المجسّدة للأنا بلغت ستّا وعشرين، أمّا التشاكل المتذاتي لم تتواتر في النصّ إلاّ عشرين مرّة...³

أخذ عبد الملك مرتاض هذا المصطلح من المدرسة الغربية كإجراء سيميائي متأثرا بما توصل إليه السيميائي غريماس كونه أداة هامة في استخراج العلاقات الدلالية الموجودة داخل الخطاب الأدبي، لكنّه لم يغفل عن البلاغة العربية التي تناولت هذا الموضوع بمصطلحات تراثية عربية كالمقابلة، النظير، المماثلة والمشابهة...

¹ عبد الملك مرتاض: شعرية القصيدة، قصيدة القراءة، تحليل مركّب لقصيدة أشجان يمانية، ص ن

² ينظر: المصدر نفسه، ص 108، 109

³ ينظر: مسعودة أرفيس: تمثّل الحداثة في أعمال عبد الملك مرتاض التقديّة؛ كتاب شعرية القصيدة؛ قصيدة القراءة، تحليل مركّب لقصيدة أشجان يمانية؛ أمودجا، أطروحة ماجستير، (منشورة)، جامعة محمد بوضياف المسيلة، الجزائر، 2014/2015، ص 84

درس الناقد في المستوى الثالث من التحليل الانزياح كإجراء سيميائي، فعرفه من الناحية اللغوية، ثم اعتبره من المصطلحات المتسرّبة إلى «النقد الحدائي العربي من اللفظ الفرنسي (L'écart) الذي هو أيضا مأخوذ من الفعل (S'écarter) الذي هو ابتعد وتناهى»¹.

يجد عبد الملك مرتاض مصطلح الانزياح على باقي المصطلحات العربية الأخرى التي ترجمت إليه على غرار الانحراف، العدول، التنافر، الغريب، وهو بذلك يتفق مع المدرسة الغربية التي تعتبر الانزياح «حدث أسلوبى ذو قيمة جمالية، يصدر عن قرار الذات المتكلمة بفعل كلامي يبدو خارقاً لإحدى قواعد الاستعمال التي تسمى (معيّاراً) يتحدد بالاستعمال العام للغة، المشتركة بين مجموع المتخاطبين بها»².

أشار عبد الملك مرتاض إلى أنّ الانزياح بأنه «حرق للقواعد المدروسة المعيارية للأسلوب، هدفه توتير اللغة لبعث الحياة والجدة والرّشاقة والجمال والعمق والإيثار والاختصاص وما إلى هذه المعاني التي تراد من تحريف استعمالى أسلوبى عن موضعه»³.

استند الباحث في تطبيق هذا الإجراء على طريقتين اثنتين هما:

- اللسانيات المعجمية: فقدّم مفاهيم متعدّدة لهذا الإجراء.
- السيميائيات: ركّز على ما قاله السيميائيون الغربيون وما قدّموه من مفاهيم ودلائل خاصة بهذا الإجراء.

¹ عبد الملك مرتاض: شعرية القصيدة، قصيدة القراءة، تحليل مرّكب لقصيدة أشجان يمانية، ص 128

² يوسف وغليسي: مصطلح (الانزياح) بين ثابت اللغة المعيارية الغربية ومتغيرات الكلام الأسلوبى العربي، علامات في التقّد، النّادي الأدبي الثّقافى، حدّة، ع 64، ص 2008، ص 190

³ عبد الملك مرتاض: المصدر السابق، ص 129

ما قدّمه الناقد من تطبيقات لهذه النظريّة ارتأينا أن نتطرّق إلى ما أشار إليه في الآية الكريمة ﴿إِيَّاكَ

نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾¹.

فالأصل العادي للكلام هو «نعبدك ونستعينك» أو «نعبد إياك، ونستعين إياك»، وذلك على أساس أنّ التّركيب العربي المألوف يبدأ بالفعل، ثمّ الفاعل، أو بالمتبداً ثمّ الخبر، أو باسم الفاعل حين إرادة إسناد الفعل إلى صاحبه، أو باسم المفعول حين إرادة إسناد وقوع المفعوليّة عليه، ولكنّ القرآن في جبروت بلاغته وإعجازيّة نسجه اصطنع الانزياح الأسلوبي ليهيّر ويسحر»².

ففي هذه الآية الكريمة استخرج الناقد مجموعة من الانزياحات الأسلوبيّة، بداية بالالتفات إلى ضرورة إخلاص العبادة لله تعالى، وهو خطاب ناشئ عن إرادة إنسانيّة تخلص النيّة لله تعالى وتفردّه بالعبودية وحده لا شريك له، كما أنّ لتقديم المعبود على العابد إشارة ربّانيّة تؤدّي غاية أسلوبيّة، كما للإيقاع صدى واسع في أذن المتلقّي حين يتلو هذه الآية، ففيها التأكيد المتكرّر على عظمة المعبود سبحانه وتعالى، ومن النّاحية السيميائية هناك مشاكلتان اثنتان: «إحداهما لفظية (إيا + ك؛ إيا + ك)، والأخرى معنويّة (نعبد + نستعين)، إذ الاستعانة بالله ليست إلّا ضرباً من عبادته»³.

تناول مرتاض في المستوى الرّابع "الحيز في قصيدة أشجان يمانيّة"، لأنّ الحيز جزء لا يتجزأ من إجراءات التّحليل السيميائي، حيث قدّم مجموعة من المفاهيم الغربية الخاصّة بهذا الإجراء، على غرار أندريه لالاند (André Lalande)، لكنّ الناقد انحاز لتعريف إيجر القائل بأنّه «وسط نستطيع أن نموقع فيه كلّ الجسام، وكلّ الحركات»⁴.

¹ سورة الفاتحة: الآية:4

² عبد الملك مرتاض: شعريّة القصيدة، قصيدة القراءة، تحليل مرّكب لقصيدة أشجان يمانيّة، ص 133، 134

³ ينظر: المصدر نفسه: ص 135

⁴ المصدر نفسه: ص 181

ما لاحظناه في تحليل عبد الملك مرتاض مقارنة القصيدة سيميائيا لأنّ «الحيز في المجال السيميائي لا ينبغي له أن ينفصل عن أصله القائم على البصريّة، والحجميّة، والمساحيّة، والامتداديّة، والبعديّة... وتكمن وظيفة السيميائيّة حينئذ في تفسير الأشكال والخطوط والأبعاد بتأويلها في إطار عالم السّمة»¹.

اعتمد النّاقد في قراءة الحيز لهذه القصيدة على المنهجيّة التّالية:

- قراءة حيز نصّ "أشجان يمانية": أشار إلى غلاف النصّ وحجمه وصفحاته وطبعته وانتمائه ولوحاته.
- الحيز السّطحي لنصّ "أشجان يمانية": المتمثّل في الألفاظ الجامدة غير المؤثّرة في التّمسّ البشرية، لكنّ المبدع هو الشّخص الوحيد القادر على بعث نفس جديد وإحيائه، بعد إثارة ألفاظ جديده وإحيائها بعد مماتها.
- الحيز السيميائي في قصيدة "أشجان يمانية": والذي أثار فيه مسألة الحيز/الوطن، الحيز/المنفى/الحيز المحايد.

في المستوى الخامس درس النّاقد القصيدة قراءة سيميائية مركّبة من مفاهيم أساسية في المنهج السيميائي وهي " الأيقونة، القرينة، الرّمز والإشارة"، وتطرّق لكلّ مفهوم نظيرا وتطبيقا، حيث ذهب النّاقد مولاي علي بوخاتم للحديث عن الأيقونة عند مرتاض، فوصفها بأنّها العلاقة الشّبيهة بالعالم الخارجيّ، وضرب مثلا على ذلك تمثّل في آثار أقدام تراها العين المجرّدة على طبقة ثلجيّة، فإنّ تلك الآثار ليست الأقدام التي مرّت من هناك فعلا، ولكنّها مثل لها، فالعلاقة التي تربط بين ما نطلق عليه

¹ عبد الملك مرتاض: شعريّة القصيدة، قصيدة القراءة، تحليل مركّب لقصيدة أشجان يمانية، ص ن

"المماثل" و " المماثل له" علاقة مشابهة ومماثلة للعام الخارجي...فقطرات الدّم المراقبة على الأرض سمة مماثلة للجرح الذي أصيب به شخص ما، وإذن فالسّمة الحاضرة هي التي دلّتنا على الشيء الغائب¹.

في حين أنّ مصطلح " القرينة" لخصه النّاقد في المثل السّائد عندنا "لا دخّان بلا نار" وهو مثال واحد لهج به السيميائيون للدلالة على القرينة، فالدخّان قرينة مباشرة لوجود النّار بينما النّار هنا لا يجب أن نعدّها سلوكها أو حالها سيميائية (لأنّها لا تستطيع أن تختار) أي لا تستطيع اختيار بثّ هذا الدخّان، لكنّ النّاقد رأى في "النّار" سلوكا سيميائيا مباشرا وتعليه في ذلك أنّ العرب كانوا يشعلون النّار طلبا للهداية، واهتداء عابري السبيل كون هذا الأمر كان دافعا حضاريا إنسانيا، يمثّل عقدا اجتماعيا بين عابري سبيل ومضرميها دون أن يتحدّث أحد مع أحد².

كما أشار إلى مفهوم الرّمز حين قوله بأنّ «الرّمز يتّخذ أثوابا شتى ويتشكّل في أشكال مختلفة مجسّدة حيّة او ناطقة مسموعة أو خرساء منظورة كالنّار العربيّة والكتابات الإشهارية والكتابات الشعاريّة...»³.

وما أثاره النّاقد في هذا الموضوع المثل القائل "الميزان رمز العدل" وحيّته في ذلك أنّ «اتّفاق النّاس على رمزيّة الميزان للعدل في حدّ ذاته هو علّة قائمة على وراء هذا المثل»⁴.

وما يمكننا الإشارة إليه أنّ الرّمز قد يكون مرسوما مثل الرّموز الخاصّة بالنّوادي الرّياضيّة، أو مكتوبا مثل الكتابات المدوّنة في مدخل المراكز التجاريّة والدكانين والحوانيت، أو منقوشا على الصّخور، أو مسموعا مثل صوت الرّعد.

¹ ينظر: مولاي علي بوخاتم: مصطلحات النّقد العربي السيماءوي؛ الإشكالية، الأصول والامتداد، منشورات اتحاد الكتّاب

العرب، دمشق، (د ط)، 2005، ص 234

² عبد الملك مرتاض: شعريّة القصيدة، قصيدة القراءة، تحليل مرّكب لقصيدة أشجان يمانية، ص 237، 238

³ المصدر نفسه: ص 241

⁴ المصدر نفسه: ص 240

أما مصطلح الإشارة فإنّ عبد الملك مرتاض يرجع في هذه الجزئية إلى «التراث وبالضبط إلى الجاحظ معترفاً أنّه اقترب من هذا المفهوم كأداة للدلالة على الحال سواء كانت هذه الإشارة بالرأس أم بالعين أم بإحدى الشفتين... أم باليد... أم بلفظ ما، فإنّها في كلّ الأطوار تدلّ على الحال وتفضي إلى شيء، فهي سمة دالة مسندا حديثه على آراء بيرس، كما أنّ الإشارة تتمظهر في مظهرين أساسيين هما: الإشارة الناجمة عن لغة غير طبيعية كإشارة الضوء الأحمر التي تخاطب صاحب السيارة من غير خطاب بالمنع، أو تكون الإشارة بصرية أو صوتية كمنبهات البواخر، أو سمعية كقرع الأجراس»¹.

يمكن القول بأنّ كتاب "شعرية القصيدة" يمثل إضافة للمكتبة الجزائرية في مجال السيميائية نظيراً وتطبيقاً، بفضل ما أضافه الناقد للمتلقّي في هذا المنجز من عديد الإجراءات و الأدوات السيميائية التي اهتدى إليها، والتي تعتبر نظريّات جديدة يمكن للمتلقّي السير على منوالها في تحليل النصوص الأدبيّة، كما لا ننسى الأمثلة الوفيرة التي أحسن توظيفها، ممّا سهّل الفهم ويسرّ الشرح على القارئ .

يدرج عبد الملك مرتاض ضمن النقاد المحترفين في الممارسات النقدية، وذلك من خلال سعيه لتطبيق المناهج الحدائرية على النصّ القرآني، انطلاقاً من مرجعيّاته الدينيّة والمعرفية والفلسفية، حيث امتلك العديد من الدّراسات التّطبيقية للنصوص النّثرية والشّعريّة والدينيّة، تنظيراً وتطبيقاً، ولعلّ كتابه "نظام الخطاب القرآني؛ تحليل سيميائي مركّب لسورة الرّحمن" جزء من هذه الدّراسات التي ألّفها خدمة لكتاب الله، كيف لا وهو الذي كانت تربطه «بالقرآن الكريم صلة روحية حميميّة منذ المبكّر حيث كان أوّل ما حفظت، فأمعنت في ختمه إحدى عشرة مرّة»².

¹ مسعودة أرفيس: المرجع السابق، ص 96

² عبد الملك مرتاض: نظام الخطاب القرآني؛ تحليل سيميائي مركّب لسورة الرّحمن، دار هومة للطباعة والنّشر والتوزيع، الجزائر، (د ط)، 2001، ص 7

يحتوي هذا الكتاب على أربع وثلاثمائة (304) صفحة، وما ساعده في تأليف هذا الكتاب ثقافته الدينية الواسعة، فقد «تناوله من غير ما لم يتناوله أحد قبله، فيما اطلع عليه من مراجع، وفي حدود ما بلغه من علم قد يكون مضطربه ضيقاً محدوداً، ولكنه صادق فيما يزعم، وقد ركز مسعاه خصوصاً على المقاربات السيميائية التي أفاد المتلقي من أدواتها المدهشة، وحاول تطويرها لدى التطبيق، مبدياً من نصّ هذه السورة الكريمة شيئاً من جمالها المذهل»¹.

أول خاصية أسلوبية أثارها الناقد في سورة الرحمن، خاصية التكرار التي بينت عظمة جمالية النصّ القرآني وإعجازه، والشاهد هنا أنه تنبّه إلى تكرار بنية التثنية التي صنعت إيقاع " أن" في سورة الرحمن، كما أنه لم يغفل عن أسبقية العرب القدامى في شرحهم لهذه الظاهرة الأسلوبية من خلال إجراء الخطاب بمخاطبة المفرد على اعتبار المثني، حتى كاد البناء على التثنية يستغرق سورة الرحمن بجمليتها. ، ولعله تجاوز العرب القدامى منح خلال توظيف أدوات أكثر حداثة و جدّة مع العلم أنه عرف برؤيته التأصيلية في مسعاه القرائي².

و قدّم الناقد في هذا الكتاب الكثير من الشواهد الدالة على اهتمامه الكبير بالمنهج السيميائي، الذي وظّفه بطريقة المزاجية والتركيب، وهذا سعيًا منه لبيّن آلياته وإجراءاته ومرونته الكائنة في ربطه بالمناهج الأخرى على غرار الأسلوبية، البنيوية، التفكيكية، وما هو الآن في هذه الدراسة ينتهج السيميائية والأسلوبية في نظام الخطاب القرآني الذي وظّفه في سورة الرحمن (أموذجاً)، فقسّم دراسته إلى مستويات تناول في المستوى الأول قضية تأويل بعض مشكل القرآن التي أجاز الله عزّ وجلّ للراسخين في العلم الخوض فيها، دون المساس بالعقيدة الصحيحة، والإخلال بالآداب الإسلامية .

¹ عبد الملك مرتاض: نظام الخطاب القرآني؛ تحليل سيميائي مركّب لسورة الرحمن، ص17

² ينظر: آمال شرفاوي: جمالية الإيقاع في الخطاب القرآني عند عبد الملك مرتاض، مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية، ع55، ص2019، ص57

بعد ذلك وصل الباحث إلى ما كان يصبوا إليه وهو الكشف عن نظام العلامات في النصّ القرآني، فتناول في المستوى الأوّل الزمن وأيّ زمن؟ إنّه الزمن القرآني!!! الذي نعجز عن الحديث والتعمّق فيه، فقسّمه مرتاض إلى ثلاثة أقسام تمثّلت كما يلي:

❖ "الزمن السرمدي: المتعلّق بالله تعالى"

❖ "الزمن الأبدي: المتعلّق بالنجوم والكواكب"

❖ "الزمن العارض: المتعلّق بالإنسان"، لكن لما كان مرتبطاً بمشيئة الله أحاله مرتاض في معظم التّصوّرات إلى الزمن الأوّل¹.

تطرّق مرتاض في المستوى الثّالث لمسألة الحيز القرآني، الذي بدوره صنّفه إلى ثلاثة أصناف تمثّلت كما يلي:

« "الحيز الإلهي": لا نستطيع التّقول فيه إلّا بعض ما تصوّرنا من أمرنا، شبّهه بتصوّر أهل التّصوّف.

"الحيز الرّوحي": هو الذي يتجسّد في الجنّة والنّار من حيث هما مكانان في أيّ تصوّر.

"الحيز الكوني": هو مثل ما يتجسّد في بعض مظاهر الكون كالشمس والقمر والأرض والنّجوم...»².

فالحيز الإلهي لا تحدّه حدود ولا تعدّد عدود، لا قوة إلّا بعظمة الخالق عز وجلّ، الذي خلق فأبدع فأعجز بعلمه اللّدي وقوته العظمى ورحمته الواسعة.

انبرى النّاقد بعد ذلك يفكّ بعض الرموز السيميائية الموجودة في السّورة القرآنية على غرار مصطلحات: التّشاكل، التّباين، الانتشار والانحصار، فقد تناولها في ثلاث وخمسين آية من مجموع

¹ ينظر: عبد الملك مرتاض: المصدر السابق، ص 19

² عبد الملك مرتاض: نظام الخطاب القرآني؛ تحليل سيميائي مرّكب لسورة الرّحمن، ص 20

ثماني وسبعين آية، في حين أنّ غايته المرجوة من وراء هذا المسعى لم تكن «متابعة استقرائية للغة القرآن عبر سورة الرّحمن كلّها، وإتّما كانت رسم طريق، وترسيخ منهج، أمام القارئ أساساً»¹.

اعتمدت دراسة الناقد في المستوى الخامس على المنهج الأسلوبي كونه الأنسب لذلك، خاصّة في مسألة نظام النّسج القرآني، المتكامل في جميع النّواحي، المعجز بألفاظه وعباراته، التي تحمل اللّيونّة أو العنف متى أراد الله ذلك، المتميّز بتركيب كلماته الوحيدة القادرة على تجسيد مشاهد وصور عجز البشر عن الإتيان بمثلها قديماً وحديثاً، المتفرّد بأية السّموّ والجمال والدقّة والعمق، «لغة القرآن عبقرية النّسج التي تجلّت في آية أو سورة، وعلى أيّ نحو عرضت لها بالتّحليل، فيها آيات عجيبات من البدائع البلاغية تتجسّد في البناء الإفرادي، كما تتجسّد في البناء التّركيبي، محسّدة في شكل تشاكولات صوتية بديعة»².

من الإجراءات المنهجية التي أثرى بها الكاتب منهجه في هذا الكتاب دراسته البنية الإيقاعية في سورة الرّحمن، فاستهلّها بمقدّمة منهجية ثمن فيها دور الإيقاع وجماليته في الشّعْر والنّثر والقرآن الكريم متسائلاً عن أيّ تصنيف نضع فيه القرآن الكريم؟ فخلص في الأخير إلى حكمه القطعي على سيادة القرآن على وجه الإطلاق في الأساليب عامّة، لأنّ روائع الآداب العالميّة الآن معروفة لدى الدّارسين، إمّا بقراءتها في لغاتها الأصليّة، وإمّا بالاطّلاع عليها في ترجمات تقييية أو دقيقة، كونه لا يعرف في هذا الوجود أثراً أروع من القرآن، وإنّ خرست ألسن الدّارسين من غير المسلمين غيرة وحسدا ومكابرة³.

ومّا لاحظناه أنّ الكاتب درس خصائص البنية الإيقاعية في سورة الرّحمن دراسة تطبيقية، انفرد بها عن غيره من التّقاد، فقسّم الإيقاع إلى قسمين، بداية بالإيقاع الخارجي الذي حدّده في ثلاثة فونيمات: (آن) المهيمن على خواتم أي هذه السورة، ف(آم) المتوارد خاتماً سبع آيات، ثمّ (آر) المتوارد

¹ عبد الملك مرتاض: نظام الخطاب القرآني؛ تحليل سيميائي مركّب لسورة الرّحمن، ص 21

² المصدر نفسه: ص 221

³ ينظر: المصدر نفسه: ص 267

مرتّين فقط «والذي يشفع لهذا المقطع الصوتي من الاندماج في الإيقاع العام المستحوذ على فواصل هذه السورة شيئا اثنان: الأولى أنه ينتمي في بنيته إلى الإيقاع المستحوذ على أساس اشتراكه معه في عمدة الألف اللينة القابلة للامتداد لدى الوقف على ما بعدها، سواء وقفنا على أي حرف آخر، فإنّ الصّوت الموقوف عليه يدوب في المدّ الذي يسبقه، والإيقاع لا ينكسر»¹.

أمّا القسم الثاني الذي تناوله المدوّن فتمثّل في الإيقاع الداخلي، الذي أشار من خلاله مرتاض كونه العنصر المتحكّم في الإيقاع الخارجي، مراعيًا «مبدأ التكافؤ في التّقابل مورفولوجيا، والتّماتل في التّشاكل نحويا وتركيبيا، ومن التّشكيلات الإيقاعية العجيبة التي أوما لها (علم القرآن، خلق الإنسان) إذ شبّهها بمثابة اللوحة المتحرّكة، القادرة على تزويدنا بخمس تشكيلات إيقاعية، بفضل ثلاث فتحات متتالية تتحكم في طبيعة الصوت في الفعلين المتقابلين (علم، خلق)، والاسمين المعرّفين (القرآن، الإنسان) المكونين من سبعة أحرف، المنتهين ب(آن)، وهذا ما جعل الإيقاع غنيًا منسجما بديعا»².

استخدم النّاقذ في دراسته الكثير من المراجع العربية الأصيلة، وهذا ما أعطى للكتاب صبغة خاصّة، وجعل دراسته عربية قحّة، إذ يعتبر من أبرز النّقاد الذين طبّقوا المنهج السيميائي على سور القرآن الكريم، ومن الكتب التي اعتمد عليها نذكر ما يلي: الفكر الإسلامي لمحمد أركون*، إعجاز القرآن الكريم لأبو بكر محمد بن الطيّب الباقلاني(ت403هـ)، الدّلالة الرّمزيّة للفعل في القرآن الكريم لعبد الكريم بكري، الإشارات الإلهية لأبو حيّان التّوحيدي(ت414هـ)، البيان والتّبيين للجاحظ(255هـ)، ومجموعة من كتب التّفسير على غرار كتاب الكشّاف عن حقائق غوامض التّنزيل، وعيون الأفاويل في وجوه التّأويل للزّخشي(ت538هـ)، ومجمع البيان في تفسير القرآن

¹ عبد الملك مرتاض: نظام الخطاب القرآني؛ تحليل سيميائي مرّب لسورة الرّحمن، ص283

² المصدر نفسه: ص289

* باحث ومفكر جزائري، ولد سنة1928م بالجزائر ببلدة(تاوريرت)، نشأ فقيرا، درس دراسته الابتدائية بعين الأرياء التابعة إقليميا لولاية عين تموشنت، واصل دراسته الجامعية بالجزائر في الفلسفة والأدب والقانون، تحصّل على شهادة الدكتوراه بجامعة السوربون بباريس، ثمّ درّس بها سنة1980م، مقياس تاريخ الفكر الإسلامي وفلسفته، ألف العدي من الكتب منها: الفكر الإسلامي، قراءة علمية، العلمنة والدين، الفكر العربي...

للطبرسي (ت548هـ)، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير (ت774هـ)، وتفسير التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور (ت1393هـ)، أما المراجع الأجنبية تكاد تكون منعدمة إلا بعض ما كتبه الفرنسي غريماس (Greimas).

ومن الدراسات السردية التراثية التي طبّق عليها الناقد منهجه السيميائي فنّ المقامات وهو ما تجسّد في مؤلّفه "مقامات السيوطي؛ تحليل سيميائي لجمالية الحيز في المقامة الياقوتية"، فقام بتعريف هذا الفنّ وتبيان ماهيته، ثمّ تناول هذه المقامة في أربع مستويات تمثّلت فيما يلي:

1. المستوى الأوّل: التّشاكل في المقامة الياقوتية: تطرّق في هذا المستوى لثلاث مواضيع:

أ. صاحب المقامة

ب. الحديث النبوي الوارد فيها

ج. استشهاده بالشّعر

2. المستوى الثّاني: سيميائية الألوان في المقامة الياقوتية: فذهب في هذا المستوى يبحث عن الإشكاليات الثّالية: بداية بتساؤله عن الألوان التي طرح صاحب المقامة في هذه الدّراسة؟، ثمّ كلامه عن الألوان المسيطرة على هذه المقامة؟ وكذا الألوان الغائبة عن نصّ هذه المقامة؟ فالألوان الصّريحة ثمّ المؤوّلّة؟ وقد أشار مرتاض إلى هذا قائلاً: «فإنّنا وقد بلغ بنا المطاف إلى هذا الحدّ من الطّول الذي لا نريده مسرفاً، وكيفما يتلاءم ما أمكن مع مقدار مستويات التّحليل الأخرى، فإنّنا نؤثر التوقّف لدى هذا القدر، تاركين السّائر للقراء ممّن يودّون متابعة هذا السّعي إمّا حدو النّعل بالنّعل، وإمّا الاعتراض والتّبكيك، فكلّا الموقفين سيسرّنا سرورا»¹.

¹ عبد الملك مرتاض: مقامات السيوطي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، (د ط)، 1996، ص110

3. المستوى الثالث: تطرق فيه لجمالية الحيز في المقامة الياقوتية، في ثلاثة أضرب وهي: الحيز الثابت والمتحرك ثم الروحي.

4. المستوى الرابع: ركّز فيه على دراسة البنية الإيقاعية متمثلة في الإيقاع الخارجي والداخلي والإيقاعات المتناسّة وقد أشاد خالد بن محمد الجديع بعمل مرتاض الكبير من خلال تطبيقه المنهج السيميائي على المقامة واعتبره من التّقاد الأوائل الذين اهتمّوا بهذا الجنس الأدبي بداية من مؤلّفه الأوّل "فنّ المقامات في الأدب العربي"، وتقدّم به إلى جامعة الجزائر لنيل شهادة الماجستير، حيث اعتبره الجديع «أول كتاب يعالج فنّ المقامات بوجه عام من يوم بزوغه إلى يوم أفوله، بالإضافة إلى البحث عن خصائصه الفنيّة، والخوض في تطوّراته خلال عصور تاريخ الأدب العربي»¹.

ومن الأسباب التي جعلت مرتاض يعود من جديد لتأليف كتاب "مقامات السيوطي" موعدة وعدها مرتاض للجنة التحضيرية لندوة السيوطي المقامة بجامعة مؤتة، فتحدّد العمل تحت عنوان "تحليل سيميائي لجمالية الحيز في المقامة الياقوتية" وفي هذه الفترة كان عبد الملك قد تسلّح بالعمل النقدي، وتعزّف على المناهج الغربية ولاسيما المنهج السيميائي، ولقد صنّف خالد بن محمد الجديع هذا العمل لجبار لمرتاض في المركز التاسع من بين اثنين وعشرين (22) دراسة دوّنها في كتابه كونها الأكثر تعرضاً لسهام التقد، لأنّها الأكثر إثارة ومغامرة والأقرب لنفس الباحث، الذي اقتحم الجديد من خلال تبيّنه هذه الدّراسة، فلا أحد يجحد فضله في جدوى تطبيق هذا المنهج من جهة وإلى عناصر مقامية استجابت لمثير الطّارئ الحديث فأشرقت وتفاعلت من جهة أخرى².

ما لاحظناه في هذا الكتاب أنّه تناول المقامة الياقوتية بمنهج واحد وهو المنهج السيميائي بعيداً عما اعتدنا عليه بعد قراءتنا لكتب مرتاض الذي كان دائماً يؤسس مباحثه على منهجين أو

¹ عبد الملك مرتاض: فنّ المقامات في الأدب العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط2؛ 1988، ص3

² ينظر: خالد بن محمد الجديع: الدّراسات السردية الجديدة؛ قراءة المقامة أنموذجاً، نشرتها عمادة البحث العلمي، جامعة الملك سعود، (السعودية)، (د ط)، 2007، ص44-48

ثلاثة مناهج مركبة ومتراطة حسب نوعية الدراسة، أما دراسته لمقامات السيوطي فهي سيميائية بامتياز.

من خلال ما ذكرنا آنفا نستنتج أنّ منهج عبد الملك مرتاض ينماز عن غيره من النقاد بميزتين أساسيتين هما:

- الميزة الأولى: تعصّبه للتراث العربي الأصيل، وذلك من خلال توظيفه النصوص العربية الأصيلة في دراساته التطبيقية
- الميزة الثانية: استشرافه على عصر الحداثة من خلال تطبيقه هذه النصوص وفق المناهج الغربية التي وظّفها في نصوصه بما فيها السيميائية موضوع دراستنا .
- الرّبط بين الميزتين: لا يوجد إلاّ في ناقد ماهر يملك خلفيات معرفية كبيرة في الثقافة العربية الأصيلة والثقافة الغربية المعاصرة.

2. إشكالية تعدد المنهج واللامنهج عند عبد الملك مرتاض:

مصطلح اللامنهج يعني انعدام المنهج أصلا، وهذا ما جعلنا نطرح الإشكال التالي: ماذا يقصد عبد الملك مرتاض بهذا المصطلح؟ وما هو اللامنهج الذي كان مرتاض دوما يذكره في مؤلفاته؟ وكيف يمكننا التفرقة بين المنهج واللامنهج؟ لكن مسألة اللامنهج ليست من ابتكار عبد الملك مرتاض بل هي فكرة رسّخها في عقله «أستاذه أندريه ميكال، والذي كان مشرفا عليه، لما كان بصدد تهيئة أطروحته في الدكتوراه تخصص الآداب بمعهد فرنسا بباريس (السوربون) فأفضى بهم الحديث عن إشكالية المنهج وطوائله، وعوائمه، ومعضلاته، فزعم له أستاذه في شيء من التحدّي العلمي أنّ المنهج هو اللامنهج»¹.

¹ عبد الملك مرتاض: التحليل الجديد للشعر، معالجة تحليلية لحمس القصائد التي قدّمت في نهائي الموسم السادس لأمير الشعراء، أكاديمية الشعر، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، ط1؛ 2017، ص39

اللامنهج هو الطّريق الذي ينوي الباحث الوصول إليه لكن دون تخطيط لذلك، بل تلقائياً دون اتّباع مذهب معيّن عامّة، أمّا في إطار تحليل النّصوص على اختلاف أجناسها فهو عبارة عن خطوات يتّبعها النّاقّد باتّباع منهج أو عدّة مناهج دون التّعبّس لها في خصائصها وآلياتها، والتي تكون سبباً في غياب صبغة النّاقّد وذاتيته ممّا يغلب المنهج على البحث فيجعله بحثاً لا فائدة منه، وهذا ما جعل مرتاض يحدّد اللّامنهج لأنّه الوحيد الذي يحقّق الأهداف التي يصبو إليها الباحث العلمي الحرّ في نظره.

وصف الكثير من النّقاد منهج مرتاض بالمتغيّر غير المستقرّ وبعونه بالفوضى والاضطراب، وهذا ما جعله يرّد عليهم مبيناً لهم أسباب اتّباعه اللّامنهج منهجاً متعمّداً ذلك، وهذا ما أكّده في إحدى كتبه حين زعم أنّ المسألة المنهجية تظلّ إشكالية عويصة في البحث في العلوم الإنسانية، إذ لا نرفض أيّ منهج كما لا نتعصّب إلى أيّ منهج على أساس أنّه لنا صنماً أو نحن عبداً له، لكنّ المتبع لمسيرتنا النّقدية يتفطن لفكرة تنقلنا من منهج لآخر، والذي قد نعدّل منه أو نطوّره، حيث أنّ أحد الباحثين من البحرين وصفنا بالاضطراب، والحقّ أنّ ذلك كان منّا عمداً وتعمّداً¹.

ينبذ عبد الملك مرتاض فكرة الخضوع للمنهج الواحد، لأنّه يدرك تمام الإدراك أنّ أيّ منهج يعترضه النقصان، الذي لا يستسيغه الباحث إلّا خلال عملية الممارسة النّقدية، وهذا ما يفرض على الباحث محاولة جبر هذا النقص باتّباع مجموعة من الآليات والإجراءات التي تعوّض هذا النقص، وضرورة الانطلاق من التّراث العربي مرورا بالمناهج الغربية وصولاً إلى منهج خاصّ به وهذا ما كان دوماً يسعى لبلورته ولقد صرّح بذلك في إحدى حواراته قائلاً «هذا هو المنهج الذي أحاول ان أرسّخه وأؤصّل له عربيّاً، أن لا أكون غريباً ولا أكون تراثياً، وإمّا أستفيد من التّراث العربي ومن حقول المعرفة الجديدة عند الغربيين، وأستفيد في الوقت ذاته من التّراث العربي»².

¹ ينظر: عبد الملك مرتاض: المصدر السابق: ص 40

² جهاد فاضل: أسئلة النّقد؛ حوارات مع النّقاد العرب، الدّار العربيّة للكتاب، (د ط)، (د ت)، ص 221

من خلال استقراءنا للمنجز التقدي لعبد الملك مرتاض وصلنا لفكرة مفادها أنّ الناقد يبدأ دراسته من خلال تبيان المنهج الذي يريد بسطه في كتابه، ثمّ بعد ذلك يغوص في هذه الدراسة في الجانب التراثي ميرزا آراء العرب الأولين في هذه الدراسة، ليدرج بعد ذلك هذه الدراسة أنثروبولوجيا أو بنيويا أو أسلوبيًا أو...، ثمّ بعد ذلك يدرس النصّ سيميائيًا كاشفا عن الأنساق الدلالية التي يستخرجها من العلامات اللفظية الموجودة في النصوص، متّخذًا آليات وإجراءات في إطار اللامنهج.

الناقد كان ميّالًا إلى اتباع طريقة اللامنهج، ومن «الوسائل اللامنهجية التي عمد إليها عبد الملك مرتاض في سبيل التخفيف من صرامة المنهج وضغطه على النصّ، والخوف من السقوط في شرك التقليد المنهجي الأعمى أن تكون محاولة التّركيب بين مناهج لم يسبق التّركيب بينها كما ركّب بين السيميائية والأسلوبية في "شعرية القصيدة؛ قصيدة القراءة" وبين السيميائية والتفكيكية في (أ- ي)... وكذلك فعل في كتابه "الشعر الأوّل؛ معالجة تاريخية رصدًا وأنثروبولوجية مقارنة وسيميائية تحليلًا لمطالع المعلقّات" فوضع ثلاثة مركّبات منهجيّة: التاريخ*، الأنثروبولوجيا** والسيميائيات*** مع حرصه الكبير على المجانسة بين العناصر المنهجية المركّبة»¹.

اعتبر بعض الباحثين اللامنهج بمثابة المنهج التكاملي المعروف بالمنهج المرقّع الذي يربط المناهج ببعضها كمحاولة للخروج بمنهج شامل، الأمر الذي جعل يوسف وغليسي يدافع عن أستاذه ويؤكّد للنقاد أنّ عبد الملك مرتاض يرفض المنهج التكاملي مضمونًا، من خلال قوله: «قد أعلن في مرّات كثيرة رفضه القاطع لما يسمّى المنهج التكاملي الذي عدّه خرافة مستحيلة التّحقّق، إلّا أنّ بعض

* إجراء اضطراري يلجأ إليه الباحث حين يتحمّم ارتباط النصوص بأصحابها كشعر المعلقّات التي تعرّض لها الناقد

** دراسة يتطرّق إليها الكاتب في تحليلاته للنصوص، ويتعلّق الأمر بالبيئة الاجتماعية الأولى التي كان يعيش فيها شعراء المعلقّات

*** وظيفتها الأساسية الكشف عن لأنساق الدلالية والجمالية للمعلقّات من خلال السمات اللفظية وتبيان سبل اشتغالها

¹ يوسف وغليسي: عاشق الصّاد؛ قراءة في كتابات العلامة عبد الملك مرتاض، ص242

الباحثين أساؤو إلى الناقد إساءة قصوى، نابعة من سوء فهمهم لمفهوم اللامنهج، ومقضية إلى تصنيفهم إياه في خانة المنهج التكاملي الذي طلما سخر منه ومن دعائه! ¹.

أحدث عبد الملك مرتاض ثورة كبيرة من خلال إثارته موضوع اللامنهج في دراساته ومن جملة الأسباب التي جعلته يحدّ منهج اللامنهج ويفضّله على المنهج التكاملي الذي كان معظم النقاد العرب يميلون إليه كما يلي:

- اللامنهج هو المنهج الوحيد الذي يحقق الحرّية للناقد في ممارساته التحليلية.
- في نظر الناقد لا يوجد منهج متكامل، وينصح النقاد بعدم الانسياق وراء منهج معين والتعصب له والدفاع عنه.
- اللامنهج عند مرتاض هو حيادية الناقد في تحليل النصّ والابتعاد ما أمكن عن الآليات المنهجية الممكنة التي تجعل النصّ مرنا قابلا لعمل نقدي مستقبلا.
- إنّ اعتناق مرتاض لفلسفة اللامنهج ساعده كثيرا فيما حقّقه من مؤلّفات كثيرة ساهمت في إثراء المكتبة الجزائرية والعربية.
- يندد مرتاض النقاد المقلّدين للمناهج الغربية، ويحتّم دوما على الإبداع والقراءة ما وراء القراءة.
- يرفض مرتاض فكرة تبني منهج غربي واحد كونه من الأسباب التي أخّرت العرب وأبعدتهم عن تراثهم العريق.
- اللامنهج عمل مرتاض الذي دأب على ممارساته لسنوات عديدة في مؤلّقاته واقتنع به كغاية ذاتية.
- قناعة عبد الملك مرتاض بمنهجية اللامنهج دليل قويّ على أنّ الناقد فقه المناهج الغربية بصورة كبيرة، سرعان ما أدرك أنّها لا تغني ولا تسمن من جوع فانزاح عنها وتجاهل أصولها المنهجية ما دام أنّ النصّ هو جوهر الإبداع والنقد ونقد النقد، في حين المنهج مجرد ركيّة يستعان بها فقط.

¹ يوسف وغليسي: الخطاب النقدي عند عبد الملك مرتاض؛ بحث في المنهج وإشكاليته، رابطة إبداع القلم، ص 86

- اللّامنهج عموماً هو الأخذ بالنّصّ وما فيه من أسرار وعلامات على حساب المنهج.
- اللّامنهج يحقّق فكرة استخراج الأنساق الدلالية الفنيّة والجمالية في النّصّ لأنّ ربط النّصّ بمنهج معيّن لا يحقّق هذه الخاصّيّة.

3. إشكالية التّركيب المنهجي عند عبد الملك مرتاض:

عبد الملك مرتاض من النّقاد العرب الذي يحاولون الرّبط بين المناهج السياقيّة والتّسقية في تحليل النّصوص، لأنّ جلّ دراساته تدرج ضمن ما يعرف بتحليل الخطاب، بغضّ النظر عن طبيعة هذا الخطاب سواء كان شعراً أو نثراً، قديماً أو معاصراً، وهذا ما نوّه إليه حين صرّح قائلاً: «وقد دأبنا نحن في تعاملنا مع النّصوص الأدبيّة التي تناولناها بالقراءة التحليليّة على السّعي إلى المزاجيّة، أو المثلثة، أو المربعة، وربّما الخامسة بين طائفة من المستويات باصطناع القراءة المركّبة التي لا تجتزئ بإجراء أحادي في تحليل النّصّ، لأنّ مثل ذلك الإجراء مهما كان كاملاً دقيقاً، فلن يبغى من النّصّ المحلّل كلّ ما فيه من مركّبات لسانيّة (لسان)، وإيديولوجيّة، وجمالية ونفسية جميعاً»¹.

ما استقرّناه في مؤلفات مرتاض أنّ جلّ عناوين كتبه تسير على النّحو التّالي: "تحليل سيميائي تفكيكي، تحليل بالإجراء المستوياتي، معالجة تفكيكية سيميائية مركّبة، دراسة سيميائية تفكيكية، تحليل مركّب، تحليل أنثروبولوجي سيميائي، تحليل سيميائي مركّب"، كلّها تصبّ في قالب واحد وهو التّركيب بين المناهج، وهي ميزة إيجابية في النّاقد الذي لا يؤمن بقضية المنهج الواحد، وعليه فإنّ مرتاض ينتصر لثقافة التّركيب المنهجي، كي تبقى الدّراسة مفتوحة إلى ما لا نهاية لأنّ «التعددية المنهجية أصبحت تشيع الآن في بعض المدارس النقديّة الغربيّة، ويرى أنّ لا حرج في النهوض بتجارب جديدة تمضي في هذه السبيل بعد التّخمة التي مُني بها النقد من جرّاء ابتلاعه المذهب تلوّ المذهب، خصوصاً في هذا القرن (القرن العشرين)»².

¹عبد الملك مرتاض: التّحليل السيميائي للخطاب الشّعري؛ تحليل بالإجراء المستوياتي لقصيدة شناسيل ابنة الحلبي، ص6

²عبد الملك مرتاض: تحليل الخطاب السردي، ص6

يدعو عبد الملك مرتاض دائما إلى القراءة الاحترافية «المركبة المعقدة التي تنهض على جملة من الإجراءات التجريبية والاستطلاعية والاستنتاجية جميعا، والتي بقدر ما تنهض على التناقض تنهض على التناسق والترابط وعلى إثرها استطاع المزوجة بين التراث البلاغي القديم ومعطيات السيميوطيقا الحديثة، وناهضا في خضم ذلك ومعقما حوار نقدي ومعرفي بين ما أنجزه التراث البلاغي واللغوي والنقدي العربي، وبين ملك التصورات والآليات الحديثة التي تقدمها المعرفة النقدية العربية»¹.

اهتمّ عبد الملك مرتاض بالمنهج السيميائي اهتماما بالغا، خاصة في الجانب التطبيقي إذ وظّفه في الشعر والنثر وحتى القرآن الكريم ممثلا في سورة الرحمن، وذلك لأنّ « المنهج السيميائي منهج مرن وصارم في آن واحد، صارم لأنّه يستند إلى جملة من المعارف والعلوم، ومرن لأنّه يمنح الناقد فسحة من الحرّية والتأويل بالإضافة إلى إجراءاته وهو ما يأتلف مع استراتيجية اللامنهج لديه، كما أنّه يسمح بالانطلاق من إجراءاته والانتشار بعد ذلك خارجها، ما يعني أنّه يسمح بالتركيب المنهجي خلافا للمناهج التي تأتي ذلك، وتنكفي على ذاتها بإجراءاتها وتكتفي بها وأخرا إنّ مرتاض يؤكّد حضور السيميائية كمفهوم وإجراء في الفكر التراثي العربي، وهذا التوافق جعله لا يستشعر غربتها، لأنّ معظم مقولاتها متأصلة ومتحدّرة في التراث النقدي والبلاغي»².

عبد الملك مرتاض من أكثر النقاد المهتمين بالمناهج المتباينة انطلاقا من المناهج السياقية مرورا بالتسقية، وانتهاءً إلى التركيب المنهجي الذي كان يجبّده كثيرا في دراساته التطبيقية، وجملة ما توصلنا إليه نلخصه فيما يلي :

- لم يعرف النقاد الجزائري ناقدا مهتمّا بمسألة المنهج أكثر من عبد الملك مرتاض حيث وجدناه في جلّ كتبه يثير مسألة المنهج واللامنهج.

¹ علي حمودين، عبد القادر دحدي : التركيب المنهجي عند عبد الملك مرتاض، مجلة العلامة، مج1، ع1، س2016، ص195

² حمزة بسو: إشكالية المنهج في النقد الجزائري المعاصر؛ قراءة في مشاريع: عبد الحميد بورايو، عبد الملك مرتاض، رشيد بن مالك، أطروحة دكتوراه(منشورة)، جامعة محمد مين دباغين، سطيف2؛ 2018/2019، ص232.

- الباحث عن خريطة الخطاب النقدي الجزائري على مستوى إشكالية المنهج، أساسها عبد الملك مرتاض.
- لم يكن عبد الملك مرتاض متعصبا لمنهج واحد بعينه.
- الصفة التي التزم بها عبد الملك عدم ثباته على منهج واحد فقط، بل ظلّ متعدّد المناهج في تحليل النصوص الأدبية.
- ما عرف عن مرتاض أنّه كان يعالج نصوص متعدّدة ومتنوّعة (قرآن، نثر، شعر)، وفق خلفية تراثية وحدائية، باتباع مناهج سياقية ونسقية، وغالبا ما كانت مركّبة، ونادرا ما وجدنا في كتاباته المنهج الواحد.
- عبد الملك مرتاض ناقد يتميّز بالعصبية للتّراث العربي، والاستشراف للحدّات الغربية.
- إشكالية المنهج عند عبد الملك مرتاض أعمق عن غيره من النّقاد العرب لاختلافها في مؤلّفاته المتنوعة من موضوع لآخر، إذ أنّ لكلّ كتاب منهجيات تستساغ من كتبه، وهذه صفة نادرة لناقد نادر في الوطن العربي عامّة والجزائر على وجه الخصوص.
- استطاع الناقد معالجة الكثير من القضايا النقدية بمنهج علمية عالية الدقّة.
- استطاع الباحث استخراج الكثير من الآليات المنهجية والمفاهيم النقدية الجديدة في المنهج السيميائي وكذا الإجراءات التحليلية.
- عرف مرتاض بالناقد الماهر المتمكّن من المناهج الغربية وخاصّة المنهج السيميائي الذي كان يعتبره ركيزة مع كلّ المناهج التي كان يركّبه معها، ممّا يسهّل عمليّة الاستقطاب، وما أعناه كذلك فلسفته التي تعتمد دائما على فكرة اللّامنهج وتبعده عن سلطة الانقياد لمنهج واحد.
- تمكّن عبد الملك مرتاض من تقديم إضافات جديدة للمنهج السيميائي، وهذا ما أشار إليه بقوله: «والحقّ أنّ سيميائياتنا تختلف عن سيميائيات الآخرين، فنحن بحكم تجربتنا الطويلة والبسيطة والمتعترّة معا، في الوقت نفسه حتّى لا يرمينا رام بالعجب والخال، وقعت لنا مكاشفات بلغة أهل التّصوّف، مصادفة في كثير من الأحوال فاتّخذناها من بين إجراءات التّحليل الذّكيّة، مثل الانتشار والانحصار، ومثل اللّوحة الخلفيّة، ومثل الزّمن الذّكي»¹.

¹ عبد الملك مرتاض: الشّعر الأول، معالجة تاريخية رصدًا وأنتروبولوجية مقارنة، وسيميائية تحليلا لمطالع المعلّقات، أكاديمية الشّعر،

أبو ظبي، الإمارات العربية المتّحدة، ط1؛ 2015، ص35

ولتوضيح ما ورد في هذا المبحث أعدنا جدولاً إحصائياً يوضح مضمون منهج عبد

الملك مرتاض في مؤلفاته:

طبيعة النصّ	عنوان النصّ	النظريّات الغربية المعتمدة	منهج الناقد في مؤلفه
القرآن الكريم	نظام الخطاب القرآني تحليل سيميائي مركّب لسورة الرحمن (2001م)	السيميائية، التأويلية، الأسلوبية	منهج مركّب
سردي روائي	ألف ليلة وليلة، تحليل سيميائي تفكيكي لرواية حمّال بغداد (1989م)	البنوية، السيميائية، التفكيكية، الأسلوبية	منهج مركّب
سردي روائي	تحليل الخطاب السّردى معالجة تفكيكية سيميائية لرواية زقاق المدقّ (1995م)	السيميائية، التفكيكية، الأسلوبية	منهج مركّب
سردي روائي	مقامات السيوطي؛ تحليل سيميائي لجمالية الحيز في المقامة الياقوتية (1996م)	كلّ مستوياتها سيميائية	منهج واحد
شعر	أ/ي دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة "أين ليلاي" للجزائري محمّد العيد آل خليفة (1992م)	البنوية، السيميائية، الأسلوبية، التفكيكية	منهج مركّب
شعر	شعرية القصيدة؛ قصيدة القراءة، تحليل مركّب لقصيدة "أشجان يمانية" (1994م)	السيميائية، الأسلوبية، التفكيكية	منهج مركّب
شعر	قراءة النصّ بين محدوديّة الاستعمال، ولا نهائيّة	السيميائية، التأويلية، الأسلوبية	منهج مركّب

		التأويل؛ تحليل سيميائي لقصيدة قمر شيراز للبياتي (1997م)	
منهج مركّب	السيميائية، الأنثروبولوجيا (علم الإنسان)، التأويلية، الإحصاء	السبع المعلقات؛ تحليل أنثروبولوجي سيميائي لشعرية نصوصها (1999م)	شعر
منهج مركّب	الأسلوبية، البنوية، السيميائية،	التحليل السيميائي للخطاب الشعري؛ تحليل مستوياتي لقصيدة شناسيل ابنة الحلبي للعراقي بدر شاكر السيّاب (2001م)	شعر
منهج مركّب	السيميائية، التداولية، الأسلوبية	رحلة نحو المستحيل؛ تحليل سيميائي مركّب لقصيدة "رحلة المراحل" للسعودي سعد الحميد (2007م)	شعر
منهج مركّب	المنهج التاريخي، الأنثروبولوجيا، السيميائية	عبد الملك مرتاض: الشعر الأول، معالجة تاريخية رصد وأنثروبولوجية مقارنة، وسيميائية تحليلاً لمطالع المعلقات (2015م)	شعر

من خلال هذا الجدول نلاحظ أنّ عبد الملك مرتاض اعتمد في جلّ دراساته على ازدواجية المنهج، بغض النظر إن كان سياقاً أو نسقياً، لأنّه كان يهتمّ كثيراً بدراسات العرب القدامى، ثمّ يقارنها بالدراسات الغربية، وفي الأخير يعطي استنتاجاته، ثمّ يبيد آراءه وهذا النوع من المنهج يجبّده معظم الدارسين، لأنّه يدرج ضمن موضوع الإبداع في النقد الأدبي، بعيداً عن التقليد بكلّ أشكاله،

والذي كان ينبذه عبد الملك مرتاض ويدعو الباحثين للاستقلالية النقدية واللامنهجية حتى يتسنى للنقاد الابتعاد ما أمكن عن التقليد والتقيّد بالمنهج والذي يورث الضعف ويجعل النقد العربي نقدا غربيا لا قيمة له، لأنّ قيمة هذا النقد وازدهاره وثيقة الصّلة بالنقد العربي القديم الذي ورثه العرب من الحضارة العربية الإسلامية العريقة.

4. إشكالية صياغة المصطلح السيميائي عند عبد الملك مرتاض:

عبد الملك مرتاض من بين النقاد الجزائريين الذين حلّقوا عاليا في ميدان المصطلح النقدي في العالم العربي، حيث أنّ المصطلح عند عبد الملك مرتاض أتبع عاملين أساسيين: الأول تأصيلي يتمثل في كلّ ما هو تراثي، والثاني حديثي، أمّا عمل مرتاض النقدي فتمثّل في الرّبط بين الأصل العربي والمفهوم الجديد الغربي، معتمدا في ذلك على مجموعة من الآليات التي اعتمد عليها في صياغة المصطلح السيميائي من بينها: الاشتقاق، التعريب، التّراث والتّرجمة.

1.4. آليات صياغة المصطلح السيميائي عند عبد الملك مرتاض:

1.1.4. الاشتقاق: وهو خاصيّة تميّزت بها اللّغة العربية عن غيرها من اللّغات الأخرى، باعتباره وسيلة من وسائل توليد الألفاظ والمصطلحات، ففي الجانب اللّغوي يراد بهذا المصطلح «اشتقاق الحرف من الحرف أخذه منه»¹.

أمّا في الاصطلاح فهو: «أخذ كلمة من كلمة، بشرط أن يكون بين الكلمتين تناسب في اللفظ والمعنى وترتيب الحروف، مع تغاير في الصّيغة، كما تأخذ "اكتب" من "يكتب" وهذه من "كتب" وهذه من الكتابة... ويؤخذ الأمر من المضارع، والمضارع من الماضي، والماضي من المصدر،

¹ زين الدّين محمد بن أبي بن عبد القادر الرّازي: مختار الصّحاح، ص 306

فالمصدر أصل صدر عنه كل المشتقات من الأفعال والصّفات التي تشبهها وأسماء الزّمان والمكان والآلة والمصدر الميمي¹.

يتحقّق الاشتقاق في اللّغة العربيّة بتوافر شروط نوجزها كما يلي:

- أن تكون عدد الحروف المشتركة في اللغة العربية لا تتجاوز ثلاثة حروف في الغالب
- أن تكون هذه الحروف مرتبة ترتيباً واحداً في مختلف المشتقات
- أن يكون بين هذه الألفاظ قدر مشترك من المعنى ولو على تقدير الأصل، كما أنّ الاشتقاق ينقسم إلى قسمين: الاشتقاق الكبير: وهو تناسب كلمتين في اللفظ والمعنى دون ترتيب الحروف كجذب وجذب، أمّا الاشتقاق الصّغير فيحدث حين يكون تناسب بين كلمتين لكن في مخارج الحروف كنهق ونعق²

وبما أنّ التّأقّد يملك باعاً كبيراً من تراث الأجداد الذي رسّخته في ذهنه المدرسة القرآنية والإسلامية عامّة فإنّه كان يعتمد كثيراً على أسلوب الاشتقاق في توليد المصطلح العربي وتأصيله وتقويمه.

2.1.4. التّعريب:

ويقصد به نقل مصطلحات من اللّغة الأجنبيّة إلى اللّغة العربيّة، وفق مبادئها وأسسها المعروفة بها، وهذا ما يعرف عندنا ببعض المصطلحات الدّخيلة على اللّغة العربيّة ففي المعاجم العربيّة نجد أنّ «الإعراب والتّعريب معناهما واحد، وهو الإبانة، يقال: أعرب عنه لسانه وعرب، أي أبان وأفصح، وأعرب عن الرّجل: بيّن عنه، وعرب عنه: تكلم بحجّته»³

¹ مصطفى محمد سليم الغلاييني: جامع الدّروس العربيّة، المكتبة العصرية، بيروت، (د ط)، 1993، ج1، ص208

² ينظر: المرجع نفسه: ص ن

³ جمال الدّين بن منظور: لسان العرب، مادّة (ع رب)، ج2، ص2865

أما من الناحية الاصطلاحية فإنّ التعريب يعني «إحلال اللغة العربية في التعليم محلّ اللغات الأجنبية، وتوسيع اللغة العربية بإدخال مصطلحات جديدة عليها، وإلزام الإدارة بعدم استعمال لغة دون اللغة العربية، والعمل على أن تكون لغة التخاطب اللغة العربية وحدها والدعاية لها، ومقاومة كلّ الذين يناهضون فيما بينهم بلغة أجنبية، وبالجملة فإنّ التعريب هو جعل اللغة العربية أداة صالحة للتعبير عن كلّ ما يقع تحت الحسّ وعن العواطف والأفكار والمعاني التي تختلج في ضمير الإنسان الذي يعيش في عصر الذرة والصواريخ»¹.

للتعريب شروط حددها الباحثين وأكدوا على ضرورة توافرها نذكر منها:

1. الاقتصاد في التعريب

2. أن يكون المعرب على وزن عربي من الأوزان القياسية أو السماعية

3. أن يأخذ جرس المعرب الذوق العربي وجرس اللفظ العربي

4. أن لا يكون نافرا عما تألفه اللغة العربية»².

يهدف التعريب عموماً إلى إدخال مصطلحات جديدة إلى اللغة العربية، لكنّها تتوافق مع القواعد والخصائص التي تتّصف بها اللغة العربية، بشرط أن لا يوجد لهذه اللفظة الجديدة مقابلاً لها في اللغة العربية.

¹ محمد حسن عبد العزيز: التعريب في القديم والحديث مع معاجم الألفاظ المعربة، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1990،

ص269

² يوسف وغليسي: إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2008، ص89

يؤكد يوسف وغليسي أنّ التعريب أصبح لدى كثير من الكتاب موضة لغوية تشي في أقصى غاياتها بالانتساب الشكلي إلى الثقافة الأجنبية... وأنه شرّ لا بدّ منه في مجال التنمية اللغوية والوضع الاصطلاحي، كونه من أسهل الوسائل وأسرعها إيتاء للأكل المعرفي...¹.

ومن بين المصطلحات التي قام الناقد عبد الملك مرتاض بتعريبها نذكر ما يلي:

- أيقونة (Icône): التّقاين
- سيمياء (Sémiotique): السيميوتيك / السيمياء/ السمة
- انزياح (Ecart)

3.1.4. إحياء المصطلحات التراثية:

عبد الملك مرتاض من النقاد الذين أولوا أهمية كبرى للتراث العربي، وهذا ما جعل يعتمد كثيرا في دراساته على الإحياء الذي يقوم على «مواجهة الحاضر باللجوء إلى الماضي، للتعبير بالحدود الاصطلاحية التراثية عن المفاهيم الحديثة»².

ومن المصطلحات التراثية التي أوجدها عبد الملك مرتاض أدبيّة الشّعر والماء الشعري، حين قرن مصطلح الخطاب (Discoure) بالنّصّ (Texte) وقرن هذا الأخير بدلالة النّسيج وأضفى في الحديث عن النّسيج والديباجة مقابلا للفظ (Texture)³.

عبد الملك مرتاض كان مغرما كثيرا بالتراث العربي، وهذا ما ساعده كثيرا في تأسيس ألفاظ تراثية أصيلة على غرار مصطلحات: الماء الشعري، أدبيّة الشّعر، النّسيج، النّسج، الديباجة.

4.1.4. الترجمة:

¹ ينظر: يوسف وغليسي: إشكالية المصطلح في الخطاب التقدي العربي الجديد، منشورات الاختلاف، ص90

² المرجع نفسه: ص85

³ ينظر: مولاي علي بوخاتم: مصطلحات التقدي العربي السيمياءوي (الإشكالية والأصول والامتداد)، ص84

وهو حمل المصطلح الأجنبي إلى اللغة العربية من ناحية المعنى دون اللفظ، فإن كانت كلمة مفردة تترجم حسب مفهومها، وإذا كانت جملة تترجم حسب صياغة معناها مع احترام قواعد اللغة، إلا أنّ للترجمة مساوئ كثيرة خاصة كون اللغة العربية غنيّة عن باقي اللغات وهذا ما يفرض على المترجم أن يكون أشدّ إلماما بقواعد اللغات المنقول منها وإليها هذا المصطلح.

ومن المصطلحات التي ترجمها الناقد «المصطلح الأجنبي Espace بمصطلح الحيز، في حين نجد آخرين يترجمونه بترجمات مختلفة وهي (الفضاء)، (المكان)، (الحقل)، (المجال) التي شاعت في الساحة النقدية العربية، إلا أنّه رفض هذه التّجمات وانتقدها بشدّة مدافعا بدوره عن مصطلحه (الحيز) والذي وُلد منه مصطلحات جديدة وهي: (التّحيز)، (التّحازير)، (الحيززة)»¹.

2.4. أهمّ المصطلحات السيميائية عند عبد الملك مرتاض:

تحدّث عبد الملك مرتاض عن المصطلحات السيميائية وما وقع فيها الباحثين من عوائق واشكالات فقال: «النّاس يستعملون عدّة مصطلحات لمفهوم واحد في هذه المسألة أو مصطلحات غير ما وضعت له في أصل المواضع العلمية، وذلك لما يقع الخلط في الاستعمال إلى حدّ الاضطراب بين السيميائية والسيميائيات والسيميولوجيا، والسيميوتيكيا، أو السيميوتيقا والسيمائية هو مصطلحنا»².

أكّد عبد الملك مرتاض في عدّة مناسبات بضرورة تعريب المصطلحات السيميائية باعتبارها حداثة، وهذا ما صرّح به قائلا «أضحى من الحتمي نقل العدد الجمّ من هذه المفاهيم السيميائية واللّسانياتية المستحدّة المعقّدة غالبا من تلك اللغة الأوروبية إلى العربية، إلى هذي العربية التي ترى كلّ

¹ محمد نمرة: المصطلح التقدي عند عبد الملك مرتاض، مجلة الحكمة للدراسات الأدبية واللّغويّة، مج5، ع9، س2017، ص34

² عبد الملك مرتاض: نظرية النّصّ الأدبي، ص145

واحد من باحثيها يعنت نفسه أشقّ الإعنت بالاشتغال وحده والبحث وحده والاجتهاد وحده مشرقا ومغربا»¹.

حاول عبد الملك مرتاض مواجهة إشكالية المصطلح الموجود في الخطاب السيميائي، نظرا لما يملكه من خلفية معرفية كبيرة استقاها من التّراث العربي، ومؤهّلات علميّة عالية اكتسبها من أساتذته الغربيين الذين استقى منهم المناهج الغربية، وهذا ما جعله يتّبع طريقة ممتازة في صياغة المصطلح السيميائي، من خلال اتّباع الطّريقة التّالية:

1. ينطلق بداية من معرفة الجذور التّاريخية والدّلالية للمصطلح
 2. جعل المصطلح موافق لقواعد اللّغة العربيّة متّبعاً آليات صياغة المصطلحات (الاشتقاق، التّعريب، التّراث....).
 3. ابتكار مصطلحات جديدة سهلة، موافقة لمبادئ اللّغة العربيّة.
 4. اختلافه مع الكثير من النّقاد العرب في ما استحدثه من مصطلحات جديدة خالف بها آخرين على غرار مصطلح السيماء بدل السّيمياء، والحيز بدل الفضاء.
- تناول عبد الملك مرتاض مجموعة من المصطلحات السيميائية في مؤلّفاته سنحاول إحصاءها والتّعريف بها وبأسرارها.

1.2.4. مصطلح السيميائية (La Sémiotique):

أخذ النّقاد العرب بمصطلح السيميائية، إلّا أنّنا وجدنا مرتاضا يحدّد مصطلح السيميائية وهذا ما أكّده في أكثر من مناسبة، نذكر من ذلك قوله: «من النّاحية اللّغويّة الخالصة يمكن أن نقول: السيمويّة، كما يمكن أن نقول: السيميائية... من أجل ذلك نستعمل نحن صيغة السيميائية الآتية من

¹عبد الملك مرتاض: نظرية النّصّ الأدبي، ص146

السيماء، وهي مرادف للفظ السيمياء، ولا ندري لم آثر السيميائيون العرب أطول الألفاظ الثلاثة ليلحقوا به ياء المذهبية أو الياء الصنّاعيّة باصطلاح النّحاة فيصبح نطقه لا يطاق»¹.

اختار مرتاض هذا المصطلح من باب الابتعاد عن الياء الصنّاعية التي تثقل الكلمة كونها دخيلة على كلام العرب لأنّ لغة العرب تحثّ على السّلاسة في النّطق والسلامة في الفهم والابتعاد عن التّقل.

أكّد مرتاض أنّ السّيمائية لم تكن معروفة عند الغرب إلّا بفضل «جهود بيرس (Peirce) ودوسوسير (De Saussure) كونها منهجية العلوم التي تعالج الأنساق الدّالة كالأسطورة والدّين والأدب، واختلف مع جوليا كريستيفا (Kristeva) التي ربطت الأسطورة بالدّين والدّين بالأسطورة، وهذا موقف يتنافى مع تعاليم الدّين الإسلامي الذي يرفض أسطره الأشياء...»².

نّبّه مرتاض الباحثين عن المعضلة التي وقع فيها منظّرو السيمياء الغربية والمتمثّلة في اختلاف المفهومين الآتين: السيميولوجيا (Sémiologie) والسيميوتيك (Sémiotique)، وهذا ما أدّى إلى اضطراب شديد في التّرجمة العربية، حيث عدّد النّاقّد العوائق التي يرتبط بها هذا المشكل وهو أنّ السيمائيات ترتبط أساسا بالثقافة الأنجلو أمريكية (لوك بيرس) في حين يرتبط مفهوم السيميولوجيا بالثقافة الفرنسية (غريماس، بارط، كريستيفا)، هذا من جهة.

ومن جهة أخرى فإنّ مصطلح السيميوتيك (Sémiotique) أقدم وجودا في الثقافة الأوربية من مصطلح السيميولوجيا. (Sémiologie) كما أنّ مفهوم السيمائيات يرتبط بعلم اللغة في مدرسة دوسوسير في حيث ترتبط السيمائيات بالفلسفة والمنطق في مدرسة بيرس وأخيرا فإنّ السيمائية

¹ عبد الملك مرتاض: نظرية النّصّ الأدبي، ص 158

² المصدر نفسه: ص 159، 160

ابتدأت طيبة فلسفية ثم لغوية لسانية ثم لم تلبث أن تشعبت إلى أجناس أدبية وأشكال ثقافية مع احتفاظها بوضعها اللسانياتي¹.

يعتمد مرتاض في تعريفه للسيميائية على غريماش حيث يشير إليها بأنها تعني في أبسط تعريفاتها وأكثرها دروجا «نظام السمة أو شبكة من العلاقات المنتظمة بتسلسل وإن المتبّع لمصطلحاتها ودلالة هذه المصطلحات يستخلص منها أنّها ليست لسانيات متطورة... بحيث تتسلط على كلّ ما هو لغة وخطاب وسمة ونصّ ودلالة وتركيب وتأويلية ودال ومدلول وما إلى كلّ هذه المصطلحات التي كان معجم اللسانيات يعجّ بها قبل ظهور هذا العلم»².

وهذا ما جعل عبد الملك مرتاض يستعمل مصطلح السمة مقابلا للمصطلح الأجنبي (Signe)، دون غيره من المصطلحات للاعتبارات التالية:

1. (العلامة) استعملت في الفكر التحوي العربي بمعنى لاحقة تلحق فعلا من الأفعال أو اسما من الأسماء دون الحروف فيستحيل من حال إلى حال أخرى للنهوض بوظيفة دلالية يقتضيها المقام.
2. المعنى المتولد عن اصطناع مصطلح السمة أدنى ما يكون إلى ما يطلق عليه السيميائيون الغربيون مصطلح (Signe) من مصطلح (العلامة) التي ربما انصرف إلى المعنى المادّي فتمخض له.
3. اطلاق (سمة) على مفهوم (Signe) عوضا عن مصطلح (العلامة) سيحلّ لنا مشكلة أخرى من مشكلات المصطلح وهما أنّ مصطلح العلامة له استعمالان غريبان هما: (Le signe) و (La marque) في موقف واحد³.

¹ ينظر: عبد الملك مرتاض: نظرية النصّ الأدبي، ص165

² عبد الملك مرتاض: أ/ي دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة أين ليلاي لمحمد العيد آل خليفة، ص21

³ ينظر: عبد الملك مرتاض: نظرية النصّ الأدبي، ص147

ومن الأمثلة التي وضعها مرتاض ليبين لنا معنى السّمة ومفهومها قوله: «إنّه لا يجوز تصور قيام حي من الأحياء وحياة من الحيوانات في ذلك العصر الجاهلي البدائي بمعزل عن هذه الإبل التي كان غناهم في اقتنائها وعزّهم في امتلاكها وشرفهم وذيوخ ذكرهم في هيتها أو نحرها وكانوا يسمونها بسمات تحيل على مالكتها... أطلقوا على تلك السمات النار التي تعني العلامة»¹.

ومن المصطلحات التي تبناها مرتاض في كتبه أيضا مصطلح (السيميائياتي)، حيث استخدمه في كتابه "السبع المعلّقات" حين قال: «بدا لنا أن نجئ إلى بعض هذا الشّعر القديم ممثلا في معلّقاته السّبع العجيبات البديعات، فنقرأه قراءة تركيبية الإجراء بحيث ننطلق من الإجراء الأنثروبولوجي وننتهي إلى الإجراء السيميائياتي إذا ما انصرف السّعي إلى النّص»².

ومن المصطلحات العربية الأصيلة التي كان يستخدمها كثيرا في كتبه كمصطلحات موازية لمصطلح السيميائية مصطلح الأمانة والعلامة التي ذكرها في أكثر من موضع في كتبه، من ذلك قوله: «نلاحظ أنّ هذه اللوحة الحيزية المركّبة تنهض على مظاهر تشاكية مثل: تشاكل السيول التي تحفر بسيلاها سطح الأرض فتترك عليه علامات وتطبعه بأمارات مثل الأقلام التي تزيّر بسيلان جبرها على الورق فتدر عليه علامات كالطّلول تتشاكل مع الزّير والأقلام تتماثل مع السيول»³.

كما استعمل أيضا مصطلح (الإشارة) كثيرا لأنّه أقرب إلى التراث العربي الأصيل، وفضّلها على مصطلح العلامة، حيث جعل للإشارة أدوات ومظاهر فمن أدواتها «العين والحاجب والشفّتين واليدين ومن مظاهرها الاندساس في النّص السّردي مشكلة مهمّة للتّواصل والتّليغ، ممّا جعل لسيميائية الإشارة مكان مكيّن داخل التّصوص السّرديّة»⁴.

¹ عبد الملك مرتاض: السّبع المعلّقات، مقارنة سيميائية أنثروبولوجية لنصوصها، ص34

² المصدر نفسه: ص8

³ المصدر نفسه: ص81

⁴ عبد الملك مرتاض: تحليل الخطاب السّردي، معالجة سيميائية تفكيكية لرواية زقاق المدقّ، ص219

وأحسن مرتاض التمثيل للأمانة والعلامة حيث وضع مقارنة بينهما، فصنّف الأمانة كنقطة بداية لتصوّر العلامة التي تبقى مرسومة على الجسم الموجود على سطح الأرض وضرب مثالا بما يصنعه السيل الجارف على سطح الأرض، تاركا علامات مطبوعا بأمارات على شكل خطوط أو رسوم.

ومن المصطلحات التي استقينها من مؤلفات مرتاض مصطلح (القرينة) والذي يعرف أيضا بالسمة الحاضرة، واعتبره الناقد أحد الإجراءات التي اعتمد عليها العرب قديما، وضرب لذلك مثالا بالمثل العربي المشهور "كثير الرماد" «فالرماد ليس إلا دليلا على وجود احتراق أي أنه معلول بعلة النار المحرقة فكأنه إذن سمة حاضرة تدلّ على معنى غائب، فلا رماد إذن بلا نار، كما أنه لا دخان بلا نار، وهي العبارة المسكوكة التي يأتي بها السيميائيون الغربيون عادة لتقدم مثال عن معنى القرينة»¹.

في خضمّ حديث مرتاض عن منظرو السيميائية في التراث العربي فإنه وصل إلى قاعدة مفادها أنّ الجاحظ يربط الدلالة باللّغة السيميائية كما يربط السمة باللّغة، كما ارتبط علم البيان عند الجاحظ بعلم الدلالة التي تقوم على مجموعة من الأنساق تجسدها أشكال سيميائية مهمتها تحقيق التّواصل بين المجتمعات².

حصر عبد الملك مرتاض أدوات التّبليغ التي تحقّق التّواصل بين المجتمعات الإنسانية في الإشارات الدّالة على ذلك، والتي قسّمها إلى أربعة سمات:

- 1) السمة اللفظية المنطوقة: علاقة قائمة بين السامع والمستقبل
- 2) السمة البصرية: قوامها الإشارة، لكن يخرج منها الإشارة الصامتة الخاصة بالأعمى والظلام الدّامس
- 3) السمة الغالبة: أساسها الخطّ واللفظ، وتعدّديّة القراءة

¹عبد الملك مرتاض: نظرية النص الأدبي: ص178

²ينظر: المصدر نفسه: ص166

4) السمة الحاضرة: مثل: الرسالة التي تصل من كاتبها إلى متلقيها¹.

اختلف الجاحظ اختلافا كبيرا مع عبد القاهر الجرجاني في المصطلح لأنّ الجرجاني كان ميّلا لمصطلح السمة، في حين أنّ الجاحظ كان محبّا لمصطلح العلامة، ولقد قارن مرتاض بين مصطلح السيميائية عند الجاحظ والجرجاني في مجموعة من النقاط أوردها كما يلي:

1) الجاحظ درس العلامة من المنظور الأدبي

2) الجرجاني تناول السمة من المنظور اللغوي

3) الجاحظ تعرّض للعلامة من حيث تبيانه لأشكال التواصل والتلقي

4) الجرجاني تناول السمة من حيث تبيانه للعلاقة القائمة بين الدال والمدلول معا

5) الجرجاني يجتمع مع الجاحظ في مصطلح الإشارة².

كما تناول الناقد هذا المصطلح أيضا عند سيبويه وابن جنيّ فوجد أنّهما كانا ينظران إلى مصطلح السمة «نظرة نحوية خالصة»³.

من خلال قراءتنا لمؤلفاته وجدناه في البداية كان يعتمد على مصطلح (سيميوتيك) الموافق للمصطلح الأجنبي (Sémiotique)، ثمّ انتقل إلى مصطلح سيميولوجيا (Sémiologie)، وكان يجبّد مصطلح (سمة) العربي مقابلا لهذين المصطلحين، كما كان يميل لمصطلح الإشارة، كونه عربي أصيل عن باقي المصطلحات، أمّا مصطلحي الأمانة والعلامة فاستعملها استعمالا قليلا مقارنة بالسمة والإشارة، ثمّ استصاغ مصطلحا لنفسه وهو (سيميائية) بدل (سيميائية)، وعلته في ذلك أنّ هذا المصطلح (سيميائية) يوافق قواعد لغة العرب التي تبعد ما أمكن عن الثقل والتطويل، فالناقد انتقل

¹ ينظر: عبد الملك مرتاض: نظرية النص الأدبي، ص 167، 168

² ينظر: المصدر نفسه: ص 169، 170

³ المصدر نفسه: ص 171

بمصطلح (سيميوتيك) عن طريق التعريب إلى مصطلح (السيميائية) بفضل الترجمة، ثم رسم مصطلح (السيما) وفق لغة العرب الأصيلة، لأنّ كلام العرب يميل لليسر والسهولة والإيجاز.

في كتابه نظرية القراءة قام مرتاض بوضع فرق واضح وبسيط بين السيميائية والسيمايات فقال: «ينصرف مصطلح السيميائية إلى النظرية، وينصرف مصطلح السيميائية بالجمع إلى التطبيقات أو القراءة السيميائية، وهي سيرة يمكن اتّباعها للتمييز بين المصطلحين الاثنين المتداخلين في رأي والمترادفين في رأي آخر»¹.

مما لاحظناه أنّ الناقد كان يعتبر السيميائية وليدة علم اللسانيات وهذا ما صرح به في أكثر من مناسبة في كتبه من ذلك قوله: «حتى أنني أزعّم أنّ السيميائية في حقيقتها وليدة اللسانيات البنيوية مقدّمة في تقليعة جديدة»².

وتطوّر مصطلح (السيميائية) عند مرتاض كما يلي:

المصطلح	المصدر
السيميوتيك	النصّ الأدبي من أين وإلى أين؟
السيميائية	تحليل الخطاب السردّي / شعرية القصّ وسيميائية النصّ /
السيمولوجيا	مقال بين السمة والسيميائية / الأدب الجزائري القديم؛ دراسة في الجذور
السيمايات	نظرية النصّ الأدبي / نظرية القراءة (تأسيس للنظرية العامة للقراءة الأدبية)
السيميائية	التحليل السيميائي للخطاب الشعري / في نظرية الرواية / السبع المعلقات؛ تحليل أنثروبولوجي سيميائي لشعرية نصوصها / رحلة نحو المستحيل؛ تحليل سيميائي مركّب لقصيدة "رحلة المراحل" للسعودي سعد الحميد / عبد الملك مرتاض: الشعر الأول، معالجة تاريخية رصدًا وأنثروبولوجية مقارنة، وسيميائية تحليلًا لمطالع المعلقات / نظام الخطاب القرآني؛ تحليل سيميائي مركّب لسورة الرحمن / ألف ليلة

¹ عبد الملك مرتاض: نظرية القراءة، ص 32، 33

² عبد الملك مرتاض: تحليل الخطاب السردّي؛ معالجة تفكيكية سيميائية لرواية زقاق المدق، ص 08

<p>وليلة؛ تحليل سيميائي تفكيكي لرواية "حمّال بغداد" / مقامات السيوطي؛ تحليل سيميائي لجمالية الحيز في المقامة الياقوتية / أي دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة "أين ليلاي" للجزائري محمد العيد آل خليفة/ تحليل الخطاب السردى؛ معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية "زقاق المدق"</p>	
<p>قراءة النصّ بين محدودية الاستعمال، ولا نهائية التأويل؛ تحليل سيميائي لقصيدة قمر شيراز للبياتي</p>	<p>السيميائي</p>

2.2.4. مصطلحا التناص (Textualité) والتناصيّة (Intertextualité):

التناصّ حسب اعتقاد مرتاض كان موجودا في النقد العربي القديم من خلال ما عرف بالسرقات الشعرية، التي أشار إليها في إحدى مؤلفاته بأهمّ عبارته عن: «اقتباس خفي أو ظاهر للفظ أو جملة من الألفاظ في سياق ما أو إعادة صياغتها في بيت واحد من الشعر غالبا»¹.

أكّد في موضع آخر أنّ التناصّ هو ما كان يطلق عليه البلاغيون العرب «الاقتباس وأنّ هذا المصطلح المعاصر ثمرة من ثمرات الترجمة من الغربيين وهو أدقّ وأدلّ على الحال»².

يعتبر عبد الملك مرتاض أنّ عليّ بن عبد العزيز الجرجاني (ت392هـ) كان له فضل السبق في معرفة التناص من باب (السرقات الشعرية)، وهذا ما أكّده قائلا: «الجرجاني في هذا التنظير المبكر في النقد العربي القديم فحسب، ولكن في تاريخ النقد الإنساني من حيث هو يكشف عن فكر ثاقب وذكاء خارق، فيستنبط من حيث لا يشعر نظرية حديثة، وذلك برده لنظرية السرقات الأدبية التي كانت تشغل أذهان الناس على عهده، هي نظرية التناص»³.

هذا في التراث العربي الأصيل أمّا التناص في المدرسة الغربية فإنّ عبد الملك مرتاض يقرّ أنّ من أرسى قواعد هذا العلم يعود فضل السبق في رأيه إلى جوليا كريستيفا التي استثمرت الأفكار الأولى

¹ عبد الملك مرتاض: نظرية النصّ الأدبي، ص199

² عبد الملك مرتاض: تحليل الخطاب السردى، معالجة تفكيكية سيميائية لرواية زقاق المدق، ص279

³ عبد الملك مرتاض: في نظرية النقد؛ متابعة لأهمّ المدارس النقدية المعاصرة ورصد لنظرياتها، ص233

التي كانت تكتب عن السرقة الأدبية وأفادت بالخصوص باختين، الذي أطلق مصطلحات للتناص على غرار (البنى الحوارية للنص)، (كرفالية النص)، (تعددية أصوات اللغة)، وجعلتها كريستيفا في إنتاجية النص (Productivité textuelle)¹.

يعتبر مرتاض التناص في السيميائيات بمثابة الأكسجين الذين لا يشم ولا يرى، ومع ذلك لا أحد من العقلاء ينكر بأن كل الأمكنة تحتويه وأن انعدامه في أيها يعني الاختناق المحتوم، فمن من الكتاب يزعم أن ما يكتبه لم يخطر بخلد أحد من قبله ولا فكر فيه ولا التفت إليه².

قسّم الناقد التناص إلى أربعة أقسام كما يلي:

1) التناص المباشر: وهو الاقتباس عند البلاغيين العرب القدامى، بيد أن التناص المباشر أو الظاهر

يخضع لعوامل الحفظ الذي ينشأ منه بالضرورة واجترار النصوص المحفوظة

2) التناص القرآني

3) التناص الناشئ عن نصوص الحديث الشريف

4) التناص الناشئ عن الأشعار والخطب والأمثال والحكم والمأثورات الكلامية الأخرى³.

اصطلح مرتاض على التناص مصطلحا آخرًا وسمه بالتكاتب في مقاله "بين التناص

والتكاتب"، الأمر الذي من خلالها فضلنا وضع جدول نبين فيه آراءه حول التناص والتكاتب:

التكاتب	التناص
يدخل في مجال الإبداع الأدبي	يشمل اللغة والأسلوب والأفكار السابقة المكتوبة
تأثر الكاتب بكتابات سابقة بصرف النظر عن جنس هذه الكتابة وطبيعتها	يطلق على جميع الأشياء.

¹ ينظر: عبد الملك مرتاض: نظرية النص الأدبي، ص 276

² ينظر: عبد الملك مرتاض: تحليل الخطاب السردي، معالجة تفكيكية سيميائية لرواية زقاق المدق، ص 278

³ ينظر: المصدر نفسه: ص 279

التكاتب أكثر خصوصية من التناصّ	يجري مصطلح التناصّ في الكتابات الاجتماعية والفلسفية والتاريخية والأهوتية.
--------------------------------	---

(1).

فالتناص عند مرتاض عبارة عن إبداع ثان يتكره باحث دون قصد، والتكاتب كتابة ثانية يكتبها كاتب دون قصد إلاّ أنّها تكون نتيجة تأثره بكتابات أحد العباقرة، غير أنّ كلاهما ينتميان لحقل التناصّ الواعي المقصود وغير المقصود.

ومن مصطلحات التناص التي عبّر عنها الباحث مصطلح التناصّية، حيث أشار إلى ذلك في إحدى دراساته قائلا: «ولقد سبق لنا في كتاباتنا الأخيرة أن تناولنا الحديث عن التناص أو التناصية على أصحّ ما ينبغي أن يقال المفهوم الغربي (Intertextualité) إمّا تنظيراً أو تطبيقاً»².

تناول مرتاض مصطلحا آخر مرادفا لمصطلح التناص هو مصطلح (المقراءة) حين قال: «القراءة سلوك حضاري فكري ذهني روحي جمالي ثقافي، هي عادة متحضّرة هي دأب متأصل هي ثقافة داعية هي ما يمكن أن نطلق عليه في لغتنا الخاصة (مقراءة)، أو هي كما يعبر بعض الغربيين (تناص)»³.

من المصطلحات التي أوردها مرتاض الخاصة بمصطلح التناصّ نذكر ما يلي:

- السرقات الشعرية: في النقد العربي القديم، (جذور أصل السرقة)
- الاقتباس: في البلاغة العربية القديمة (من القرآن، والسنة وأشعار العرب وخطبهم...)
- التناصّ: المدرسة الغربية عامّة
- السرقات الأدبية: في المدرسة الفرنسية، (السرقة الأدبية أساس كلّ الآداب)
- التناصّية: البحث في الماهية والمفهوم

¹ ينظر: عبد الملك مرتاض: بين النصّ والتكاتب؛ الماهية والتطور، مجلّة قوافل النادي الأدبي، الرياض، السعودية، مج4، ع7؛ س1996، ص196، 197

² عبد الملك مرتاض: السبع المعلقات؛ مقارنة سيميائية أنثروبولوجية لنصوصها، ص182

³ عبد الملك مرتاض: في نظرية التقد، متابعة لأهمّ المدارس النقدية المعاصرة ورصد لنظرياتها، ص101

- التّكاتب: تأثر كاتب بكتابة سابقة
- المقارعة: إعادة القراءة من جديد والاقتباس دون قصد.

3.2.4. مصطلح الشعريّة (La Poétique):

قدّم الناقد عدّة مفاهيم لمصطلح الأدبية، ومّا دونه من تعريفات نذكر: «اسم (La poétique) هو مصطلح ألسني جديد لم تجد له العربية بعدا مقابلا مقبولا، إنّ ترجمته بالإنشائية أو الشعريّة لا يعني شيء، فالبيوتيك عند جاكوبسن (Jacobsen) هو وظيفة اللّغة الفنّيّة للكتابة أو (Le langage) التي بواسطتها يمكن أن تكون رسالة عملا فنّيّا على الرّغم من أنّ البيوتيك لا يقتصر على دراسة مشاكل اللّغة الفنّيّة للكتابة، وإمّا يجاوز هذا المجال الضيق إلى نظريّة الإشارات»¹.

ويقول في موضع آخر متحدثا عن هذا المصطلح: «وأما نحن فلا نرى كيف يمكن إخراج الشعريات من السيميائية ما دام الحقل المحلّ يظلّ واحدا وهو النّصّ أو الخطاب، وكيف يجوز أن توجد سيميائية خارج الحقل الأدبي الذي تمثله الشعريات بامتياز؟ فكما أنّنا إذا نزعنا الشعريات من حقل النّصّ لن يوجد أدب، فكذلك إذا نزعنا الشعريات من حقل السيميائية فإنّها ستنتهي إلى وضع قلق، لأنّ السيميائيات لن تجد حقا ملائما لها تشتغل به وتتمكّن فيه خارج إطار النّصّ الأدب...»².

¹ عبد الملك مرتاض: النّصّ الأدبي من أين وإلى أين؟، ص26، 27

² المصدر نفسه: ص181

قسّم مرتاض الوظيفة المعرفية للشّعريات إلى حقلين اثنين أولهما «يأتي بمعنى دراسة جنس الشعر من حيث هو وحده أو الدلالة على الانتهاء إليه، وثانيهما يأتي بمعنى النظريّة العامّة للأعمال الأدبيّة، فتعالج الأجناس الأدبيّة مقتربة من المفهوم الأوسع للأدب»¹.

ووضع مرتاض مصطلحات موازية للشّعرية، نذكرها كما يلي:

أ. الماء الشعري: تجلّى ذلك من خلال قول مرتاض في كتابه (أ/ي): «فالنّاظم قد ينظّم أرجوزة ذات إيقاع، ويكون بدون ماء شعري، أي بدون أدبيّة»².

ب. الأدبيّة/الشّعرية/الإنشائية/البيوتيك: ورد هذا في قوله: «انعدام هذا الشيء الذي كان القدامى يطلقون عليه الماء الشعري، وقد نطلق عليه نحن المعاصرين: "أدبية الشعر" أو "البيوتيك" أو "الإنشائية" أو "الشّعرية"»³ (La poétique).

إنّ تعدّد المصطلحات في كتابات مرتاض كان مردّه السّاحة النقديّة العربيّة التي كانت ضعيفة حيث لم تستقر على مصطلح بعينه بالإضافة إلى اللّغة العربيّة القويّة بمصطلحاتها، وهذا ما جعل النّاقد يكثر من العديد من المصطلحات التي تنتمي للمدرسة العربيّة كحجة على قوة هذه المدرسة.

ت. الشّاعريّة: استعملها الباحث مكان الشّعرية في عدّة مناسبات من ذلك ما ورد في كتابه (القصّة الجزائرية المعاصرة): «وعلى أنّ من حسن حظّ القصّة الجزائريّة المعاصرة أنّ لغة هؤلاء الكتاب الخمسة في معظمها الأعظم سليمة، وهي لدى عثمان سعدي أسلم، ثمّ يأتي ابن هدّوقة على الرّغم من أنّ أسلوب هذا أجمل نسجاً، وأنقى شكلاً وأدنى إلى الشّاعريّة الرّقيقة منه إلى النثر العادي الفجّ»⁴.

¹ عبد الملك مرتاض: قضايا الشّعريات؛ متابعة وتحليل لأهمّ قضايا الشعر المعاصر، منشورات دار القدس العربي، وهران، 2009 (د ط)، ص 17

² عبد الملك مرتاض: أ/ي دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة أين ليلاي لمحمد العيد آل خليفة، ص 62

³ المصدر نفسه: ص 146

⁴ عبد الملك مرتاض: القصّة الجزائرية المعاصرة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (د ط)، 1990، ص 225

بعدهما قرأنا هاته النصوص التي ذكر فيها الناقد مصطلح الشاعرية، ربّما كان هدفه من ذلك طبيعة نصّه المكتوب فلفظ (الشاعرية) أقرب صحّة إلى الذهن من الشعريّة.

ث. شعريّة اللّغة: يذهب الناقد إلى مسألة مفادها أنّ «اللّغة (Le langage) هي غير اللّسان (La langue) إذا انفصل مفهوم اللّغة عن مفهوم اللّسان نهائيا منذ القرن التاسع عشر حيث اغتدت اللّغة السيميائية تتقابل مع اللّسان الموروث لأمة من الأمم كاللّسان العربي الذي هو لغة العرب»¹.

الناقد يفرّق بين اللّسان واللّغة حيث اعتبر أنّ اللّغة هي ما نعرفه من لغات كالعربية، الفرنسية، الإنجليزية والإسبانية، أمّا اللّسان فهو خاصّ بالأجناس مثل اللّسان العربي، واللّسان العربي مثلا.

ج. الشعرائيّة: ويبيّن مرتاض مفهومها في كتابه (في نظريّة الرواية) حين قال بأنّ الشعرائيّة «هي النظام الشعري لشاعر أو كاتب لعهد معيّن وبلد معيّن وقل إنّ هذا المفهوم ينصرف كما هو معروف إلى نظريّة الإبداع الأدبي، بينما ينصرف المفهوم الآخر (الشعريّة) إلى الصّفة أو الحالة التي تميّز كتابة ما، فهذا المعنى كأنّه يقترب من معنى الأدبيّة»².

د. الشعريات: ألف الباحث كتابا في هذا الموضوع، حيث يحتوي على حوالي أحد عشرة وأربعمئة (411) صفحة، تناول فيه مفهوم الشعريات في الفكرين النّقديين العربي ثمّ الغربي، ففي الفكر النّقدي تطرّق لهذا المفهوم عند ثلّة من النّقاد القدامى على غرار ابن سلام الجمحي (ت231هـ) والجاحظ وابن قتيبة (ت276هـ) وابن طباطبا (ت322هـ) وقدامة بن جعفر (ت337هـ) والجرجاني وابن رشيق القيرواني (ت456هـ) والقرطاجيّ (ت684هـ)، فقد وصف مرتاض هذا المصطلح المصطنع في اللّغة النّقديّة العربيّة المعاصرة لما يقابل في اللّغة الفرنسيّة (La piocité)، بمعنى الهيئة الفنيّة، أو الحالة

¹ عبد الملك مرتاض: الأدب الجزائري القديم؛ دراسة في الجذور، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، (د ط)، 2016، ص98

² عبد الملك مرتاض: في نظريّة الرواية، ص312.

الجمالية التي تمثل في نسج النصّ، لتجعله مشتتلا على خصائص فنيّة، تميّزه عن النصّ الثّري، كما تقترب في معناها من معنى الأدبيّة¹.

4.2.4. مصطلح الانزياح (L'écart):

يعدّ هذا المصطلح من المصطلحات التي تنتمي إلى حقل اللسانيات والأسلوبيات والسيميائيات، وقد ظهر هذا المصطلح مع الشعريّة الحديثة، لأنّ لغة الشعر تفتح مجال التّأويلات المتعدّدة على المتلقّي، فالانزياح من الظواهر الأسلوبية التي تقارب النصوص الأدبية، خاصّة النصّ الشعري لأنّه دائماً يميّز نفسه بالخروج عن المألوف.

يعتبر عبد الملك مرتاض من النقاد الجزائريين الأوائل الذين تناولوا هذا المصطلح، بداية بكتابه "النصّ الأدبي من أين وإلى أين؟" حيث تطرّق من خلاله للانزياح الأسلوبي الوارد في رسالة أبي حيّان التّوحّيدي².

وعرّف مرتاض هذا المصطلح في كتابه "نظرية النصّ الأدبي الانزياح بقوله: « هو خروج النّسج عمّا ألفه المتعاملون مع اللّغة بصرف النّظر عن صدقه وكذبه، كما وضع أمثلة للانزياح مثل: قول القائل: (يوم سيّء، إشارة منه إلى ذمّ ذلك اليوم)، وكذا(الحياة الدنيا مليئة بالحزن والمرارة) والحال أنّها حلوة لأصحاب الجاه والمال فقط، فانتقلت حزنّها إلى الرجل الفقير الذي يكابد ويناضل في سبيل توفير لقمة العيش، فالعلاقة الخارجية هي التي جعلت نصف الحياة بهذا الوصف الدّميم»³.

فالانزياح عامّة هو العدول عند العرب، ومن أمثلة ذلك قولنا بالعامية الجزائرية "الدنيا دوّارة" إشارة منا إلى أنّها تختلف من حال إلى حال، فهناك من يعيش في الرفاهية، وهناك من تضرّه مرارتها...

¹ ينظر: عبد الملك مرتاض: قضايا الشعريّات؛ متابعة وتحليل لأهمّ قضايا الشعر المعاصر، ص18

² ينظر: عبد الملك مرتاض: النصّ الأدبي من أين وإلى أين؟ ص67،68

³ عبد الملك مرتاض: نظريّة النصّ الأدبي، ص173

ثم تحدّث الناقد عن جذور هذا المصطلح في التراث حين أشار إلى أنّ ابن جنّي فتح باب الانزياح الأسلوبي من بابه العريض، وهذه التفاتة سيميائية مبكرة منه¹.

وذكر الناقد في موضع آخر جهود عبد القاهر الجرجاني في هذا الموضوع والذي أشار في «مرحلة مبكرة من التاريخ إلى أنّ اللّغة من حيث هي ذات مستويين اثنين من الدّلالة: مستوى دلالي معجمي، ومستوى دلالي انزياحي وهو الأجل والأرقى وهو المضطرب الذي يتسابق فيه بلغاء الكتابة... وبفضل وجود هذا المستوى من الدّلالة خرجت اللّغة من المعنى المعجمي القاصر إلى المعنى السيميائي الطّائر فاستحالت من المألوف المبتدل إلى الجديد المبتدع»².

من خلال ما ذكر مرتاض من أمثلة تاريخية عن اجتهادات العرب حول هذا المفهوم (الانزياح) فإنّ الناقد يؤكّد لنا أنّ للعرب القدامى أسبقية في معرفة هذا المصطلح، إلّا أنّ التأسيس له جاء به آخرون، من المدرسة الغربية.

درس يوسف وغليسي دراسات الباحث عبد الملك مرتاض، خاصّة في مجال المنهج والمصطلح، ومما توصّل إليه في مجال المصطلح أنّ عبد الملك مرتاض تأثّر بمصطلح الانزياح على (العدول) و(الانحراف)؛ لأنّ العدول يفتقر إلى قوّة مفهومية وخلفية معرفية، فهو مجرد أداة لقراءة نحوية، كما أنّ الانحراف غير متداول سيميائياً، بل هو متداول في المعاني المادّية³.

وأشار الباحث كذلك عن الانزياح في كتابه "في نظريّة الرّواية" حين اعتبر الانزياح عنصراً مهمّاً للكاتب والذي بفضل يحصل على لغة ثانية مملوءة بمعان جديدة كثيرة تحيي مواهبها، وتوسّع دلالتها وذلك بالاضطراب بها في مضطربات بعيدة لا عهد للغة المعجمية بها... فالممارس للكتابة واللّغة

¹ ينظر: عبد الملك مرتاض: نظريّة النّصّ الأدبي، ص 176

² المصدر نفسه: ص 177

³ ينظر: يوسف وغليسي: إشكالية المصطلح في الخطاب التقدي العربي الجديد، ص 215

يستأنس بها وتستأنس به، فيجد كلّ منهما شيئاً من الرّغبة في الانزياح (L'écart) عن المعنى الأول إلى معنى ثانٍ فتتسع الدّلالة بفضل استخدام عناصر التّبلغ مثل: الرمز، الاستعارة والمماثل (Icône)¹.

يملك عبد الملك مرتاض ثروة لغوية هائلة مكنته من السيطرة على التّأليف والكتابة، والانزياح جزء من هذا الصّنيع، وهو ما ساعده في التّقديم والتّأخير، والتّكرار واستخدام المجازات العقلية، والحذف والكنائيات والاستعارات والتّشبيهات، ممّا يجعل الكلمات تنحرف عن دلالاتها الحرفية إلى سياق جديد يستصيغه العقل، وهذه خاصية موجودة فيه دون غيره.

5.2.4. مصطلح الحيز (L'espace):

يعتبر هذا المصطلح من المصطلحات السيميائية التي كان لها حضور قوي في كتابات عبد الملك مرتاض، والحيز من الإشكاليات العديدة التي أثارها المدرسة التقديّة الجزائرية في الخطاب السردّي والشّعري تنظيراً وتطبيقاً، ويعدّ عبد الملك مرتاض من النّقاد الجزائريين الذين خاضوا في هذه المسألة، وعدّها ضرورة ينبغي توافرها في العمل الأدبي سرداً كان أو شعراً.

قمنا بدراسة إحصائية عن مصطلح الحيز في مؤلّفات عبد الملك مرتاض، وهذا ما خلصنا إليه في

الجدول الآتي:

عنوان المؤلّف	مصطلح الحيز
في كتابه " ألف ليلة وليلة" تحليل سيميائي تفكيكي لرواية "حمّال بغداد" الذي ألفه سنة 1989م	الحيز في حكاية حمّال بغداد (ص113-ص155)

¹ ينظر: عبد الملك مرتاض: في نظرية الرواية، ص106

الحيز الشعري وخصائصه (ص78-ص108)	مؤلفه "بنية الخطاب الشعري"؛ دراسة تشريحية لقصيدة "أشجان يمانية" المطبوع سنة 1991م
الحيز الشعري(ص173-ص179)	أ/ي قصيدة" أين ليلاي"لمحمد العيد آل خليفة الجزائري، الصادر سنة 1992م
المكان (ص245-ص260)	مدوّنته "تحليل الخطاب السردى"، سنة 1995م
أشكال الحيز الروائي (ص185-ص214)	كتاب "في نظرية الرواية" سنة 1998م
الحيز وجماليته في المعلقات(ص113-ص150)	كتاب "السبع المعلقات" سنة 1999م
الحيز والتّحيز(ص113-ص148)	المؤلف الموسوم ب"التّحليل السيميائي في الخطاب الشعري" سنة 2001م
الحيز في القرآن الكريم(ص116-ص155)	كتابه "نظام الخطاب القرآني" سنة 2001م
الحيز ومستوياته(ص166-ص181)	كتابه "الأدب الجزائري، دراسة في الجذور" سنة 2005م
الحيز في الأدب(ص295-ص335)	كتابه "نظرية النصّ الأدبي" سنة 2007م
الحيز في لغة الشعر(ص207-ص244)	قضايا الشعرية؛ متابعة وتحليل لأهمّ قضايا الشعر المعاصرة سنة 2009م

من خلال الجدول يتّضح لنا بصورة بائنة أنّ عبد الملك مرتاض كان مهتمّاً بهذا المجال وكان يجتد كثيرا لفظ الحيز على (المكان) و(الفضاء)، وهذا ما صرّح به حين قال: «إنّ بعض النقاد العرب المعاصرين يصطنعون مصطلح الفضاء الذي لا يراه ملائما لكلّ أطوار هذا المفهوم السيميائي الحدائي ممّا حمله على التّفرد بالتعبير عن الفضاء بالحيز»¹.

ويقول مرتاض في موطن آخر: «الحيز هو مفهوم مكاني دون أن يكون على الحقيقة بمفهومه الجغرافي الصميم، يمتدّ إلى أدقّ المشمولات الحيزية المتناهية اللطف»².

¹ عبد الملك مرتاض: الأدب الجزائري، دراسة في الجذور، ص144

² المصدر نفسه، ص ن

وفي موضع آخر فإنّ عبد الملك مرتاض ينتقد جميل صليبا كونه أساء التّرجمة لمصطلح الحيز حين اتّخذه مقابلا للمصطلح الغري(Espace)، فنشأ عن هذا المنطلق الخاطئ تصور خاطئ حسب اعتقاده، وفضّل لو ترجم مصطلح الفضاء إلى(Espace) لأنّه أهون شرّاً وأخفّ ضررا من النّاحية الدّلالية وأوسع معنا¹.

لكنّ الحيزّ الذي كان مرتاض يتصوّره ويحبّذه هو عبارة عن هيئة تتخذ لها أشكالا مختلفة لا نهاية لتمثّلها فتعرض ناتئة ومقعّرة ومسطّحة ومستقيمة ومعوجّة وعريضة وطويلة، كما تتمثّل في صورة خطوط وأبعاد وأحجام وأوزان دون أن ترتبط بصورة ما، وبهذا يخرج مصطلح الفضاء الذي تناوله النّقاد العرب المعاصرين كونه مصطلح بلوروا دلالته انطلاقا من الدّلالة المعجمية إلى الدّلالة المصطلحاتية².

وقال في موضع آخر متحدّثا عن المكان: «كنا نودّ لو أنّ مصطلح(L'espace) ترجم تحت مصطلح الحيزّ الذي نتعصّب له وننصح به، ومصطلح (Le lieu) تحت مصطلح(المكان) وكنا نودّ لو أنّهم دقّقوا في شأنه تدقيقا صارما»³.

إنّ عبد الملك مرتاض فضّل الحيزّ والفضاء معا حيث وجدناه يستخدم كلّ مصطلح في موضعه، ووضّفهما في الجانبين النّظري والتّطبيقي، كما أنّه يعتبر من النّقاد الذي عزّزوا هذا المصطلح من خلال ما أحدثه من مصطلحات جديدة موازية لمصطلح الحيزّ على غرار(التّحيز، التّحاييز، الحيزّ)، وهذا ما أهله ليكون رائدا في هذا المجال، إذ جعل مصطلح الحيزّ بدون حدود، حيث كان دائما يدرج الحيزّ في دراساته التّطبيقية، وهذه حجّة دامغة على قوّة المصطلح التقدي

¹ ينظر: عبد الملك مرتاض: السبع المعلّقات، مقارنة سيميائية أنثروبولوجية لنصوصها، ص 69

² ينظر: المصدر نفسه: ص 71

³ المصدر نفسه: ص 70

السيميائي عند عبد الملك مرتاض، التي مهّدت للمتلقي حسن الاستيعاب والقراءة والإبداع والغوص في ثنايا دراساته، التي استطاعت تحقيق ثروة نقدية في الوطن العربي عامة.

6.2.4. مصطلح التشاكل (Isotopie):

استعمل مرتاض هذا المصطلح في دراساته التطبيقية، بداية بكتابه " شعرية القصيدة؛ قصيدة القراءة، تحليل مركّب لقصيدة "أشجان يمانية" ثمّ كتابه "نظام الخطاب القرآني" من خلال تناوله للتشاكل والتباين لسورة الرحمن" في المستوى الرابع، وكذا في كتابه "التحليل السيميائي للخطاب الشعري"، وعرّف مرتاض هذا المصطلح بقوله: «عبارة عن تشابك لعلاقات دلالية عبر وحدة ألسنيّة، إمّا بالتكرار أو بالتّماتل ، أو بالتّعارض، سطحا وعمقا، سلبا وإيجابا»¹.

ما توصل إليه الناقد أنّ التكرار، التّماتل ، التقارب والتّعارض من أدوات تحقيق التشاكل، وهذا ما أكّده حين قال: «إنّ رصد التشاكل في علاقاته التّسجّية ينشأ عنه ضرورة رصد اللّاتشاكل أو التّقابل أو التّباين، وإذا كان التشاكل يرصد العلاقات المتقاربة أو المتماثلة بين مقوّمات نصّ من النّصوص فإنّ التّقابل أو التّباين يرصد العلاقات المتنافرة أو المتناقضة المتعارضة التي تقضي في حقيقة الأمر إلى تحديد العلاقة السيمائية للمقوم حال كونه منصهرا في نسيج النّصّ المطروح للتّحليل»².

كعادته مرتاض دائما يعود إلى التّراث العربي باحثا عن جذور هذا المصطلح في التّقد العربي القديم، ليصل إلى أنّ للجاحظ فضل السبق في استعماله لهذا المصطلح وهذا ما وضّحه مرتاض قائلا: «وممّن كان يكثر من استعمال هذا المصطلح ويستعمله في قريب من معنى المصطلح السيميائي الغربي أبو عثمان الجاحظ ورّمّا كان يطلق عليه لفظ(المشاكله) ويصادفنا ذلك في أطراف من كتاباته»³.

¹ عبد الملك مرتاض: شعرية القصيدة، قصيدة القراءة تحليل مركّب لقصيدة "أشجان يمانية"، ص43

² عبد الملك مرتاض: الأدب الجزائري، دراسة في الجذور، ص105

³ عبد الملك مرتاض: نظام الخطاب القرآني، تحليل سيميائي مركّب لسورة الرحمن، ص157

وبعد استعراضه لمفهوم التشاكل في البلاغة العربية الأصيلة، يذهب مرتاض ليؤكد أن هذا المصطلح تحدّث عنه "غريماس" ثمّ بعد ذلك يقدم تعريفاً جامعاً مانعاً حين يقول: «والتشاكل في تصوّرنا، وفي سيرة تطبيقاتنا لمفهومه، هو تبادل الخصائص الشكليّة بكلّ مظاهرها التحوّلية والمورفولوجية والإيقاعية، إفرادية كانت أم تركيبية»¹.

ومما أضافه الناقد لهذا المصطلح من تسميات مصطلح "الدورة التوزيعية"، ممثلة في «قابلية النصّ الأدبي لعطاء غير محدود، راسخ غير محدود، إذ يرينا كيف تتعاقب السمات اللفظية المنسوجة منها الكتابة الأدبية فيما بينها ضمن وحدة أسلوبية واحدة، وكيف تتشاكل تحت زوايا لغوية وإيقاعية ونسجية وجدانية مختلفة»².

وضع الناقد مثالا قويا وضّح من خلاله مصطلحي التشاكل والتباين وذلك في كتابه "تحليل الخطاب السردي" حين شبّه «ذكر الظلام والسواد وما في حكمها يكون على افتراض وجود نور وبياض، فالتشاكل من هذا الوجه يصبح تبايناً مضميناً والعلاقة الضمنية تفيد هي أيضاً التّكامل قبل التناقض»³.

7.2.4. مصطلح التمدل (التمعني) (La signifiante): وهذا المصطلح خاصّ بترجمة لعبد الملك مرتاض، وهو الذي قال: «يعني مفهوم التمدل معنى السّمة في حال عنفوانها، وليس إلى معنى المعنى: أي إلى (Le signe) وليس إلى (Le sens) مقابله العربي "التمعني"، وهو من اختيار ترجمتنا في اللّغة الفرنسية القديمة، وقد أنشئ من حيث هو لفظ معجمي زهاء سنة 1155م، ليدلّ على معنى

¹ عبد الملك مرتاض: نظام الخطاب القرآني، تحليل سيميائي مركّب لسورة الرحمن، ص 159

² عبد الملك مرتاض: نظرية القراءة، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، (د ط)، 2003، ص 414

³ عبد الملك مرتاض: تحليل الخطاب السردي، معالجة تفكيكية سيميائية لرواية زقاق المدق، ص 292

"المعنى الآخر" وقد جاءوا به من المدلول (Le signifie)، ويعني في اللسانيات فعل الاشتغال على معنى¹.

والحق أنّ مرتاض كان من أشدّ النقاد العرب حرصا على تأصيل المصطلح السيميائي واستخراج جذوره وضبطه ضبطا سليما، كما ساهم أيضا في ابتكار مصطلحات جديدة لمفاهيم غريبة حداثة لم يأت بها أحدا من النقاد العرب حسب اطلاعنا، وذلك مثل: مصطلح «التّصنعة» الذي أنشأه مقابلا لمصطلح (Textualisation)، ومصطلح (المماثل) الذي اقترحه مقابلا لقولهم: (L'icone)، وكذا مصطلح (المواسم) ليقابل قول جوليا كريستيفا (Julia Kristeva): (Semiosis)، وأيضا مصطلح (كتبوب) المقابل لمصطلح رولان بارت (Roland Barthes): (Ecrivant)².

من خلال ما سبق يمكن القول إنّ الناقد يستعمل التّشاكل كإجراء سيميائي كثيرا في كتبه خاصّة في جانبها التّطبيقي منها، وهذا بغية ترسيخه في ذهن المتلقّي، كما أضاف العديد من المصطلحات المتطابقة مع التّشاكل على غرار الكلمات التالية: التّماثل، التّقابل، التّباين، التّجانس التّدافع، كما كان يوظّف كثيرا الإجراءات التأويلية للكشف عن مواطن جمال النّصوص التي كان يدرسها، وهذا ما جعل مرتاض يساهم بشكل كبير في توسيع هذا المفهوم، فيتحقّق بذلك الهدف الأسمى للخطاب الأدبي المتمثّل في الانسجام الدّلالي.

5. إشكالية اللّغة عند عبد الملك مرتاض:

عبد الملك مرتاض من النّقاد الجزائريّين المخضرمين كونه شرب من وعاء القرآن الكريم، ومن التّراث العربي الإسلامي الأصيل، كما استفاد من الثقافة الفرنسية التي كانت رائدة في مجال النّقد وبذلك اكتسب زادا وفيرا من اللّغة والنّقد والتّاريخ والأدب والتّحو، فبعد قراءة مؤلّفاته الكثيرة الخاصّة

¹ عبد الملك مرتاض: مائة قضية... وقضية؛ مقالات ودراسات تعالج قضايا فكرية ونقدية متنوّعة، ص 385، 386

² ينظر: المصدر نفسه: ص 366

بهذا المنهج ، وجدناه يعتمد كثيرا على المصادر العربية الأصيلة، وهذا ما جعله يعتمد على منهجية تنطلق من الجزئيات للوصول إلى الكلّيات، في دراساته النظرية والتطبيقية للخطاب النقدي السيميائي، لأنّه يملك لغة تميّزه كثيرا عن غيره من النقاد، والتي نصفها كما يلي:

- لغة سهلة يسيرة يفهمها العام والخاصّ وصفها باللّغة الشّفاة المتسلّطة التي تستطيع التقاط الصور ووصف العواطف وما في الجوانح، ودغدغة النفوس وما في المشاعر، تستطيع الكشف عمّا في مجاهل زواياها المظلمة لوصفها وإظهار ما في غيابات مضطرباتها الخفيّة لتعليقها¹.
- اعتماده على مبدأ سلطان الأسلوبية وهو الذي وضّحه في مؤلفه "السبع المعلّقات" حين وضع نظاما لغويا ضبط به التسج اللغوي للكلام، فربط الاسم بالفعل ووظّف بعضهما إزاء بعض أسلوبيا لا نحويا، وكذا النداء والاستفهام والقسم والتشبيه، مع ضرورة الارتفاق بالأدوات البلاغية بوعي منهجي، وهذا بغرض تسهيل طرائق القراءة الجديدة، التي تتحالف بتلك البلاغيات نحو تأويلية القراءة وسيماءوية التحليل².
- اهتمامه كثيرا باللّغة القديمة والحديثة والتي روج لاستقرارها «وانتشارها في الجزيرة العربية للمواسم والأسواق ثمّ القرآن الكريم والحديث النبوي الشّرف، ثمّ نصوص الخطب والأشعار والرّسائل والأقوال المأثورة، الحكم السائرة، أمّا اللّغة الحديثة روج لها ما يعرف اليوم في اللغة المعاصرة تحت مصطلح وسائل الإعلام، والكتابات الأدبية كالشعر والرّواية والقصة والمسرحيّة...»³.
- إكثاره من الإيقاع بدل السّجع والمماثلة لأنّهما لا يحقّقان الغاية التي يؤدّيها الإيقاع، الذي ينبهر منه السارد «فيغترف منه اغترافا كثيرا للألفاظ العربية، ممّا ترقى به إلى المثالي الذي نحلم به ولا نقع عليه»⁴.

¹ ينظر: عبد الملك مرتاض: في نظرية النّقد؛ متابعة لأهمّ المدارس النقدية المعاصرة ورصد لنظرياتها، ص 09

² ينظر: عبد الملك مرتاض: السبع المعلّقات، مقارنة سيميائية أنثروبولوجية لنصوصها، ص 108، 109

³ المصدر نفسه: ص 111

⁴ عبد الملك مرتاض: ألف ليلة وليلة، تحليل سيميائي تفكيكي لحكاية حمّال بغداد، ص 208

ومن أمثلة اللّغة القديمة والجديدة: الضّرّية كان يقصد بها في اللّغة القديمة (الشيء الذي يضرب بالسيف) أمّا في اللّغة الجديدة (لغة أصحاب الضّرائب والجبايات).

- سعيه دائماً لإحياء الألفاظ القديمة والانتصار للثقافة العربيّة الأصيلة.
- يجبّد الناقد أسبقية النظام الاسمي على النظام الفعلي في تركيب الأسلوب ونسجه، لأنّه ينهض أساساً على النظام الاسمي، أكثر من هوضه على النظام الفعلي، وهو قادر على نقيض اللّغات الأوروبية أو حتّى بعض اللّغات الشرعيّة عن الفعل من حيث لا يستطيع الاستغناء عن الاسم، وضرب لذلك مثلاً حصره في البسمة التي يردّها كل يوم قريبا مليار مسلم من العالم¹.
- توظيفة للخيال المتمثّل في التشبيه والكنيات والاستعارات والمجازات، وكذا المحسنات البديعية وهذا باعتزافه الشّخصي حين قال « ليس هناك أي أدب في العالم وبأيّ لغة كتب وفي أيّ نسج نسج وتحت أيّ خيال أنشئ نراه يخلو من التشبيه...زينة يصطنعها كلّ المتعاملين باللّغة في حياتهم اليومية»².
- أسلوب مرتاض سهل بسيط يتألف من الكلمات الأصيلة التي لا «تحمّل مالا تحتمل وتقتصر دلالتها العادية في المعجم العربي، ويكره الفساد والاضطراب الصياغي والتكرار غير المبرّر فنيّاً... كما أنّ الأسلوب في نظره يرتكز على أربعة أمور هي: الوصف، الإيقاع، التشبيه والتضاد»³.
- لغة مرتاض تعتمد على التّركيز والتحوير خاصّة في مجال النظريات الغربية الجديدة، «التي لا ينبغي لها أن تكون مؤتلفة ولا مؤتبقة، بل يجب أن تعتمد الصّياعة فيها إلى لغة مركّزة تعرض بها الحقائق وتقرّر بها النظريّات والأحكام دون تحسين ولا تزيين ولا تجليل ولا تفخيم»⁴.

¹ ينظر: عبد الملك مرتاض: السّبع الملعّقات؛ مقارنة سيميائية أنثروبولوجية لنصوصها، ص122

² عبد الملك مرتاض: ألف ليلة وليلة، تحليل سيميائي تفكيكي لحكاية حمّال بغداد، ص114

³ المصدر نفسه: ص194، 195

⁴ عبد الملك مرتاض: قضايا الشعريات، متابعة وتحليل لأهمّ قضايا الشعر المعاصر، ص13

- يمتلك عبد الملك مرتاض خصوصية انفعالية ميّزت أسلوبه اللغوي عن غيره من النقاد وجعلته رائدا في هذا المجال.
- يعتمد كثيرا على الوصف في كتاباته، لأنه من أبرز «العناصر الأساسية التجميلية التي تلزم الخطاب الأدبي وترقى به إلى درجة من الفنّ، مشهودا لها ومعترفا بها لدى خبراء الخطاب الأدبي وهم فطاحلة النقاد»¹.
- يمتاز مرتاض بخلفية معرفية تراثية ووعي حدائثي مكّنه من تأسيس لغة عربيّة خالصة.
- حملت لغة مرتاض مجمل آليات توليد المصطلح كالاتقاق، النحت، التعريب، الإحياء والترجمة.
- استخدامه أسلوب التكرار كثيرا وهذا ما أكّده حين اعتبره «خاصيّة هامّة في الأعمال الأدبية، لأنّ اللّغة لا تسعف الكاتب بالسّعة والتّبخر... فيقع التّكرار الذي ما منه بدّ، كما أنّ التّكرار لازمة من اللّوازم التي تقارف الكاتب ولا تفارقه»².
- تتسم لغة عبد الملك مرتاض «بالأصالة والجزالة والأناقة، أمّا الأصالة فهي لجرانها على أصول اللّغة العربيّة الصّميّة في مفرداتها وتراكيبها، باستعمال الألفاظ المناسبة وإن ندر استعمالها، واصطناع الصيغ المؤدّيّة للغرض وإن ظهرت غريبة لجمهور القراء، أمّا الجزالة فللخصائص التي دلّت على الأصالة، ولارتفاع لغته عن مستوى اللّغة السائدة، وأمّا الأناقة فهي لتوزيعه الألفاظ في الجمل، والجمل في الفقرات، والفقرات في النّصّ توزيعا لطيفا، تشعر معه أنّ اللّغة تحدّث وقعا قويا في أذن السّامع وقلبه»³.
- لغة مرتاض لغة سهلة مرنة يفهما العام والخاصّ، لأنّه يمتلك أسلوب السهل الممتنع، الذي اكتسبه من مدوّنات التراث العربي الإسلامي، فجعل المتلقّي ينهال على قراءة كتبه.

¹ عبد الملك مرتاض: ألف ليلة وليلة، تحليل سيميائي تفكيكي لحكاية حمّال بغداد، ص 196

² عبد الملك مرتاض: تحليل الخطاب السردى، معالجة تفكيكية سيميائية لرواية زقاق المدق، ص 268

³ ينظر: عبد الملك بومنجل: تجربة نقد الشعر، دار قرطبة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1؛ 2015، ص 12

6. إشكالية تأثر الناقد بالتراث العربي الإسلامي:

الدارس لمنجز عبد الملك مرتاض النقدي عموماً والسيميائي خصوصاً يجد أنه كان دائماً شديد الحرص على «توطين المعرفة السيميائية وتطويرها وتأكيد أصالتها في التراث العربي مثل إشارات الدؤوبة إلى شرح المرزوقي لنصوص حماسة أبي تمام وشرح أبيات المتنبي لابن سيده وبدرجة أدنى شرح مقامات الحريري، وكتاب "السبع المعلقات"، خير دليل على ذلك، فمراجعته تبين للقارئ أن التحليل السيميائي في هذا المنجز النقدي يتوجه مرجعية تراثية منفتحة انفتاحاً واعياً على أدبيات الحدائث الغربية، بل إن القارئ سيقف على المصادر التراثية أكثر مما قد يقف على المراجع الحديثة»¹.

ووجدناه في بعض المواطن يتعصب للثقافة العربية ويفتخر بها على النظريات الغربية الحديثة، وهذا ما أشار إليه في إحدى كتبه عندما كان في معرض الحديث عن الفروق المنصرمة إلى معنى المفهوم بين اللغة، واللسان، والكلمة، والخطاب، فقال: «فترى أن اللغة هي سلسلة من الأصوات المتمفصلة، ولكنها أيضاً شبكة من العلامات المكتوبة، واللعب بالإشارات، ولكننا نلاحظ، وإن رغمت أنوف الذين يغضون من التراث العربي الإسلامي، أن ابن جني (322هـ-392هـ) كان في مطلع كتابه "الخصائص" عرف اللغة بما يقترب من تعريف كريستيفا (Crestiva)... كما ميّز ومن قبله سيويه (148هـ-180هـ)، بين القول والكلام فذهب إلى أن كل كلام قول، ليس كل قول كلاماً»².

في نظر عبد الملك مرتاض الأسلوبية جزء لا يتجزأ من علم البديع والمعاني المعروف في البلاغة العربية، وهذا ما أشار إليه قائلاً: «ما كان يطلق عليه البديع والمعاني في البلاغة العربية، ليس إلاّ الأسلوبية (La stylistique) بالمصطلح الجديد، وقل إن أردت إلاّ قلباً للتعبير: ليست أسلوبية هذا الزمان إلاّ ما كان يعرف تحت مفهوم البديع والمعاني في البلاغة في العهود الغابرة، كما أن ما كان

¹ يوسف وغليسي: عاشق الضاد؛ قراءات في كتابات العلامة عبد الملك مرتاض: ص 255

² عبد الملك مرتاض: مائة قضية... وقضية؛ مقالات ودراسات تعالج قضايا فكرية ونقدية متنوعة، ص 219، 220

يطلق عليه العدول في البلاغة العربية ليس إلا الانزياح في مصطلحات السيميائية (Sémiologie) وهلمّ جزاً...»¹.

عبد الملك مرتاض من النقاد الجزائريين الذي تتلمذوا على يد ثلثة من الغربيين الذي كان لهم دور كبير في نشر المناهج الغربية الحديثة، لكنّه بقي دوماً محافظاً على تراث أجداده ومنتصراً للثقافة العربية الإسلامية، وما يبرهن ذلك ما كتبه في بعض كتبه قائلاً: «ولقد انتهينا نحن بعد أمة، إلى أنّ بعض المفاهيم السيميائية المعاصرة، هي فعلاً كانت في أصلها بلاغية خاصة البلاغية، بحيث نجد مثلاً ما كان يطلق عليه عبد القاهر الجرجاني (400هـ-471هـ) معنى المعنى في مصطلحات البلاغة، وهو أول من أسّسه في المفاهيم البلاغية في القرن الخامس (05) للهجرة، فيما نعلم، ليس إلا البراغماتية (La pragmatique) أو التداولية التي تعني من بين ما تعنيه في مفهومها السيميائي المعقد الذي لا يزال غير واضح المعالم في أذهان العوام، المعنى المسكوت عنه في الكلام»².

اهتدى عبد الملك مرتاض بحسّه النقدي المتميّز إلى تحقيق ذلك التناغم والتّوافق بين المنهج السيميائي خاصّة، (وكذا المناهج المعاصرة الأخرى على غرار التفكيكية والبنوية والأسلوبية)، وتراثنا النقدي في عديد المصطلحات السيميائية، والتي يمكن أن نشير إليها كما يلي: العدول مقابلاً للانزياح، الأسلوبية انطلاقاً من البلاغة، التّشاكل والتّباين والذي هو فرع من البديع، مشيراً في أكثر من موضع أنّ معظم الجهابذة العرب استطاعوا أن ينشئوا مدرسة نقدية عربية أصيلة ظلّت تنهض بوظيفتها الفكرية والجمالية إلى حدّ أنّ الموسوعة العالمية تعترف بعبقريتها وأصالتها... كما أنّ الفكر النقدي العربي يمتلك حقّاً في رهن الزّمن فريقاً من النّقاد المتألّقين لنكرّر ذلك ونؤكّده تأكيداً³.

¹ عبد الملك مرتاض: مائة قضية... وقضية؛ مقالات ودراسات تعالج قضايا فكرية ونقدية متنوّعة، ص ن

² المصدر نفسه: ص 203

³ ينظر: عبد الملك مرتاض: في نظرية النّقد؛ متابعة لأهمّ المدارس النّقدية المعاصرة، ص 20، 21

والتأخر في خطاب عبد الملك مرتاض السيميائي يستكشف ذلك التعاطي الرهيب الذي مارسه العرب كتابة حول النصّ الأدبي منذ القديم إذ شكّل ذلك ملامح المناهج النقدية المعاصرة عامّة، والسيميائية خاصّة، ولقد استطاع مرتاض منح المنظومة النقدية المعاصرة تشكيلا نقدية فريدة من حيث المحتوى آخذا في الاعتبار ما ورد في المنجز النقدي الغربي المعاصر، ما جاءت به قرائح العرب في النقد الأدبي مكرّسا مبدأ المزاجية بين التراث والحداثة¹.

فمنا بوضع جدول نبين من خلاله التداخلات الموجودة بين السيميائيات واللسانيات والفلسفة والمنطق والبلاغة والنحو والتي استخلصها مرتاض وقد رتبناه على النحو التالي:⁽²⁾

المعنى	الدّالية	السّمة/العلامة	السيميائية/السيميائية	التداولية	التشبيه
النحو	اللّسانيات	النحو	السيميائية	المنطق	البلاغة
البلاغة	السيميائية	الطّب	الطّب	الفلسفة	الفلسفة
اللّسانيات	الفلسفة	السيميائية	الفلسفة	السيميائية	السيميائية
الفلسفة	////////	الفلسفة	////////	البلاغة	////////
////////	////////	اللّسانيات	////////	////////	////////

يظهر في الجدول جلياً مدى قيمة وقوة التراث البلاغي العربي الإسلامي، الذي كان له دور فعّال في بلورة معظم المفاهيم السيميائية الحديثة، وكذا المفاهيم الغربية الأخرى كاللّسانيات والفلسفة و المنطق، حيث كان مرتاض يعتمد على مبدأ «ينطلق من التراث نحو الحداثة، والعكس عن طريق الاستناد إلى التراث النقدي العربي الكبير كونه غنياً بالتّظريّات النقديّة المبتكرة خصوصاً في الممارسات النقديّة»³.

¹ ينظر: الحاج جغدم: نظرية البلاغة وعلاقتها بالسيميائية في مشروع عبد الملك مرتاض النقدي، مجلة اللّغة الوظيفية، مج1، ع1، س2014، ص88، 89

² ينظر: عبد الملك مرتاض: مائة قضية... وقضية؛ مقالات ودراسات تعالج قضايا فكرية ونقدية متنوّعة، ص202

³ عبد الملك مرتاض: السبع المقلّقات؛ مقارنة سيميائية أنثروبولوجية لنصوصها، ص234

وذهب أبعد من ذلك حين أعاب على أولئك النقاد المقلّدين الذين يعتبرون مجرد ناقلين ما درسوه عن الغرب متناسين ومكابرين عمّا تركه أسلافهم من تراث فكري ثري، ووصفهم بل اعتبرهم «واحدا من اثنين، إمّا لأنّهم يجهلون هذا التراث، وإمّا لأنّهم لبعض ما في قلوبهم من مرض يمتقنونه فيقعون في المكابرة ولا حجّة لهم في الحاليين ولا سداد لرأيهم في الطّورين»¹.

ساهمت هذه الخلفية التراثية العريقة بشكل كبير في تأسيس رؤية نقدية جديدة صنعت الإبداع والتّجديد الذي اتّصف به مشروع مرتاض النقدي، وطريقة عمله كانت تقوم على «الانطلاق من التراث نحو الحداثة، أو من الحداثة ولكن بالاستناد إلى التراث وذلك على أساس أنّ التراث النقدي العربي غنيّ بالنّظريّات والآراء النقدية»².

وأكد عبد الملك مرتاض في أكثر من مناسبة على أنّ لعلماء الشرق العربي فضل السبق في اختراع مختلف السّمات العجيبة التي تدلّ على كلّ شيء على صغرها، وتخلّد كلّ شيء رغم قلة عدد حروفها، أو أشكالها السمية، كما أنّ هناك من المؤرخين من يرون أنّ العرب الفينيقيين هم الذين ابتكروا الخطّ أو الكتابة أو سيميائية الخطّ كما وصفها³.

وفي حديثه عن علاقة الحداثة الغربية بالتراث الإسلامي العربي، فإنّه يفتخر بكون التراث العربي الإسلامي، تراث عظيم خصب، حدّاثي، لدرجة أنّه يلقي الكثير من المفاهيم الغربية الحداثيّة النقدية، السيميائية، البلاغية، اللسانياتية جذورا لها في هذا التراث الذي تزخر به مؤلّفات كبار المفكرون العرب

4.

¹ عبد الملك مرتاض: السبع المعلّقات؛ مقارنة سيميائية أنتروبولوجية لنصوصها، ص ن

² المصدر نفسه: ص 265

³ ينظر: عبد الملك مرتاض: مقدمات منهجية فيما اتفق لي في تقديمات كني التأسيسية، دار القدس العربي للطباعة والنشر

والتوزيع، وهران، (د ط)، 2022، ص 67

⁴ ينظر: المصدر نفسه: ص 78

وصفوة القول فإنّ عبد الملك مرتاض زواج بين التّراث والحداثة مستندا على العناصر التّالية:

- القرآن الكريم الذي حفظه في صغره
- كتب العرب المتقدّمين
- كتب التّفاسير
- إحاطته الكبيرة بالمناهج التقّدية المعاصرة
- محاولته الابتعاد عن التّقليد ما أمكن
- سعيه الحثيث للتّجديد والابتداع لتحقيق التّوازن والتّكامل إن أمكن ذلك.
- قاعدته المتينة من خزانة الأدب والبلاغة لحفظه القرآن الكريم، وقراءة أمّات الكتب العربية.
- اجتهاده الدائم في سبيل ابتكار نقد جزائري خالص.
- دعوته المتكرّرة الدّاعية إلى ضرورة إحياء التراث الجزائري الأصيل.
- ممارسته الجيّدة للغة، إذ يستطيع عبد الملك مرتاض التّأليف والكتابة في أي وقت شاء، نظرا لكونه يتمتّع بلغة ثاقبة ومرجعية علمية واسعة، وموسوعة إسلامية جيّدة.

الخاتمة

بعد اطلعنا على جملة من المدونات السيميائية، التي ألفها العديد من النقاد الجزائريين المهتمين بهذا المنهج الغربي الجديد، وعلى رأسهم الناقد عبد الملك مرتاض توصلنا إلى مجموعة من النتائج والتوصيات التي يمكن إجمالها كما يلي:

أ. النتائج العامة: نقصد بها النتائج المستخلصة من الفصول النظرية، وهي على النحو الآتي:

1. ارتبط مفهوم السيميائيات في العالم الغربي بعلوم الطب، ثم تطوّر إلى موضوع الدال والمدلول.
2. مفهوم السيميائيات في الحضارة العربية الإسلامية، بدأ بعلوم السحر أولاً في العصر الجاهلي، سرعان ما تطوّر إلى الالتفات إلى أنظمة العلامات والرموز، ليكن بعد ذلك إلى بحوث الدلالة وتفريعاتها في مختلف الاختصاصات بداية بالفلسفة والمنطق، ثم البلاغة والتقد، وكذا علم التفسير والفقّه وأصوله.

3. يعود فضل السبق لنشأة هذا المنهج في العصر الحديث للعالم السويسري فرديناند دوسوسير (Ferdinand de Saussure)، والفيلسوف الأمريكي تشارل سنדרس بيرس (Charl Sanders Peirce).

4. العلامة عند دوسوسير ثنائية المبنى تتألف من دال ومدلول، تربط بين الصورة الذهنية والكلام الصادر عن الإنسان، وكشف مكان العلامة داخل النص كما أنّ دوسوسير يعتبر اللسانيات جزءاً من السيميولوجيا، كون اللغة فعل من أفعال السيميولوجيا، ورغم أنّ هؤلاء العالمان لم يلتقيا إلا أنّ كلاهما أصّل لهذا العلم وأسّس معطياته الأولى التي تنطلق من العلامات وتفريعاتها، وأصبحت علماً يعتمد عليه في تحليل كلّ ما هو لغوي وغير لغوي.

5. تشارلز سنדרس بيرس انطلق في تأصيله للعلامة من منطلق فلسفي منطقي، يرتكز على القواعد الرياضية، وجعلها ثلاثية المبنى على شكل مثلث، تتكوّن من ثلاثة عوالم وهي: عالم الأحاسيس، ثمّ عالم الوقائع، وأخيراً عالم القوانين، مؤكّداً على أنّ العلامة لغويّة وغير لغويّة، تتحدّد بعلاقة الماثول بالموضوع الذين يجمعهما المؤول، ويعتبر بيرس مبادئ علم المنطق والمقولات الفلسفية جزءاً لا يتجزأ من السيميوطيقا، التي تسعى لإنتاج الدلالة التي يطلق عليها السيميز (Semiosis).

6. المنهجية الحديثة للسيميات تعتمد على ثلاثة اتجاهات هي: سيمياء التواصل، سيمياء الدلالة، سيمياء الثقافة، يربط بينهم رابط مشترك، وهو دراسة علامية ورمزية للغة، فمثلا سيمياء التواصل تدرس حياة العلامات في ميدان التواصل بين بني البشر، أما سيمياء الدلالة تدرس حياة العلامات وفعاليتها في مواضيع الدال والمدلول، التركيب والنظام، في حين سيمياء الثقافة تتناول أهمية العلامات في إبراز مختلف الثقافات الموجودة في العالم مثل: التقاليد والأعراف التي اعتادها الناس في نظام الأكل والشرب، التنقل والسير وغيرها...

7. النقد السيميائي ينطلق من عنصرين هامين في عملية التحليل وهي:

- الفاعلية: تتمثل في تحديد مسار النصّ وانسجام أنساقه.
- المفعولية: العمل على حسن تحقيق ترابط سليم بين بنيات النصّ المتعددة.

8. بفضل السيميائيات استطاع الناقد الخروج من دائرة تحليل النصوص الأدبية فقط، إلى النصوص الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وغيرها.

9. ظهر الخطاب النقدي السيميائي في الوطن العربي مع بداية الثمانينات-خاصة المغرب والجزائر- ثم انتقل إلى باقي البلدان العربية، بفضل مجموعة من الطلاب الأكاديميين الأوائل المتخرجين من الجامعات الفرنسية المتأثرين بالأساتذة الغربيين الذين أطروهم في أطروحاتهم على غرار جوليا كريستيفا، غريماس، أندري ميكائيل...

10. يعتبر المنهج السيميائي المنهج الغربي الأول الذي أخذ القسط الأكبر في الساحة النقدية الجزائرية.

11. جلّ الدراسات السيميائية الجزائرية كانت تركز على الكتب الغربية المترجمة، الشيء الذي أدّى إلى المغالطة في الكثير من المواضيع والأحكام المسبقة.

12. عانى الخطاب النقدي السيميائي في الجزائر من إشكاليات نطرحها كما يلي:

- إشكالية تلقّي المنهج واللامنهج في النقد الجزائري
- إشكالية صياغة المصطلح السيميائي، وطرق ترجمته وتعريبه.

• غياب الوعي الخاص بأهمية المصطلح.

13. معظم الدواوين السيميائية الجزائرية اهتمت بالجانب النظري وكذا التطبيقية لهذا المنهج.

14. تلقى النقاد الجزائريون الخطاب النقدي السيميائي على واقع النقل والتعريب والمثاقفة والاقتناس، في غياب الروح النقدية والوقوف على أماكن النقص ومواضع الخلل فيما كتبه زعماء المنهج السيميائي.

ب. النتائج الخاصة: نقصد بما النتائج التي توصلنا إليها أثناء بحثنا عن إشكالية تلقي عبد الملك مرتاض للخطاب النقدي السيميائي على وجه التحديد، والتي نوجزها كما يلي:

1. تبلورت معالم الخطاب السيميائي وبوادره عند عبد الملك مرتاض مع نهاية القرن العشرين، بعدا انتهى زمن البنيوية التي اشتغل عليها مرتاض كثيرا في مؤلفاته.

2. عبد الملك مرتاض رائدا من رواد الخطاب النقدي السيميائي في الوطن العربي على وجه العموم، وفي الجزائر على وجه الخصوص.

3. مدونات عبد الملك مرتاض السيميائية تعتمد كثيرا على إجراءات التأويل، المنهج الإحصائي، الأنثروبولوجي، الاجتماعي، والتاريخي.

4. اعتمدت المدونة السيميائية لعبد الملك مرتاض على البناء النظري في الفصول الأولى من مؤلفاته، سرعان ما ينطلق باتجاه الممارسات التطبيقية، مبتغيا بذلك نظرية نقدية أكثر عمقا، واتباع إجراءات سيميائية أكثر دقة.

5. يرى عبد الملك مرتاض أنّ السيميائيات عبارة عن خليط من التحويلات واللغويات واللسانيات، حققت علميتها على يد كل من دوسوسير وبيرس.

6. على الرغم من أنّ السيميائيات تدرس العلوم الطبيعية والبيولوجيا والفيزياء والرياضيات، وما يدخل تحت سقف هذه العلوم كالأدب والدين، إلا أنّ عبد الملك مرتاض يخالفهم في قضية الدين الذي يربطه الغربيون بالأسطورة، وهو ما يرفضه عبد الملك مرتاض جملة وتفصيلا.

7. أدمج عبد الملك مرتاض الموروث البلاغي العربي في مجال الخطاب السيميائي، خاصة في ميدان تحليل النصوص الأدبية العربية القديمة تحليلاً سيميائياً.

8. عبد الملك مرتاض أكثر ميلاً للخطاب النقدي السيميائي الفرنسي على مختلف خلفياته ومرجعياته الثقافية.

9. دراسات عبد الملك مرتاض في مجال الخطاب السيميائي اعتمدت كثيراً على عملية تركيب المناهج، الذي طبق من خلاله التحليل المستوياتي لمختلف النصوص الأدبية التي تناولها ومن جملة المؤلفات التي زواج فيها مرتاض بين السيميائيات وغيرها من المناهج النسقية وكذا السياقية ما يلي:

- دراسته لرواية حمال بغداد دراسة "سيميائية تفكيكية"
- دراسته للخطاب السردي من خلال المعالجة التطبيقية لرواية "زقاق المدق"، فاستخدم المنهجين (التفكيكي + السيميائي).
- تحليله السيميائي لقصيدة أين ليلالي لمحمد العيد آل خليفة مرتكزا على المنهجين (السيميائي + التفكيكي).
- اعتماده على المنهج الأسلوبي والسيميائي وكذا التأويلي في كتابه "نظام الخطاب القرآني؛ تحليل سيميائي مركب لسورة الرحمن .
- خلال تحليله لقصيدة "أشجان يمانية" تناول المنهجين (الأسلوبي + السيميائي).
- من الصفات التي تميّز بها مرتاض عن غيره أنّه اهتمّ بالتراث العربي القديم، فحلل السبع المعلّقات؛ معتمداً على المناهج التالية: (الأنثروبولوجيا + السيميائية + التأويلية).
- وظّف المنهج التاريخي والأنثروبولوجي وكذا السيميائي في كتابه الموسوم بـ "الشعر الأول، معالجة تاريخية رصدًا وأنثروبولوجية مقارنة، وسيميائية تحليلاً لمطالع المعلّقات" .

10. سعى عبد الملك مرتاض سعياً مشهوداً لتأسيس خطاب نقدي سيميائي، وتأكيد أصالته في التراث العربي منفتحاً على أدبيات الحداثة الغربية، ومن أمثلة ذلك أنّه كان ينسب مصطلح التناص (الحداثي الغربي) لمصطلح (السرقاات الأدبية) الموجود في البلاغة العربية القديمة.

11. أصول السيميائيات عند عبد الملك مرتاض تتمحور في أمرين هما:

● **الأصول التراثية العربية:** يؤكّد مرتاض أنّ الباحثين العرب سواء كانوا كلاميين أو منطقيين أو بلاغيين أو أصوليين أو مفسّرين تناولوا معظم القضايا التي عالجتها السيميائيات المعاصرة، كإشارات عابرة، كلّ في ميدان تخصّصه.

● **الحدّثة الغربية المعاصرة:** يقصد بهم زعماء المنهج السيميائي وبالخصوص أصحاب المدرسة الفرنسية على غرار دوسوسير، رولان بارت، غريغاس، كريستيفا، كلود ليفي ستروس... وكذا الأمريكي بيرس، والإيطالي أمبرتو إيكو.

12. من نتائج تأثر عبد الملك مرتاض بالمنهج السيميائي محاكاته لبعض عناوين السيميائيين الغربيين على غرار أمبرتو إيكو ورولان بارت، في العنوان فقط لكن لم تشمل الموضوع والمنهج، غير أنّ المتن الذي درسه مرتاض كان شعريا ومتن بارت كان قصصيا، وتمثّل لذلك بما يلي:

● أ/ي دراسة سيمائية تفكيكية لقصيدة "أين ليلاي": S/Z رولان بارت

● قراءة النصّ بين محدوديّة الاستعمال، ولا نهائيّة التّأويل؛ تحليل سيميائي لقصيدة قمر شيراز للبياتي: حدود التّأويل لأمبرتو إيكو.

13. يقوم الخطاب التّطبيقي للمنهج السيميائي عند مرتاض على عمليّة الكشف عن نظام العلامات الموجود داخل النصّ، مستخدما مجموعة من الإجراءات السيميائية كالتّأويل، التّناس، الانزياح، التّشاكل والتّباين، اتّباع المعاني وتفكيك الكلمات، والتي بدورها تمنح النصّ خصوصية جديدة.

14. طبّق الناقد المنهج السيميائي على النّصوص التراثية العربية والجزائرية، من شعر ومقامات وروايات.

15. تبنّى الناقد هذا المنهج تبنّيّا فيه نوعا من الإبداع، محاولا الابتعاد عن التّقليد، لأنّ في رأيه هذه نظريّة معرّضة للنّقد، حيث أنّه لم يلتزم التّحليل السيميائي الصّارم في مختلف مؤلّفاته.

16. استعمل الناقد السيميائيات التّأويلية في دراساته التّطبيقية، حيث كان يركّب التّأويلات والسيميائيات تركيبا انتقائيا.

17. عاتب الناقد كثيرا ثلّة من النّقاد العرب المعاصرين لاستحيائهم من تراث أجدادهم الذي في نظره كان ينبغي عليهم بل من أوجب الواجبات عليهم تسليط الضّوء على أنّه مادّة خام تساعد في تطوير روح الإبداع والتّجديد، لكنّه وللأسف الشّديد أهملوه وأهمّوه بالقصور والنّقص.
18. ينبذ مرتاض فكرة المنهج الواحد لأنّه يسلب حرّيّة الفرد ويكبّل إبداعاته الفكرية والمعرفية.
19. اعتمد الناقد في دراساته التّطبيقية على نظرية التّركيب المنهجي، نظرا لاقتناعه بحتمية تداخل المناهج والابتعاد ما أمكن عن التّعصّب للذّات الأيديولوجية.
20. الخطاب النّقدي السيميائي عند مرتاض اتّخذ منهجية تعدّد القراءة في ممارساته النّظرية والتّطبيقية، مخالفا بذلك غريماش الذي كان دوما يؤثّر القراءة الأحادية، معتبرا أنّ هذا الخاصية جزء من خصائص الموروث العربي القديم، يرتبط بعدّة جزئيات بداية بالأشخاص، الثّقافات، الزمان والمكان، هذا الأمر سهّل عليه مهمّه التمهيد لقضية اللّامنهج التي خلص إليها.
21. حتّ عبد الملك مرتاض النّقاد في مؤلّفاته على العمل بفكرة اللّامنهج، واعتبرها المنهجية الوحيدة التي تحقّق روح الإبداع والتّجديد لدى النّقاد لأنّها تجعل المبدع في منأى عن نظرية الالتزام بمنهجية محدّدة، والتي بدورها تقتل روح الإبداع في ذهن المبدع.
22. معجم عبد الملك مرتاض المصطلحي مختلف كثيرا عن معاجم النّقاد العرب المعاصرين، في الميدان اللّغوي والبلاغي، كما أنّه يملك أسلوبا قرآنيا يميّزه عن غيره نظرا لتشبعه الكبير بعلوم الحضارة العربية والإسلامية، كما يحوز على ثقافة غربية واسعة اكتسبها من أساتذته الغربيين الذين أطّروه بفرنسا على غرار أندري ميكائيل، ومن المصطلحات التي كانت موجودة في التراث العربي الإسلامي: السمة، العلامة، العدول، الدليل، الحيز، الأحدوثة بدل القصة...
23. تناول الناقد المصطلح السيميائي من خلال اتّباع آلية علمية تساهم في ربط المصطلح العربي القديم مع المصطلح السيميائي الغربي، وبدوره يركّب مصطلح يزاوج من خلاله بين الأصالة العربية الإسلامية، والحداثة الغربية المعاصرة، مبتكرا مصطلح نقدي جديد.
24. في مجال تعريب وترجمة المصطلح السيميائي اعتمد مرتاض على القاعدة التالية:

- ابتداء مصطلح تراثي مستقى من البلاغة العربية القديمة.
 - ترسيخ مصطلح حدائني جديد يقارب الخطاب السيميائي الغربي، ومن هذه المصطلحات نذكر ما يلي: المشاكلة، المماثلة، السمة، السيماء بدل السيمياء، القراءة، قراءة القراءة...
25. مطلب مرتاض الرئيسي هو أن يسهم النقاد العرب المعاصرين في تأسيس نقد عربي خالص والسير على منهاج العرب القدامى الذين أسسوا العلوم وطوّروها، وذلك من خلال الانطلاق من التراث إلى الحداثة، ثمّ من الحداثة إلى التّراث.
26. لعبد الملك مرتاض فضل سبق في إرساء قواعد الخطاب النقدي السيميائي في الجزائر، الذي حاول تأصيله من خلال ترسيخه التّطريّة المزوجة بين التراث والحداثة، وابتكاره لنقطة جديدة متفتّحة.
27. غيرت التّصوّرات البلاغية الجديدة مفهوم البلاغة عند مرتاض، وذلك من خلال ربطها بخطابات غير أدبية مثل: الخطاب السيميائي الذي تركز بلاغته على نجاعته في كشف الرموز واستخراج الحروف وإدراك المعنى الحقيقي للنّظام الإشاري.
28. اهتمّ عبد الملك مرتاض بمجموعة من المفاهيم السيميائية أبرزها: التناص (السرقاات الأدبية في التراث العربي)، الانزياح (العدول في التراث العربي)، التشاكل (المشاكلة في التراث العربي)، السيمياء (السمة، العلامة، الإشارة، الرمز في التراث العربي)، الأمر الذي زاده اقتناعا بعظمة الموروث العربي الإسلامي، والذي بدوره جنّبه التّقليد، الذي حسبه لا يؤدّي إلّا إلى العقم .
29. اتّبع عبد الملك مرتاض في ممارساته السيميائية للنّصوص التي تناولها الخطوات التّالية:
- محاولته الكشف عن خفايا النّصّ الأدبي وتفكيك بناه الدّاخلية.
 - استخراج العلامات والرموز الموجودة في النّصّ، وتحديد دلالاته ممّا يسهّل عمليّة التّحكّم في خطابه.
 - تحليل النّصوص التي يدرسها بداية بالعنوان، الرّمان والمكان، الألوان، الشّخصيات، العتبات النّصّيّة.
 - محاولته الابتعاد ما أمكن عن تقليد الغربيين تقليدا أعمى، بل اجتهاده لتحقيق الإبداع.

30. الخطاب النقدي السيميائي عند مرتاض لازال محدودا خاصة في قضية المصطلح، التي نادرا ما كانت موحدة في الوطن العربي عامة والجزائر خاصة.

ت. التوصيات:

لم تتمكن الجامعات اللغوية من حلّ معضلة المصطلح وإشكالاته، وكلّ توصياتهم وملاحظاتهم بقيت حبرا على ورق، بسبب وجود هوة واسعة بين أعضاء هذا الجمع، الذي سرعان ما يفترق يسعى كلّ واحد منهم إلى وضع قاموس بنفسه، والذي في غالب الأحيان تغلب عليه النزعة الفردية في ترجمة وتعريب المصطلحات السيميائية، من هذا المنبر ندعو إلى ضرورة اتحاد النقاد الجزائريين والاجتهاد في سبيل إنشاء معجم جزائري موحد حول المصطلح السيميائي في الوطن العربي عامة.

ونحثّ كذلك القائمين على الدراسات النقدية بتأسيس نظرية سيميائية عربية خالصة تنطلق من قواعد وأسس تراثية عربية وإسلامية.

من التوصيات التي آثرنا أن ننوّه إليها كذلك ضرورة تكريس عمل موحد على كلّ المستويات في الجزائر خاصة، والوطن العربي عامة، من خلال إجراء ملتقيات في هذا الميدان، والاستشراف على ضرورة تأصيل هذه المناهج الغربية، وفق أساسيات علوم اللغة العربية، والتراث العربي و الإسلامي الضخم.

الملاحق

1. السيرة الذاتية لعبد الملك مرتاض

2. مسرد المصطلحات السيميائية لعبد الملك مرتاض

3. صور عبد الملك مرتاض أثناء نيته جائزة عويس الثقافية

1. السيرة الذاتية لعبد الملك مرتاض (*):

أ. نبذة عن حياته:

ولد عبد الملك مرتاض بن عبد القادر بن أحمد بن أبي طالب بن محمد بن أبي طالب، وابن زينب بنت أحمد سوالي، في العاشر من يناير 1935م بمجاعة (وأصل نطقها فيما يبدو لنا "نجاعة" حيث إنّ العوام في تلك الناحية يقلبون النون ميما، فكأنّ هذه القبيلة نجعت من أرض بعيدة إلى حيث استقرت بها النوى هناك) بلدة من عرش مسيردة العليا، ولاية تلمسان، الجزائر: من أم وأب جزائريين، مسلمين، سنّيين.

حفظ القرآن العظيم، وتعلّم مبادئ الفقه والنحو في كتاب والده الشّيخ عبد القادر بن أحمد بن أبي طالب بن محمد بن أبي طالب، بقرية الحمّاس التي تبعد عن الحدود المغربية الشّرقيّة بزهاء ثمانية عشر كيلومترا.

التحق في أكتوبر من عام 1954م بمعهد ابن باديس بقسنطينة، وحين اندلعت الثورة الجزائرية أغلق المعهد وتفرّق طلابه شذر مذر في شهر فبراير من عام 1955م وقطن بالمدرسة البوعنانيّة التي أصيب فيها بمرض السّل، فنقل إلى مستشفى مدينة فاس (دار الدّبيغ)، وظلّ يعالج قريبا من عام كامل.

- 1960م التحق بكلية الآداب جامعة الرّباط (المغرب)
- 1960م سجّل في كليّة الحقوق والعلوم السياسيّة، ومعهد العلوم الاجتماعيّة بجامعة الرّباط.
- 1961م التحق بالمدرسة العليا للأساتذة بالرّباط

* شريط أحمد شريط وآخرون: معجم أعلام النّقد العربي في القرن العشرين، جامعة باجي مختار عنابة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، الجزائر، (د ت)، (د ط) ص 238-245

● عضو المنظمة المدنية لجبهة التحرير الوطني (1956م-1962م).

● متزوج وأب لخمسة أطفال.

ب. شيوخه وأساتذته:

تلقى تعلمه على يد مجموعة من الأساتذة والشيوخ، أبرزهم:

● والده الفقيه عبد القادر بن أحمد بن أبي طالب، الذي حفظه القرآن ولّمه مبادئ

العربية والفقه.

● الأستاذ الأديب أحمد بن ذياب (من الجزائر) (معهد ابن باديس بقسنطينة).

● الدكتور نجيب محمد البهيقي (من مصر) (جامعة الرباط).

● الأستاذ محمد الفاسي (من المغرب) (جامعة الرباط).

● الدكتور جعفر الكتاني (من المغرب) (جامعة الرباط).

● الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح (من الجزائر) (جامعة الرباط).

● الدكتور إحسان النصّ من سوريا (جامعة الجزائر).

● الأستاذ أنري ميكائيل (من فرنسا) (الكوليج دو فرانس باريس) بالفرنسية.

ت. رحلاته:

هاجر إلى فرنسا سنة 1953م من أجل العمل، فاشتغل في أفران معامل الأسطوري

بالشمال الفرنسي، فيما يستطيع جمع شيء من المال للتمكّن من الالتحاق بإحدى

مؤسسات العلم فيما بعد، فظلّ يكدح هناك لمدة خمسة عشر شهرا، التحق في حريف

سنة 1955م بجامعة القرويين بفاس، لمتابعة دراساته، ولكنه لم يختلف إلى القرويين إلا بضعة

أسابيع اضطرّ على إثرها إلى دخول مستشفى فاس لمرض وبيل ألمّ به، وكاد يودي بحياته،

أتيح له أن يسافر إلى كثير من الأقطار لحضور ندوات ومؤتمرات أدبية الأوربية، فقد زار

الاتحاد السوفياتي (سابقا) مرتين، ودعي إلى الولايات المتحدة الأمريكية، ولّى الدعوى مرّة

واحدة 1985م، وذلك لحضور ندوة علمية بجامعة ريتجرس، بولاية نيو جيرزي.

ث. الشهادات المحصّل عليها:

- نال عام 1960م شهادة البكالوريا (القسم الثاني من الشهادة الثانويّة)، تطوان (تقدّم إليها مترشّحا حرّاً).
- تخرّج في يونيو سنة 1963م في كلية الآداب بجامعة الرباط، بشهادة الأدب (ليسانس في الآداب)، وكان الأول على الدّفعة.
- تخرّج في يونيو سنة 1963م أيضا من المدرسة العليا للأساتذة العليا بالرباط، ونال المنزلة الأولى بين المتخرّجين.
- نال درجة دكتوراه الطّور الثّالث في الآداب من جامعة الجزائر في السابع من مارس عام 1970م، (وهي أول درجة علمية تمنحها الجامعة الجزائرية على عهد الاستقلال)، عن موضوع "فنّ المقامات في الأدب العربي" بإشراف الأستاذ الدكتور شكري فيصل، وشارك في مناقشتها الدكتور الطّاهر مكّي.
- نال سنة 1983م درجة دكتوراه الدّولة في الآداب بمرتبة الشّرف من جامعة السوربون الثالثة بباريس بإشراف الأستاذ الدكتور أندري ميكائيل، ورأس لجنة المناقشة المؤلّفة من خمسة أساتذة: الأستاذ محمّد أركون، وذلك عن موضوع "أجناس النّثر الأدبي في الجزائر 9311 م-1954م" (Les genres de la prose littéraire en Algérie).
- نال عدّة شهادات تقديرية وفخرية، كما كرّمته هيئات علمية وثقافية عدّة مرّات، منها جامعة عنابة، وجامعة وهران، وجامعة بشار، وجمعية إبداع، والشّروق الأسبوعي.

ج. أنشطته ووظائفه ومهمّاته:

- عيّن سنة 1956م مدرسا للغة العربية في مدرسة ابتدائية بمدينة أحفير، بعد النّجاح في مسابقة أجريت لاختيار المدرسين بوجدة، المغرب الأقصى.
- عيّن سنة 1963م مستشارا تربويا للمدارس الابتدائية بمدينة وهران وضواحيها.

- التحق بالتعليم الثانوي حيث ظلّ يعمل مدرّسا للغة العربيّة طوال سبع سنوات بثانوية ابن باديس بوهران.
- عين في 16 سبتمبر من سنة 1970م مدرّسا للأدب العربي في جامعة وهران.
- ثمّ أصبح سنة 1971م رئيسا لدائرة اللّغة العربيّة وآدابها، لدى استحداثه لأوّل مرّة بجامعة وهران.
- عين سنة 1974م مديرا لمعهد اللّغة العربيّة وآدابها، لدى استحداثه لأوّل مرّة بجامعة وهران.
- انتخب سنة 1975م رئيسا لفرع اتحاد الكتّاب الجزائريّين لولايات الغرب الجزائري لدى استحداث هذه الهيئة لأوّل مرّة.
- اشتغل نائبا لمدير جامعة وهران 1980م-1983م.
- انتخب سنة 1981م عضوا في الهيئة المديرة لاتحاد الكتّاب الجزائريّين وفاز بأغلبية أصوات الكتاب في مؤتمهم العام.
- عين مديرا للثقافة والإعلام لولاية وهران، لدى استحداث هذه المديرية لأوّل مرّة 1983م-1986م، وظلّ محتفظا أثناء ذلك بمنصب الأستاذية في جامعة وهران.
- انتخب أمينا وطنيا(قطريا) مكلفا بشؤون الكتّاب الجزائريّين 1984م-1989م، فرئيسا للمجلس العلمي بمعهد اللغة العربية وآدابها في جامعة وهران 1986م-1998م.
- رقي إلى درجة أستاذ التّعليم العالي عام 1986م.
- سجّل اسمه في موسوعة لاروس بباريس مصنفا في النقاد كما سجّل في موسوعات عربية وأجنبية أخرى في سوريا، الجزائر وألمانيا...
- قدّمت حول كتاباته التّقديمية والإبداعية، ومنهجه في التّقد والتّحليل رسائل جامعية (ماجستير، دكتوراه دولة) في جامعات عنابة، وباتنة، وقسنطينة، وهران، وتلمسان...
- كرمته جامعة وهران ودرست أعماله الإبداعية والتّقديمية على مدى ثلاثة أيام في ندوة وطنية أبريل 2001م.

- عيّن عضوا في مجلس الإدارة لمؤسسة الفكر العربي، بيروت 2002 م، وهو عضوا مراسلا في مجمع اللغة العربيّة بدمشق 2002م
- عيّن عضوا في الهيئة الاستشارية لمجلة "فصلي إيران والعرب"، بيروت 2002م.

ح. أعماله النقدية المطبوعة:

- القصّة في الأدب العربي القديم، نشر الشركة الجزائرية، مرزاقة أبو داود، الجزائر 1968م.
- نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر ط1؛ الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1971م+ط2؛ المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1980م
- فنّ المقامات في الأدب العربي، ط1؛ الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1980م+ط2؛ المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، الدار التونسية للتوزيع، تونس 1988م
- العامية الجزائرية وصلتها بالفصحى، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م.
- الألغاز الشعبية الجزائرية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1998م.
- الأمثال الشعبية الجزائرية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1981م.
- النصّ الأدبي من أين وإلى أين؟ ديوان المطبوعات الجامعية، ط1؛ الجزائر، 1983م.
- الثقافة العربية في الجزائر بين التأثير والتأثر، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1981م+ط2؛ دار الحداثة، بيروت، 1982م+ط3؛ ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983م
- معجم موسوعي لمصطلحات الثورة الجزائرية، وزارة المجاهدين، الجزائر، 2001م
- فنون النثر الأدبي في الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983م.
- الشيخ البشير الإبراهيمي، وزارة الثقافة، الجزائر، 1984م
- بنية الخطاب الشعري، دار الحداثة، بيروت، 1986م
- في الأمثال الزراعية الجزائرية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1987م
- عناصر التراث الشعبي في 'اللاز'، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1987م.

- الميثولوجيا عند العرب، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، الدار التونسية للتوزيع، تونس، 1989م.
- القصة الجزائرية المعاصرة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990م.
- ألف ليلة وليلة (دراسة تفكيكية لحكاية حمال بغداد) ط1، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1989م.
- تحليل سيميائي لقصيدة (أين ليلاي)، محمد العيد آل خليفة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992م.
- شعرية القصيدة... قصيدة القراءة، تحليل مركّب قصيدة 'أشجان يمانية'، درا المنتخب العربي، بيروت، 1994م.
- تحليل الخطاب السردى، تحليل سيميائي مركّب لرواية 'زقاق المدق' لنجيب محفوظ، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995م.
- جمالية الحيز في مقامات السيوطي، اتحاد الأدباء العرب، دمشق، 1996م.
- قراءة النصّ بين محدودية الاستعمال ولا نهائية التأويل، مؤسسة اليمامة، الرياض، 1997م.
- في نظرية الرواية، عالم المعرفة، الكويت، 1998م.
- الكتابة من موقع العدم، دار الرياض، الرياض، 1999م.
- السبع المعلقات، نشر اتحاد الأدباء العرب، دمشق، 1999م.
- النصّ، والنصّ الغائب في شعر سعاد الصباح، دار النور، بيروت، 2000م.
- الأدب الجزائري القديم، دراسة في الجذور، ط1، دار هومة، الجزائر، 2001م.
- نظام الخطاب القرآني (تحليل سيميائي مركّب لسورة الرحمن)، دار هومة، الجزائر، 2001م.
- التحليل السيميائي للخطاب الشعبي، (تحليل سيميائي لقصيدة 'شناشيل ابنة الجلبي')، دار الكتاب العرب، الجزائر، 2001م.

● في نظرية التقد (متابعة لأهمّ المدارس التقدية المعاصرة ورصد لنظرياتها، دار هومة، الجزائر، 2001م.

● أدب المقاومة الوطنية، نشر المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية لثورة أول نوفمبر 1954م-2002م، نفقة المركز الوطني لدراسة الحركة الوطنية وثورة فاتح نوفمبر 1954م بالجزائر في ثلاثة أجزاء، يقع في زهاء 900 صفحة.

● الإسلام والقضايا المعاصرة، دار هومة، الجزائر، 2003م.

خ. الروايات والمجموعات القصصية:

● نار ونور (رواية)، دار الهلال، القاهرة، 1975م.

● دماء ودموع، رواية نشرت مسلسلة في جريدة الجمهورية، وهران، خلال سنتي 1978-1979م.

● الخنازير (رواية)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985م.

● صوت الكهف (رواية)، دار الحداثة، بيروت، 1986م.

● حيزية (رواية)، نشرت مسلسلة في جريدة الشعب، الجزائر، 1988م.

● مرايا متشظية (رواية)، دار هومة، الجزائر، 2000م.

● هشيم الزمن (مجموعة قصصية)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988م.

● الحفر في تجاعيد الذاكرة (سيرة ذاتية)، دار هومة، الجزائر، 2003م.

● تقوم دار الأديب تباعا بنشر أعماله الكاملة تباعا ابتداء من شهر يونيو 2003م.

د. كتاباته المشتركة مع كتاب آخرين:

● قراءة جديدة لتراثنا النقدي، النادي الأدبي الثقافي، جدة، 1991م.

● الحداثة المتوازنة، إشراف الدكتور إبراهيم الجرادي، صنعاء، دمشق، 1995م.

● دراسات لديوان 'بوح البوادي' للشاعر عبد العزيز الباطين، الكويت، 1996م.

● الأدب الشفوي، مركز البحوث التاريخية والأنثروبولوجية، الجزائر، 1977م، إشراف

الكاتب الجزائري مولود معمري.

- الشعر الجزائري الحديث، جامعة الجزائر (مطبوع عرى ورق الحرير بالاشتراك مع الدكتور محمد مصايف، والدكتور محمد ناصر).
- الشاعر عبد الله الفيصل: بين مشاعر الحرمان وغربة الروح، بإشراف الدكتورة سعاد الصباح، إعداد الدكتور عبد الله بن سالم المعطاني، دار سعاد الصباح، الكويت، 2001م.
- أبو القاسم الشابي، أعمال ندوة البابطين بفاس مع مجموعة من كبار النقاد العرب منهم عبد السلام المسدي، محمد مفتاح، سعيد السريحي، مؤسسة البابطين، الكويت، 1996م.
- الثقافة والقيم، أعمال ندوة انعقدت بجامعة السلطان قابوس، بمسقط، دار الجيل، بيروت، 2002م.

ذ. ما تحت الطبع:

- التجربة الشعرية في الجزائر (1920م-2000م).
- أدب المقاومة الوطنية في الجزائر (1830م-1962م). نشر سنة 2009م.
- بحر النور
- النصّ والتناصّ

ر. الدّراسات والمقالات المنشورة في الدوريات:

يملك الناقد العديد من الدراسات والمقالات المنشورة في الدوريات على غرار المجاهد الثقافي (الجزء) الأصالة الجزائرية، الثقافة الجزائرية، المجاهد الأسبوعي (الجزائر)، مجلة الجيش الجزائرية، مجلة آمال الجزائرية، مجلة كلية الآداب بالجزائر، مجلة بحوث بوهران، الثقافة والثورة بالجزائر، العربي بالكويت، البيان بالكويت، التراث الشعبي بعداد، الأعلام بعداد، الكاتب العربي، اتحاد الأدباء العرب (بعداد، دمشق)، المنهل، المملكة العربية السعودية، الفيصل الرياض، الموقف الأدبي (دمشق)، الحياة الثقافية (تونس)، نزوى (مسقط)، أصوات (صنعاء)، المصباحية (كلية

الآداب، جامعة فاس)، مجلة كلية العلوم الإنسانية (جامعة البحرين)، الثقافة (صنعاء)، مجلة المجلس الإسلامي الأعلى (الجزائر)، اللغة العربية (المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر)، عالم الفكر (الكويت)، الحج والعمرة (الرياض)، ثقافات (البحرين)، أوان (البحرين).

ز. أنشطته الإعلامية والثقافية في الصحافة العربية:

نشر عبد الملك مرتاض بانتظام في عدد من الصحف العربية منها:

الراية، الدوحة (زهراء ثلاث سنوات بمعدل أربعة مقالات في الشهر)؛ عظامك، (جدة) العرب اليوم (عمان)، أضواء (الجزائر)، الشروق (الجزائر)، أنوال (الرباط)، الثورة (صنعاء)، الجزيرة (الرياض)، الجمهورية (بغداد)، الجمهورية (اليمن)، الجمهورية (الجزائر)، الرأي (الجزائر)، الرأي العام (المغرب)، الرياض (الرياض)، الزمان (لندن)، الشرق الأوسط، الشعب (الجزائر)، العمال (عدن)، المساء (الجزائر)، صوت الأحرار (الجزائر)، البلاد (الجزائر)، الميثاق (المغرب)، الميثاق (صنعاء)، اليوم (المدينة المنورة)، اليوم (الجزائر)، الصحافة (الجزائر)، السفير (الجزائر)، عكاظ (جدة)، العرب (لندن)، الاتحاد (الملح ق الأدبي الأسبوعي).

س. مؤلفاته الحديثة:

- قضايا الشعريات، متابعة وتحليل لأهم قضايا الشعر المعاصرة، سنة 2009م.
- مائة قضية... وقضية؛ مقالات ودراسات تعالج قضايا فكرية ونقدية متنوعة، سنة 2012م
- رسائل الأدباء الجزائريين في القرن العشرين؛ رسائل ووثائق مخطوطة تنشر لأول مرة.
- عجائب العرب؛ متابعة لطائفة من أساطير العرب وتحليلها، أكاديمية الشعر، أبوظبي، 2020م.
- طلائع النور لوحات من السيرة النبوية العطرة، سنة 2007م.

- آخر ما نشر معجم موسوعي للمصطلحات الأنثروبولوجية؛ متابعة لمصطلحات العلاقات والعادات والتقاليد والمعتقدات في المجتمع العربي منذ القدم، فيه مجلدين، دار القدس العربي، 2022م.
ش. الجوائز (**):

نال جائزة سلطان بن علي العويس الثقافية للدراسات الأدبية في دورتها السابعة عشر (2020-2021)، توج بها في 01 ماي 2021م، فقد مُنح الجائزة لما تتمتع به مؤلفاته من عمقٍ وشمولٍ غطت حُقولاَ عدة في الدراسات الأدبية؛ فمنها ما يُعالج ألوانًا من الأدب الشعبي، وما يغطي دراسة الأدب العربي القديم، وتحليله التفكيكي المتميز لحكاية من حكايات ألف ليلة وليلة. وما يتعلق بالأدب العربي الحديث، شعرًا ونثرًا. وقدّم عددًا كبيرًا من الأعمال المتميزة في نظرية النقد. وسعى في كتاباته إلى ابتكار مفاهيم نقدية من الناحية التاريخية والعلمية و إحصائها ، فوضع بذلك قاموسًا أدبيًا قادرًا على تجديد مفردات سليمة توافق المقاربات النقدية، التي يحتاجها النقاد الشباب لتحليل الخطاب الأدبي والنقدي

**هابس بن رجاء الحربي: جائزة العويس الثقافية ترسخ نفسها جائزة تقديرية لكلّ الأدباء والمفكرين العرب، تاريخ النشر 2022/05/01، تاريخ الاطلاع 2022/05/04، الموقع: <http://www.alfaisalmag.com/?p=23532>

2. مسرد المصطلحات السيميائية عند عبد الملك مرتاض:

المصطلح	مقابله باللّغة الفرنسية
سمة	Signe
سيميائ	Sémiotique
سيميوتيك	Sémiotique
سيميولوجيا	Sémiologie
سيمائيات	Sémiotique
سيماء	Sémiotique
سيما	Sema
أيقونة، تقاين	Icone
صورة	Image
قرينة	Indice
علامة	Marque
تشاكل، مشاكلة	Isotopie
خطاب	Logos
لغة اللّغة	Metalangage
قراءة القراءة	Méta-Lecture
سردية	Narrativité
شعرية (شعرانية، شاعرية، ماء شعري، أدبية، لغة شعرانية، إنشائية)	Poétique
إشارة	Signale
رمز	Symbole
نصّ	Texte

Ecart	انزياح
Déviation	انحراف
Espace	حيّز، فضاء
Textualité	تناص
Intertextualité	تناصيّة
Texture	نسيج
Piocité	شعريات
Icone	مماثل
Signifiante	تمدلل (تمعني)
Textualisation	نصنصة
Ecrivain	كتوب
Semiosis	مواسم
Preuve	دليل
Interprétations	تأويل
Dessimilation	تباين
Sémiologies	علم الدلائل
Signification	دلالة
Installation	تركيب

3. صور لعبد الملك مرتاض وهو ينال جائزة العويس الثقافية رفقة مجموعة من المبدعين

العرب

في الدورة السابعة عشر بدبي-حقل الدّراسات الأدبية والتّقديّة-من مؤسسة سلطان بن علي
الثقافية بالإمارات العربية المتّحدة.





قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

❖ القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم

أولاً: المصادر:

1. عبد الملك مرتاض: أ/ي؛ دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة "أين ليلاي" لمحمد العيد، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، (د ط)، 1992.
2. عبد الملك مرتاض: الأدب الجزائري القديم؛ دراسة في الجذور، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، (د ط)، 2016.
3. عبد الملك مرتاض: التحليل الجديد للشعر، معالجة تحليلية لحمس القصائد التي قدمت في نهائي الموسم السادس لأمير الشعراء، أكاديمية الشعر، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، ط1؛ 2017.
4. عبد الملك مرتاض: التحليل السيميائي للخطاب الشعري؛ تحليل بالإجراء المستوياتي لقصيدة شناشيل ابنة الجلي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، (د ط)، 2005.
5. عبد الملك مرتاض: السبع المعلقات؛ مقارنة سيميائية أنثروبولوجية لنصوصها، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، (د ط)، 1998.
6. عبد الملك مرتاض: الشعر الأول، معالجة تاريخية رصدًا وأنثروبولوجية مقارنة، وسيميائية تحليلًا لمطالع المعلقات، أكاديمية الشعر، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة، ط1؛ 2015.
7. عبد الملك مرتاض: ألف ليلة وليلة؛ تحليل سيميائي تفكيكي لحكاية حمّال بغداد، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د ط)، 1993.
8. عبد الملك مرتاض: القصّة الجزائرية المعاصرة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (د ط).
9. عبد الملك مرتاض: الكتابة من موقع العدم، دار الغرب، وهران (د ط)، 2004.
10. عبد الملك مرتاض: النصّ الأدبي من أين وإلى أين؟، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د ط)، 1983.
11. عبد الملك مرتاض: تحليل الخطاب السردية؛ معالجة تفكيكية سيميائية مركّبة لرواية 'زقاق المدقّ'، ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون، الجزائر، (د ط)، 1995.

12. عبد الملك مرتاض: شعرية القصيدة، قصيدة القراءة، تحليل مركّب لقصيدة أشجان يمانية، دار المنتخب العربي، لبنان، ط1؛1994.
13. عبد الملك مرتاض: فنّ المقامات في الأدب العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط2؛1988.
14. عبد الملك مرتاض: في نظرية الرواية؛ بحث في تقنيات السرد، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، (د ط)، 1998.
15. عبد الملك مرتاض: قضايا الشعريات؛ متابعة وتحليل لأهمّ قضايا الشعر المعاصر، منشورات دار القدس العربي، وهران، 2009.
16. عبد الملك مرتاض: مقامات السيوطي، دراسة اتحاد الكتاب العرب، دمشق، (د ط)، 1996.
17. عبد الملك مرتاض: نظام الخطاب القرآني؛ تحليل سيميائي مركّب لسورة الرحمن، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، (د ط)، 2001.
18. عبد الملك مرتاض: نظرية القراءة؛ تأسيس للنظرية العامة للقراءة الأدبية، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، (د ط)، 2003.
19. عبد الملك مرتاض: نظرية النصّ الأدبي، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، ط2؛2010.
20. عبد الملك مرتاض: أ/ي دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة "أين ليلاي" لمحمد العيد، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر (د ط)، 1992.
21. عبد الملك مرتاض: بنية الخطاب الشعري؛ دراسة تشريحية لقصيدة أشجان يمانية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د ط)، 1991.
22. عبد الملك مرتاض: تحليل الخطاب السردى، معالجة تفكيكية سيميائية مركّبة لرواية 'زقاق المدقّ'، ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون، الجزائر، (د ط)، 1995.
23. عبد الملك مرتاض: مقدمات منهجية فيما اتفق لي في تقديمات كتي التأسيسية، دار القدس العربي للطباعة والنشر والتوزيع، وهران، (د ط)، 2022.

ثانيا: المراجع:

24. إبراهيم عبد العزيز السمري: اتجاهات النقد الأدبي العربي في القرن العشرين، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط1؛2011.

25. ابن قيم الجوزية: بدائع الفوائد، تح: علي بن محمد عمران، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، الرياض، (د ط)، 2013.
26. أبو القاسم الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، (د ط)، (د ت)، ج1.
27. أبو الوليد بن رشد: تلخيص كتاب أرسطو طاليس في العبارة، تح: محمد سليم سالم، مطبعة دار الكتب، مصر (د ط)، 1978.
28. أبو حامد الغزالي: معيار العلم في المنطق، تح: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2؛ 1971.
29. أبو حيان التوحيدي: الإمتاع والمؤانسة، تح: أحمد أمين، أحمد الزين، دار مكتبة الحياة، لبنان، (د ط)، (د ت).
30. أبو حيان التوحيدي: البصائر والذخائر، تح: وداد القاضي، دار صادر، بيروت، ط1؛ 1981.
31. أبو حيان التوحيدي: المقابسات، تح: حسن السندوي، دار سعاد الصباح، الكويت، (د ط)، (د ت).
32. أبو حيان التوحيدي: من رسائل أبي حيان التوحيدي، تح عزت السيد أحمد، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، (د ط)، 2001.
33. أبو عثمان الجاحظ: البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط7؛ 1998، ج1.
34. أبو عثمان الجاحظ: الحيوان، تح: عبد السلام هارون، المجمع العلمي العربي الإسلامي، القاهرة، ط2، (د ت)، ج1.
35. أبو علي بن سينا: كتاب الشفاء، المنطق تح: الأب قنواني، محمود الخضيرى، فؤاد الإهواني، مكتبة سماحة آية الله العظمى المرعشي النجفي الكبرى، قم، إيران، ط2؛ 2012، ج2.
36. أبو علي بن سينا: منطق المشركيين، تح: سعيد زايد، المكتبة السلفية، السكة الجديدة، القاهرة، (د ط)، (د ت).
37. أبو نصر الفارابي: إحصاء العلوم، تح: عثمان محمد أمين، مكتبة الخانجي، مصر، (د ط)، 1930.

38. أبو نصر الفارابي: كتاب الحروف، تح: محسن مهدي، دار المشرق، بيروت ، لبنان، ط2؛1990.
39. أبو نصر الفارابي: كتاب في المنطق العبارة، تح: محمد سليم سالم، مطبعة دار الكتب، مصر، (د ط)،1976.
40. أبو هلال العسكري: الفروق اللغوية، تح: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، (د ط)،1998.
41. أحمد أمين: النقد الأدبي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، مدينة نصر القاهرة ، (د ط) ،2012 .
42. أحمد بن عثمان رحماني، النقد التطبيقي الجمالي واللغوي في القرن الرابع الهجري، عالم الكتب الحديث، ط1، الأردن، 2008.
43. أحمد حساني: العلامة في التراث اللساني العربي؛ قراءة لسانية سيميائية، دار الوجوه للنشر ،الرياض، ط1؛2015.
44. أحمد طالب: منهجية إعداد المذكرات والرّسائل الجامعية، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، ط7؛2015
45. أحمد مختار عمر: علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، ط1؛1975.
46. أحمد يوسف: الدلالات المفتوحة؛ مقارنة سيميائية في فلسفة العلامة، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1؛2005.
47. أحمد يوسف: السيميائيات الواصفة؛ المنطق السيميائي وجبر العلامات ، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1؛2005.
48. أحمد يوسف: مقدمة في سيميائيات الإشهار وتمثيلاته المتعدّدة، مجلّة أيقونات، مج5، ع5، س2015.
49. إدريس بلمليح: الرؤية البيانية عند الجاحظ، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط1؛1983
50. إسماعيل بن عمر بن كثير: تفسير القرآن العظيم، دار بن حزم، بيروت، لبنان، ط1؛2000.
51. بسام موسى قطوس: سيمياء العنوان، وزارة الثقافة، عمان الأردن، ط1؛2001.

52. تقي الدين بن تيمية: التفسير الكبير، تح: عبدالرحمن عميرة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د ط)، (د ت)، ج4.
53. جلال الدين المحلي، جلال الدين السيوطي: تفسير الجلالين الميسر، دار البشري، باكستان، ط1؛2010.
54. جميل حمداوي: الاتجاهات السيميوطيقية (التيارات والمدارس السيميوطيقية في الثقافة الغربية)، الألوكة، المغرب، ط1؛2015.
55. جهاد فاضل: أسئلة النقد؛ حوارات مع النقاد العرب، الدار العربية للكتاب، (د ط)، (د ت).
56. حازم القرطاجي: منهج البلغاء وسراج الأدباء، تح: محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، (د ط)، 2007.
57. حسين خمري: فضاء المتخيل (مقاربات في الرواية)، منشورات الاختلاف، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية، الجزائر، ط1؛2002.
58. حسين خمري: نظرية النص من بنية المعنى إلى سيميائية الدال، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1؛2007.
59. حياة لصحف: مصطلحات في نقد ما بعد البنيوية، دار الخلدونية للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، (د ط)، 2013.
60. خالد بن محمد الجديع: الدراسات السردية الجديدة؛ قراءة المقامة أمودجا، نشرتها عمادة البحث العلمي، جامعة الملك سعود، (السعودية)، (د ط)، 2007.
61. رابح بوحوش: المناهج النقدية وخصائص الخطاب السردية، دار العلوك للنشر والتوزيع، عنابة، (د ط)، (د ت).
62. رسول محمد رسول: فلسفة العلامة (من جون سانت إلى جيل دولور)، مطابع دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1؛2015.
63. رشيد بن مالك: السيميائيات السردية، دار مجدلاوي، عمان، الأردن، ط1؛2006.
64. رشيد بن مالك: مقدمة في السيميائية السردية، دار القصبه للتشر، الجزائر، (د ط)، 2000.

65. سعيد بنكراد: السيميائيات السرديّة، مطبعة الجناح الجديدة، الدار البيضاء، (د ط)، 2001.
66. سعيد بنكراد: السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، اللاذقية، ط3؛ 2012 .
67. السعيد بوطاجين: الاشتغال العملي (دراسة سيميائية) "غدا يوم جديد" لابن هذوقة عيّنة، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1؛ 2000.
68. السعيد بوطاجين: الترجمة والمصطلح؛ دراسة في إشكالية ترجمة المصطلح النقدي الجديد، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1؛ 2009.
69. السعيد بوطاجين: السرد ووهم المرجع؛ مقاربات في النصّ السردي الجزائري، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1؛ 2005.
70. سعيد يقطين: القراءة والتجربة، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1985.
71. سليمان ولد خسال: منهجية البحث في العلوم الإسلامية، مكتبة الإمام مالك، باب الواد، (الجزائر)، ط1؛ 2015.
72. سيزا قاسم، نصر حامد أبو زيد: أنظمة العلامات في اللغة والأدب والثقافة، دار العالم العربي، (القاهرة)، (د ط)، 1986.
73. شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي: سير أعلام النبلاء، تح: شعيب الأرنؤوط، محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1؛ 1983، ج17.
74. الطيّب دبة: التفكير السيميائي في اللغة والأدب؛ دراسة في تراث أبي حيان التوحيدي، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، ط1؛ 2015.
75. عادل فاخوري: علم الدلالة عند العرب، دراسة مقارنة مع السيميائية الحديثة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط2؛ 2012.
76. عبد الجليل منقور: علم الدلالة، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، (د ط)، 2001.
77. عبد الحميد بورايو: التحليل السيميائي للخطاب السردي؛ دراسة لحكايات من ألف ليلة وليلة وكليلا ودمنة، دار الغرب، وهران، الجزائر، (د ط)، 2003.
78. عبد الحميد بورايو: الحكايات الخرافية للمغرب العربي؛ دراسة تحليلية في معنى المعنى لمجموعة من الحكايات، شعب الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، (د ط)، 2007.

79. عبد الحميد بورايو: القصص الشعبي في منطقة بسكرة؛ دراسة ميدانية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (د ط)، 1994.
80. عبد الحميد بورايو: المسار السردي وتنظيم المحتوى؛ دراسة سيميائية لنماذج من حكايات ألف ليلة وليلة، دار السبيل للنشر والتوزيع، الجزائر، (د ط)، 2008.
81. عبد الحميد بورايو: المنهج السيميائي الخلفيات النظرية وآليات التطبيق، دار التنوير، الجزائر، ط1؛ 2014.
82. عبد الحميد بورايو: منطوق السرد (دراسات في القصة الجزائرية الحديثة)، منشورات السهل، الجزائر، (د ط)، 2009.
83. عبد الرحمن بدوي: فلسفة العصور الوسطى، دار القلم بيروت، (لبنان)، ط3؛ 1979.
84. عبد الرحمن بدوي: مناهج البحث العلمي، وكالة المطبوعات، فهد السالم، الكويت، ط3؛ 1977.
85. عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، تح: محمد الاسكندراني، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، (د ط)، 2014.
86. عبد الرزاق بلال: مدخل إلى عتبات النصّ، دراسة في مقدّمات النقد العربي القديم، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، بيروت، (د ط)، 2000.
87. عبد السلام المسدي: الأدب وخطاب النقد، دار الكتاب الوطنية، بنغازي، ليبيا، ط1؛ 2004.
88. عبد السلام المسدي: المصطلح النقدي مؤسسات عبدالله للنشر، تونس، (د ط)، 1994.
89. عبد القادر علي باعيسي: في مناهج القراءة النقدية الحديثة، اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين، صنعاء، ط1؛ 2004.
90. عبد القادر فهم الشيباني: سيميائيات المحكي المترابط؛ سرديات الهندسة الترابية: نحو نظرية للرواية الرقمية، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2014.
91. عبد القادر فهم الشيباني: معالم السيميائيات العامة أسسها ومفاهيمها، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1؛ 2008.
92. عبد القادر فيدوح: إراءة التأويل ومدارج معنى الشعر، صفحات للدراسات والنشر، البحرين، (د ط)، 2009.

93. عبد القادر فيدوح: أيقونة الحرف وتأويل العبارة الصّوفية في شعر أديب كمال الدّين، منشورات ضفاف، بيروت، لبنان، ط1؛2016.
94. عبد القادر فيدوح: دلالية النصّ الأدبي، دراسة سيميائية للشّعر الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، وهران، ط1؛1997.
95. عبد القادر فيدوح: نظريّة التّأويل في الفلسفة العربيّة الإسلاميّة، دار الأوتل، دمشق، سوريا، (د ط)،2004.
96. عبد القادر فيدوح، الرّؤيا والتّأويل مدخل لقراءة القصيدة الجزائرية المعاصرة، ديوان المطبوعات الجامعيّة، وهران، ط1؛1994.
97. عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، تح: محمد محمود شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، (د ط)،1991.
98. عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، تح: محمود محمد شاكر، مطبعة الخانجي، القاهرة،(د ط)، (د ت).
99. عبد الله إبراهيم : الثقافة العربية والمرجعيات المستعارة ،دار الأمان ، الرباط ، ط1 ، 2014
100. عبد الله إبراهيم وآخرون: معرفة الآخر (مدخل إلى المناهج النّقديّة الحديثة)، المركز الثقافي العربي، الدّار البيضاء، ط2؛1996.
101. عبد الملك بومنجل: تجربة نقد الشعر، دار قرطبة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1؛2015.
102. عبد الواحد المرابط: السيميائية العامة وسيميائية الأدب(من أجل تصور شامل)، دار هومة ، الجزائر ، ط1،(د ت).
103. عبيدة صبطي: الأنثروبولوجيا و السيميولوجيا، مطابع دار المعارف، مصر،(د ط)،2018.
104. عبيدة صبطي، نجيب بخوش: مدخل إلى السيميولوجيا، دار الخلدونية للنشر والتوزيع ، القبة ، (الجزائر)، ط1؛2009.
105. عثمان بن جنّي : الخصائص ، تح : محمد علي النجار ،دار الشؤون الثقافية العامة ،(د ط)،(د ت).
106. فاضل ثامر: اللّغة الثّانية في إشكالية المنهج والنّظريّة والمصطلح في الخطاب النّقدي العربي الحديث، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1؛1994.

107. فاطمة البريكي: قضية التلقي في النقد العربي القديم، دار النشر، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 2006.
108. قدامة بن جعفر: نقد الشعر، تح: محمد عبد المنعم خفاجي دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (دط)، (دت).
109. قدور عبد الله ثاني: سيميائية الصورة؛ مغامرة سيميائية في أشهر الإرساليات البصرية في العالم، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، (د ط)، 2005.
110. لخضر عرابي: المدارس النقدية المعاصرة، النشر الجديد الجامعي، تلمسان، (د ط)، 2016.
111. محمد السّرغيني: محاضرات في السيميولوجيا، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، ط1؛ 1987.
112. محمد باروني: إنسانية الخطاب في الرواية العربية الحديثة، مركز النشر الجامعي، تونس، (د ط)، 2004.
113. محمد بن آجروم: نظم الأجرومية، دار الإمام مالك، الجزائر، ط1، 2007.
114. محمد حسن عبد العزيز: التعريب في القديم والحديث مع معاجم الألفاظ المعربة، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1؛ 1990.
115. محمد سالم سعد الله: مملكة النصّ؛ التحليل السيميائي للنقد البلاغي (الجرجاني نموذجاً)، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1؛ 2007.
116. محمد عبد اللطيف علي: الدلالة عند أبي حيان التّوحّيدي في ضوء كتابه الإمتاع والمؤانسة، كلية اللغة العربية، جرجا، القاهرة، (د ط)، 2004.
117. محمد عزام: المصطلح النقدي في التراث الأدبي العربي، دار الشّرق العربي، حلب، سوريا، (د ط)، 2010.
118. محمد عياد: في المناهج التأويلية، مطبعة التسفير الفني بسفاقس، تونس، ط1؛ 2012.
119. محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التّناص)، المركز الثقافي العربي، الرباط، المغرب، ط2؛ 1986.
120. محمد نظيف: ماهي السيميولوجيا، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ط1؛ 1994.
121. محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري: أساس البلاغة، الهيئة المصرية العامّة للكتاب، مصر، ط3، 1985، ج1.

122. محمود فهمي حجازي: الأسس اللغوية لعلم المصطلح، مكتب غريب، القاهرة، (د ط)، (د ت).
123. مراد حسن فطوم: التلقي في النقد العربي في القرن الرابع، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، سوريا، (د ط)، 2013.
124. مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط1؛ 2005.
125. مصطفى محمد سليم الغلاييني: جامع الدروس العربية، المكتبة العصرية، بيروت، (د ط)، 1993، ج1.
126. مولاي علي بوخاتم: مصطلحات النقد العربي السيماءوي؛ الإشكالية، الأصول والامتداد، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، (د ط)، 2005.
127. مولاي علي بوخاتم: لدرس السيميائي المغاربي؛ دراسة وصفية نقدية إحصائية في نموذجي عبد الملك مرتاض ومحمد مفتاح، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د ط)، 2005.
128. ميجان الرويلي، سعد البازغي: دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط3؛ 2002.
129. نقلة حسن أحمد: التحليل السيميائي للفن الروائي دراسة تطبيقية لرواية الزيني بركات المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، (د ط)، 2012.
130. يوسف وغليسي: إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1؛ 2008.
131. يوسف وغليسي: الخطاب النقدي عند عبد الملك مرتاض؛ بحث في المنهج وإشكالياته، دار البشائر للنشر والاتصال، (د ط)، 2002.
132. يوسف وغليسي: النقد الجزائري المعاصر من اللانسونية إلى الألسنية، إصدارات رابطة إبداع الثقافية، الجزائر، (د ط)، 2002.
133. يوسف وغليسي: عاشق الضاد؛ قراءات في كتابات العلامة عبد الملك مرتاض، جسور للنشر والتوزيع، ط1؛ 2018.
134. يوسف وغليسي: مناهج النقد الأدبي، جسور للنشر والتوزيع، المحمدية، الجزائر، ط3؛ 2015.

ثالثا. القواميس والمعاجم العربية:

135. إبراهيم أنيس وآخرون: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربيّة، مكتبة الشروق الدوليّة، القاهرة، ط4؛2004.
136. إبراهيم فتحي : معجم المصطلحات الأدبية ، التعااضدية العمالية للطباعة والنشر ، تونس، ط1؛1988.
137. أحمد بن فارس : معجم مقاييس اللغة ، تح :عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر ، القاهرة، (د ط)، 1979، ج 2 .
138. جمال الدين بن منظور، لسان العرب ، دار صادر، بيروت، مادة(لقي)، ط1، 1300هـ، ج 11 .
139. الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين ، تح :مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي دار ومكتبة الهلال،(د ط)،(د ت)،بيروت،ج4.
140. رشيد بن مالك: قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص عربي-إنجليزي-فرنسي، دار الحكمة، الجزائر،2000.
141. روجي البعلبكي، المورد قاموس عربي انجليزي ،دار العلم للملايين ، بيروت ، (د ط)،1996.
142. زين الدّين محمد بن أبي بن عبد القادر الرّازي: مختار الصّحاح ،تح: حمزة فتح الله ،مؤسسة الرسالة ناشرون ،ط3؛2009 .
143. سعيد علوش: معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة ، دار الكتاب اللّبناني ،بيروت ،لبنان ،ط1؛1985
144. سمير سعيد حجازي: قاموس مصطلحات النقد الأدبي المعاصر ، دار الآفاق العربية ،ط1 ،2001 .
145. شريط أحمد شريط وآخرون: معجم أعلام التّقد العربي في القرن العشرين،جامعة باجي مختار عنابة، كلية الآداب والعلوم الإنسانيّة والإجتماعية،الجزائر،(د ت)،(د ط) .
146. صدّيق بن حسين القنوجي: أبجد العلوم، الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، تح: عبدالجبار دكّار، دار الكتب العلميّة، دمشق، (د ط)، 1978.

147. صلاح الدين أبو عيَّاش: مصطلحات الفنون، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، عمّان، ط1؛2015، ج1.
148. علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني: معجم التعريفات، تح: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، (د ط)،2004.
149. فيصل الأحمر : معجم السيميائيات، الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر ، ط1؛2010.
150. كامل عويد العامري: معجم النقد الأدبي الحديث، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، سوريا، دمشق، ط1؛2018.
151. مجدي وهبة، كامل المهندس: معجم المصطلحات العربية في اللّغة والأدب بيروت لبنان، ط2، 1984، .
152. محمد التونجي: المعجم المفصّل في الأدب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2؛1999؛ ج1.
153. محمد علي التهانوي: موسوعة كشّاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تح: علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط1؛1996، ج1.
154. نواف نصّار: المعجم الأدبي، دار ورد للنشر والتوزيع، الأردن، ط1؛2007.
155. يعقوب إيميل ، عاصي ميشال : المعجم المفصّل في اللّغة والأدب، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط1، 1978، ج1 .
156. ألجيرداس جوليان غريماس: سيميائيات السرد، تر: عبد المجيد نوسي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1؛2018.
157. أمبرتو إيكو : السيميائية وفلسفة اللّغة ، تر: أحمد الصمعي ، المنظمة العربية للترجمة ، بيروت ، ط1؛2005، .
158. أمبرتو إيكو: التأويل والتأويل المفرط، تر: ناصر الحلواني، مركز الإنماء الحضاري، حلب، سوريا، ط1؛2009
159. إيفور أرمسترونغ ريشاردز: مبادئ النقد الأدبي والعلم والشعر، تر: محمد مصطفى بدوي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1؛2005.
160. تشارلز موريس: روافد الفلسفة البراغماتية، تر: إبراهيم مصطفى إبراهيم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، (د ط)،2011

161. جاك ديريدا: في علم الكتابة، تر: أنور مغيث، منى طلبة، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط2؛ 2008.
162. جوزيف كورتيس: مدخل الى السيميائية السردية والخطابية، تر: جمال حضري، الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر، ط1؛ 2007.
163. جوليا كريستيفا: علم النصّ، تر: فريد الزاهي، دار طوبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ص17، 18.
164. جيرالد برنس: قاموس السرديات، تر: السيد إمام، ميريت للنشر والمعلومات، القاهرة، ط1؛ 2003.
165. دانيال تشاندلر: أسس السيميائية، تر: طلال وهبة، المنظمة العربية للترجمة، بيروت ط2008، 1.
166. روبرت شولز: السيميائية والتأويل: تر: سعيد الغانمي، دار الفارس للنشر والتوزيع، عمان، ط1؛ 1994.
167. رولان بارت: درس السيميولوجيا، تر: عبد السلام بن عبد العالي، دار طوبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط3؛ 1996.
168. رولان بارت: أسطوريات، تر: توفيق قريرة، منشورات الجمل، بيروت لبنان، (د ط)، 1980.
169. هانس روبيرت يابوس: جمالية التلقي؛ من أجل تأويل جديد للنص الأدبي، تر: رشيد بنحدو، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1؛ 2004.

رابعا. المراجع باللغة الأجنبية:

170. Barthes Roland ; L'aventure Sémiologique ; Edition Seuil ; Paris, 1985.
171. Ferdinand De Saussure ,Coure in General Linguistics ,Edited by Charles Bally and Albert Sechehay in Collaboration with Albert Riedlinger, Translated and, with an introduction, and notes by Wade Baskin New York Toronto London, 1983.

- M. Foucault: L'archéologie du savoir, Paris, Edition .172
Gallimard, 1969
- Umberto Eco, A Theory of Semiotics ,Advances in .173
Semiotics ,Bloomington :Indiana University Press,1976.
- خامسا. المقالات العلمية:
174. إبراهيم عبد النور: جهود عبد الملك مرتاض في تنظير القراءة؛ قراءة في كتاب نظرية القراءة،
مجلة قراءات، مج2، ع1، س2010.
175. أحمد حساني: العلامة في التراث، مجلة الحداثة، ع2، س1993.
176. أحمد يوسف: سيميائيات عتبات النص؛ مقارنة في خطاب الإهداء (شعر اليتيم في الجزائر
أنموذجا)، مجلة اللغة والأدب، مج9، ع1، س2001.
177. آمال شرفاوي: جمالية الإيقاع في الخطاب القرآني عند عبد الملك مرتاض، مجلة جيل
الدراسات الأدبية والفكرية، ع55، س2019.
178. أمجد محمد حسن العميدي : العلامة في الحضارات القديمة ،مجلة مركز بابل
،مج1، ع2، س2011.
179. إيمان مقداد: الدلالة من منظور ابن سينا ، مجلة المعيار ، مج8، ع1، س2017.
180. بلقاسم دقة: علم السيمياء في التراث العربي، مجلة التراث العربي، ع91، س2003.
181. بوداود وذناني: خطاب التأسيس السيميائي في النقد الجزائري (مقارنة في بعض أعمال
يوسف أحمد)، مجلة الباحث، مج1، ع2، س2009.
182. ثابت طارق: عبد الملك مرتاض وجهوده في التنظير لتحليل الخطاب الأدبي "المنهج
السيميائي نموذجاً"، مجلة الأثر، مج10، ع11، س2011.
183. جميل حمداوي : السيميوطيقا والعنونة، مجلة عالم الفكر، مج25، ع3، س1997.
184. الحاج جغدم: التحوّلات النقدية لدى عبد الملك مرتاض من السياق إلى النسق، مجلة اللغة
والاتصال، مج10، ع16، س2014.
185. الحاج جغدم: نظرية البلاغة وعلاقتها بالسيميائية في مشروع عبد الملك مرتاض النقدي،
مجلة اللغة الوظيفية، مج1، ع1، س2014.

186. حسن محمد الربابعة: مصطلح السيمياء بين التأصيل والتعريب، مجلة الصوتيات، مج5، ع1، س2009.
187. حسن محمد الربابعة، سيمياء الحواس في كتاب الحيوان للجاحظ دراسة في النظرية والتطبيق، مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج34، ع7، س2007.
188. حسين خمري: الترجمة و السيميائيات، مجلة المترجم، مج5، ع2، س2005.
189. حسين خمري: سيميائية الترجمة، مجلة بحوث سيميائية، مج3، ع3، س2007.
190. حمزة بسّو: المشروع النقدي عند عبد الحميد بورايو، مجلة اللغة العربيّة، مج21، ع44، س2019.
191. خلف الله بن علي: الممارسة السيميائية السردية في النقد الجزائري؛ قراءة في إسهامي رشيد بن مالك وإبراهيم صحراوي، مجلة الفضاء المغاربي، مج3، ع3، س2019.
192. دافيد سافان: الأصول السيميائية في فكر شارل بيرس، تر: عبد الملك مرتاض، مجلة علامات، ج4، س1992.
193. رشيد بن مالك: إشكالية ترجمة المصطلح في البحوث السيميائية العربيّة، مجلة علامات، مج14، ع53، س2004.
194. سعاد بن ناصر: آليات أحمد يوسف التّقديّة في كتابيه "يتم النصّ، الجينيولوجيا الضّائعة"، و"السّلالة الشّعريّة في الجزائر، علامات الحفوت وسمات اليتم"، مجلة العلوم الإنسانية، مج1، ع46، س2016.
195. صالح تقابجي: قراءة سيميائية في النصّ السّردي؛ الدّكتور رشيد بن مالك نموذجاً مجلة الآداب واللّغات، مج1، ع4، س2013.
196. طارق ثابت: عبد الملك مرتاض وجهوده في التّنظير لتحليل الخطاب الأدبي(المنهج السيميائي أنموذجاً)، مجلة الأثر، مج10، ع11، س2011.
197. عائشة حمادو: تلقّي السيميائية عند عبد الحميد بورايو بين آليات المنهج وخصوصية النصّ المقارب، مجلة الحكمة للدراسات الأدبيّة واللّغويّة، مج5، ع10، س2017.
198. عبد الرزاق حاجي، هواري بلقاسم: آليات التحليل السيميائي للخطاب الشعري في النقد الجزائري؛ قصيدة "يا دار" لمحمد العيد آل خليفة"، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، مج13، ع1، س2021.

199. عبد القادر شرشار: قراءة لقاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص الإنجليزي-فرنسي-عربي للأستاذ رشيد بن مالك، مجلة بحوث سيميائية، مج5، ع، س2010.
200. عبد القادر فهيم الشيباني: حوار مع عبد القادر فيدوح السيميائيات وعوالم المغامرات النقدية، مجلة أيقونات، مج1، ع1، س2018.
201. عبد الملك مرتاض: بين النصّ والتكاتب؛ الماهية والتطور، مجلة قوافل النادي الأدبي، الرياض، السعودية، مج4، ع7؛ س1996.
202. عبد الملك مرتاض: تقديم المنهج المستوياتي، مجلة اللغة الوظيفية، مج3، ع2، س2016.
203. عبدالرحمن بن إبراهيم المهوس: المحايثة من البنيوية إلى السيميولوجيا، مجلة العلوم الإنسانية، مج8، ع16، س2014.
204. عبد القادر شرشار: مستويات التحليل السيميائي في مقارنة النصّ السردي، مجلة بحوث سيميائية، مج1، ع1، س2002.
205. عبد الكبير أبوبكر: منهجية المقاربة السردية عند إبراهيم صحراوي، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، مج12، ع3، س2020.
206. عبدالنعيم بوفاتح: المباحث الدلالية عند علماء الأصول في ضوء الدراسات الحديثة ابن القيم نموذجاً، مجلة الأثر، مج5، ع5، س2006.
207. علي بن التومي: فلسفة الفنّ عند أبي حيان التوحيدي، مجلة جسور المعرفة، مج5، ع4، س:2019.
208. علي حمودين، عبد القادر دحدي: التركيب المنهجي عند عبد الملك مرتاض، مجلة العلامة، مج1، ع1، س2016.
209. علي سحنين: التحليل السيميائي للخطاب الروائي في النقد الجزائري (كتاب الاشتغال العملي للنقاد السعيد بوطاجين أنموذجاً)، مجلة مقاليد، مج3، ع4، س2013.
210. علي سحنين: السرديات السيميائية وتطبيقاتها في النقد الجزائري؛ قراءة في كتاب فضاء المتخيّل لحسين خمري، مجلة النصّ، مج1، ع2، س2015.
211. علي سحنين: السيميائيات التعاقبية وترهين دلالة الزمن الروائي؛ الطاهررواينية نموذجاً، مجلة دراسات معاصرة، مج2، ع2، س2018.

212. علي مقدّم: المصطلح السيميائي بين التعريب والتّغريب لدى عبد الملك مرتاض، مجلّة علوم اللغة العربيّة وآدابها، مج11، ع1، س2019.
213. عيسى بربار: تجربة رشيد بن مال في وضع قاموس مصطلحات التّحليل السيميائي للنّصوص، مجلّة البدر، مج11، ع7، س2018.
214. غيثاء علي قادرة: سيمياء التّلقّي في إراءة التّأويل للنّاقد عبد القادر فيدوح، مجلّة أبوليوس، مج7، ع2، س2020.
215. فاتح علاق: التحليل السيميائي للخطاب الشعري في النقد العربي المعاصر (مستوياته وإجراءاته)، مجلّة جامعة دمشق، مج25، ع2، س2009.
216. فاطمية بوعزة: نظرية القراءة والتّلقّي، المرجعيات والمفاهيم، مجلّة النّص، ع22، س2017.
217. فتيحة لعلاوي: السيميائية من المنظور الجاحظي: نظرة في كتابي "البيان والتبيين" و"الحيوان"، مجلّة الحكمة للدراسات الأدبية واللّغوية، مج1، ع2، س2013.
218. قادة عقاق: السردية ومستويات التحليل السيميائي للنّصوص (سيمياء السرد الغريماسية نموذجاً)، مجلّة الخطاب، مج3، ع3، س2008.
219. لخضر حشلافي، فاطمة بدراني: السيميائيات السردية من فلاديمير بروب إلى غريغاس، مجلّة مقاليد، ع09؛ ديسمبر 2015.
220. لخضر روجي: علاقة السيمياء باللّسانيات، مجلّة الممارسات اللّغويّة، مج5، ع2، س2014.
221. لطروش نادية: القراءة السيميائية والتّفكيكيّة لدي عبد الملك مرتاض؛ من خلال دراسته "أين ليلاي"، مجلّة الدّراسات الثّقافية واللّغويّة الفنّيّة، المركز الديمقراطي العربي، ألمانيا، برلين، ع4، س2019.
222. لكحل لعجال: قراءة في كتاب السيميائيات السردية لرشيد بن مالك، مجلّة مقاليد، مج6، ع1، س2016.
223. ليلة زباني، أحمد قيطون: بنية الخطاب النّقدي لدى السّعيد بوطاجين؛ كتاب السّرد ووهم المرجع (أنموذجاً)، مجلّة الأكاديميّة للدّراسات الاجتماعيّة والانسانيّة، مج12، ع6، س2020.

224. ليلى شعبان وآخرون: المنهج السيميائي في تحليل النصّ الأدبي، حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالاسكندرية، مج1، ع33، س2017.
225. مان داود سالم الربيعي، هدى هادي عميد حسابك: العلامة الأيقونية عند عبد القاهر الجرجاني، مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية، مج28، ع09؛ س2020.
226. محمد إسماعيل بصل أكسيم: المفاجأة وكسر الأفق (خطبة زياد بن أبيه في البصرة أنموذجا تطبيقيا)، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، مج39، ع2، س2017.
227. محمد أمباركي: قراءة في جزء من كتاب الاشتغال العاملي (دراسة سيميائية) "غدا يوم جديد" لابن هدوقة عيّنة، للسعيد بوطاحين، مجلة دراسات وأبحاث، مج13، ع2، س2021.
228. محمد بولخوط: حضور المصطلح في التراث اللغوي العربي القديم؛ المصطلح الصوتي الفيسيولوجي أنموذجا بين الوضع والاستعمال، مجلة دراسات، ع70، س2018.
229. محمد خافاني، رضا عامر: المنهج السيميائي آلية مقارنة الخطاب الشعري الحديث وإشكالياته، مجلة دراسات في اللغة العربية و آدابها، مج2، ع2، س2010.
230. محمد نمر: المصطلح النقدي عند عبد الملك مرتاض، مجلة الحكمة للدراسات الأدبية واللغوية، مج5، ع9، س2017.
231. محمود فتوح: مصطلح التشاكل في الخطاب النقدي العربي المعاصر بين الترجمة والتعريب، مجلة نتائج الفكر، مج4، ع1، س2019.
232. مريم شويشي: السيميائية السردية في النقد الجزائري، قراءة وصفية تحليلية في نموذج السعيد بوطاحين، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مج10، ع2، س2021.
233. المسعود قاسم: مرجعيات الخطاب النقدي عند عبد الحميد بورايو، مجلة رفوف، مج7، ع1، س2019.
234. نادية لطروش: المنهج التأويلي عند عبد القادر فيدوح، قصيدة بغداد 'نموذجا'، مجلة تاريخ العلوم، مج2، ع4، س2016.
235. نبيلة فراحتية: آليات التحليل السيميائي للنصّ السردية في الخطاب النقدي الجزائري "تجربة عبد الحميد بورايو-رشيد بن مالك أنموذجا"، مجلة الفضاء المغاربي، مج3، ع4، س2020.
236. نسيمة تاحي: تجليات السيميائية السردية في الدرس النقدي العربي؛ المسار السردية وتنظيم المحتوى لعبد الحميد بورايو، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مج10، ع2، س2021.

237. نظيرة بن زايد: ملامح المصطلح السيميائي في التراث العربي، مجلة امتياز بان دي ديكان دان باهاسا عرب، إيانبانكولو أندونسيا، مج1، ع4؛ س2020.
238. وائل بركات: السيميولوجيا بقراءة رولان بارت، مجلة جامعة دمشق، مج18، ع02؛ س2002.
239. يوسف وغليسي: مصطلح (الانزياح) بين ثابت اللغة المعيارية الغربية ومتغيرات الكلام الأسلوبي العربي، علامات في النقد، النادي الأدبي الثقافي، جدة، ع64، س2008.

سادسا. الملتقيات العلمية:

240. حبيب بوزوادة : سيميائيات الثقافة لدى جماعة موسكو تارتو، الملتقى الدولي السابع 'السيميائيات والنص الأدبي'، قسم الآداب واللغة العربية، جامعة محمد خيضر بسكرة، أيام، 29، 30، 31 أكتوبر 2013 .
241. حفناوي بعلي: التجربة العربية في مجال السيميائيات، دراسة مقارنة مع السيميولوجيا الحديثة، الملتقى الوطني الثاني السيميائيات والنص الأدبي، قسم الآداب واللغة العربية، جامعة محمد خيضر بسكرة (الجزائر)، أيام 15/16 أبريل 2002.
242. رشيد بلعيفة: رشيد بن مالك ومحاولات تأصيل النقد السيميائي، الملتقى الدولي الثامن للسيميائيات والنص الأدبي، جامعة محمد خيضر بسكرة، (الجزائر)، أيام 8، 9، 10 نوفمبر/ 2015م.
243. سالم محمد سالم بامؤمن: الدوال السيميائية في مؤلفات الجاحظ، المؤتمر العلمي الرابع، جامعة حضرموت، 24، 25 جوان 2019.
244. علي زغينة: مناهج التحليل السيميائي، محاضرات الملتقى الوطني الأول: السيميائيات والنص الأدبي، قسم الآداب واللغة العربية، جامعة بسكرة، (الجزائر)، أيام 7، 8 نوفمبر 2000.
245. هواري بلقندوز: المعطى التداولي لنظرية العلامة في السيميائيات الأمريكية، المنطلقات والحدود، الملتقى الدولي الخامس، السيميائيات والنص الأدبي، قسم الآداب واللغة العربية، جامعة محمد خيضر بسكرة (الجزائر)، أيام 15، 16، 17 نوفمبر 2008 .

سابعا. الرسائل والأطروحات الجامعية:

246. أحمد سايحي: النقد التّسقي الجزائري بين الأصول والتّجليات، أطروحة دكتوراه (منشورة)، جامعة الجيلالي ليابس سيدي بلعباس، الجزائر، 2017/2018.

247. أسماء بن مالك: الخلفيات النظرية للمصطلح السيميائي وترجمته إلى العربية، أطروحة دكتوراه(منشورة)، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، (الجزائر)،2019/2018.
248. جميلة سلطان الماس الجاسم: أيقونة الغوص في الشعر العربي المعاصر بالخليج، أطروحة ماجستير(منشورة)، جامعة قطر، 2021/2020.
249. حمدية زدام: الظواهر السيميائية في النص الأدبي العباسي بين الأصالة والحداثة، أطروحة دكتوراه(منشورة)، جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان،2013/2012.
250. حمزة بسو: إشكالية المنهج في النقد الجزائري المعاصر؛ قراءة في مشاريع: عبد الحميد بورايو، عبد الملك مرتاض، رشيد بن مالك، أطروحة دكتوراه(منشورة)، جامعة محمد ملين دباغين، سطيف2؛2019/2018.
251. حورية عيسى : الخطاب الأدبي في التراث العربي بين تقنية التبليغ وآلية التلقي، أطروحة دكتوراه (منشورة)، جامعة وهران2016/2015.
252. حياة بن الشيخ: الجهود النقدية عند أحمد يوسف من خلال كتبه (القراءة النسقية، السيميائيات الواصفة، يتم النص)، أطروحة ماجستير(منشورة)، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، (الجزائر)،2015/2014.
253. خليفة محمد فتحي: التمثلات الثقافية في الأشهر التلفزيوني (دراسة تحليلية سيميولوجية لعينة من اشهارات القناة الخاصة الشروق تيفي)،(أطروحة دكتوراه)،(منشورة) ، جامعة عبد الحميد بن باديس ، مستغانم ،2017/2016.
254. دليلة مبروك : استراتيجيات القارئ في شعر المعلقات "معلقة امرؤ القيس نموذجاً"، أطروحة ماجستير ،(منشورة)، جامعة منتوري قسنطينة ،2010/2009.
255. رضا معرف :التجديد في النقد العربي ،أطروحة دكتوراه ،(منشورة) ،جامعة باتنة2017،،1/ 2018 .
256. ريمة خلدون: المشروع النقدي عند أحمد يوسف (كتاب "القراءة النسقية سلطة البنية ووهم المحايثة" أنموذجا)، أطروحة دكتوراه(منشورة)،جامعة محمد بوضياف المسيلة،(الجزائر)،2019/2018.
257. سامية طواهرية: التفكير السيميائي عند عبد الملك مرتاض؛ مقارنة وصفية ،أطروحة ماجستير، (منشورة) ،جامعة أدرار ،2015/2014.

258. سائدة حسين محمد العمري: سيميائية نوازع النفس في القرآن الكريم، أطروحة ماجستير، (منشورة) الجامعة الإسلامية غزّة، فلسطين، 2009.
259. سعيده حمداوي: الخطاب النقدي الجزائري-نقد السرد أنموذجا، أطروحة ماجستير، (منشورة)، جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، 2012/2011.
260. سماح أسعيد: في نقد الخطاب الشعري الجزائري المعاصر من منظور الباحث أحمد يوسف (قراءة في الأصول والتجليات)، أطروحة ماجستير (منشورة)، جامعة محمد لمين دباغين، سطيف 2، (الجزائر)، 2014/2013.
261. سميرة بارودي: الدّراسات السردية في النّقد الجزائري المعاصر، أطروحة ماجستير (منشورة)، جامعة وهران، (الجزائر)، 2011/2012.
262. شيخة علي الحبابي: العلامة في التراث البلاغي في القرنين الرابع والخامس الهجريين في ضوء الدراسات السيميائية الحديثة، أطروحة ماجستير، (منشورة)، جامعة قطر 2020.
263. الطاهر رواينية: سرديات الخطاب الروائي المغاربي الجديد؛ مقارنة نصّائية تطبيقية في آليات المحكي الروائي، أطروحة دكتوراه (غير منشورة)، جامعة الجزائر، 2000/1999.
264. عامر بن شتوح: ملامح التفكير السيميائي في اللغة عند الجاحظ من خلال البيان والتبيين، (أطروحة ماجستير)، (منشورة)، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، 2010/2009.
265. عبد القادر دحدي: التحليل السيميائي في النّقد الأدبي الجزائري الحديث، عبد الملك مرتاض أنموذجا، أطروحة ماجستير (منشورة)، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة (الجزائر)، 2014/2013.
266. عبد الله عبّان: تجربة نقد النّقد في النّقد العربي المعاصر؛ سعد البازغي، سعيد علّوش، عبد الملك مرتاض أنموذجا، أطروحة دكتوراه (منشورة)، جامعة العربي التبسي، تبسة، (الجزائر)، 2018/2017.
267. عبد الله مخطاري: تحديد المنهج في كتابات عبد الملك مرتاض النّقدية، أطروحة دكتوراه (منشورة)، جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف، (الجزائر)، 2021/2020.
268. علي مقدم: تلقّي المنهج السيميائي عند عبد الملك مرتاض (مقاربة وصفية)، (أطروحة ماجستير)، (منشورة)، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم، 2016/2015.

269. فتيحة العبدى: إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي الجزائري المعاصر، أطروحة ماجستير (منشورة)، جامعة وهران، السانبا، (الجزائر)، 2014/2013.
270. كمال جدّي: المصطلحات السيميائية السردية في الخطاب النقدي عند رشيد بن مالك، أطروحة ماجستير (منشورة)، جامعة قاصدي مباح ورقلة، (الجزائر)، 2012/2011.
271. لخضر بكيري: المصطلح الأناسي في الخطاب النقدي لعبد الحميد بورايو؛ المرجعيات والتلقي، أطروحة ماجستير (منشورة)، جامعة وهران 1 (الجزائر)؛ 2017/2016.
272. لكحل لعجال: المقاربة السيميائية عند رشيد بن مالك، أطروحة دكتوراه (منشورة)، جامعة قاصدي مباح ورقلة، (الجزائر)، 2017/2016.
273. المسعود قاسم: اتجاهات النقد الأدبي في الجزائر (النقد الأدبي عند عبد الحميد بورايو)، أطروحة دكتوراه (منشورة)، جامعة قاصدي مباح، ورقلة، (الجزائر)، 2019/2018.
274. مسعودة أرفيس: تمثل الحداثة في أعمال عبد الملك مرتاض النقدية؛ كتاب شعرية القصيدة؛ قصيدة القراءة، تحليل مركب لقصيدة أشجان يمانية؛ أنموذجا، أطروحة ماجستير، (منشورة)، جامعة محمد بوضياف المسيلة، الجزائر، 2015/2014.
275. مهى محمود إبراهيم العنوم، تحليل الخطاب في النقد العربي الحديث، أطروحة دكتوراه (منشورة)، جامعة الأردن، 2004.
276. نصيرة بركة: هندسة المعنى في القصيدة السردية، مقارنة سيميائية 'شوقي بزيغ أنموذجا'، (أطروحة دكتوراه)، (منشورة)، جامعة جيلالي ليابس، سيدي بلعباس، 2019/2018.
277. هامل بن عيسى: إشكالية الخطاب السيميائي في النقد الأدبي المغربي؛ دراسة في نقد النقد، جامعة وهران، أطروحة دكتوراه (منشورة)، 2013/2012.
278. هامل بن عيسى: واقع الخطاب السيميائي في النقد الأدبي الجزائري، أطروحة ماجستير، (منشورة)، جامعة وهران، 2006/2005.
- ثامنا. المحاضرات والمطبوعات الجامعية:
279. باية سيفون: مطبوعة محاضرات في السيميولوجيا، ألقيت على طلبة السنة الثالثة إعلام واتصال، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم علوم الإعلام والاتصال، جامعة محمد بوضياف المسيلة، (الجزائر)، (د ط)، 2016/2015.

280. محمد ملياني : مطبوعة محاضرات في تحليل الخطاب ، كلية الآداب واللغات ، قسم الأدب العربي، جامعة تلمسان،(الجزائر) ، (د ط)، 2013/2012.
- تاسعا. المواقع الإلكترونية:
281. أحمد يوسف: سؤال في المنهج: تاريخ النشر: 2018/02/10، تاريخ الاطلاع: 2021/06/26، رابط الموقع: <http://alantologia.com>
282. جميل حمداوي: سيميولوجيا التواصل وسيميولوجيا الدلالة، منبر حرّ للثقافة والفكر والأدب، تاريخ النشر: 2008/02/07، تاريخ الاطلاع: 2020/03/15 رابط الموقع: <https://www.diwanalarab.com>
283. رشيد الخيون: أرشيف الشارح للمجالات العربية والثقافية، تاريخ النشر: 2016/08/14م، تاريخ الاطلاع: 2021/07/18، رابط الموقع: [./https://archive.alsharekh.org](https://archive.alsharekh.org)
284. زياد يوزيان: التنظير النقدي الأدبي، تاريخ النشر: 2012/12/03، تاريخ الاطلاع: 2021/06/02، رابط الموقع: <https://www.diwanalarab.com/>
285. سامي الحصناوي: الدلالة مقابل العلامة في الفكر الفلسفي عند العرب، موقع الحوار المتمدّن، تاريخ النشر 2010/10/28، تاريخ الاطلاع: 2020/05/06 رابط الموقع: <https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=23035>
286. سعيد بنكراد: مفاهيم في السيميائيات، تاريخ النشر: جويلية 2003، تاريخ الاطلاع: 2021/8/12، رابط الموقع: <http://saidbengrad.free.fr/ar/art12.htm>
287. شريهان حوامدة: علاقة السيميائيات باللسانيات، تاريخ النشر: 2021/12/10، تاريخ الاطلاع: 2022/03/05، رابط الموقع: <https://e3arabi.com/sociology/>
288. عبدالمجيد العابد: التحليل السيميائي السردى لرواية "الّصّ والكلاب" لنجيب محفوظ، تاريخ النشر 2022/10/01، تاريخ الاطلاع 2022/10/05، رابط الموقع: <http://www.aklaam.net/>

289. فاضل عبود التميمي: شعر أديب كمال الدين في منظور النقد السيميائي عند عبد القادر فيدوح، تاريخ النشر: 2016، تاريخ الاطلاع 2021/06/23، رابط الموقع: <http://www.adeebk.com/kasaedy>
290. محمد عزّام: تأصيل المناهج النقدية (السيميائية نموذجاً)، تاريخ النشر: 2008/09/19، تاريخ الاطلاع: 2021/05/25، رابط الموقع: <https://www.diwanalarab.com/>
291. هابس بن رجاء الحربي: جائزة العويس الثقافية ترسخ نفسها جائزة تقديرية لكلّ الأدباء والمفكرين العرب، تاريخ النشر 2022/05/01، تاريخ الاطلاع 2022/05/04، الموقع: <http://www.alfaisalmag.com/?p=23532>
292. حوار الخير شوار مع السعيد بوطاجين: النقد يحزّر النصّ من سلطة المبدع، منشور بموقع الجزيرة نت، تاريخ النشر 2015/05/18م، تاريخ الاطلاع: 2021/07/25م، رابط الموقع: <https://www.aljazeera.net/>
293. حوار رمضان نايلي مع ثلّة من الناقدین: شكراً... إبراهيم صحراوي: تاريخ النشر 2015/12/14، تاريخ الاطلاع 2021/7/25، رابط الموقع: <https://www.elhiwardz.com/>
294. حوار عبد الرحمن المسكري، مع مجموعة من النقاد العرب، منشور بمجلة نزوى العمانية، تاريخ النشر: 2021/06/05، تاريخ الاطلاع: 2021/07/26، رابط الموقع: <https://www.nizwa.com/>
295. حوار مع الشاعر أديب كمال الدين، أجراه معه إسكندر حبش، منشور بجريدة السفير اللبنانية، تاريخ النشر 2013/09/04، تاريخ الاطلاع 2021/06/24، رابط الموقع: <http://www.adeebk.com/kasaedy> :



فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات:

2	البسمة.....
4	شكر وتقدير.....
5	إهداء.....
6	قائمة المختصرات:.....
9	الفصل التمهيدي: محددات أولية في مصطلحات: التلقي، الخطاب، التقد، السيمياء. ...
9	1. مفهوم التلقي لغة واصطلاحاً.....
9	2. مفهوم الخطاب لغة واصطلاحاً.....
9	3. مفهوم التقد لغة واصطلاحاً.....
9	4. مفهوم السيمياء لغة واصطلاحاً.....
9	5. مفاهيم سيميائية.....
1	تمهيد:.....
1	1. مفهوم التلقي: (Recevoir).....
2	1.1. اصطلاحاً: نظرية التلقي: (Théorie de la réception).....
4	1.1.3. قراءة كرونولوجية في مفهوم التلقي:.....
5	2. مفهوم الخطاب: (Discours).....
5	1.2. اللغة:.....
6	2.2. اصطلاحاً:.....

- 61.2.2. الخطاب في التراث العربي القديم:
- 82.2.2. مخطط تنظيمي للخطاب:
- 93.2.2. الخطاب في المدرسة الحديثة:
- 13.....4.2.2. مقارنة بين النصّ والخطاب:
- 14.....: **Théorie de la critique littéraire**: نظرية النقد الأدبي:
- 14.....1.3. لغة:
- 15.....2.3. اصطلاحا:
- 17.....4. السيمياء: (**la sémiotique**)
- 17.....1.4. لغة:
- 18.....2.4. اصطلاحا:
- 21.....3.4. مفاهيم سيميائية:
- 22.....1.3.4. التشاكل / التباين: (**L'isotopie**)
- 22.....2.3.4. الشفرة: (**Code ,Symbole**)
- 22.....3.3.4. العلامة: (**La signe**)
- 23.....4.3.4. الدلالة: (**La signification**)
- 23.....5.3.4. التركيب: (**L'installation**)
- 23.....6.3.4. التداولية: (**La pragmatique**)

7.3.4.	التطبيق السيميائي، السيميوزيس (السيرورة المنتجة للدلالة: (Semiosis)	24
8.3.4.	التأويل: (L'interprétation)	24
9.3.4.	المربع السيميائي: (Le carré sémiotique)	24
10.3.4.	الأيقونة (الصّور): (l'icone)	25
11.3.4.	التأويل البنائي: (L'interprétation constructiviste)	25
12.3.4.	مصطلح السيميوطيقا: (La Sémiotique)	25
7.3.4.	المحاثة: (l'immanence)	26
1	الفصل الأول: السيميائيات : مفاهيم وأصول:	1
1	1. السيميائيات وإشكالاتها في التراث العربي الإسلامي.	1
1	2. السيميائيات في المدرسة الغربية الحداثيّة	1
1	3. المدارس السيميائية واتجاهاتها	1
1	4. علاقة السيميائيات باللّسانيات.	1
1	5. خصائص المنهج السيميائي	1
1	6. آليات تحليل النصوص الأدبية وفق المنهج السيميائي.	1
29	تمهيد:	29
29	1. السيميائيات وإشكالاتها في التراث العربي الإسلامي:	29
29	1.1. المرحلة الأولى : السيمياء في القرآن الكريم:	29

- 31 2.1. المرحلة الثانية: السيمياء فرع من فروع السحر:
- 33 3.1. المرحلة الثالثة: مصطلح السيمياء من منظور علمي المنطق والفلسفة:
- 34 1.3.1. الفارابي (260هـ-339هـ)
- 36 2.3.1. أبو حيان التوحيدى (310هـ-414هـ)
- 39 3.3.1. أبو علي بن سينا (370هـ-427هـ)
- 41 4.3.1. أبو حامد الغزالي (450هـ-505هـ)
- 46 4.1. المرحلة الرابعة: السيميائية من منظور علوم اللغة والبلاغة والنقد:
- 46 1.4.1. أبو عثمان الجاحظ (159هـ-255هـ)
- 50 2.4.1. أبو هلال العسكري (310هـ-395هـ)
- 51 3.4.1. عبد القاهر الجرجاني (400هـ-471هـ)
- 53 5.1. المرحلة الخامسة: السيمياء في علمي التفسير وأصول الفقه:
- 53 1.5.1. الرّاغب الأصفهاني (343هـ-502هـ)
- 54 2.5.1. ابن تيمية (661هـ-728هـ)
- 55 3.5.1. ابن قيم الجوزية (691هـ-751هـ)
- 57 4.5.1. مخطط توضيحي يبين ملامح السيميائية في التراث العربي الإسلامي:
- 59 2. السيميائيات في المدرسة الغربية:
- 59 تمهيد:
- 61 1.2. المرحلة الأولى: مرحلة العصور القديمة:

- 62.....2.2. المرحلة الثانية :مرحلة القدّيس أوغسطين:
- 63.....3.2. المرحلة الثالثة :مرحلة العصور الوسطى:
- 63.....4.2. المرحلة الرابعة: مرحلة التّهضة الأوروبية:
- 64.....5.2. المرحلة الخامسة: مرحلة العصر الحديث:
- 67.....3. المدارس السيميائية واتّجاهاتها:
- 67.....1.3. الاتجاه الفرنسي:
- 67.....1.1.3. المدرسة السوسيرية:
- 68.....2.1.3. سيمياء التّواصل:
- 71.....3.1.3. سيميولوجيا الدّالة:
- 75.....4.1.3. مدرسة باريس السيميولوجية:
- 76.....5.1.3. اتّجاه السيميوطيقا المادّية:
- 77.....6.1.3. السيميولوجية الرّمزيّة:
- 77.....2.3. سيميوطيقا الأمريكي بيرس:
- 78.....3.3. السيميائية في الاتّجاه الروسي:
- 79.....4.3. الاتّجاه الإيطالي:
- 80.....5.3. سيمياء الثّقافة:
- 81.....6.3. سيمياء الأدب:
- 86.....4. علاقة السيميائيات باللّسانيات:

- 88.....5. خصائص المنهج السيميائي: 88
- 88.....1.5. مبدأ المحايثة: 88
- 88.....2.5. التحليل البنيوي: 88
- 89.....3.5. بناء الخطاب وتنظيمه: 89
- 89.....6. آليات تحليل النصوص الأدبية وفق المنهج السيميائي: 89
- 90.....1.6. آلية التحليل السيميائي للنصوص السردية: 90
- 92.....2.6. آلية التحليل السيميائي للنص الشعري: 92
- 93.....7. مخطط يوضح تطوّر السيميائيات منذ القديم إلى اليوم: 93
- 96.....الفصل الثاني: مقاربات سيميائية في الخطاب النقدي الجزائري 96
- 96.....1. الخطاب النقدي السيميائي في الوطن العربي 96
- 96.....2. إشكاليات المنهج السيميائي في الخطاب النقدي الجزائري 96
- 96.....3. تجليات المنهج السيميائي في الخطاب النقدي الجزائري 96
- 96.....4. إشكاليات تناول المصطلح السيميائي في الخطاب النقدي الجزائري 96
- 97.....1. الخطاب النقدي السيميائي في الوطن العربي: 97
- 98.....1.1. المغرب العربي: 98
- 101.....2.1. المشرق العربي: 101
- 101.....2. إشكاليات المنهج السيميائي في الخطاب النقدي الجزائري: 101
- 101.....1.2. مفهوم المنهج: 101

- 101 1.1.2. لغة:
- 102 2.1.2. اصطلاحا:
- 104 2.2. تجليات المنهج السيميائي في الخطاب النقدي الجزائري:
- 105 1.2.2. عبد الملك مرتاض:
- 113 2.2.2. عبد القادر فيدوح:
- 124 3.2.2. أحمد يوسف:
- 130 4.2.2. حسين خمري:
- 134 5.2.2. السعيد بوطاجين:
- 140 6.2.2. رشيد بن مالك:
- 148 7.2.2. عبد الحميد بورايو:
- 153 8.2.2. إبراهيم صحراوي:
- 154 9.2.2. الطاهر رواينية:
- 155 10.2.2. عبد القادر فهم الشيباني:
- 156 3. إشكاليات تناول المصطلح السيميائي في الخطاب النقدي الجزائري:
- 156 1.3. مفهوم المصطلح:
- 156 1.1.3. لغة:
- 157 2.1.3. اصطلاحا:
- 159 2.3. المصطلح السيميائي واستعمالاته عند النقاد الجزائريين:

- 1.2.3. المرجعية التراثية للمصطلحات السيميائية عند عبد الملك مرتاض: 160
- 2.2.3. عبد القادر فيدوح: بين الدلائلية والتأويلية: 163
- 3.2.3. أحمد يوسف: بين الدلالات المفتوحة والسيميائيات الواصفة، والعلامات: 164
- 4.2.3. ترجمة المصطلح السيميائي عند حسين خمري: 165
- 5.2.3. السعيد بوطاجين والمصطلح السيميائي: 166
- 6.2.3. القاموس السيميائي لرشيد بن مالك: 168
- 7.2.3. مصطلحات عبد الحميد بورايو: 170
- الفصل الثالث: إشكالية تلقي الخطاب النقدي السيميائي عند عبد الملك مرتاض 172
- تمهيد: 173
1. إشكالية تلقي المنهج السيميائي عند عبد الملك مرتاض: 174
- 1.1. الخطاب التنظيري في كتابات عبد الملك مرتاض السيميائية: 174
- 2.1. المنهج السيميائي وخطاب الممارسة التطبيقية النقدية عند عبد الملك مرتاض: 180
- 3.1. المنهج السيميائي وخطاب الترجمة والتعريب عند عبد الملك مرتاض: 181
2. إشكالية تعدد المنهج واللامنهج عند عبد الملك مرتاض: 214
3. إشكالية التركيب المنهجي عند عبد الملك مرتاض: 218
4. إشكالية صياغة المصطلح السيميائي عند عبد الملك مرتاض: 223
- 1.4. آليات صياغة المصطلح السيميائي عند عبد الملك مرتاض: 223
- 1.1.4. الاشتقاق: 223

- 224 2.1.4. التعرب:
- 226 3.1.4. إحياء المصطلحات التراثية:
- 226 4.1.4. الترجمة:
- 227 2.4. أهم المصطلحات السيميائية عند عبد الملك مرتاض:
- 228 1.2.4. مصطلح السيميائية: (La Sémiotique)
- 235 2.2.4. مصطلحا التناص (Textualité) والتناصية: (Intertextualité)
- 238 3.2.4. مصطلح الشعريّة: (La Poétique)
- 241 4.2.4. مصطلح الانزياح: (L'écart)
- 243 5.2.4. مصطلح الحيز: (L'espace)
- 246 6.2.4. مصطلح التشاكل: (Isotopie)
- 247 7.2.4. مصطلح التمدل (التمعني) (La signifiante):
- 248 5. إشكالية اللغة عند عبد الملك مرتاض:
- 252 6. إشكالية تأثر الناقد بالتراث العربي الإسلامي:
- 257 الخاتمة
- 266 الملاحق
- 266 1. السيرة الذاتية لعبد الملك مرتاض
- 266 2. مسرد المصطلحات السيميائية لعبد الملك مرتاض
- 266 3. صور عبد الملك مرتاض أثناء نيله جائزة عويس الثقافية

280 قائمة المصادر والمراجع

305 فهرس الموضوعات

ملخص البحث:

عربية-إنجليزية-فرنسية

ملخص الدراسة:

تبحث هذه الدراسة الموسومة ب: "إشكالية تلقي الخطاب النقدي السيميائي في الجزائر (عبد الملك مرتاض أنموذجا)" في استجلاء طبيعة الخطاب النقدي السيميائي في الجزائر، وذلك عن طريق تفصي المدونات النقدية السيميائية الخاصة بمجموعة من النقاد الجزائريين، وعلى رأسهم الناقد الجزائري عبد الملك مرتاض، الذي يملك حوالي عشرين مدونة سيميائية، تناول من خلالها الناقد هذا المنهج الحدائي من كل الجوانب بداية بالجانب النظري، لتطبيقي ثم خطاب الترجمة والتعريب.

حاولنا في هذه المذكرة أن نجيب على الإشكاليات التالية: كيف تلقى عبد الملك مرتاض الخطاب النقدي السيميائي؟، ما مفهوم الخطاب السيميائي في نظر عبد الملك مرتاض؟، هل يمتلك عبد الملك مرتاض منهجا سيميائيا بعينه؟ لماذا اعتمد عبد الملك مرتاض في كتاباته على المنهج التركيبي؟ ما هي الطريقة التي اعتمدها مرتاض في توظيفه للمنهج السيميائي في مؤلفاته؟، ما موقع المصطلح السيميائي في قاموس عبد الملك مرتاض؟ هل حافظ عليه في ترجمته ملتزما بالتراث العربي الإسلامي؟ أم نقله حرفيا؟

خلصت دراستنا إلى أنّ عبد الملك مرتاض أحدث نقلة نوعية للممارسات النقدية السيميائية في الوطن العربي عامة، بفضل المنهج الذي سلكه والمعتمد على طريقة التركيب المنهجي، وكذا نزعة الدّينية التي مكّنته من الجمع بين التراث العربي الإسلامي والحداثة الغربية، وهذا ما ساعده كثيرا في تطوير الآليات الإجرائية للمنهج السيميائي، وبالتالي أنتج خطاب نقدي سيميائي جزائري خالص.

الكلمات المفتاحية: الخطاب النقدي، السيمياء، التلقي، المصطلح، التركيب المنهجي.

Abstract :

This study stands on “the problematic of the semiotic critical as a Model)”to clarify discourse in Algeria (Abdelmalek Mortath the nature of the semiotic critical discourse in Algeria. This is due to the semiotic critical blogging specific of some Algerian critics and the top of them, the Algerian critic Abdelmalek Mortath who owns about twenty semiotic blogs. The critic dealt with the modernist method in all the fields, starting with the theoretical and practical side then the discourse of translation and localization.

In this memoire, I tried to answer the following problematic: How did Abelmalek Mortath receive the semiotic critical discourse? The meaning of semiotic discourse according to Abdel malek Mortath? Does Mortath own a specific semiotic method? Why did he focus on the synthetic method in his writings? What is the position of the term semiotic in the dictionary of Mortath? Did he preserve it in his translation taking into consideration the Islamic Arab heritage? Or he translated word for word?

Our study concluded that Abdelmalek Mortath brought a qualitative shift in the practical semiotic criticism in the Arab world in general. Thanks to the method he dealt with which is based on the method of systematic composition, and his religious belief that encouraged him to gather between the Arab-Islamic heritage and the western modernity. This helped him in the development of the procedural mechanism for the semiotic method; therefore, he produced a purely Algerian semiotic critical discourse.

Keywords : Critical discourse, semiotics, reception, terminology, methodological structure.

Résumé :

Cette étude encyclopédique tient à recevoir « la problématique du discours de la sémiotique en Algérie (Abdelmalek Mortath comme modèle) » et à clarifier la nature du discours critique en Algérie qui est considéré comme une spécifié typique chez les critiques Algériens, à leur tête Abdelmalek Mortath. Ce dernier possède une vingtaine de blogs sémiotiques, À travers elle, le critique a utilisé la méthode moderniste dans tous les sens : théorique, appliqué puis le discours de la traduction et la définition.

Dans cette étude, j'ai essayé de répondre à cette problématique, comment a reçu Abdelmalek Mortath le discours critique ? Le significatif du discours ? Possède t- il un discours spécifique ? Pourquoi il a utilisé dans ses écrits la méthode synthétique ? Quelle est la méthode qu'a utilisée Abdelmalek Mortath dans ses œuvres ? Quelle est la position du terme sémiotique dans le dictionnaire d'Abdelmalek Mortath ? Était-il fidèle dans sa traduction en respectant les valeurs Arabo-musulman ? Ou il l'a copié mot à mot ?

On déduit dans cette étude qu'Abdelmalek Mortath est arrivé à un niveau de qualité supérieure dans ses études au critique dans le monde Arabe. Grâce à sa compétence, sa conviction religieuse et sa modernité occidentale, lui ont permis de réaliser un discours Algérien typique.

Mots-clés : Discours critique, sémiotique, réception, terminologie, structure méthodologique.